

إِرْوَاءُ الْمُشْتَقِ

مِنْ خُطْبِ الْأَخْلَاقِ



تَأْلِيفُ

الشيخ السيد مراد سلامة

إِرْوَاءُ الْمُشْتَقِ مِنْ خُطْبِ الْأَخْلَاقِ

تأليف

الشيخ السيد مراد سلامة



إهداء

أهدي ثواب هذا الكتاب إلى أبي وعمي رحمهما الله
أهدي ثواب هذا الكتاب إلى أُمي الغالية رحمها الله
أهدي ثواب هذا الكتاب إلى أخي عبد الحميد وأخي علي رحمهما الله
أسأل الله العظيم أن يرفعهم بكل آية في هذا الكتاب درجة
أسأل الله العظيم أن يكتب لهم بكل حرف فيه حسنة
أسأل الله العظيم أن يغفر لهم بكل حرف فيه سيئة
أسأل الله العظيم أن ينور قبورهم بكل صلاة فيه على نبي صلى الله
عليه وسلم
أسأل الله العظيم أن يبيني لهم بكل خطبة في الكتاب قصرًا

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ". [آل عمران/١٠٢] " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا " [النساء/١]. " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ". [الأحزاب/٧٠ - ٧١].

إن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار... وبعد.....

إخوة الإسلام: لقد جاء الإسلام ليتمم البناء الأخلاقي للبشرية فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ». (١)
عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَيَّ هَذَا الْوَادِي فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ اثْنَنِي، فَاَنْطَلَقَ الْأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ، وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ لَهُ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، (٢)

والأخلاق روح الأمة، فإذا صحت الروح عاشت الأمة قوية عزيزة مرهوبة الجانب، وإذا فسدت الروح تهاوت الأمة وخارت قواها وأصبحت مطمعا للطامعين، وهدفاً للأعداء.

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هُوَ ذهبتْ أخلاقُهُمْ ذهبوا

وليسَ بعامرٍ بِنِيارٍ قومٍ إذا أخلاقُهُمْ كانتْ خرابا

والأخلاق هي الماء الذي تروى به القلوب والأرواح لتثمر محاسن الأخلاق والمودة والوفاء

هي الأخلاقُ تبتُ كالنبات إذا سقيت بماء المكرمات

١ - أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٢٧٣، (وأحمد في مسنده) ٨٩٣٩، صحيح الجامع: ٢٨٣٣، صحيح الأدب المفرد:

(٢) - صحيح البخاري (٤٧/٥) (٣٨٦١) وتهذيب صحيح مسلم - علي بن نايف الشحود (ص: ٨٨٥) (٢٤٧٤)



تقوم إذا تعهدتها المربي على ساق الفضيلة مُثمرات
وتسمو للمكارم باتساق كما اتسقت أنابيب القناة
وتنعمش من صميم المجد رُوحاً بأزهار لها متضوعات
ولم أر للخلائق من محلّ يَهْدبها كحِضن الأمهات
فحِضن الأم مدرسة تسامت بتربية البنين أو البنات
وأخلاق الوليد تقاس حسناً بأخلاق النساءِ الوالدات
وليس ريب عالية المزاي كمثل ريب سافلة الصفات
وليس النبت ينبت في جنان كمثل النبت ينبت في الفلاة

وهذه مجموعة من الخطب التي تم نشرها في مواقع الألوكة وموقع صيد الفوائد وموقعي زاد الداعية
والخطيب عن الأخلاق وسميت ذلك الكتاب (إِرْوَاءُ الْمُشْتَقِ مِنْ خُطْبِ الْأَخْلَاقِ)
ليكون ذلك العمل إرواء للمشتاقين إلى الأخلاق الحميدة التي تقوم السلوك وتهذب الأرواح وتطهر
المجتمع من مساوئ الأخلاق ومن هنا ترقى الأمم ويسمو المجتمع
فاللهم اجعل هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم وجعله نصرة لنبيك الأمين، واجعله زاداً لي وللمؤمنين
في الدنيا وفي الآخرة وأعوذ بك أن أقول زوراً أو أغشى فجوراً أو أن أكون بك مغروراً يا رب العالمين.

الشيخ السيد مراد سلامة

إمام وخطيب ومدرس بوزارة الأوقاف

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

hamam4111@gmail.com

القواعد العشر للأخلاق في القرآن الكريم والسنة المطهرة^٣

الخطبة الأولى

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه ولعظيم سلطانه، الحمد لله الذي خلقنا وسوانا، وله الحمد على ما ربانا فيه على موائد البر والكرم، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد الذي أدبه وأحسن خلقه، وأثنى عليه سبحانه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وعلى آله وأصحابه ومن سار على دربه من الذي صلحت قلوبهم وأنفسهم وحسنت أخلاقهم وكانوا من الفائزين بإحسانٍ إلى يوم الدين، وبعد:

عباد الله، اتقوا الله حقّ تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، فإننا اليوم سنخوض في الحديث عن أحد المواضيع الخطيرة في حياتنا الاجتماعية والهامة لازدهارها، ألا وهو إعداد الشباب والناشئين ليكونوا رجالاً ناهضين نافعين للأمة والدين...

أما بعد:

إخوة الإسلام حديثنا في هذه اليوم الطيب الميمون الأغر عن القواعد العشر للأخلاق في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

واعلموا: أن من أجل الغايات التي أنزل الله تعالى من أجلها الكتب وأرسل الرسل هو تربية النفوس وتقويم الأخلاق يقول الله تعالى ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤] فما هي تلك القواعد أعيروني القلوب والأسماع:

القاعدة الأولى العقيدة وترسيخ الأخلاق القويمة:

إخوة الإسلام إن هذه القاعدة هي أساس تبني عليه جميع الأسس فالعقيدة الإسلامية تغرس في نفس المسلم المنظومة الأخلاقية بل إن أمهات الأخلاق التي يتوالد منها جميع الأخلاق مبناها على العقيدة الصحيحة.

فأخلاقنا عقدية وسلوكياتنا ربانية ولنأخذ على ذلك الأمثلة

الإحسان الذي هو أعلى مقامات الإيمان هو أن يعبد المسلم ربه كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه يراه كما في الحديث عن أبي هريرة قال كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ- وفيه- قَالَ: مَا الْإِحْسَانُ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ (٤)

^٣ -موقع الألوكة وصيد الفوائد



واعلم أنك تقع تحت الأضواء الكاشفة للنخبايا وللنوايا قال الله تعالى ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس:

[٦١]

و تأمل كيف تكون العقيدة الإسلامية حاجزا بينك وبين الوقوع في الحرامات عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَدْلٌ وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ. (°)

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يُغْفِلُ مَا مَضَى وَلَا أَنْ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ
لَهُوْنَا لَعَمْرُ اللَّهِ حَتَّى تَتَابَعْتَ ذُنُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ ذُنُوبٌ
فِيَا لَيْتَ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ مَا مَضَى وَيَأْذَنُ فِي تَوْبَاتِنَا فَتَتُوبُ

القاعدة الثانية: الهدف من العبادات السمو الروحي والأخلاقي:

القاعدة الثانية تبين لكل مسلم ومسلمة أن الهدف الأسمى من العبادات هو السمو الروحي والأخلاقي فالعبادات مهذبات ومربيات تمذهب المسلم وتربيته على مكارم الأخلاق فالصلاة التي هي عماد الدين تأمر صاحبه وتنهيه تأمره بحسن الخلق وتنهيه عن سيئها قال الله تعالى ﴿إِنَّهُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «في الصَّلَاةِ مُنْتَهَى وَمُزْدَجَرٌّ عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ تَعَالَى فَمَنْ لَمْ تَأْمُرْ صَلَاتُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَمْ تَنْهَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ لَمْ يَزِدْ بِصَلَاتِهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بُعْدًا» وقال الحسن: وَقَتَادَةُ مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ فَصَلَاتُهُ وَبَالٌ عَلَيْهِ. وَرَوَى أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «إِنَّ فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ يَصَلِّيَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ لَا يَدْعُ شَيْئًا مِنَ الْفَوَاحِشِ إِلَّا رَكْبَهُ فَوُصِفَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَالَهُ فَقَالَ: إِنَّ صَلَاتَهُ سَتْنَهَا» فلم يلبث أن تاب وحسن حاله.

٤ - أخرجه أحمد (٤٢٦/٢، رقم ٩٤٩٧)، والبخاري (٢٧/١، رقم ٥٠)، ومسلم (٣٩/١، رقم ٩)

٥ - أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١)

وقس على سائر العبادات فالصوم يربي المسلم على دوام المراقبة ويربي المسلم على التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل عَنْ أَبِي صَالِحٍ الزِّيَّاتِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزَى بِهِ وَالصِّيَامُ جَنَّةٌ فَإِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرُفْثُ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْتَحَبُّ فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي أَمْرُؤٌ صَائِمٌ. (٦)

القاعدة الثالثة: الأخلاق الشمولية

و معنى الشمولية أيها الأخ الحبيب: ألما تشمل شتى مناحي الحياة الدينية والدنيوية السياسية والاقتصادية والاجتماعية فالأخلاق عامة شاملة لذا نرى ذلك في جميع التعاملات التي مبناها على الإسلام ففي البيع والشراء أوجب على المسلم أن يكون صادقا أميناً لا يغش ولا يدلس ولا يخدع ونرى ذلك في الأحاديث الصحاح عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ رَفَعَهُ إِلَى حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، أَوْ قَالَ حَتَّى يَتَفَرَّقَا - فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا. (٧)

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شُبَلٍ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: « إِنَّ التُّجَّارَ هُمُ الْفُجَّارُ ». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَمْ يُحِلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ؟ قَالَ: « بَلَى وَلَكِنَّهُمْ يَحْلِفُونَ فَيَأْتُمُونَ ». (٨)

و في باب المعاملات اليومية نرى عن الكذب والغدر والخيانة وبين أن ذلك من صفات المنافقين عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ. (٩)

و نرى عن أذية الجار وجعلها من الكبائر عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْكَعْبِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْجَارُ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بِوَأَيْقَهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا بِوَأَيْقَهُ؟ قَالَ: شَرُّهُ. (١٠)

٦ - أخرجه أحمد في المسند "٢/ ٢٧٣"، والبخاري رقم "١٩٠٤" في الصوم، ومسلم رقم "١١٥١"

٧ - أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٦٧١، كتاب البيوع: باب بيع الخيار، الحديث ٧٩، وأحمد ١/ ٥٦، والبخاري ٤/ ٣٢٨،

٨ - أخرجه أحمد (٣/ ٤٢٨، ٤٤٤)، الحاكم (٢/ ٨)، وهو عند عبد بن حميد (١/ ١٢٩)، (٣١٤)، والبيهقي (٥/ ٢٦٦)

٩ - أخرجه البخاري (١/ ٢١، ٢/ ٨٦٨، ٣/ ١١٦٠) (٣٤، ٢٣٢٧، ٣٠٠٧)، مسلم (١/ ٧٨) (٥٨)

١٠ - أخرجه أحمد ٤/ ٣١ (١٦٤٨٦). والبخاري "٨/ ١٢" (٦٠١٦)



و في باب الحياة السياسية امر بإقرار العدل ونهى عن الظلم والجور ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا
الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨]

القاعدة الرابعة: الأخلاق عالمية لا عنصرية:

و من قواعد الأخلاق في الشريعة الإسلامية إن أخلاقنا عالمية لا عنصرية بمعنى أن الناس أمام قانون
الأخلاق سواء لا فرق بين مسلم وكافر ولا بين طائع وعاص فعندما حرم الله الظلم حرمه على جميع
خلقه فلا يجوز لمسلم أن يظلم غيره وإن كان مخالفا له في الاعتقاد قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ
أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾
[النساء: ١٣٥]

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا
إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المتحنة: ٨]

قال أبو صخر المديني أن صفوان بن سليم أخبره عن عِدَّةٍ مِنْ أبنَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله
عليه وسلم- عَنْ آبَائِهِمْ دُثِيَّةً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ
انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَاجِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». (١)

القاعدة الخامسة: الأخلاق سلوكية فعلية لا قولية لسانية:

ومن قواعد الأخلاق أيها الإخوة أنها سلوكية وفعلية لا قولية لسانية فلا بد للمسلم أن يترجم الأخلاق
في أفعاله وفي تحركاته وإلا فقد ذمه الله تعالى كتابه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢)
كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢، ٣]

يقول السعدي -رحمه الله- أي: لم تقولون الخير وتحثون عليه، وربما تمدحتم به وأنتم لا تفعلونه،
وتنهون عن الشر وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون به ومتصفون به.

فهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة؟ أم من أكبر المقت عند الله أن يقول العبد ما لا يفعل؟ ولهذا
ينبغي للآمر بالخير أن يكون أول الناس إليه مبادرة، وللناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس منه، قال

تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ وقال شعيب عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴾. (١٢)

عن أبي زيد أسامة بن حارثة رضي الله عنهما، قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -، يقول: ((يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ فِي الرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ، مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ)) (١٣)

وهل انتشر الإسلام في أفريقيا وغيرها من بلدان العالم إلا بترجمة الأخلاق إلى أفعال وتجسيدها في معترك الحياة

القاعدة السادسة: الأخلاق أساس التفاضل والتمايز:

و اعلّموا أن من قواعد الأخلاق في الإسلام أن التفاضل والتمايز بين الناس يكون بحسب الأخلاق والسلوكيات فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الدين قال الله تعالى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ

أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]

فإن التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل بها الأشخاص، فمن أراد شرفاً فليلتزمه منها عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو يُحَدِّثُنَا إِذْ قَالَ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا، وَلَا مُتَفَحِّشًا وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا. (١٤)

القاعدة السابعة: أن إقامة الأخلاق مسؤولية مجتمعية:

أيها الإخوة الأحباب: اعلّموا أن إقرار وإقامة الأخلاق ليست مسألة فردية وإنما هي مسؤولية مجتمعية بمعنى أنه يجب على المجتمع المسلم أن ينشر الفضيلة وأن يحارب وينكر الرذيلة لذا شرع الله تعالى فريضة

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال سبحانه ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠]

و لعن الله تعالى بني إسرائيل لما تخلوا عن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال سبحانه وتعالى ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩]

١٢ - تفسير السعدي (ص: ٨٥٨)

١٣ - أخرجه: مسلم ١٨/٨ (٢٥٧٨).

١٤ - أخرجه البخاري (٦٠٢٩)، ومسلم (٢٣٢١).



عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْ عِنْدِهِ ثُمَّ لَتَدْعُوهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ» (١٥).

الخطبة الثانية

القاعدة الثامنة: أن الجزاء من جنس العمل في الأخلاق:

اعلموا أيها الأحباب أن الجزاء من جنس العمل سنة إلهية، وقاعدة عدلية، مستقاة من النصوص الشرعية، ومعناها أن جزاء العمل من جنس عمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، (جزاء وفاقًا) [النبأ: ٢٦]، وكما تُجَازِي تُجَازَى، ففي قانون الأخلاق من نكث فإنما ينكث على نفسه قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ يَدِهِ فَسِيوْنَهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]

و من بغى فقد بغى على نفسه قال الله تعالى ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغْيِكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٢٣]

عَنْ أَبِي قَابُوسَ مَوْلَى لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ» (١٦) ولما رَحِمَتِ المرأةُ البغيَّ الكلبَ وسقته، رحمها الله وغفر لها آثامها برحمتها لذلك الحيوان، فكيف بأجر من رَحِمَ الضعفة واليتامى وسائر الإنسان؟ فمن رَحِمَ رُحِمَ، عن جرير بن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ. (١٧) والجزاء من جنس العمل.

القاعدة التاسعة: أن الأخلاق سر سعادة الأمم ورفي الشعوب:

أيها الإخوة ومن قواعد الأخلاق في القرآن والسنة أن الأخلاق سر سعادة الأمم ورفي الشعوب يقول شوقي:

وَإِنَّمَا الْأُمَمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ فَإِنْ هُمْ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

و هذا ما قرره لنا الله تعالى وقرره النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]

١٥ - مسند أحمد ط الرسالة (٣٨ / ٣٣٢) وأخرجه البيهقي في "السنن" ٩٣/١٠.

١٦ - أخرجه الحميدي (٥٩١) و (٥٩٢). وأحمد (١٦٠/٢) (٦٤٩٤). وأبو داود (٤٩٤١)

١٧ - أخرجه البخاري في: ٧٨ كتاب الأدب: ٢٧ باب رحمة الناس والبهائم

و تأملوا عباد الله في خماسية الشقاء الاجتماعي التي أوضحها لنا الحبيب النبي صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن عمر قال أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتكم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقصوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عنهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم^(١٨)

فالأمم تضمحل وتندثر ويذهب ريجها إذا افتقدت أخلاقها وهل سادت الأمة الإسلامية في عصور السلف إلا بأخلاقهم وبسلوكياتهم؟ وهل ما نحن فيه من ذل وهوان إلا بسبب البعد عن المنهج النبوي الرشيد للأخلاق؟

قال ابن القيم: " اقشعرت الأرض، وأظلمت السماء، وظهر الفساد في البر والبحر من ظلم الفجرة، وذهبت البركات وقلت الخيرات وهزلت الوحوش وتكدرت الحياة من فسق الظلمة، وبكى ضوء النهار وظلمة الليل من الأعمال الخبيثة والأفعال الفظيعة، وشكى الكرام الكاتبون والمعقبات إلى ربهم من كثرة الفواحش وغلبة المنكرات والقبايح، وهذا والله منذر بسيل عذاب قد انعقد غمامه، ومؤذن بليل بلاء قد أدهم ظلامه، فاعدلوا عن هذا السبيل (سبيل المعاصي) بتوبة نصوح ما دامت التوبة ممكنة وبابها مفتوح، وكأنكم بالبواب وقد أغلق وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون " (١٩)

القاعدة العاشرة: أن الأخلاق منها ما هو كسبي ومنها ما هو فطري

و اعلم بارك الله فيك: أن الأخلاق منها ما هو فطري فطر الله عليه الإنسان ومنها ما هو كسبي يكتسبه الإنسان بالدربة والتربية وبيان ذلك أيها الإخوة مواقف عملية شاهدة على الأخلاق الفطرية:
أ- عن أبي العالية الرياحي قال: قيل لأبي بكر الصديق: هل شربت الخمر في الجاهلية؟ فقال: أعوذ بالله، فقيل: ولم؟ قال: كنت أصون عرضي، وأحفظ مروعتي؛ فإن من شرب الخمر كان مضيعاً في عرضه ومروءته، قال: فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: صدق أبو بكر - مرتين -
" (٢٠).

١٨ - أخرجه مسلم "٢٣١٨" في الفضائل: باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه،

١٩ - الفوائد (ص: ٤٩)

٢٠ - كثر العمال، ج ١٢ ص ٤٨٧ كتاب (الفضائل)



ب- وهذه خديجة رضي الله عنها -كلًا والله لا يُخزِيكَ اللهُ أبداً، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحْمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ (٢١)

ت- ومن خلال المثالين السابقين نلاحظ إن ذلك كان قبل البعثة ومع ذلك كانت هناك آداب وأخلاق متأصلة فيهم وقد أقرها الشرع فيما بعد، مثل الكرم، وإكرام الضيف وغيره مما اتصف به العرب قبل البعثة.

الثاني: أخلاق مكتسبة يمكن تحصيلها بالتعلم والتعود عليها، فَعَنْ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْفِقْهُ بِالتَّفَقُّهِ، وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ" (٢٢)

فمن الأخلاف المكتسبة التواضع النظام امتصاص الغضب الرضا والقناعة وتربية الأبناء على مكارم الأخلاق قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]

الدعاء.....

٢١ - أخرجه البخاري في بدأ الوحي (٣)، وفي التفسير (٤٩٥٣)، وفي الرؤيا (٦٩٨٢)، ومسلم (١٦٠).

٢٢ - رواه الخطيب البغدادي في التاريخ (٩: ١٢٧)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٣٤٢.

الدرر السنية من أخلاق الرسالة المحمدية (٢٣)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) ﴿آل عمران.﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) ﴿النساء.﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ الأحزاب أما بعد... فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار حياكم الله جميعا أيها الإخوة الفضلاء طبتم وطاب سعيكم وممشاكم وتبوأتم جميعا من الجنة منزلا وأسأل الله الحليم الكريم جلا وعلا الذي جمعنا في هذا المكان الطيب المبارك على طاعته أن يجمعنا في الآخرة مع سيد الدعاة وإمام النبيين في جنته ودار مقامته إني ولي ذلك ومولاه أحبتي في الله.

أما بعد: حديثنا اليوم أيها الأحباب عن الدرر السنية من أخلاق الرسالة المحمدية فما هي تلك الدرر أعيروني القلوب والأسماع.

العنصر الأول: الحكمة العلية من الرسالة المحمدية:

أمة الحبيب الأعظم -محمد صلى الله عليه وسلم- إن من أجل الأهداف السامية التي جاءت الشريعة الخالدة لتحقيقها هو إتمام الأخلاق وتهذيبها هذا من أعظم مقاصد الرسالة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (٢٤)

وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق" (٢٥)

٢٣ - تم نشرها على موقع الألوكة

٢٤ --(البخاري في الأدب المفرد) ٢٧٣، (والإمام احمد) ٨٩٣٩، (و البيهقي) ٢٠٥٧٢، صحيح الجامع: ٢٨٣٣، صحيح الأدب المفرد: ٢٠٧



فقد كانت بعثته صلى الله عليه وسلم في جوهرها لإتمام هذا الجانب التطبيقي المتمثل في إتمام مكارم الأخلاق، قولاً وفعلاً، دعوة وممارسة،

وها هو سبحانه يمتن على البشرية بهذه النعمة نعمة النبوة التي من أسمى أهدافها التزكية والسمو الأخلاقي يقول الله تعالى ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]

و الأخلاق شرط كمال الإيمان كذا أخبرنا نبينا العدنان - صلى الله عليه وسلم- عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً» (٣).
عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكمل الناس إيماناً أحاسنهم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف" (٢٦)

العنصر الثاني: رسول الأخلاق - السمية - صلى الله عليه وسلم -

فإذا نظرنا إلى صاحب الرسالة - صلى الله عليه وسلم- لوجدناه قد على فوق قمة الأخلاق وسما عليها قال الله -سبحانه وتعالى - واصفاً نبيه صلى الله عليه وسلم - ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]

أي: وإنك -أيها الرسول الكريم- لعل دين عظيم، وعلى خلق كريم، وعلى سلوك قويم، في كل ما تأتيه وما تتركه من أقوال وأفعال..

والتعبير بلفظ " على " يشعر بتمكّنه صلى الله عليه وسلم ورسوخه في كل خلق كريم يقول ابن عاشور -رحمه الله-واعلم أن جماع الخلق العظيم الذي هو أعلى الخلق الحسن هو التدين، ومعرفة الحقائق، وحلم النفس، والعدل، والصبر على المتاعب، والاعتراف للمحسن، والتواضع، والزهد، والعفة، والعفو، والجمود، والحياء، والشجاعة، وحسن الصمت، والتؤدة، والوقار، والرحمة، وحسن المعاملة والمعاشرة.

^{٢٥} - أخرجه الترمذي (٤٦٦/٣ رقم ١١٦٢) وقال: حسن صحيح. وابن حبان (٤٨٣/٩، رقم ٤١٧٦) والبيهقي في شعب الإيمان (٦١/١، رقم ٢٧).

^{٢٦} - أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٥٦/٤، رقم ٤٤٢٢) قال الهيثمي (٥٨/١): رواه الطبراني في الأوسط صحيح الجامع: ١٢٣١، الصحيحة: ٧٥١

والأخلاق كامنة في النفس ومظاهرها تصرفات صاحبها في كلامه، وطلاقة وجهه، وثباته، وحكمه، وحرakte وسكونه، وطعامه وشرابه، وتأديب أهله ومن لنظره، وما يترتب على ذلك من حرمة عند الناس، وحسن الثناء عليه والسمعة.

وأما مظاهرها في رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي ذلك كله وفي سياسته أمتة، وفيما خص به من فصاحة كلامه وجوامع كلمه. (٢٧)

أَتَيْتَ وَالنَّاسُ فَوْضَى لَا تَمُرُّ بِهِمْ إِلَّا عَلَى صَنَمٍ قَدْ هَامَ فِي صَنَمٍ
وَالْأَرْضُ مَمْلُوءَةٌ جَوْرًا مُسَخَّرَةٌ لِكُلِّ طَاغِيَةٍ فِي الْخَلْقِ مُحْتَكِمٍ
مُسَيِّطِرُ الْفَرَسِ يَبْغِي فِي رَعِيَّتِهِ وَقَيْصَرُ الرُّومِ مِنْ كِبَرٍ أَصَمُّ عَمٍ
يُعَذِّبَانِ عِبَادَ اللَّهِ فِي شَبِّهِ وَيَذْبَحَانِ كَمَا ضَحَّيْتَ بِالْغَنَمِ
وَالْخَلْقُ يَفْتِكُ أَقْوَاهُمْ بِأَضْعَفِهِمْ كَاللَّيْثِ بِالْبَهْمِ أَوْ كَالْحَوْتِ بِالْبَلَمِ

وصفه الله تعالى بالرفافة والرحمة فقال سبحانه ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨]

ووصفه بالتوراة بما وصفه في القرآن بالأخلاق الكريمة والشيم النبيلة عن أبي محمد عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو فقلت أخبرني عن صفة رسول الله ﴿ صلى الله عليه وسلم ﴾ في التوراة قال أجل إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) الأحزاب، وحرزاً للأمين أنت عدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح بها أعيناً عمياء وآذاناً صماء وقلوباً غلفاً" (٢٨)

فَأَخْلَقَ الرَّسُولَ لَنَا كِتَابٌ وَجَدْنَا فِيهِ أَقْصَى مُبْتَغَا
وَعَزَّزْنَا بِغَيْرِ الدِّينِ ذُلٌّ وَقُدُّوْنَا شَمَائِلُ مُصْطَفَا

العنصر الثالث: انهيار الأخلاق انهيار للأمم والحضارات

اعلموا عباد الله: إن انهيار الأخلاق والقيم وهو السبب الرئيس في انهيار الأمم والذي يستقر التاريخ يرى تلك الحقيقة يقول ابن خلدون - رحمه الله - (إذا تأذن الله بانقراض الملك من أمة حملهم على

٢٧ - التحرير والتنوير (٢٩ / ٦٥)

٢٨ - أخرجه البخاري (٦٠٢٩)، ومسلم (٢٣٢١)



ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وسلوك طريقها، وهذا ما حدث في الأندلس وأدى فيما أدى إلى ضياعه (٢٩)

وهذا ما قرره الله تعالى في كتابه في غير ما آية منه فقال سبحانه ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (١٦) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦، ١٧]

ما الذي غرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟ وما الذي سلط الريح العقيم على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض، كأنهم أعجاز نخل خاوية، ودمرت ما مرت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة.

وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم، وماتوا عن آخرهم؟ وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعاً. ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمة غيرهم. ولإخوانهم أمثالها، وما هي من الظالمين ببعيد! وما الذي أرسل على قوم شعيب سحب العذاب كالظلل، فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم ناراً تلظى؟ وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر، ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم. فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق؟ وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله؟

وما الذي أهلك القرون من (بعد نوح بألوان العقوبات، ودمرها تدميراً؟) (٣٠) إنه الانحلال الأخلاقي والوقوع في بحار المعصية قال الله سبحانه ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١) ﴾ [الروم: ٤١].

وها هو النبي - صلى الله عليه وسلم - بين لنا في خماسية الشقاء الاجتماعي التي متى ضربت أمة أهلكتها وجعلت عاقبة امرها خسراً عبد الله بن عمر بن الخطاب قال: كنتُ عاشراً عشرة وهي من المهاجرين عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فأقبل علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بوجهه، فقال: "يا معشر المهاجرين، خمسُ خصال وأعوذ بالله أن تدركوهن: ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلاَّ ابْتُلُوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا. ولا نقص قومٌ المكيال والميزان إلاَّ ابْتُلُوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان. وما منع قوم زكاة أموالهم إلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ من

٢٩ - مقدمة ابن خلدون ٤٤٦/٢.

٣٠ - الداء والدواء لابن القيم

السماء، فلولا البهائم لم يُمطروا. ولا خفر قوم العهد إلا سَلَّطَ الله عليهم عدوَّهم من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم. وما لم تعمل أئمتُّهم بما أنزل الله في كتابه إلا جعل الله بأسهم بينهم". (٣١)

الكأس والغانية

قصة انهيار الأندلس: فشبابنا يعانون من حرب ضروس من الغرب والعلمانية. بدأت هذه الحرب منذ مئات السنين بدأت واضحة عندما أرادوا استعادة بلاد الأندلس من المسلمين فأرسلوا جاسوسا لهم إلى بلاد الأندلس ليعلموا هل حان الوقت للغزو أم لا

فذهب الجاسوس فأول ما قابل قابل شاب على صخرة يبكي فقال له ما يبكيك؟ قال أبكى لأن صاحبي يصيب هدفين بسهم واحد وأنا أصيب هدف بسهم فعاد الجاسوس إليهم وقال لهم لم يحن الوقت بعد لغزو بلاد الأندلس ففكر الغرب جيدا كيف يكون لهم النصر فعلموا وتأكدوا أن هذا لن يكون إلا بضرب العمود الفقري وهو الشباب ثم أخذوا في الكيد للشباب

وبعد مرور بضع سنوات أرسلوا جاسوسا آخر فأول ما قابل قابل شاب يبكي فسأله ما يبكيك؟ قال أبكى لأن حبيبي تركتني ولم تأتي في موعتها.

فعاد الجاسوس وقال لهم الآن الآن حان وقت الغزو. وقد كان ما كان وأصبحت بلاد الأندلس لهم. فمع وجود الغزو الفكري الذي يعد استعماراً لعقولنا، كما قال أحد اليهود: كأس وغانية نملك بهما المجتمع المسلم، وصلنا إلى ما وصلنا إليه، وترتب على ذلك العنف بين الأزواج والسعار الجنسي الذي ابتلى به الكثيرون وقضية تبادل الأزواج، والدعارة المنتشرة وقانون الطفل الذي يسمح للابن بأن يشترك والده في قسم الشرطة ومن جهة أخرى نجد من يهدمون قيم الإسلام ويتلاعبون بثوابته قال شوقي - رحمه الله -

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

العنصر الرابع كيف نسموا بأخلاقنا؟

اعلم علمني الله تعالى وإياك: أن هناك عدة محاور لاكتساب الأخلاق القويمة وتحقيق الأخلاق الفاضلة وإليك بيانها باختصار:

المحور العقدي: فالبناء العقدي للفرد والمجتمع هو السياق الذي يحميهِ من هوة الرذيلة ومن الانحراف الأخلاقي

٣١ - أخرجه ابن ماجه برقم (٤٠١٩). وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٣٣ - ٣٣٤)



فالتعبد لله تعالى بأسمائه وصفاته ينمي ويزكي أخلاق الفرد والمجتمع

﴿فَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ : إذن فلن أتكلم إلا بما يحب الله تعالى فلا غيبه ولا نعمة ولا كذب ولا سحرية

﴿فَاللَّهُ هُوَ الْبَصِيرُ﴾ : إذن لن يراني الله تعالى حيث نهاني ولن يفتقدني حيث أمرني

﴿فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ الذي يعلم السر وأخفى: إذن فلن احمل رفي قلبي حقدا ولا حسدا وبغضاء

﴿فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الرَّقِيبُ﴾ : إذن كل حركة وسكنة محسوبة بحساب دقيق

إذا ما خلوت، الدهر، يوماً، فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب

ولا تحسن الله يغفل ما مضى ولا أن ما يخفى عليه يغيب

لهوئا، لعمر الله، حتى تتابع ذنوب على آثارهن ذنوب

فيا ليت أن الله يغفر ما مضى ويأذن في توبتنا فتتوب

﴿توبة شاب مسرف على نفسه على يد إبراهيم بن أدهم﴾ وروي أن رجلا جاء إلى إبراهيم بن أدهم

فقال له يا أبا إسحاق إني مسرف على نفسي فاعرض علي ما يكون لها زاجرا ومستقذا لقلبي قال إن

قبلت خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك معصية ولم توبقك لذة قال هات يا أبا إسحاق قال أما

الأولى فإذا أردت أن تعصي الله عز وجل فلا تأكل رزقه قال فمن أين آكل وكل ما في الأرض من

رزقه قال له يا هذا أفيحسن أن تأكل رزقه وتعصيه قال لا هات الثانية قال وإذا أردت أن تعصيه فلا

تسكن شيئا من بلاده قال الرجل هذه أعظم من الأولى يا هذا إذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له

فأين أسكن قال يا هذا أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه قال لا هات الثالثة قال إذا أردت

أن تعصيه وأنت تحت رزقه وفي بلاده فانظر موضعا لا يراك فيه مبارزا له فاعصه فيه قال يا إبراهيم

كيف هذا وهو مطلع على ما في السرائر قال يا هذا أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه وهو

يراك ويرى ما تجاهره به قال لا هات الرابعة قال إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له أخرجني

حتى أتوب توبة نصوحا وأعمل لله عملاً صالحاً قال لا يقبل مني قال يا هذا فأنت إذا لم تقدر أن تدفع

عنك الموت لتتوب وتعلم أنه إذا جاء لم يكن له تأخير فكيف ترجو وجه الخلاص قال هات الخامسة

قال إذا جاءتك الزبانية يوم القيامة ليأخذونك إلى النار فلا تذهب معهم قال لا يدعونني ولا يقبلون مني

قال فكيف ترجو النجاة إذا قال له يا إبراهيم حسبي حسبي أنا أستغفر الله وأتوب إليه ولزمه في العبادة

حتى فرق الموت بينهما(٣٢)

وإذا خلوت برية في ظلمة والنفس داعية إلى الطغيان

فاستحي من نظر الإله وقل لها إن الذي خلق الظلام يراني
وقال الشاعر:

الله يعلم كل ما تضمّر يعلم ما تخفي وما تظهر
وإن خدعت الناس لم تستطع خداع من يطوي ومن ينشر

✍️ **المحور الثاني محور التعبد:** فالله تعالى شرع الشرائع وفرض الفرائض وجعلها سببا من أسباب تزكية النفوس وتطهير الأخلاق

✍️ **فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر:** يقول تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

عن أبي هريرة: أن رسول -صلى الله عليه وسلم- قال: ((أرايتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟))، قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: ((فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا)). (٣٣)

✍️ **و الزكاة تطهر صاحبها من الشح والبخل والأثرة:** يقول تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣]

✍️ **والصوم يُنبت التقوى ويحصن المرء:**

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((قال الله: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي، وأنا أجزي به، والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني امرؤ صائم))؛ (٣٤)

✍️ **والحج تربية وتهذيب وتأديب:** يقول تعالى ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧]

✍️ **المحور الثالث: محور المجاهدة:** وهو أن يجاهد نفسه ويدربها على الأخلاق الفاضلة قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]

٣٣ - أخرجه أحمد (٣٧٩/٢، رقم ٨٩١١)، والبخاري (١٩٧/١، رقم ٥٠٥)، ومسلم (٤٦٢/١، رقم ٦٦٧)

٣٤ - أخرجه البخاري (٦٧٠/٢، رقم ١٧٩٥)، ومسلم (٨٠٧/٢، رقم ١١٥١)



عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم من يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه ثلاث من كن فيه لم يسكن الدرجات العلى ولا أقول الجنة من تكهن أو استقسم أو رده من سفر تطير) (٣٥)

يقول الغزالي في الإحياء: الأخلاق على ضربين فمنها ما هو غريزي جبلي، ومنها ما هو اكتسابي يأتي بالدربة والممارسة والريضة والمجاهدة، ولو كانت الأخلاق لا تتغير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات" (٣٦)

وهذا المسك يحتاج إلى تكرار ودوام حتى يؤتى أثره. وهذا الدوام يستلزم الصبر فعلى الإنسان الذى يريد التخلق بنوع من الأخلاق الحسنة أن يتحمل بالصبر فإذا صبر وداوم انقادت نفسه وألفت الفعل (٣٧)

✍️ المحور الرابع محور القدوة:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، ثم أمره بأن يقتدي بمن سبقه من الأنبياء، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]

ذكر عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- محامد الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين- وفضائلهم ووجوب الاقتداء بأفعالهم الحميدة وأخلاقهم النبيلة فقال: "ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: «من كان مستنًا، فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم-، كانوا أفضل هذه الأمة: أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على أثرهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»". (٣٨)

وكان أبو مسلم الخولاني قد علق سوطاً في مسجد بيته يخوف به نفسه، وكان يقول لنفسه: قومي فوالله لأزحفن بك زحفاً، حتى يكون الكلل منك لا مني، فإذا دخلت الفترة (الفطور) تناول سوطه وضرب به ساقه، وقال: أنت أولى بالضرب من دابتي، وكان يقول: أیظن أصحاب محمد أن يستأثروا به دوننا؟ كلا والله لئترأحمَنهم عليه زحاماً حتى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجالاً.

٣٥ - أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه (١٢٧/٩)، والطبراني في الكبير (٣٩٥/١٩)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٣٤٢)

وفي صحيح الجامع (٢٣٢٨/١)

٣٦ - إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي (٥٥/٣)

٣٧ - أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان ص ١٠٠

٣٨ - أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٩٧/٢).

فتشبهوا بهم إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.
أما بعد:

أحباب رسول الله كانت هذه منزلة الأخلاق والطريق الموصل إليها فان قلت ما هي ثمرات الأخلاق الفاضلة في الدنيا والآخرة؟
يأتيك الجواب بحول الملك الوهاب:

ثمرات الأخلاق في الدنيا والآخرة

مكارم الأخلاق من أعمال الجنة:

فهي من الأعمال المقربة للجنة الموصلة إليها المورثة الفردوس الأعلى.
عن أبي أمامه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه». (٣٩)

عن أبي هريرة رضي الله عنه: ((سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: الفم والفرج)) (٤٠)

مكارم الأخلاق سبب في محبة الله جل جلاله لعبده:

عن أسامة بن شريك -رضي الله عنه- قال صلى الله عليه وسلم (أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً) (٤١)

٣٩ - أخرجه أبو داود (٢٥٣/٤، رقم ٤٨٠٠)، والطبراني (٩٨/٨، رقم ٧٤٨٨)

٤٠ - أخرجه أحمد (٤٤٢/٢، رقم ٩٦٩٤)، والبخاري في الأدب المفرد (١١٠/١، رقم ٢٩٤)، والترمذي (٣٦٣/٤، رقم ٢٠٠٤)

٤١ - أخرجه الطبراني (١٨١/١، رقم ٤٧١)، قال المنذرى (٢٧٤/٣)



📌-مكارم الأخلاق من أسباب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم:

عن أبي ثعلبة الخشني أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: « إن أحبكم إلى وأقربكم مني أحاسنكم أخلاقاً وإن أبغضكم إلى وأبعدكم مني مساويكم أخلاقاً الثنارون المتشدقون المتفيهقون »(٤٢)

📌-مكارم الأخلاق أثقل شيء في الميزان يوم القيامة:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»(٤٣)

📌-مكارم الأخلاق تضاعف الأجر والثواب:

عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل صائم النهار(٤٤)

📌-مكارم الأخلاق تزيد في الأعمار:

عن عائشة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: «إنه من أعطي حظه من الرفق، فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار»(٢٣)

الدعاء

٤٢ --أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٥٠/٤، رقم ٤٩٦٩). وأخرجه أيضاً: أحمد (١٩٤/٤، رقم ١٧٧٧٨).

٤٣ - أخرجه الترمذي (٣٦٣/٤، رقم ٢٠٠٣)

٤٤ - أخرجه أح أخرجه أحمد (١٥٩/٦ رقم ٢٥٢٩٨) قال الهيثمي (١٥٣/٨) مد (٩٠/٦، رقم ٢٤٦٣٩)، والحاكم (١٢٨/١، رقم ١٩٩)

عالمية الأخلاق الإسلامية (٤٥)

الخطبة الأولى

الحمد لله، الحمد لله الذي جعلَ حبَّهَ أشرفَ المكاسب، وأعظمَ المواهب، أحمدُه - سبحانه - وأشكرُه على نعمة المطاعم والمشارب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المُترَه عن النقائص والمعائب، خلقَ الإنسانَ من ماءٍ دافِقٍ يَخْرُجُ من بين الصُّلبِ والترائب، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى الهدى والنور وطهارة النفس من المثالب، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوى الله؛ فهي سبيلُ النجاة والفلاح، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أما بعد:

أمة الحبيب المحبوب - صلى الله عليه وسلم - نقف اليوم مع عالمية الأخلاق في الرسالة الإسلامية لتتعرف على جانب مشرق من جوانب الشريعة الغراء، لتتعرف على الأخلاق التي جاء بها النبي - صلى الله عليه وسلم - وكيف كانت تلك الأخلاق عالمية في طبعها فهي لا تفرق بين عربي ولا عجمي ولا بين أبيض ولا أسود ولا بين مسلم وكافر فالأخلاق في الإسلام تتسم بالثبوت فهي ثابتة لا تتغير ولا تتلون يقول الرافعي - رحمه الله - لو أنني سئلت أن أجمل فلسفة الدين الإسلامي كلها في لفظين، لقلتُ أهما: ثبات الأخلاق، ولو سئل أكبر فلاسفة الدنيا أن يوجز علاج الإنسانية كله في حرفين، لما زاد على القول إنه ثبات الأخلاق، ولو اجتمع كل علماء أوربا ليدرسوا المدنية الأوروبية ويحصروا ما يعوزها في كلمتين لقالوا: ثبات الأخلاق.

وقديماً حارب المسلمون، وفتحوا العالم، ودوخوا الأمم، فأثبتوا في كل أرض هدى دينهم وقوة أخلاقهم الثابتة، وكان من وراء أنفسهم في الحرب ما هو ورائها في السلم، وذلك بثبات باطنهم الذي لا يتحول، ولا تستخفه الحياة بترقها، ولا تتسفه المدنية فتحملة على الطيش. (٤٦)

يقصد بثبات الأخلاق الإسلامية إن الفضائل الأساسية للمجتمع من صدق ووفاء وأمانة وعفة وإيثار من الفضائل الاجتماعية المرتبطة بنظام الشريعة العامة كالتسمية عند الطعام وإفشاء السلام وتحريم الخلوة بالأجنبية، كلها أمور لا يستغني عنها مجتمع كريم، مهما تطورت الحياة، وتقدم العلم بل تظل قيما فاضلة ثابتة.

(٤٥) موقع الألوكة وصيد الفوائد

٤٦ - مجلة الرسالة/العدد ١١٥



اعلموا يا رعاكم الله: أن الأخلاق في الإسلام لا تتغير ولا تتطور تبعا للظروف الاجتماعية والأحوال الاقتصادية، بل هي حواجز متينة ضد الفوضى والظلم والشر، كما قال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢٩]

وإليكم أيها الأحباب صورا مشرقة من الأخلاق الإسلامية التي اتسمت بالعالمية:

﴿أولاً: الرحمة رحمة عالمية: الرحمة في الإسلام خلق عظيم بل قصر وحصر الله الرسالة والرسول في كلمة واحدة ألا وهي الرحمة فقال سبحانه ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

قال ابن عباس في تفسيرها: " من آمن بالله ورسوله تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي مما كان يصيب الأمم في عاجل الدنيا من العذاب من الخسف والمسح والقذف فذلك الرحمة في الدنيا " ومصدق هذا في كتاب الله عز وجل حيث قال: ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال: ٣٢، ٣٣].

وها هو صلى الله عليه وسلم يعلنها رحمة عامة بكل من في الأرض من إنس وحيوان وهوام وحماة فيأمرنا ويحضنا على الرحمة بالجميع لننال رحمة الله -تعالى - عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما -: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء، الرحم شجنة من الرحمن، فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعته الله» (٤٧)

﴿ثمالية رحمة -صلى الله عليه وسلم- العالمين جميع العالم: والرحمة التي جاء بها النبي -صلى الله عليه وسلم- عم نورها جميع تلك العوالم رحمة حتى بالطير:

عن ابن مسعود -رضي الله عنه -قال: كنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حمرة معها فرخان، فأخذنا فرخيهما، فجاءت الحمرة فجعلت تُعَرِّشُ [٤٨] فجاء النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: ((من فجع هذه بولدها؟، ردوا ولدها إليها)). ورأى قرية نمل قد حرقناها، فقال: ((من حرق هذه؟)) قلنا: نحن قال: ((إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار)) (٤٩)

﴿رحمة بالمخالفين من الأمم والشعوب التي لم تؤمن به:

٤٧ -أخرجه الحميدي (٥٩١) و (٥٩٢). وأحمد (١٦٠ / ٢) (٦٤٩٤).

٤٨ -أي: ترفرف بأجنحتها. انظر: معالم السنن ٢ / ٢٤٥.

٤٩ -أخرجه: البخاري في " الأدب المفرد " (٣٨٢)

وهام بعض الصحابة -رضي الله عنهم - يسألون النبي - صلى الله عليه وسلم- أن يدعو على المشركين بالهلاك والعذاب فكان رد النبي الأواب - صلى الله عليه وسلم أنه لم يبعث لعانا وإنما هو رحمة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعْنًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً». (٥٠)

وقد روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنه - أن امرأة وجدت في بعض مغازي النبي - صلى الله عليه وسلم - مقتولة، فأنكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قتل النساء والصبيان". (٥١)

❖ رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم بغلام يهودي:

أيها الأحباب: وتشمل الرحمة المهداة مخالفيه من اليهود من أهل الكتاب فيعود مرضاهم ويتفقد أحوالهم كان غلامٌ يهوديٌّ يَخْدُمُهُ صلى الله عليه وسلم فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمَ». فنظَرَ إلى أبيه وهوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطْعُ أَبَا الْقَاسِمِ صلى الله عليه وسلم، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ» (٥٢)

عن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: (غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فأتت اليهود فشكوا أن الناس قد أسرعوا إلى حظائهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لا تحل أموال المعاهدين إلا بحقها) (٥٣)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قدم طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه، على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله، إن دوسا عصت وأبت، فادع الله عليها، فقيل: هلكت دوس، قال: (اللهم اهد دوسا وأت بهم) (٥٤) رواه البخاري

❖ ثانيا: العدل عادلة عالمية:

اعلم بارك الله فيك: أن العدل أساس الملك وبالعدل قامت السماوات والأرض والشرعية الغراء جاءت لتعمم العدل على جميع العالمين على المسلمين وغير المسلمين على المحاربين وغير المحاربين فهي بحق

٥٠ - أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠٦، رقم ٢٥٩٩)

٥١ - أخرجه مالك «الموطأ» (٢٧٧). وأحمد (٢٢/٢) (٤٧٣٩)

٥٢ - أخرجه: البخاري ١١٨/٢ (١٣٥٦).

٥٣ - أخرجه أحمد (٤/ ٨٩)، رقم ١٦٨٦٢، وأبو داود (٣/ ٣٥٦)، رقم ٣٨٠٦.

٥٤ - أخرجه البخاري (٣/ ١٠٧٣)، رقم ٢٧٧٩، ومسلم (٤/ ١٩٥٧)، رقم ٢٥٢٤



شريعة عالمية عادلة يقول الله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨]

العدل أساس الملك:

مع كل الناس كافرهم ومؤمنهم، غنيهم وفقيرهم، قويهم وضعيفهم، أبيضهم وأسودهم، الرئيس والمرؤوس، الحاكم والمحكوم، كيف؟ قال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٨] أي: لا تحملكم عداوتكم وخصومتكم لقوم على ظلمهم، بل يجب العدل مع الجميع سواء أكانوا أصدقاء أم أعداء.

قَالَ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المتحنة: ٨].

يقول الرب تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨]،

وقال ابن كثير: "ومن هذا قول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم يَخْرُصُ على أهل خيبر ثمارهم وزرعهم، فأرادوا أن يَرشُوهُ لِيَرْفُقَ بِهِمْ، فقال: والله لقد جئتمكم من عند أحب الخلق إليَّ، ولأنتم أبغض إليَّ من أعدادكم من القردة والخنازير، وما يحملني حيي إياه وبغضي لكم على ألا أعدل فيكم، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض" (٥٥)

هذا عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- يأمر مناديه أن يُنادي: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها، قام إليه رجل ذمي من أهل حمص فقال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله، قال: وما ذاك؟ قال: العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي، والعباس جالس، فقال له عمر: يا عباس، ما تقول؟ قال: نعم، أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد وكتب لي بها سجلاً، فقال عمر: ما تقول يا ذمي؟ قال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله تعالى، فقال عمر: نعم، كتاب الله أحق أن يُتَّبَعَ من كتاب الوليد، قم فارُدْ عليه ضيعته فردّها عليه. (٥٦)

اشتكى يهودي علياً إلى عمر رضي الله عنهما، وكان جالساً بجانبه، فقال له عمر: "قم يا أبا الحسن، قف بجانب اليهودي موقف القضاء"، وبعد تبرئة علي باعتراف اليهودي، لاحظ عمر على وجه عليّ تَغَيُّراً، فقال له: "أوقد ساءك أبي أوقفك بجانب اليهودي موقف القضاء"، فقال علي: "لا، وإنما خشيت ظنَّ اليهودي مُحَابَاتِي عليه؛ لما ناديته باسمه، وناديتني بيا أبا الحسن"، وهذا عمر رضي الله عنه أيضاً

٥٥ - تفسير القرآن العظيم (١: ٥٦٥).

٥٦ - البداية والنهاية؛ ابن كثير (٩: ٢١٣).

يقول في رسالته إلى أبي موسى الأشعري يوصيه: "ساوٍ بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك؛ حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا يئس ضعيف من عدلك".

مَلَكْنَا فَكَانَ الْعَدْلُ مِنَّا سَجِيَّةً فَلَمَّا مَلَكَتُمْ سَالٌ بِالْدمِ أَبْطَحُ
وَحَلَّلْتُمْ قَتْلَ الْأَسَارَى وَطَالَمَا غَدَوْنَا عَلَى الْأَسْرَى نَمُنُّ وَنُصَفِّحُ
فَحَسْبُكُمْ هَذَا التَّفَاوْتُ بَيْنَنَا فَكُلْ إِنَاءً بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ". (٥٧)

يقول غوستاف لوبون: "فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب، ولا دينًا سَمَحًا مثل دينهم"؛ (٥٨)

ويقول أحد الكتاب الأمريكيين المعاصرين، وهو آندرو باترسون: "إن العنف باسم الإسلام ليس من الإسلام في شيء، بل إنه نقيض لهذا الدين الذي يعني السلام لا العنف"؛ (٥٩)

ثالثاً: خلق الوفاء وفاء عالمي شمولي

و من الأخلاق العالمية التي هي من أسس الأخلاق في الإسلام الوفاء بالعهود والمواثيق ولقد أمر المولى سبحانه عباده بالوفاء ونهاهم عن الغدر ونقض العهود فقال سبحانه ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

وقال سبحانه ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل: ٩١].

وقال ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وقال سبحانه ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٩٥]، ومن هنا وجب على كل مسلم ومسلمة الوفاء بالعهود التي أخذها الله علينا وأخذناها على أنفسنا.

والذي يتدبر القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ليجد أن الوفاء ليس مقصوراً على المسلمين أنفسهم بل هو عام لكل إنسان على ظهر الأرض فيجي الوفاء بالعهد ولا ينظر إلى دين المعاهد ولا لونه ولا وطنه فالكل سواء أمام شريعة رب الأرض والسماء

قال - تعالى - : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١].

٥٧ - علي الطنطاوي، الفتح الإسلامي، مجلة الرسالة.. السنة: ١٤، العدد: ٦٦٢.

٥٨ - حضارة العرب، غوستاف لوبون، ص ٧٢٠.

٥٩ - (لا سكوت بعد اليوم؛ بول فندلي، ص: ٩١).



تعال أخي المسلم إلى سيرة مَنْ علّم البشريّة الوفاء بالعهد، إلى سيرة سيّدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - لنأخذ موقفاً واحداً من المواقف العظيمة التي جسّد فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خلق الوفاء بالعهد.

قبل غزوة "بدر" يخبره حذيفة بن اليمان، والحديث في "صحيح مسلم": أن كفّار "قريش" قد أخذوه قبل أن يدخل المدينة هو وأبا حُسَيل، فقالوا إنكم تريدون محمداً، قلنا: ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفنَّ إلى المدينة ولا نقاتل معك يا رسول الله.

فماذا قال لهما صاحب الوفاء يا ثُرى؟ ماذا قال لهما مَنْ بعثه الله ليتممّ به مكارم الأخلاق؟ ومع أنه كان في أشد الحاجة إلى الرجال ليقاتلوا معه ضد المشركين، المشركين الذين أخرجوه من مكة، الذين سفكوا دماء المسلمين واستحلوا أموالهم، وعذبوهم أشد العذاب، وبالرغم من كل هذا، قال لهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((انصرفاً نفيّ لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم)) (٦٠).

يرسل إليه أبو عبيدة بن الجراح يستفتيه في فتوى غريبة جدّاً، ويقول له: إنَّ أحد الجنود قد أمّن قرية من بلاد العراق على دمائهم وأموالهم وهي في طريقنا، فماذا نصنع؟ وتأمل معي في هذا الموقف الغريب: جندي - لا يُعرف اسمه - من جيش المسلمين يُعطي الأمان لقرية بأكملها، وربّما هذه القرية إن لم تفتح فقد تكون ثغرة عظيمة يتضرّر بها المسلمون كثيراً إذا انقلبت عليهم.

فماذا أجابه الفاروق عمر - رضي الله عنه؟ قال بعد حمد الله والثناء عليه: "إن الله - تعالى - قد عظّم الوفاء، ولا تكونون أوفياء حتى تفوا، فأوفوا لهم بعهدهم واستعينوا الله عليهم". (٦١)

وفاء مع المؤمنين ووفاء مع المخالفين

وتأمل في قول الله - عز وجل - : ﴿وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

قال أبو جعفر الطبري: "يقول تعالى ذكره: ﴿وَأِمَّا تَخَافَنَّ﴾ - يا محمد - من عدوّ لك بينك وبينه عهد وعقد: أن ينكث عهده، وينقض عقده، ويغدر بك، وذلك هو الخيانة والغدر: ﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ يقول: فناجزهم بالحرب، وأعلّمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم بما كان منهم من ظهور أمار الغدر والخيانة منهم، حتى تصير أنت وهم على سواء في العلم بأنك لهم

٦٠ - صحيح الإمام مسلم (١٢/١٤٤).

٦١ - ((مصنف ابن أبي شيبة)) (١٢/٤٥٣ و ٤٥٤)، ((مصنف عبد الرزاق)) (٥/٢٢٢)، ((سنن سعيد بن منصور)) (٢/٢٧٤)، ((الأموال)) (ص ٢٠٠، رقم ٥٠٠).

محارب، فيأخذوا للحرب آلتها، وتبرأ من الغدر؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ الغادرين بمن كان منه في أمان وعهد بينه وبين أن يغدر به، فيحاربه قبل إعلانه إياه أنه له حرب، وأنه قد فاسخه العقد. كان من شروط صلح الحديبية أن يردَّ المسلمون من جاءهم من قريش مسلماً دون أن يأذن أولياؤه، فلما عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم المعاهدة مع سهيل بن عمرو، جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعلن إسلامه، فلما رأى سهيل أبا جندل، قام إليه فضرب وجهه ثم قال: يا محمد، قد لجأت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، قال: ((صدقت))، فقام إليه فأخذ بتلابيبه، وصرخ أبو جندل بأعلى صوته: يا معاشر المسلمين، أتردونني إلى أهل الشرك فيفتنوني في ديني؟! فزاد الناس شراً إلى ما بهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا أبا جندل، اصبر واحتسب؛ فإن الله - عز وجل - جاعلٌ لك ولن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، فأعطيناكم على ذلك وأعطيناكم عليه عهداً، وإنا لن نغدر بكم)). (٦٢)

ومن صور الوفاء التي حث عليها الله

وأمر بها الوفاء مع العدو وعد الغدر والخيانة، يقول المولى سبحانه وتعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤].

ومن صور الوفاء مع العدو أيضاً أن معاوية -رضي الله عنه- كان بينه وبين الروم أمد، فأراد أن يدنو منهم فإذا انقضى الأمد غزاهم فإذا شيخ على دابة يقول: "الله أكبر الله أكبر وفاء لا غدر، إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عقدة ولا يشدها حتى ينقضى أمدها أو ينبذ إليهم، عهدهم على سواء" فبلغ ذلك معاوية فإذا الشيخ عمرو بن عبسة " (٦٣) وفي خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله كتب إلى عدي بن أرطاة: "وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه وضعفت قوته وولت عنه المكاسب فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه" (٦٤) ومن عجائب ما يؤثر إبان فتح الأندلس أن امرئاً أسبانياً اعتدى على فتى من العرب وقتله، ثم فر هارباً حتى رأى بستاناً فلجأ إليه فدخله فوجد فيه شيخاً جليلاً فاستجار به ليجيره من شر أعدائه فخبأه الرجل في مكان منفرد، ثم ارتفع الصباح بفناء البستان ودخل نفر من الناس يحملون القتيل فنظره الشيخ فوجده ابنه، واعتقد أن ذلك الشاب الذي التجأ إليه هو الذي قتل ابنه، فأخذ منه الحزن مأخذه، ولكن الشيخ

٦٢ - مسند أحمد (١٨٤١٣) بسند صحيح، وأصله عند البخاري في صحيحه.

٦٣ - الأموال لابن زنجويه (١/ ١٧٠)

٦٤ - كتاب الأموال، أبو عبيد، ص: (٥٧).



قد أخفى حزنه وانتظر حتى أقبل الليل وهدأت الأصوات ثم قام ودخل على الفتى وأنبأه بنبئه الحادث المؤلم فهلع فؤاد الفتى لهول المصاب، وكاد يموت من الخوف ولكن الرجل رأى من الوفاء أن يؤمن ويهدئ روعه حتى سرى عنه، ثم قال: ما كنت لأخفر ذمتي وأنقض عهدي معك، ولكن لا آمن عليك من قومي أن يقتلوك فخذ مؤونة سفرة وارحل عني والله ولي أمري".
أقول قولي وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، اللهم لك الحمد على نعمة الإسلام والإيمان، ولك الحمد أن جعلتنا من أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، أما بعد:

رابعاً: الإحسان إحسان عالمي:

ومن الأخلاق الرفيعة التي جاء بها دين الإسلام خلق الإحسان وعندما نقلب صفحات القرآن الكريم والسنة المطهرة نرى بوضوح أن هذا الخلق خلق عالمي عاش تحت مظلته الناس قاطبة بل تعدادهم حتى شمل الحيوان الأعجمي

ويتضح ذلك في فتح مكة حينما دخلها رسول الله والمسلمون، وقد أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم سادة مكة، فقال لهم: "ما تظنون أني فاعلٌ بكم" قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم. فقال قوله المشهورة والتي دان له بها أهل قريش من المشركين بعد فتح مكة، قال: "اذهبوا فأنتم الطلقاء".^(٦٥)

يقول ول ديورانت: "لقد كان أهل الذمة (المسيحيون والزرادشتيون واليهود والصابئون) يتمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد نظيراً لها في البلاد المسيحية في هذه الأيام، فلقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم، وكانوا يتمتعون بحكم ذاتي يخضعون فيه لعلمائهم وقضاةهم وقوانينهم"^(٦٦)

وهذا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر رضي الله عنه يُوصي أسامة بن زيد وجيشه: "يا أيها الناس، قفوا؛ أوصيكم بعشر، فاحفظوها عني: لا تخونوا ولا تغلوا، ولا تغدروا ولا تُمَثِّلُوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرّون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم في الصوامع، فدعُوهم وما فرّغوا أنفسهم له"^(٦٧)

^{٦٥} - ابن الأثير - الكامل (٢/ ٢٥٢).

^{٦٦} - خلاصة التحقيقات في الرد على الشبهات والتصورات ص ٦٦

^{٦٧} - صور من تسامح الحضارة الإسلامية مع غير المسلمين، سلامه الهرفي ص ٦٢، نقلاً عن تاريخ الطبري (٣/ ٢٢٧)

مرَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ قال: يهودي، قال: فما ألجأك إلي ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن، قال: فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فوضع له بشيء من المتزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباه فوالله ما أنصفناه، أن أكلنا شبيبته ثم نخذه عند الهرم "إنما الصدقات للفقراء والمساكين" والفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه ((٦٨)

العفو الكريم (جل جلاله) (٦٩)

الخطبة الأولى

الحمد لله، الحمد لله الذي حثَّ عباده على الاعتصام بالكتاب والسنة، أحمده - سبحانه - وأشكره ذو الفضل والمنّة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أعادَ عباده من شرِّ الناس والجِنَّة، وأشهد أن سيّدنا ونبيّنا محمداً عبده ورسوله قائدُ المؤمنين ودليلُ الملّة، صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه في السراء والمُلَمّة.

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوى الله؛ فهي الزادُ يوم المعاد، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أما بعد:

أحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم-

حديثنا في هذا اليوم الطيب الميمون مع اسم من أسماء الله الحسنى وعن صفة من صفاته العليا هذا الاسم له أثر كبير في حياة الكائنات وخاصة بني الإنسان إن ذلك الاسم هو ﴿العفو جل جلاله﴾ فعفوه قد شمل الكائنات وعم البريات المؤمنين والمؤمنات أهل الطاعة والإحسان وأهل الكفر والبهتان يقول ابن القيم-رحمه الله-

وهو الحيي فليس يفضح عبده... عند التجاهر منه بالعصيان

لكنه يلقي عليه ستره... فهو الستير وصاحب الغفران

وهو الحليم فلا يعاجل عبده... بعقوبة ليتوب من عصيان

وهو العفو فعفوه وسع الوری... لولاه غار الأرض بالسكان

وهو الصبور على أذى أعدائه... شتموه بل نسبوه للبهتان

قالوا له ولد وليس يعيدنا... شتما وتكذبا من الإنسان

٦٨ - كتاب الخراج، أبو يوسف، ص: (١٢٦).

٦٩ - موقع الألوكة وصيد الفوائد



هذا وذاك بسمعه وبعلمه... لو شاء عاجلهم بكل هوان

لكن يعافيتهم ويرزقهم وهم... يؤذونه بالشرك والكفران (٧٠)

فهيا إخوة الإيمان لنعيش في معية العفو (جل جلاله) لنتعرف على ذلك الاسم العظيم وكيف ننال عفوه
جل جلاله ؟

﴿معنى العفو:﴾

اعلم -بارك الله فيك-: أن معنى العفو هو: الذي يترك عباده ولا يعاقبهم على ما صدر منهم. قال
الخليل "العفو: تركك إنساناً استوجبَ عُقوبةً فعفوتَ عنه تعفُوالله العَفُوُّ العَفُورُ" (٧١)
واعلموا: أن عفو الله عن عباده ليس ناتجاً عن استحقاقهم لذلك وإنما عفوه صادر عن كرمه وجوده
(جل جلاله)

قال ابن فارس: "وقد يكون أن يعفُو الإنسان عن الشيء بمعنى الترك، ولا يكون ذلك عن استحقاق. ألا
تري أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «عفوت عنكم عن صدقة الخيل» (٧٢)
فليس العفو هاهنا عن استحقاق، ويكون معناه تركت أن أوجب عليكم الصدقة في الخيل" (٧٣)
أي: إنه لا يشترط للعفو عن شخصٍ ما أن يكون مُستحقاً لذلك. فالعفو هو التجاوزُ عن الذنب وترك
العقاب عليه، وأصله المَحْوُ والطُمَسُ»
والعفوُّ سبحانه هو الذي يحب العفو والستر، ويصفح عن الذنوب مهما كان شأنها ويستر العيوب ولا
يحب الجهر بها، يعفو عن المسيء كرمًا وإحسانًا، ويفتح واسع رحمته فضلاً وإنعاماً، حتى يزول اليأس
من القلوب وتتعلق في رجائها بمقلب القلوب (٧٤).

﴿ثبوت اسم العفو لله تعالى:﴾

إخوة الإيمان: سمى الله -عز وجل- نفسه العفو على سبيل الإطلاق في قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ
تُخْفُوا أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩]، وقوله: ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ

٧٠ - نونية ابن القيم (ص: ٢٠٧)

٧١ - (كتاب العين: [٢٥٨/٢]).

٧٢ - (رواه ابن ماجه وحسنه الألباني: ١٧٩٠)،

٧٣ - (معجم مقاييس اللغة: [٥٧/٤])،

٧٤ - الأسماء والصفات للبيهقي ص ٧٥، وتفسير أسماء الله للزجاج ص ٨٢، وشرح أسماء الله للرازي ص ٣٣٩.

أَنْ يَغْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا غَفُورًا ﴿ [النساء: ٩٩]، وقوله: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ غَفُورٌ ﴾ [الحج: ٦٠]

﴿ عفو الله العفو عن المذنبين

﴿ عفو الله عن بني إسرائيل لما اتخذوا العجل

و من عظام الذنوب التي ارتكبتها قوم موسى -عليه السلام- اتخذهم العجل وعبادتهم إياه ومع عظم ذلك الذنب إلا أن العفو (جل جلاله) قد عفى عنهم وغفر لهم قال الله تعالى " وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ " (البقرة: ٥١) هذه لا تكفيها توبة عادية، ولذلك قال بعدها: " ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " (البقرة: ٥٢)،

﴿ عفو الله تعالى عن الذين تولوا يوم أحد:

ومن كبائر الذنوب التولي يوم الزحف ومع أنها كبيرة إلا أن رحمة الله العفو الغفور نالت أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم يوم أحد يوم أن تولوا عن النبي -صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى " إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ... " (آل عمران: ١٥٥)

أما قوله -تعالى-: - ولقد عفا الله عنهم فالعفو فيه غير العفو في آية الشورى، ذلك عفو عام وهذا عفو خاص، ذلك عفو يراد به أن من سنة الله في فطرة البشر أن تكون بعض هفواتهم وذنوبهم غير مفضية إلى العقوبة بالمصائب في الدنيا والعذاب في

الآخرة، وهذا العفو خاص بالمؤمنين يراد به أن ذنبهم يوم أحد الذي كان من شأنه أن يعاقب عليه في الدنيا والآخرة قد كانت عقوبته الدنيوية تربية وتمحيصا وعفا الله عن العقوبة عليه في الآخرة، ولذلك قال: إن الله غفور حلیم لا يعجل بتحتيم العقاب. ومن آيات مغفرته لهم وحلمه بهم توفيقهم للاستفادة مما وقع منهم وإثابتهم الغم الذي دفعهم إلى التوبة حتى تمحص ما في قلوبهم واستحقوا العفو عن ذنوبهم (٧٥)

﴿ لولا عفو الله تعالى لهلكنا:

إخوة الإيمان: لولا عفوه سبحانه وتعالى عنا لهلكنا ولعاقبنا ولكنه الرحمن الرحيم العفو الغفور قال (جل جلاله) " وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ " (الشورى: ٣٠)



عن علي، رضي الله عنه قال: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله عز وجل، وحدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾. وسأفسرها لك يا علي: "ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا، فبما كسبت أيديكم) والله تعالى أحلم من أن يثني عليه العقوبة في الآخرة، وما عفا الله عنه في الدنيا فالله تعالى أكرم من أن يعود بعد عفوهِ" (٧٦)

﴿محبة الله تعالى للعفو والعافين:﴾

اعلموا علمني الله تعالى وإياكم: أن الله تعالى يحب العفو ويحب العافين عن الناس فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله تعالى عفو يحب العفو) (٧٧)
عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: (إنَّ أَوَّلَ رَجُلٍ قُطِعَ فِي الْإِسْلَامِ أَوْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَجُلٌ أُتِيَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا سَرَقَ، فَكَأَنَّمَا أُسِفَّ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَمَادًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ؟ يَقُولُ مَا لَكَ؟ فَقَالَ: وَمَا يَمْنَعُنِي وَأَنْتُمْ أَعْوَانُ الشَّيْطَانِ عَلَيَّ صَاحِبِكُمْ وَاللَّهُ - عز وجل - عَفْوٌ يُحِبُّ الْعَفْوَ وَلَا يَنْبَغِي لِيُؤْتِيَ بِحَدٍّ إِلَّا أَقَامَهُ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢] (٧٨).

عَائِشَةُ أَنَّهَا قَالَتْ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقَتْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَدْعُو؟ قَالَ: تَقُولِينَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفْوٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي) (٧٩)،

﴿عفو الله تعالى العام لجميع البشر:﴾

ومن عفو الله عفوهِ العام عن كل من ارتكب خطيئة أو بارزه بمعصية فإن الله تعالى فتح له باب عفوهِ بشرط أن يتوب عنه وتلك من رحمت الله تعالى قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١)﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٢]

٧٦ - تفسير ابن كثير - ط دار طيبة (٧ / ٢٠٨) المسند (١ / ٨٥).

٧٧ - أخرجه الحاكم (٤ / ٣٨٢) وابن عدي في الكامل (٧ / ٢٠١). وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٧٧٩).

٧٨ - أحمد في المسند ٤١٩ / ١ (٣٩٧٧)، وانظر السلسلة الصحيحة ١٨١ / ٤ (١٦٣٨).

٧٩ - الترمذي في كتاب الدعوات ٥٣٤ / ٥ (٣٥١٣) وانظر صحيح الجامع (٤٤٢٣).

فتأملوا أيها الأحباب تلك هي أمهات الكبائر ومع ذلك فتح لهم باب التوبة والمغفرة ونالهم عفوهم متى تابوا إليه (جل جلاله)

عَنْ طَوِيلِ شَطَبِ الْمَمْدُودِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا عَمِلَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا فَلَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ تَعَالَى شَيْئًا وَهُوَ فِي ذَلِكَ لَا يَتْرُكُ حَاجَةً أَوْ دَاجَةً إِلَّا أَقْطَعَهَا بِيَمِينِهِ، فَهَلْ لِدَٰلِكَ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: «هَلْ أَسْلَمْتَ؟» قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ: «نَعَمْ، تَفْعَلُ الْخَيْرَاتِ وَتَتْرُكُ الشَّرَّاتِ فَيَجْعَلُهُنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْخَيْرَاتِ كُلِّهِنَّ» قَالَ وَغَدَرَاتِي وَفَجَرَاتِي؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فَمَا زَالَ يُكَبِّرُ حَتَّى تَوَارَى" (٨٠)

✍ عفو الله عن عباده يوم القيامة

✍ عفو الله تعالى عن الآباء والأمهات بشفاعه الأبناء

ومن عجيب عفو الله تعالى وجوده يوم القيامة، أن يعفوا عن الآباء والأمهات بشفاعه أبنائهم يوم القيامة فعن شَرَحْبِيلُ بْنُ شُعْبَةَ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّهُ يُقَالُ لِلْوِلْدَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ". قَالَ: " فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا "، قَالَ: " فَيَأْتُونَ، قَالَ: " فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَا لِي أَرَاهُمْ مُحَبَّنَاطِينَ، ادْخُلُوا الْجَنَّةَ "، قَالَ: " فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ آبَاؤُنَا "، قَالَ: " فَيَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ " (٨١).

✍ العفو العام لأمة خير الأنام-صلى الله عليه وسلم- يوم القيامة:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشِدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتَحَرَّمْ صُورُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقِيهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا "، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ:

٨٠ - المعجم الكبير (٧/٥٣) الصحيحة: ٣٣٩١، صحيح الترغيب والترهيب: ٣١٦٤

٨١ - مسند أحمد ج ٤ / ص ١٠٥ حديث رقم: ١٧٠١٢



إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، فيقول الله عز وجل: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَّا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ، أَوْ إِلَى الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أَصْفَرُ وَأَخْيَضَرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضُ؟ " فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرَعَى بِالْبَادِيَةِ، قَالَ: " فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عَتَقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بَغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرَ قَدَمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا (٨٢)

🔷 واجب المسلم نحو اسم الله العفو:

🔷 طلب العفو من العفو جل جلاله:

أخي المسلم: من الواجب عليك أن تطلب العفو من العفو جل جلاله حتى يرحمكم في الدنيا والآخرة وتأمل أحوال المؤمنين كما أخبرنا رب العالمين في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَوَاحِدْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ولقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم من سؤال الله العفو وعبد الله بن عمر - رضي الله عنه - أنه قال: لم يكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: (اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي .. الحديث) (٨٣)

عوف بن مالك - رضي الله عنه - أنه قال: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يُصَلِّي عَلَى مِيْتٍ فَسَمِعْتُ مِنْ دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَأَوْسِعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالتَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنْقَى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ) (٨٤).

٨٢ - أخرجه الطيالسي (ص ٢٨٩، رقم ٢١٧٩)، وأحمد (١٦/٣، رقم ١١١٤٣)، والبخاري (٤/١٦٧١، رقم ٤٣٠٥)،

ومسلم (١٦٧/١، رقم ١٨٣)

٨٣ - أبو داود في الأدب، باب ما يقول إذا أصبح ٣١٨/٤ رقم (٥٠٧٤)، الأدب المفرد (١٢٠٠).

٨٤ - مسلم في الجنائز، باب الدعاء للميت في الصلاة ٦٦٢/٢ (٩٦٣).

وهذا الفضيل بن عياض أحد التابعين، يوم عرفة وهو يوم عفو مثل ليلة القدر، وقف يدعو: يا رب اعفُ عني اعفُ عني، فلما غربت الشمس بكى، والأصل أن يُحسن الظن بالله ويستبشر، فسأله: أأنت من تعلمنا حسن الظن بالله؟ فقال: (لست أبكي لذلك ولكن وا خجله! وا حيائي منه وإن عفا!)

سليمان الدارني أحد التابعين يقول: لئن سألتني يوم القيامة عن ذنوبي لأسأله عن عفو، لأني لا أجد لي مخرجًا إلا أن أسأله عن عفو.

أقول قولي، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، اللهم لك الحمد على نعمة الإسلام والإيمان، ولك الحمد أن جعلتنا من أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

أما بعد:

اعفُ يعفو العفو جل جلاله-عنك:

أخي المسلم: هل تريد أن يعفو الله تعالى عنك؟

نعم كلنا يسعى لينال العفو الإلهي والطريق أن نكون من أهل العفو فنعفو عمن ظلمنا وعمن أساء إلينا ونسأله حتى يسأله الله تعالى ويعفو عنا والجزاء من جنس العمل

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ ". (٨٥)

عن أنس قال: بينما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه، فقال عمر: ما يضحكك يا رسول الله؟ فقال: "رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة، فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من أخي. فقال الله تبارك وتعالى: أعط أخاك مظلمته. فقال: يا رب لم يبق من حسناتي شيء. فقال الله للطالب: كيف تفعل ولم يبق من حسناته شيء. فقال: يا رب يتحمل من أوزاري" قال: وفاضت عينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالبكاء، ثم قال: "إن ذلك يوم عظيم، يوم يحتاج الناس إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم -قال- فقال الله للطالب: ارفع رأسك، فرفع رأسه، فقال: يا رب أرى مدائن من فضة مرتفعة، وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ، فلائي نبي، أو صديق، أو شهيد هذا؟ قال: هذا لمن أعطى الثمن. قال: يا رب، ومن يملك ذلك؟ قال: أنت تملكه.

^{٨٥} - رواه مسلم (٢٥٨٨)، والترمذي (٢٥٣٠)، والموطأ (١٠٠٠ / ٢).



قال: بم يا رب؟ قال: بعفوك عن أخيك. قال: يا رب إني قد عفوت عنه، قال الله: خذ بيد أخيك فأدخله الجنة".

ثم قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عند ذلك: "اتقوا الله، وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة" (٨٦).

✍ عفو النبي -صلى الله عليه وسلم- من أساء إليه:

عن أنس-رضي الله عنه-قال: كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، ! مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه، فضحك، ثم أمر له بعطاء) *. (٨٧)

عن ابن مسعود-رضي الله عنه- قال: كأني أنظر إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- يحكي نبيا من الأنبياء- صلوات الله وسلامه عليهم- ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» (٨٨).

✍ عفو أبي بكر الصديق -رضي الله عنه

فهذا هو أبو بكر الصديق خير الناس بعد الأنبياء، كان من قرابته مسطح بن أثاثة وكان أبو بكر ينفق عليه ويحسن إليه فلما خاض مسطح فيمن خاض في حادثة الإفك، حلف أبو بكر ألا يحسن إليه كما كان يحسن في السابق فعاتبه ربه عز وجل وأنزل: وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢) سورة النور، فقال: بلى، أحب أن يغفر الله لي، وعاد إلى ما كان عليه من الإحسان إليه وكفر عن يمينه. (٨٩)

✍ عفو عمر بن الخطاب رضي الله عنه

عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة، فترل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من نفر الذين يدينهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا. فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه. قال: سأستأذن لك

^{٨٦} - رواه الحاكم في "المستدرک" ٤ / ٥٧٦ وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

^{٨٧} - البخاري- الفتح ١٠ (٦٠٨٨) واللفظ له، ومسلم (١٠٥٧)

^{٨٨} - البخاري- الفتح ١٢ (٦٩٢٩) واللفظ له، ومسلم (١٧٩٢)

^{٨٩} - تفسير الطبري ١٩/ ١٢٣. تحفة الواعظ للخطب و المواعظ للشيخ السيد مراد سلامة

عليه. قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعينة فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل «٩٠» ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين! إن الله تعالى قال لنبيه ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩)﴾ وإن هذا من الجاهلين. والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافا عند كتاب الله. (٩١)

عفو بلال رضي الله عنه:

ووقع في يوم من الأيام بين أبي ذر-رضي الله عنه-وبلال-رضي الله عنه- خصومة، فيغضب أبو ذر وتفلت لسانه بكلمة يقول فيها لبلال: يا ابن السوداء فيتأثر بلال، يوم أكرمه الله بالإسلام، ثم يعير بالعصبيات والعنصريات والألوان، ويذهب إلى النبي-صلى الله عليه وسلم- ويشكو أبا ذر، ويستدعي النبي-صلى الله عليه وسلم- أبا ذر، فيقول -كما في الحديث المتفق علي صحته- يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية"، فيتأثر أبو ذر ويتحسّر ويندم، ويقول: وددت -والله- لو ضرب عنقي بالسيف، وما سمعت ذلك من رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ويأخذ بلال-رضي الله عنه- كما روي ويضع خده على التراب ويقول: يا بلال؛ ضع قدمك على خدي، لا أرفعه حتى تضعه، فتدرف عينا بلال-رضي الله عنه- الدموع، ويقول: يغفر الله لك يا أبا ذر، يغفر الله لك يا أبا ذر، والله ما كنت لأضع قدمي على جبهة سجدت لله رب العالمين، ويعتقن ويبيكان ذهب ما في القلوب (٩٢):

عفو ميمون بن مهران -رحمه الله:

روي عن ميمون بن مهران أن جاريته جاءت ذات يوم بطبق فيها مرقه حارة، وعنده ضيوف فعثرت فصبت المرقه عليه، فأراد ميمون أن يضربها، فقالت الجارية: يا مولاي، استعمل قوله تعالى: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ﴾ قال لها: قد فعلت.

فقالت: اعمل بما بعده ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾.

فقال: قد عفوت عنك.

فقالت الجارية: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

٩٠ - الجزل: الكريم المعطاء، والعاقل الأصيل الرأي.

٩١ - البخاري-الفتح ٨ (٤٦٤٢). تحفة الواعظ للخطب والمواظ للشيخ السيد مراد سلامة

٩٢ - موسوعة البحوث الإسلامية ٧. وأصل القصة في البخاري-الفتح ١ (٣٠). ومسلم (١٦٦١).



قال ميمون: قد أحسنت إليك، فأنت حرة لوجه الله تعالى.(٩٣)
عن عطاء قال: مرَّ عمر - رضى الله عنه - برجل وهو يكلم امرأة فعلاه بالدرة. فقال: يا أمير المؤمنين
إنها امرأتي. قال: ها فاقتص. قال: قد غفرت لك يا أمير المؤمنين. قال: ليس مغفرتكما بيدك ولكن إن
شئت أن تغفو فاعف. قال: قد عفوت عنك يا أمير المؤمنين. قال: ثم مر من فوره إلى منزل عبد الرحمن
وهو يقول: ويل أمك يا عمر تضرب الناس ولا يضربونك، وتشتم الناس ولا يشتمونك حتى دخل على
عبد الرحمن فقص عليه القصة. فقال: ليس يا أمير المؤمنين. إنما أنت مؤدب.(٩٤)
الدعاء.....

أخلاق النبي الأمين في رحلة الشوق والحنين(٩٥)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي دعا عباده المؤمنين إلى حج بيته الحرام؛ ليشهدوا منافع لهم، وليذكروا اسم الله على ما
رزقهم من بھيمة الأنعام، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه
وسراجاً منيراً.
اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن آله، ومن دعا بدعوته، وعمل
بسنته، ونصح لأمته، وسلم تسليماً كثيراً.
أما بعد: .

إخوة الإسلام: إن حجة الوداع التي حجها النبي صلى الله عليه وسلم - كانت ترجمة فعلية لأخلاق
خير البرية صلى الله عليه وسلم فقد ترجم النبي هذه الأخلاق إلى واقع محسوس وملمس فكانت الواقع
التطبيقي للرسالة وكانت منهجاً تربوياً يربي الأمة على الرحمة والتواضع والرفق واليسر ورفع المشقة
والعنت من على الأمة فهيا أعيروني القلوب والأسماع أيها الأحباب

٩٣ - والعافين عن الناس (ص: ١٦) تحفة الواعظ للخطب والمواعظ للشيخ السيد مراد سلامة

٩٤ - الحجة في بيان المحجة، لأبي القاسم الأصبهاني ٣٨١. تحفة الواعظ للخطب والمواعظ للشيخ السيد مراد سلامة

٩٥ - نشرت على موقع اللوكة

أولا رحلة الشوق والحنين:

لنعيش مع الحج، مع رحلة الشوق والحنين إلى بيت الله الأمين إلى رحلة الطهارة... إلى رحلة المغفرة... إلى رحلة العتق من النار... إليها يشتاق العاشقين واليهها يهفوا الفقراء والمساكين إجابة لنداء إبراهيم عليه السلام... هامت الأنفس وطارت الأفئدة ودمعت العيون واشتأقت الجوانح. يقول سبحانه وتعالى ﴿وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧]

هجرت الخلق طرّاً في هواك وأيّمت العيال لكي أراكا
ولو قطعتني في الحب إرباً لما حن الفؤاد إلى سواكا
تجاوز عن ضعيف قد أذاك وجاء راجيا يرجوا نداكا
وإن يك يا مهيمن قد عصاكا مقرأ بالذنوب وقد دعاكا
وإن تغفر فأنت لذاك أهل وإن تطرد فمن يرحم سواكا

ويقول سبحانه وتعالى ﴿فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧]

واسمع إلى حال المنقطعين عن البيت لفقر أو مرض ذكر الهروي في كتابه أنوار الحجج في أسرار الحج. قال: خرجت أم أيمن زوجة أبو علي الروذباري من مصر وقت خروج الحاج إلى الصحراء وتري الجمال تتجه إلى مكة وتتقطع نفسها وهي تقول هذه حسرة من انقطع عن البيت فكيف حسرة من انقطع عن رب البيت؟! (٩٦)

ذكر ابن الجوزي رحمه الله عن محمد بن صالح قال: بينما أنا في الطواف إذ نظرت إلى أعرابي بدوي متعلق بأستار الكعبة وقد شخص بصره نحو السماء وهو يقول: يا خير من وفد الأنام إليه ذهبت أيامي وضعفت قوتي، وقد وردت بيتك الحرام المعظم المكرم بذنوب كثيرة لا تسعها الأرض ولا تغسلها البحار مستجيراً بعفوك منها، وحططت رحلي بفنائك واتفقت مالي في رضاك فماذا الذي يكون من جزائك يا مولاي؟

ثم أقبل علي الناس يوجهه فقال: يا معشر الناس ادعوا وكثرته الخطايا وغمرته البلايا، ارحموا أسير ضروا غريب فاقه سألتكم بالذي عمتكم الرغبة إليه إلا سألتكم الله تعالى أن يهب لي جرمي ويغفر لي ذنوبي ثم عاد فتعلق بأستار الكعبة وقال: الهي وسيدي عظيم الذنب مكروب وعن صالح الأعمال مردود وقد أصبحت ذا فاقة إلى رحمتك يا مولاي.

(٩٦) = كتاب صفة الصفوة ج ٢ ص ٩٣١



يقول محمد بن صالح: ثم رأيته بعرفات وقد وضع يساره علي أم رأسه يصرخ ويكي ويشهق ويقول الهي وسيدي ومولاي أضحكت الأرض بالزهر وأمطرت السماء بالرحمة. والذي أعطيت الموحدين إن نفسي لواقعة لي ولهم منك بالرضا وكيف لا يكون كذلك وأنت حبيب من نحب إليك وقرة عين من لاذ بك وانقطع إليك؟ يا مولاي حقا حقا أقول لقد رأيت بمكارم الأخلاق فاجعل وفودي إليك عتق رقبتني من النار (٩٧)

ثانيا أخلاق النبي الأمين في رحلة الشوق والحنين:

هيا أيها الأحباب لنشنف الآذان بأخلاق النبي العدنان صلى الله عليه وسلم في رحلة الشوق والحنين

تواضع النبي صلى الله عليه وسلم في الحج:

اعلموا بارك الله فيكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جم التواضع، لا يعتريه كبر ولا بطر على رفعة قدره وعلو منزلته، يخفض جناحه للمؤمنين ولا يتعظم عليهم، ويجلس بينهم كواحد منهم، ولا يعرف مجلسه من مجلس أصحابه؛ لأنه كان يجلس حيث ينتهي به المجلس، ويجلس بين ظهرائهم فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل عنه....

عن أبي ذر، وأبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس بين ظهري أصحابه، فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل، فطلبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجعل له مجلسا يعرفه الغريب إذا أتاه، قال: فبيننا له دكانا من طين، فجلس عليه، وكنا نجلس بجنتيه، وذكر نحو هذا الخبر، فأقبل رجل فذكر هيئته، حتى سلم من طرف السماط، فقال: السلام عليك يا محمد قال: «فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم» (٩٨)

عن أنس بن مالك، أن رجلا قال: يا محمد يا سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس عليكم بتقواكم، لا يستهويكنم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلي التي أنزلني الله» (٩٩)

(٩٧) - كتاب صفة الصفوة ج ٢ ص ٩٣٢، ٩٣٣

(٩٨) - رواه أبو داود (٤٦٩٨)، والنسائي (٤٩٩١). وسكت عنه أبو داود، وصححه الألباني في ((صحيح أبي داود)) (٤٦٩٨).

(٩٩) - رواه أحمد (١٥٣/٣) (١٢٥٧٣)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (١٠٣/٩) من حديث أنس رضي الله عنه. وجود إسناده الشوكاني كما في ((الفتح الرباني)) (٣٣٦/١)، وصححه إسناده أحمد شاكر في ((عمدة التفسير)) (٦١١/١).

أما إن سألت عن تواضع الحبيب صلى الله عليه وسلم فقد ظهر تواضعه في حجه صلى الله عليه وسلم إذ كان يمشي كما يمشي الناس لا حراسة ولا طرد للناس من بين يديه ولا يزاحم أحدا صلى الله عليه وسلم

نستشعر في هذه المواطن التواضع لله، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يرمي الجمرة، عَنْ قُدَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْمِي جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ عَلَى نَاقَةٍ صَهْبَاءَ، لَا ضَرْبَ، وَلَا طَرْدَ، وَلَا إِلَيْكَ إِلَيْكَ» (١٠٠)

أي: لا توسع له الطرق، ولا يضرب الناس ولا يطردون الناس من أجله صلى الله عليه وسلم، بل كان يمشي عليه الصلاة والسلام متواضعا مع المشاة، لا يطرد الناس من حوله، ولا يضرب الناس من أجله، إنما يأتي وقورا متواضعا لله خاشعا له، يرمي الجمرة كما يرميها الناس، منه يتعلم الناس وبه يقتدون، ويلتمسون منه التواضع، يلتمسون منه صحيح العبادة والنسك، فيمتثلون أمره، ويقتفون أثره عليه الصلاة والسلام.

قال الطيبي - رحمه الله: أي ما كان يضربون الناس، ولا يطردونهم، ولا يقولون: تنحوا عن الطريق كما هو عادة الملوك، والجباة، والمقصود التعريض بالذين كانوا يعملون ذلك اهـ.

وذكر السيوطي - رحمه الله: أن أول بدعة ظهرت قول الناس: الطريق الطريق. أقول: قد رضينا في هذا الزمان بإليك وإليك، وب (الطريق الطريق) عليك، فإنه نشأ ناس يدفعون بأيديهم، وأرجلهم، ويدوسون بدوابهم، وهم ساكتون. ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] (١٠١)

هو من تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه كان يمشي بسكينة دون تكبر ولا خيلاء ويدعو الناس إلى ذلك وكان إذا تسير إليه تسليم الحجر يستلمه أو أشار إليه بمحجن كان معه عَنْ قُدَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَاقَتِهِ يَسْتَلِمُ الْحَجَرَ بِمَحْجَنِهِ» (١٠٢)

فلتمس من رسولنا التواضع، وعدم الزحام، وعدم أذى العباد، فالرسول عليه الصلاة والسلام كان يطوف بالبيت، فإن استطاع أن يستلم الحجر بيده فعل ولا يزاحم، وإن لم يستطع أشار إليه بمحجنه ثم انصرف عليه الصلاة والسلام، لا يزاحم الناس ولا يؤذيهم

(١٠٠) - مسند أحمد ط الرسالة (٢٤ / ١٣٨) وأخرجه النسائي في "الاحتجى" ٢٧٠/٥، وفي "الكبرى" (٤٠٦٧)، وابن ماجه

(٣٠٣٥)، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (١٤٩٩)، والطبراني في "الكبير" ١٩ / (٧٨)

(١٠١) - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١٧٩٣ / ٥)

(١٠٢) - مسند أحمد ط الرسالة (٢٤ / ١٣٩) وأخرجه الطبراني في "الكبير" ١٩ / (٨٠)، وفي "الأوسط" (٨٠٢٤)



﴿وَمَنْ تَوَاضَعَهُ صُلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَجِّ أَنْ أَبِي أَنْ يَخْصُ بِمَاءٍ دُونَ النَّاسِ وَشَرِبَ مِنْ زَمْزَمَ﴾
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَافَ بِالْبَيْتِ وَهُوَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَاسْتَلَمَ الْحَجَرَ بِمِخْجَنِ
كَانَ مَعَهُ، قَالَ: وَأَتَى السَّقَايَةَ، فَقَالَ: "اسْقُونِي"، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا يَخُوضُهُ النَّاسُ، وَلَكِنَّا نَأْتِيكَ بِهِ مِنَ
الْبَيْتِ، فَقَالَ: "لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ، اسْقُونِي مِمَّا يَشْرَبُ مِنْهُ النَّاسُ" (١٠٣)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جَاءَ إِلَى السَّقَايَةِ، فَاسْتَسْقَى. فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا
فَضْلُ! اذْهَبْ إِلَى أُمِّكَ فَأْتِ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِشَرَابٍ مِنْ عِنْدِهَا. فَقَالَ: "اسْقِنِي".
فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ أَيْدِيَهُمْ فِيهِ. فَقَالَ: "اسْقِنِي". فَشَرِبَ مِنْهُ، ثُمَّ أَتَى زَمْزَمَ وَهُمْ يَسْقُونَ
وَيَعْمَلُونَ فِيهَا، فَقَالَ: "اعْمَلُوا فَإِنَّكُمْ عَلَى عَمَلٍ صَالِحٍ"، ثُمَّ قَالَ: "لَوْلَا أَنْ تُغْلَبُوا لَنَزَعْتُ حَتَّى أَضَعَ
الْحَبْلَ عَلَى هَذِهِ" - يَعْنِي عَاتِقَهُ - وَأَشَارَ إِلَى عَاتِقِهِ.. (١٠٤)

فقد رد النبي - صلى الله عليه وسلم - إكرام العباس بشراب خاص لأن ذلك الإكرام تعارض مع
مصلحة أخرى هي مصلحة التواضع التي ظهرت من شربه مما يشرب منه الناس، وعدم التقدر من
المأكولات والمشروبات التي يضع الناس أيديهم فيها.

﴿رَحْمَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي حِجَّةِ الْوُدَّاعِ بِأَمْتِهِ﴾

إخوة الإسلام يقول الله تعالى في شأن حبيبه صلى الله عليه وسلم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾
﴿[الأنبياء: ١٠٧] وَيَقُولُ جَلَّ شَأْنُهُ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ
عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]

و يقول تعالى ذكره - ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] ويقول سبحانه
وتعالى في شأن الرسالة ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]
وإذا تأملنا في رحلة الشوق والحنين لراينا كيف تجلج رحمة النبي صلى الله عليه وسلم

﴿رَحْمَةُ فِي فِرْضِ الْحَجِّ مَرَّةً وَاحِدَةً﴾: إخوة الإسلام من رحمة النبي بأمرته انه جعل الحج مرة واحدة في
العمر ولأجل التيسير والرحمة وهذا تيسير عظيم ورحمة كبيرة، وتقدير لظروف عموم الناس..
ومع هذا التيسير الكبير إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعامل مع الأمر برحمته
المعهودة وبرفقته العظيم فزاد الأمر تيسيراً ورفقاً..

(١٠٣) - مسند أحمد ط الرسالة (٣/ ٣٤١) وأخرج البخاري (١٦٣٥)

(١٠٤) - رواه البخاري: ١٦٣٥

لقد وقف يوماً يخطب في الناس فقال... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَطَبَنَا وَقَالَ مَرَّةً: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا» فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ، حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ، لَوَجَبَتْ، وَلَكَمَا اسْتَطَعْتُمْ " ثُمَّ قَالَ: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ، فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَدَعُوهُ». (١٠٥)

كان النبي قادراً على الحج كل عام، بل من المؤكد أنه كان يشاق لمثل هذه العبادة الجليلة، لكنه لا يريد أن يقيس الأمر على نفسه، بل يريد أن يقيس الأمر على عموم المسلمين، وذلك بمن فيهم من الضعفاء والكبار والنساء بل والمشغولين أو غير المشتاقين إلى هذه العبادة؛ والرجل يسأل ويكرر: أي كل عام يا رسول الله؟ والرسول لن يجيب بنعم إلا إذا أراد الله، ولكنه يعلم أن الأمة - كما ذكرنا قبل ذلك - إذا شددت على نفسها شدد الله عليها، ولذلك ذكرهم رسول الله بما حدث مع الأمم السابقة التي كانت تُكثِّر من الأسئلة دون احتياج، والرسول يريد أن يرحم هذه الأمة، وينقذها من أي هلكة.

الخطبة الثانية

صور من رحمة الرسول في الحج: وفي حجته الوحيدة ظهرت آيات رحمة النبي صلى الله عليه وسلم تُتَرَى!! فمن دلائل رحمته بالحجاج في هذه الحجة أنه كان يعلم أن مناسك الحج غير مشهورة بين الناس كمناسك الصلاة والصيام وذلك لأن الحج لا يتكرر إلا قليلاً وقد لا يتكرر أبداً في حياة الإنسان ولذلك كان يقبل صلى الله عليه وسلم بتغييرات في ترتيب المناسك ولا يلوم أبداً فاعليها..

من ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وَقَفَ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَطَفِقَ نَاسٌ يَسْأَلُونَهُ فَيَقُولُ الْقَائِلُ: مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِنِّي لَمْ أَكُنْ أَشْعُرُ أَنَّ الرَّمْيَ قَبْلَ النَّحْرِ فَنَحَرْتُ قَبْلَ الرَّمْيِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَارْمِ وَلَا حَرَجَ" قَالَ: وَطَفِقَ آخَرُ يَقُولُ: إِنِّي لَمْ أَشْعُرُ أَنَّ النَّحْرَ قَبْلَ الْحَلْقِ فَحَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَنْحَرَ فَيَقُولُ: "انْحَرِ وَلَا حَرَجَ" قَالَ: فَمَا سَمِعْتَهُ يُسْأَلُ يَوْمَئِذٍ عَنْ أَمْرٍ مِمَّا يَنْسَى الْمَرْءُ وَيَجْهَلُ مِنْ تَقْدِيمِ بَعْضِ الْأُمُورِ قَبْلَ بَعْضٍ وَأَشْبَاهِهَا إِلَّا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "افْعَلُوا ذَلِكَ وَلَا حَرَجَ". (١٠٦)

(١٠٥) - مسند أحمد ط الرسالة (١٦ / ٣٥٥) وأخرجه مسلم (١٣٣٧)،

(١٠٦) - مسند أحمد ط الرسالة (١١ / ٤٨٨) وأخرجه مسلم (١٣٠٦) (٣٣٢)، وابن الجارود في "المنتقى" (٤٨٨)،



﴿رمي الجمرات بحصى صغير: ومن رحمة النبي صلى الله عليه وسلم أنه رمى الجمرات بحصى مثل حصى الخذف عن جابر، قال: دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه السكينة، وأوضع في وادي مُحَسَّر، فأراهم مثل حصى الخذف، وأمرهم بالسكينة، وقال: «لَتَأْخُذَ أُمَّتِي مَنْسَكَهَا، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاهُمْ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا»^(١٠٧) وهو حصى صغير في حجم حبة الباقلا كما يقول الإمام النووي وهذا الحجم الصغير حتى لا يؤذي إنساناً بطريق الخطأ..

وكان - صلى الله عليه وسلم - أرحم الخلق بآله وأهل بيته، وأسهلهم وألينهم عريكة؛ ويتجلى ذلك في مواقف أكثر من أن تحصر؛ منها: • عن ابن أبي مليكة، قال: قالت عائشة: دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا بسرف وأنا أبكي، فقال: «مَا يُبْكِيكِ يَا عَائِشَةُ؟» فقالت: قلت: يرجع الناس بنسكين، ثم أرجع بنسك واحد قال: «وَلَمْ ذَاكَ؟» قلت: إني حضت قال: «ذَاكَ شَيْءٌ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ، اصْنَعِي مَا يَصْنَعُ الْحَاجُّ»

• عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت يا رسول الله يرجع أصحابك بأجر حج وعمرة ولم أزد على الحج فقال لها اذهبي وكيردك عبد الرحمن فأمر عبد الرحمن أن يعمرها من التعميم فانتظرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة حتى جاءت^(١٠٨)

﴿سقوط طواف الوداع عن الحائض والنفساء: فيجب على الحاج إذا فرغ من حجه أن يطوف طواف الوداع، ثم يرجع إلى أهله؛ لكن خفف عن الحائض والنفساء، فلا يجب عليهما البقاء في مكة حتى تطهرا ثم تودعا، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أُمِرَ النَّاسُ أَنْ يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهِمْ بِالْبَيْتِ، إِلَّا أَنَّهُ خُفِّفَ عَنِ الْحَائِضِ»؛^(١٠٩).

الإذن للضعفة أن يدفعوا من مزدلفة إلى منى قبل الناس؛ حتى لا يضايقهم الأقوياء أثناء دفعهم إلى منى، فقد كان عن ابن عمر: أَنَّهُ كَانَ يُقَدِّمُ ضَعْفَةَ أَهْلِهِ فَيَقِفُونَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ بَلِيلٍ فَيَذْكُرُونَ اللَّهَ مَا بَدَأَ لَهُمْ، ثُمَّ يَدْفَعُونَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِي مَنًى لِصَلَاةِ الصُّبْحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ وَأُولَئِكَ ضَعْفَةُ أَهْلِهِ. وَيَقُولُ: أَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي ذَلِكَ^(١١٠)

(١٠٧) - مسند أحمد ط الرسالة (٢٣ / ٢٠٥) وأخرجه ابن أبي عاصم في "الجهاد" (١١٣)، وأبو يعلى (٢٠٧٥)، والطبراني في

(١٠٨) - صحيح البخاري ط - أخرى (٧ / ٥١١)

(١٠٩) - رواه البخاري (١٧٥٥) ومسلم (١٣٢٨)

(١١٠) - رواه البخاري (١٦٧٦) ومسلم (١٢٩٥).

نشر الياسمين من أخلاق النبي مع العصاة والمخالفين^(١١)

الخطبة الأولى

الحمد لله لم يزل عليًا، ولم يزل في علاه سميًا، قطرة من بحر جوده تملأ الأرض ريًا، نظرة من عين رضاه تجعل الكافر وليًا، الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدًا حبشيًا والنار لمن عصاه ولو شريفًا قرشيًا، أنزل على نبيه ومصطفاه قولًا بهيًّا ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) [آل عمران/ ١٠٢]



﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) [النساء/ ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ (٦٩) [الأحزاب/ ٦٩-٧١]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد -صلى الله عليه وسلم- وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثاتها بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. اللهم لا تعذب جمعًا التقى فيك ولك ولا تعذب ألسنا نخبر عنك ولا تعذب قلوبًا تشتاق إلى لذة قربك ونصلي ونسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

جاءت له الدنيا فأعرض زاهدا... يبغي من الأخرى المكان الأرفعا
من ألبس الدنيا السعادة حلّة... فضفاضة لبس القميص مرقعا
وهو الذي لو شاء نالت كفه... كل الذي فوق البسيطة أجمعا
مسك به اختتم المهيمن رسله... وأبان أمر الدين والدنيا معا
نادى إلى الحسنى فلما أعرضوا... واستكبروا شرع الرماح فأسمعا
والحق ليس بمعتدٍ لكنه... إن دافعه يد الضلال تدفعا
بعض الأنعام إذا رأى نور الهدى... عرف الطريق ولم يضل المرجعا
ومن البرية معشر لا ينثني... عن غيّه حتى يخاف ويفرعا



إخوة الإسلام حديثنا اليوم مع خير الأنام صلى الله عليه وسلم لنقف على جانب مشرق من جوانب أخلاقه التي هي رحمة للعالمين لنقف مع جانب من جوانب عظمته صلى الله عليه وسلم وتعامله مع المذنبين والعصاة والمخالفين ليعلم الجميع إن الإسلام ليس دين تشدد أو تكفير للمجتمعات بل هو يحمل الرفق والرحمة للعصاة والمذنبين.... ولقد رأينا وشاهدنا أناسا يدعون العلم والإيمان ثم هم يكفرون العصاة ويقنطونهم من رحمة الله تعالى... فهذا في منهجهم هذا كافر وذلك مبتدع... وهذا فاسق.... فقنطوا الناس من رحمة الرحمن الرحيم ونفروهم من دين رب العالمين

❦ الأمل والرجاء:

إخوة الإسلام كان من أخلاق الرحمة فهو يرحم العصاة والمذنبين ويفتح لهم باب الأمل وباب الرجاء مهما ارتكب العبد من الذنوب والخطايا قرب البرايا يغفر الرزايا عَنْ أَبِي الطَّوِيلِ شَطْبِ الْمَمْدُودِ أَنَّهُ قَالَ: أَتَيْتُ أَنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا عَمِلَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا وَلَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَتْرُكْ حَاجَةً وَلَا دَاجَةً إِلَّا اقْتَطَعَهَا بِيَمِينِهِ فَهَلْ لِدَٰلِكَ مِنْ تَوْبَةٍ قَالَ: «هَلْ أَسَلَمْتَ؟» قُلْتُ: أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ. فَقَالَ: «نَعَمْ لِيَفْعَلِ الْخَيْرَاتِ وَيَتْرُكِ الشُّرُكَ، يَجْعَلُنَّ خَيْرَاتٍ كُلَّهُنَّ». (١١٢)

يقول الله تعالى ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]

❦ الرفق: إخوة الإسلام ومن صور أخلاقه صلى الله عليه وسلم الرفق بالعصاة والمذنبين وكان يعظهم ويبين لهم الحكمة التي شرعها الله في تحريم الحرام، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَأْذَنُ لِي فِي الرِّزْنِ؟ قَالَ: فَصَاحَ الْقَوْمُ بِهِ وَقَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَقْرُوهُ وَادْنُهُ " فَدَنَا حَتَّى كَانَ قَرِيبًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ " فَقَالَ: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَمَاتِهِمْ " قَالَ: " أَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ " قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ " قَالَ: " فَتُحِبُّهُ لِأَخِيكَ؟ " قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ " - ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي الْعَمَّةِ وَالْخَالَةِ كَذَلِكَ - قَالَ: فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، اذْعُ اللَّهُ لِي، قَالَ: فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يَدُهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: " اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ " قَالَ: فَكَانَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ بَعْدُ^(١١٣).

الستر: إخوة الإسلام ومن هديه مع العصاة أنه كان يحث على الستر وقد كثرت النصوص النبوية التي تحث على ستر المسلم، وتحذر من تتبع عوراتهم وزلاتهم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» رواه البخاري.^(١١٤)

قال ابن حجر عند شرح قوله - صلى الله عليه وسلم - : (مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا) : " أي: رآه على قبيح فلم يظهره، أي للناس، وليس في هذا ما يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه ".

وها هو إمام أهل الستر صلى الله عليه وسلم يدعوكم إلى الستر على العاصين ويجازكم الله تعالى بالستر ستر في الآخرة عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، كَشَفَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، حَتَّى يَفْضَحَهُ بِهَا فِي بَيْتِهِ» رواه ابن ماجه.^(١١٥)

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من علم من أخيه سيئة فسترها عليه ستر الله عليه يوم القيامة) رواه أحمد.

لما جاء هزأل رضي الله عنه ليشهد على ماعز بالزنا يغضب النبي صلى الله عليه وسلم ويعرف ذلك في وجهه الشريف ويعاتب هزال فعن يزيد بن نعيم عن أبيه: أن ماعزاً أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأقرَّ عنده أربع مراتٍ، فأمرَ برجمه، وقال لهزأل: "لو سَتَرْتُهُ بثوبك كان خيراً لك"^(١١٦)

هزأل بن رثاب بن زيد بن كليب الأسلمي. ويريد بقوله: ((لو سَتَرْتُهُ بردائك، لكان خيراً لك)) يريد: ممَّا أظهرته من إظهار أمره، وإخبار النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر به، فكان ستره بأن يأمره بالتوبة، وكتمان خطيئته، وإنما ذكر فيه الرِّداء على وجه المبالغة، بمعنى أنه لو لم تجد السبيل إلى ستره إلَّا بأن تَسْتُرَهُ بردائك ممَّن يشهد عليه، لكان أفضل ممَّا أتاه، وتسبَّب إلى إقامة الحدِّ عليه، والله أعلم وأحكم^(١١٧)

(١١٣) - مسند أحمد ط الرسالة (٣٦ / ٥٤٥) ((٢٢٢١١)) صحيح

(١١٤) - أخرجه البخاري ٢٤٤٢، ومسلم ٢٥٨٠

(١١٥) - سنن ابن ماجه (٢ / ٨٥٠) (٢٥٤٦) صحيح لغيره

(١١٦) - سنن أبي داود ت الأرئووط (٦ / ٤٣٠) صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن. وأخرجه النسائي في "الكبرى" (٧٢٣٤)

(١١٧) - ((المنتقى شرح الموطأ)) لأبي الوليد الباجي (١٣٥/٧).



وقال ابن الأثير: (ومنه حديث ماعز ((أَلَا سَتَرْتَهُ بِثوبِكَ يَا هَزَّال)) إنما قال ذلك حبًّا لإخفاء الفضيحة، وكرهيةً لإشاعتها)^(١١٨)

﴿إنه يحب الله ورسوله:﴾

و تأملوا عباد الله في قصة شارب الخمر، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يقول: (أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا. وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأَتَى بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنَّهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ! فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ". [صحيح البخاري].^(١١٩)

حِرْص عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ذكر صفة حسنة للصحابي الذي كان يشرب الخمر بكثرة. وهي أنه (يضحك الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فهو بهذا سبب في إدخال السرور على قلبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وهذا هو الأصل في إسلامنا، أن نحرس على ذكر محاسن الإنسان، والنظر للجانب المشرق منه، وجعله يطغى على الجانب المظلم حتى يمحوه، ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ ﴿هود: ١١٤﴾ وذلك على نقيض ما يفعله البعض في عصرنا، حيث تجدهم "يَنْقُبُونَ" بحثًا عن الجانب المعتم في الآخرين، وما إن يجدوه حتى يستغلوه كوسيلة، تَجُبُّ ما قبلها وتمحو ما بعدها من الخير!

﴿مع أصحاب الصغائر:﴾ إذا كان هذا حاله صلى الله عليه وسلم مع أصحاب الكبار، وهذا هدي النبي مع العصاة والمذنبين، فلا شك أنه كان أشد تسامحًا ورحمة ورأفة مع أصحاب الصغائر عن أنس؛ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمَّهُ عَلَيَّ وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْهُ وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمَّ فِيَّ كِتَابَ اللَّهِ قَالَ: أَلَيْسَ قَدْ شَهِدْتَ الصَّلَاةَ مَعَنَا قَالَ: بَلَى قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ^(١٢٠)

فانظر لم يسأله النبي صلى الله عليه وسلم عن طبيعة الذنب وتفصيله، بل انتقل من الذنب إلى العلاج، دون أن يقف مع طبيعة الذنب منعًا لإحراجهم، وسترا عليه.

﴿وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكره أن تُرفع إليه الحدود:﴾

(١١٨) - ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (٣٤١/٢).

(١١٩) - صحيح البخاري (١٥٩ / ٨) (٦٧٨٠).

(١٢٠) - أخرجه البخاري في: ٨٦ كتاب الحدود: ٢٧ باب إذا أقر بالحد ولم يبين هل للإمام أن يستتر عليه

و كان الرؤوف الرحيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكره أن ترفع إليه الحدود وذلك لأن الحد إذا رفع إليه فلا بد من إقامته، عَنْ شُعْبَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى الْجَابِرَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا مَاجِدَةَ، يَقُولُ: كُنْتُ قَاعِدًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَذْكُرُ أَوَّلَ رَجُلٍ قَطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِسَارِقٍ فَأَمَرَ بِقَطْعِهِ فَكَأَنَّمَا أَسِيفَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّكَ كَرِهْتَ قَطْعَهُ، قَالَ: «وَمَا يَمْنَعُنِي، لَا تَكُونُوا أَعْوَانًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْإِمَامِ إِذَا انْتَهَى إِلَيْهِ حَدٌّ إِلَّا أَنْ يُقِيمَهُ، إِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ يُحِبُّ الْعَفْوَ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (١٢١)

رفقه وحلمه مع الجاهل: معاشر الأحاباب: قد كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم أنه يعفو عن الإساءة، ويغفر الزلة، ويتحمل جفاء الجفافة عن ابن مالك، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَذْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ مِنْ خَلْفِهِ جَبَذَةً حَتَّى رَأَيْتُ صَفْحَةَ عُنُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَثَرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبَذَتِهِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَعْطِنِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ " رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٢٢)

فتأملوا حال هذا الأعرابي مع النبي صلى الله عليه وسلم لم يكتفِ بتنبهه بالكلام؛ بل جذب بردائه جبذة شديدة، أثرت في صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم ثم ناداه باسمه كما ينادي بعض أولاده، وقد أمر الله أن يشرف ويعظم ويدعى باسم النبوة والرسالة، وهو مع ذلك كله لم يتلطف في طلب مسألته؛ بل قال: يا محمد، مُر لي من مال الله الذي عندك، فلسان حاله: الفضل والمنة لله لا لك، ومع ذلك الجفاء في القول والفعل يضحك النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه، ويأمر له بالعطاء، فهذه صورة من صور: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَاعِدًا فِي الْمَسْجِدِ وَأَصْحَابُهُ مَعَهُ، إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ. فَقَالَ أَصْحَابُهُ: مَهْ مَهْ. فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأَصْحَابِهِ: "لَا تُزْرِمُوهُ، دَعُوهُ"، ثُمَّ دَعَاهُ، فَقَالَ: "إِنَّ هَذَا الْمَسْجِدَ لَا يَصْلَحُ لِشَيْءٍ مِنَ الْقَدَرِ وَالْبَوْلِ - أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : إِنَّمَا هُوَ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَذِكْرِ اللَّهِ، (١٢٣)

(١٢١) - مسند أحمد مخرجا (٨٤ / ٧) (٣٩٧٧) حسن لغيره

(١٢٢) - (رواه البخاري: ٦٠٨٨، ومسلم: ١٠٥٧).

(١٢٣) - أخرجه أحمد ١٩١/٣، ومسلم (٢٨٥)



قوله صَلَّى الله عليه وسلّم: "دعوه ولا تذرموه" فيها وجوب الرفق بالجاهل في التعليم، فالنبي صَلَّى الله عليه وسلّم أمر أصحابه أن يتركوه ونهاهم أن يقطعوا عليه بوله لجهل هذا الأعرابي حيث إنه لم يفعل ذلك استخفافاً وعناداً وهكذا يجب أن يكون المنكر مع الجاهل ولو عَظُمَ ذنبه ما دام جاهلاً فليس بقعة أعظم من بيوت الله وليس أقبح من البول فيها ومع ذلك رفق النبي صَلَّى الله عليه وسلّم بذلك الأعرابي لجهله وأخبره ما الذي يصلح في هذه المساجد من ذكر وصلاة وقرآن وما لا يصلح فيها.

الخطبة الثانية

رفقه صلى الله عليه وسلم بغير المسلمين:

وكان في أخلاقه مع من خالفه من غير المسلمين آية في الرحمة والحلم والصفح عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: السَّأْمُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَالَ: "وَعَلَيْكُمْ"، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّأْمُ، وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَهْ يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ"، فَقَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ مَا قَالُوا؟ إِنَّمَا قَالُوا: السَّأْمُ عَلَيْكَ، قَالَ: "قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ". (١٢٤)

فردَّ النبي صلى الله عليه وسلم إساءاتهم، ودعا عليهم بالموت، من باب رد الاعتداء بالمثل، من غير خروج عن حد الاعتدال، فملك نفسه، وصان لسانه عن السب والشتم لهؤلاء المعتدين. فملك النبي صلى الله عليه وسلم بذلك شغافَ قلوب أعدائه؛ بحسن خلقه، ولطيف معاملته، حتى دعاهم هذا الخلق العظيم إلى قبول الحق، والدخول في الإسلام، أو كف الشر عن المسلمين في كثير من الأحيان، وهذه مقاصدٌ عظيمةٌ للشارع؛

وصيته صلى الله عليه وسلم – بالأسرى خيراً:

وها هو الرحمة المهداة صلى الله عليه وسلم – يوصي الأسرى خيراً وها هو أبو عزيز شقيق مصعب بن عمير يحكي ما حدث يقول: "كنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خَصَّوْنِي بالخبز، وأكلوا التمر لوصية رسول الله إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها؛ فأستحي فأردّها فيردّها عليّ ما يمسّها!

قال ابن هشام: وكان أبو عزيز هذا صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث (١٢٥)

(١٢٤) – أخرجه أحمد ٣٧/٦، والبخاري (٦٠٢٤) في الأدب: باب الرفق في الأمر كله،

(١٢٥) -- [ابن كثير (السيرة النبوية [٤٧٥/٢])]

فعن الحسن أنه صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول أحسن إليه فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه وقال قتادة كان أسيرهم يومئذ المشرك وأخوك المسلم أحق أن تطعمه (١٢٦)

الدعاء.....

تقو الله تعالى وعلاقتها بالطلاق (١٢٧)

الخطبة الأولى

الحمد لله الحي الباقي، الذي أضاء نوره الآفاق... وورزق المؤمنين حسن الأخلاق، وتجلت رحمته بهم إذا بلغت أرواحهم التراق... نحمده تبارك وتعالى، ونستعينه على الصعاب والمشاق... ونعوذ بنور وجهه الكريم من ظلمات الشك والشك والشفاق... ونسأله السلامة من النفاق وسوء الأخلاق... وأشهد أن لا إله إلا الله القوي الرزاق، الحكم العدل يوم التلاق... خلق الخلق فهم في ملكه أسرى مشدودو الوثاق... أنذر الكافرين بصيحة واحدة ما لها من فوق...

وبشّر الطائعين بسلام الملائكة عليهم إذا التفت الساق بالساق... أرسل الرسل، وأنزل الكتب؛ ليعلم الناس أن إليه يومئذ المساق...

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المتمم لمكارم الأخلاق... لم يكن لعائناً ولا سبأً ولا صحاباً في الأسواق... خير من صلى وصام ولبى وركب البراق... وأول الساجدين تحت العرش يوم يكشف عن ساق... جاهد في سبيل الله منصوراً معصوماً من الإخفاق... وترك فينا ما إن تمسكنا به علمنا أن ما عندنا ينفد وما عند الله باق... اللهم صل وسلم وبارك عليه ما تعقب العشي الإشراق... وما دام القمر متنقلاً في منازل من التمام إلى الحاق...

إخوة الإسلام إن المتأمل في القرآن الكريم يجد أن الله تعالى ربط بين الطلاق والتقوى في كثير من الآيات **دور الشيطان في إيقاع الطلاق وفرحه به:** عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنَزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدَهُمْ، فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: وَيَجِيءُ أَحَدَهُمْ، فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ

(١٢٦) -- (تفسير الألوسي (٧ / ٢٢)

١٢٧ - موقع الألوكة وصيد الفوائد



بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِهِ، قَالَ: فَيَذْنِيهِ مِنْهُ - أَوْ قَالَ: فَيَلْتَزِمُهُ - وَيَقُولُ: نَعَمْ أَنْتَ أَنْتَ "، قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ مَرَّةً:
فَيَذْنِيهِ مِنْهُ ١٢٨

وفي هذا الحديث بيان تمكن إبليس من بلوغ مقصوده من إغواء بني آدم، كما أخبر الله عز وجل عنه ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢]، فيضع عرشه على البحر، ثم يبعث بعوثة منه إلى أطراف الأرض، فلا ينجو منه إلا من قال الله سبحانه وتعالى فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ (٦٥) [الإسراء: ٦٥].

وفي ذلك أيها الأحباب بيان تعظيم أمر الطلاق، وكثرة ضرره، وعظيم الإثم في السعي فيه؛ لما فيه من قَطْع ما أمر الله به أن يوصل، قال الأبي: من سعى في فراق امرأة من زوجها؛ ليتزوجها، هل يمكن من زواجها، إذا ثبت أنه سعى في ذلك؟ فأفتى بعض أصحابنا بأنه لا يمكن من زواجها، قال: وهو الصواب؛ لما فيه من تقرير الفساد، قال: والأظهر إذا وقع أن يكون الفساد في انعقاده، فيفسخ قبل العقد وبعده. انتهى بتصرف.

تعريف التقوى وعلاقتها بأحكام الطلاق:

وقد يقول قائل ما هو علاقة التقوى بالطلاق؟

إخوة الإسلام إن المسلم إذا وقف على معنى التقوى رأى بوضوح العلاقة القوية بين وبين أحكام الطلاق إذ أن التقوى هي

الخوف من الجليل، والعمل بالتزليل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل وهي كما قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: ليس تقوى الله بصيام النهار ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله فمن رزق بعد ذلك خيرا فهو خير إلى خيرا.

إذن هي تشمل على الخوف والخشية الذي يجعل المسلم يأتمر بأمر الله وينتهي عنه نهيهِ ويقف عند حدوده ولا يتعداها فإذا حقق المسلم والمسلم ذلك فإن ذلك سيكون سببا من أسباب الحب والألفة والعدل حتى عن الفراق والطلاق فلا ظلم ولا جور ولا ضرر ولا ضرار

الوصايا الربانية المتعلقة بالطلاق

أيها الأحباب نقف الآن مع الوصايا الربانية التي تربط بين التقوى والطلاق

﴿الوصية الأولى الأمر بالإصلاح بين الزوجين وأنه يجب على الزوجين أن يحسنوا ويتقوا الله تعالى ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إغراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير﴾ وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ النساء ١٢٨

في هذه الآية الكريمة يؤكد الله سبحانه على حسن معاملة الزوج لزوجته ويحثه على عدم النشوز والإعراض عنها كما يحث الزوج على تقوى الله في زوجته مهما كانت هناك أسباب لذلك وعدم التقصير في حقها الذي شرعه الله لها في العيش الكريم والمعاملة الحسنة الطيبة والله سبحانه عليم خبير بمعاملته لزوجته وكذلك معاملة الزوجة لزوجها ولذلك أمرهما بالإصلاح والصلح الذي هو خير من الشقاق والنشوز والفرق الذي يهدم كيان الأسرة التي هي لبنة بناء المجتمع الإسلامي الصالح. فعلى الرجال والنساء الإحسان في معاملة كل منهما للآخر، وأن يتقوا الله وقيموا حدوده كما أمر، وأن يخافوا يوماً يعرضون فيه على الله فيخبرهم بأعمالهم ويجازيهم كل حسب عمله.

﴿الوصية الثانية وأمر الله سبحانه الرجل بالعدل بين الزوجات وألا يميل إلى واحدة ويترك الأخرى أو الأخريات و﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ النساء ١٢٩

. أي مهما حرصتم على العدل فإنكم لا تستطيعون أن تعدلوا بينهن في الميل أو الحب القلبي لأنه لا سلطان لكم عليه.. وبالتالي لو مال قلب الرجل إلى زوجة أكثر من أخرى فلا يؤاخذ عليه.. وإنما يؤاخذ كل المؤاخذة.. إن توسع في الميل والحب للفاضلة على حساب حقوق المفضولة.. فيحمله حبه للفاضلة على هجر المفضولة فيجعلها كالمعلقة؛ لا هي زوجة يُعاشرها معاشررة الأزواج.. يعرف لها حقوقها.. ولا هي مطلقة عسى الله أن يُغنيها من فضله، فهذا لا يجوز، لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ النساء: ١٢٩.

﴿الوصية الثالثة أن الرجل إذا أراد أن يطلق زوجته أوصاه الله تعالى بأن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه

معنى ذلك أن الرجل إذا وجد أن العيش مع زوجته قد استحال وأراد أن يطلقها فليتنق الله وليتظر حتى تحيض ثم تطهر ثم يطلقها والحكمة من ذلك أيها الإخوة حتى لا يشق على المرأة وتطول عدتها قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمراً * فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ



فَارْقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿١﴾ الطلاق ١ - ٢

يا أيها النبي إذا أردتم- أنت والمؤمنون- أن تطلقوا نساءكم فطلقوهن مستقبليات لعدتن -أي في طهر لم يقع فيه جماع، أو في حَمْل ظاهر- واحفظوا العدة؛ لتعلموا وقت الرجعة إن أردتم أن تراجعوهن، وخافوا الله ربكم. لا تخرجوا المطلقات من البيوت التي يسكنن فيها إلى أن تنقضي عدتن، وهي ثلاث حيضات لغير الصغيرة والأيسة والحامل، ولا يجوز لهن الخروج منها بأنفسهن، إلا إذا فعلن فعلة منكرة ظاهرة كالزنى.

وتلك أحكام الله التي شرعها لعباده، ومن يتجاوز أحكام الله فقد ظلم نفسه، وأوردها مورد الهلاك. لا تدري- أيها المطلقة -: لعل الله يحدث بعد ذلك الطلاق أمراً لا تتوقعه فتراجعها. فإذا قاربت المطلقات نهاية عدتن فراجعوهن مع حسن المعاشرة، والإنفاق عليهن، أو فارقوهن مع إيفاء حقهن، دون المضاربة لهن، وأشهدوا على الرجعة أو المفارقة رجلين عدلين منكم، وأدوا- أيها الشهود- الشهادة خالصة لله لا لشيء آخر، ذلك الذي أمركم الله به يوعظ به مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر. ومن يخف الله فيعمل بما أمره به، ويجتنب ما نهاه عنه، يجعل له مخرجاً من كل ضيق.

﴿الوصية الرابعة: أن الرجل اذا طلق زوجته طلاقاً رجعيّاً أمره الله تعالى اذا اقتربت العدة من الانتهاء أن يراجع زوجته أو أن يفارقها دون إضرار بها﴾ ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغُنَّ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ البقرة ٢٣١

﴿الوصية الخامسة: أوجب الله تعالى للمطلقة قبل الدخول بها نصف المهر وحثهم على العفو وأمرهم بعدم نسيان الفضل الذي كان بينهم وان ذلك اقرب الى تقواه جل في علاه﴾ ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ البقرة ٢٣٧

وإن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ بعد العقد عليهن، ولم تجامعهن، ولكنكم ألزمت أنفسكم بمهر محدد لهن، فيجب عليكم أن تعطوهن نصف المهر المتفق عليه، إلا أن تُسامح المطلقات، فيترك نصف المهر المستحق لهن، أو يسمح الزوج بأن يترك للمطلقة المهر كله، وتسامحكم أيها الرجال والنساء أقرب إلى خشية الله وطاعته.

ولا تنسوا -أيها الناس- الفضل والإحسان بينكم، وهو إعطاء ما ليس بواجب عليكم، والتسامح في الحقوق. إن الله بما تعملون بصير، يُرغبكم في المعروف، ويحثكم على الفضل.

﴿الوصية السادسة إن طلقها بعد الدخول بما أمره سبحانه أن يتمتعها:﴾

أوصاه الله تعالى إذا طلق زوجته أن يتمتعها بما يناسب حاله من الغنى والفقر فإن طلقها قبل الدخول وقبل أن يسمى لها مهراً أن يتمتعها متاعاً حسناً يناسب حاله جبراً لخاطرها وإن طلقها قبل أن يدخل بها وقد سمي لها مهر فجعل متعتها نصف المهر وأمرنا بتقواه جل في علاه وأخبر الله تعالى أن ذلك حقا على

المتقين ﴿وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ البقرة ٢٤١

وللمطلقات متاع من كسوة ونفقة على الوجه المعروف المستحسن شرعاً.

حقاً على الذين يخافون الله ويتقونه في أمره ونهيه.

(أي لكل مطلقة متاع بالمعروف حقاً على كل متقٍ جبراً لخاطرها، وأداءً لبعض حقوقها)

والمتعة أيها الأحباب هي: ما يعطيه الزوج ولو عبداً لزوجته المطلقة زيادة على الصداق لجبر خاطرها على قدر حاله^{١٢٩}، كما عرفها النووي من الشافعية بقوله: "المتعة اسم للمال الذي يدفعه الرجل لامرأته بمفارقتها إياها"^{١٣٠}

قال تعالى: "يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعنن وأسرحنن سراحاً جميلاً"

فأله -سبحانه وتعالى- طلب في هذه الآية من نبيه -صلى الله عليه وسلم- أن يخير نساءه بين البقاء معه أو مفارقتها، كما بين أن التي تفارقه لها المتعة "فتعالين أمتعنن"، يقول الشوكاني أمتعنن "أي أعطيكن المتعة"^{١٣١}

قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وأسرحوهن سراحاً جميلاً" سورة الأحزاب، آية (٤٩)

عن أبي أسيد -رضي الله عنه- قال: ثم خرجنا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- حتى انطلقنا إلى حائط يقال له الشوط حتى انتهينا إلى حائطين فجلسنا بينهما، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: اجلسوا هاهنا. ودخل وقد أتى بالجنونية فأنزلت في بيت في نخل في بيت أميمة بنت النعمان بن شراحيل

^{١٢٩} -الشرح الكبير، أبو البركات أحمد الدردير، دار الفكر (٢/ ٤٢٥).

^{١٣٠} -روضة الطالبين، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي، المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٥ هـ، الطبعة الثانية (٧/

٣٢١)

^{١٣١} - الشوكاني، فتح القدير (٤/ ٣١٦).



ومعها دايته حاضنة لها، فلما دخل عليها النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: هي نفسك لي. قالت: وهل تهب الملكة نفسها للسوقة. قال: فأهوى بيده يضع يده عليها لتسكن. فقالت: أعود بالله منك. فقال: قد عدت بمعاذ. ثم خرج علينا فقال: يا أبا أسيد اكسها رازقيين^{١٣٢} وألحقها بأهلها^{١٣٣}.

فالنبي - صلى الله عليه وسلم - لما طلق زوجته متّعها بثوبين رازقيين، ولو لم تكن المتعة مشروعة لما فعلها النبي - صلى الله عليه وسلم -، فدلّ فعله - صلى الله عليه وسلم - على مشروعية المتعة للمطلقات.

أنّ الحسن بن علي رضي الله عنهما متع امرأة عشرين ألفاً وزقين من غسل فقالت المرأة متاع قليل من حبيب مفارق^{١٣٤}

أنّ عبد الرحمن بن عوف متع امرأته التي طلق جارية^{١٣٥}.

أخي المسلم: اعلم بارك الله فيك: أنّ المتعة واجبة لكل المطلقات، سواء المفروض لها أو التي لم يفرض لها، وسواء دخل بها أو لم يدخل بها وهذا هو الراي الراجح من أقوال العلماء.

واعلموا أن المتعة تكون حسب حال الأزواج يسراً وعسراً، ولا ينظر إلى حال الزوجة لأنّ الخطاب القرآني موجه للأزواج، وحال الناس يختلف من شخص لآخر، لذا فإنّ الأمر متروك للاجتهاد، ويترك أمر تحديده للحاكم المسلم.

الوصية السابعة: أمر الله تعالى النساء بالعدة وأمرهن ألا يستهترن بها وحثهن على تقوى الله تعالى.

﴿وَاللَّائِي يَئْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نَسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (الطلاق ٤)

والنساء المطلقات اللائي انقطع عنهنّ دم الحيض؛ لكبر سنهنّ، إن شككنم فلم تدروا ما الحكم فيهنّ؟ فعِدَّتُنَّ ثلاثة أشهر، والصغيرات اللائي لم يحضن، فعِدَّتُنَّ ثلاثة أشهر كذلك. وذوات الحمل من النساء عدتُنَّ أن يضعن حملهن. ومن يخف الله، فينفذ أحكامه، يجعل له من أمره يسراً في الدنيا والآخرة.

^{١٣٢} - رازقيين: الرازية ثياب من كتان بيض طوال، وقال البعض: هي ثياب يكون في داخلها زرقعة. انظر: ابن حجر، أحمد

بن علي العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٩/ ٢٧٢)، دار الريان للتراث، الطبعة الثانية ١٩٨٨م.

^{١٣٣} - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق، باب من طلق وهل يواجه الرجل امرأته بالطلاق (٥/ ٢٠١٢)، دار ابن كثير، الطبعة الثالثة ١٩٨٧م.

^{١٣٤} - أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الصداق، باب التفويض (٧/ ٢٤٤)، مكتبة دار الباز ١٩٩٤م.

^{١٣٥} - أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الطلاق، باب ما قالوا في المتعة ما هي (٤/ ١٤١)، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى

ذلك الذي ذُكر من أمر الطلاق والعدة أمر الله الذي أنزله إليكم - أيها الناس -؛ لتعملوا به. ومن يخَفِ الله فيتقه باجتناب معاصيه، وأداء فرائضه، يمح عنه ذنوبه، ويجزل له الثواب في الآخرة، ويدخله الجنة. عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : «كَانَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقْسِمُ فَيَعْدِلُ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ هَذَا قَسَمِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا تُلْمِنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ» يَعْنِي الْقَلْبَ. ١٣٦

التقوى هي غاية الغايات (١٣٧)

الخطبة الأولى

الحمد لله المنعم على عباده بدينه القويم وشريعته، وهداهم لا تبايع سيد المرسلين والتمسك بسنته، وأسبغ عليهم من واسع فضله وعظيم رحمته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له دعوة الحق يُخرج الحي من الميت، ويُخرج الميت من الحي، يُسبِّح له الليل إذا عسعسَ والصبح إذا تنفسَ، وأشهد أن محمداً عبداً لله ورسوله سيد المرسلين، وقائد العرَّ المحجَّلين، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حقَّ جهاده، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وعلى أصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وسلّم تسليماً كثيراً. أما بعد، فيا أيها الناس: اتقوا الله حقَّ التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، واعلموا أن أحسن الحديث كلامُ الله، وخير الهدي هدي محمدٍ - صلى الله عليه وسلم -، وشرُّ الأمور مُحدثاتها، وكلُّ مُحدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة.

أما بعد: فيا معاشر الموحدين حياكم الله وبياكم ودمتم بخير وعافية حديثنا اليوم عن الغاية التي من أجلها فرض الله تعالى الفرائض وشرع الشرائع وبيان المقصد الاسمي من العبادات وأفعال الخير إن المتأمل عباد الله في كتاب الله العزيز يجد أن الغاية من الفرائض والعبادات إنما هو الوصول إلى الغاية المنشودة والدرجة المفقودة ألا وهي تقوى الله جل جلاله.....

ابن يدي التقوى:

١٣٦ - رواه الترمذي (١١٤٠)، وأبو داود (٢١٣٤)، والنسائي ٧/ ٦٤، وابن ماجه (١٩٧١)، وصحح إسناده الألباني في

مشكاة المصابيح (٣٢٣٥)

١٣٧ - موقع صيد الفوائد و زاد الداعية و الخطيب



إن التقوى قد عرفها العلماء بتعريفات كثيرة نذكر منها تعريف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الله عنه
سئل الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن التقوى التي هي ثمرة الصيام فقال: "هي الخوف من
الجليل، والعمل بالتزليل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل".
وقال الإمام الغزالي: "التقوى كثر عظيم، فإن ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر، ورزق كريم، وملك
عظيم، لأن خيرات الدنيا والآخرة جُمعت فيها".
وقال داود بن نصر الطائي: "ما خرج عبد من ذل المعاصي إلى عز التقوى: إلا أغناه الله بلا مال، وأعزه
بلا عشيرة، وآنسه بلا جليس".

الغاية من إرسال الرسل تقوى:

واعلموا عباد الله: أن التقوى هي الغاية من إرسال الرسل نلمس ذلك جلياً في سورة الشعراء، فضلاً
عن أمثلة في سور: البقرة، والأعراف، والمؤمنون.
قال الله سبحانه وتعالى: "وَالْيَ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا
تَتَّقُونَ" . (البقرة: ٢١).
وقال سبحانه وتعالى: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا
تَتَّقُونَ" . (الأعراف: ٦٥).
وقال سبحانه وتعالى: "إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ" . (المؤمنون: ٢٣).

الغاية من إنزال الكتب تقوى:

واعلموا عباد الله إن الغاية من إنزال الكتب هي الوصول إلى التقوى فالقرآن الكريم كتاب هداية يأخذ
بأيدي الحيارى والسكارى إلى رب الباري ويوصلهم إلى الغاية العظمى قال الله جل جلاله ﴿الم (١)
ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١، ٢]
والله سبحانه وتعالى قال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي أن هذا القرآن هدى للجميع.... فالذي يريد أن
يتقي عذاب الله وغضبه يجد فيه الطريق الذي يحدد له هذه الغاية.. فالهدى من الحق تبارك وتعالى للناس
جميعاً. ثم خص من آمن به بهدى آخر، وهو أن يعينه على الطاعة.

العبادات الغاية منها التقوى:

و علموا أيها الأحباب: أن الغاية من العبادات تحصيل تقوى الله تعالى قال جل جلاله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ
اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة ٢١)
"تتقون" من "الوقاية" أن تجعلوا بينكم وبين النار وقاية، وتجعلوا بينكم وبين العذاب وقاية، فالمعنى أن
تعبدوا الله تعالى حتى تتقوا النار وتتقوا العذاب، ليس هذا فحسب ولكن تتقوا كل مضار الحياة

أو تعبدوا الله، لَعَلَّكُمْ تَصِيرُونَ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ الْمُخْتَارَةِ مِنْ صُورِ الْبَشَرِيَّةِ، وَهِيَ صُورَةُ الْعَابِدِينَ لِلَّهِ، الْمُتَّقِينَ لِلَّهِ

﴿الصلاة وتقوى الله تعالى:﴾

فالصلاة من أهم ثمراتها أنها تنهيه عن فعل المحظورات وتأميره بالفعل المأمورات قال الله تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله تعالى عنهما في الصَّلَاةِ مُنْتَهَى وَمُزْدَجَّرٌ عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ تَعَالَى فَمَنْ لَمْ تَأْمُرْ صَلَاتُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَمْ تَنْهَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ لَمْ يَزِدْ بِصَلَاتِهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بُعْدًا. وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ فَصَلَاتُهُ وَبَالٌ عَلَيْهِ.

﴿تحقيق تقوى الله بالزكاة:﴾

الزكاة عبادة مالية يتقرب بها العبد لربه عز وجل، حيث إنها تزكي النفس، وتطهرها من البخل، والشح، وتزكي المال بالزيادة والبركة، وتضاعف لهم الأجر، والثواب. ويتجلى معنى التقوى في الزكاة حينما ينفق الإنسان من أغلى ما يحب بصدق، وإخلاص حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه يريد بذلك وجه الله -تعالى- والحصول على مرضاته، ولعل السر في ذلك أنه ينفق ماله ليحصل على التقوى، فهو يزكي ماله، لأنه يعلم أن في هذا المال حق لغيره، وليست منة يمنها على الفقراء والمحتاجين، بل هو واجب عليه، وحق لغيره وبذلك يتبين لنا أن الزكاة تحقق التقوى، وخاصة في هذا العصر، وقد انتشرت المعاصي، وكثرت الآثام بسبب ضعف وازع التقوى، فبالزكاة نصل إلى التقوى.

يقول ربنا سبحانه مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (التوبة: من الآية ١٠٣)، إنها ليست ضريبة تجبى إلى خزانة الدولة ولا إتاوة تنتزع من الإنسان عنوة وهو كاره، وليست إحساناً يلقيه الغني إلى الفقير، ولكنها عبادة يؤديها الغني وهو يستشعر حاجته إلى إخراجها كحاجة المريض إلى الدواء. إنها لا تداوي البدن ولكنها تداوي النفس وتهدب البخل وتقلّم أظافر الشح وتزكي في النفس بواعث العطاء والبذل والتضحية وتملأ القلب بالخشية أن يكون مصيره مصير هؤلاء الذين يشقون بأموالهم ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (٣٥) ﴿(التوبة). وهذه الخشية التي تملأ القلب هي أساس التقوى التي.

﴿صيام رمضان وتحصيل التقوى:﴾



وكتب الله تعالى علينا الصيام لغاية عظمى وهي التقوى قال الله جل جلاله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]،

هذا تعليل لكتابة الصيام ببيان فائدته الكبرى وحكمته العليا، وهو أنه يعد نفس الصائم لتقوى الله تعالى بترك شهواته الطبيعية المباحة الميسورة امتثالاً لأمره واحتساباً للأجر عنده، فتتربى بذلك إرادته على ملكة ترك الشهوات المحرمة والصبر عنها فيكون اجتناباً أيسر عليه، وتقوى على النهوض بالطاعات والمصالح والاصطبار عليها فيكون الثبات عليها أهون عليه، ولذلك قال - صلى الله عليه وسلم -: ((الصيام نصف الصبر)) رواه ابن ماجه وصححه في الجامع الصغير.

فالصيام عبادة تقويّ الوازع الإيمانيّ وتعزّزه لدى المسلم؛ فتمنعه من الوقوع في المحرمات، أو التماذي فيها، وتشكّل له حاجز وقايةٍ يحميه من تتبّع الآثام والشُرور؛ فالتقوى التي يحقّقها الصيام تحمل النفس على الالتزام بما أمر به الله -تعالى-، واجتناب ما نهى عنه، فتحميها من ارتكاب ما يؤدّي بها إلى الهلاك والخسران، وتجنبها التعرّض لسخط الله، وعذابه في الآخرة،

﴿في الحج والعمرة وتحصيل تقوى الله:﴾

إحوة الإسلام الحج عبادة من اجل العبادات التي ربطها الله تعالى بالتقوى ولنقف مع بعض المواضع والآيات التي وردَ فيها الأمر بالتقوى أو الحثّ عليها أو الإشارة إليها: ففي آية الأمر بإتمام الحج والعمرة ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ ختم الله الآية بقوله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وفي الآية التي بعدها ﴿الْحَجَّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ﴾ ختمت الآية بقوله سبحانه ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ وأكد ذلك بقوله ﴿وَاتَّقُونَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، ثم ختم آيات الحج في سورة البقرة بقوله: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِنَّمْ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣].. فتأمل تكرار التقوى في كل آية. وفي المائة ختم أحكام الصيد بقوله: ﴿وَحَرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المائدة: ٩٦]، وافتتح سورة الحج بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، ولما بدأ بالحديث عن الحج تكرر ذكر التقوى ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٧].

وعند التأمل في آيات الحج ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وهذه أعمال ظاهرة بيّنة؛ نجده ختمها بقوله ﴿وَاتَّقُونَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وسبقها ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾، ما يؤكد أنه دون التقوى لن يسلم الحاج من الجدل والرفث

والفسوق، بل إن الآية التي ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ تبين حكم من اضطر إلى الإخلال بهذا الإتمام كالإحصار، وحلق الرأس بسبب الأذى وهو محرم، حيث بين جزاء ذلك من الهدى والفدية، والبديل لذلك، وحيث إن هذه الأعمال الظاهرة لا يمكن تحقيق أدائها إلا إذا كان صاحبها مراقباً لله في سره وعلايته، وختم الآية بالأمر بالتقوى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، ثم هدد من لم يراع جانب التقوى بقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

بل إن التعجل في الحج والتأجل عمل ظاهر، ومع ذلك قيد ذلك بقوله ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾، ثم أمر بالتقوى في ختام هذه الآية ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣]. ونجد أن نحر الهدى عمل ظاهر بارز، ومع ذلك جعل مدار قبول الدماء على تحقق التقوى ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٧]

العلاقة بين البر والتقوى: وها هو سبحانه يذكر لنا صفات أهل البر وأنهم يحققون الإيمان بالله وملائكته وكاليوم الآخر ويتصدقون على الفقراء والمساكين ويطعمون الزكاة ويصبرون على البأساء والضراء ثم بين أن هؤلاء هم الصادقون المتقون قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]. لقد بدأت الآية الكريمة بالحديث عن حقيقة البر، ثم ذيلت بالحديث عن التقوى، وذلك لبيان أنه لن يقوم أحد بفعل أعمال البر الجليلة حتى يتحقق قبل ذلك بمرتبة التقوى، وهي شرط رئيس للبر، ومرحلة سابقة له ومتقدمة عليه. فمن لم يتق الله تعالى في عمله بفعل ما أمر الله عز وجل به وترك ما نهى عنه، لن يقبل الله جل ذكره منه الأعمال الزائدة على الواجب من أعمال البر؛ فالمرتبة الدنيا شرط للارتقاء إلى المرتبة العليا. وبياناً لذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩]. ومعنى الآية الكريمة أن إتيان الحرم بالحج أو العمرة البيوت من ظهورها ليس من البر أصلاً، فهي بدعة لا أساس لها في الدين، وزيادة على الواجب غير مشروعة. ثم بين تقدست أسمائه أن البر المقبول عنده، والذي يكون بفعل خيرات وعبادات زائدات على الواجب، هو البر الذي يكون من المتقي؛ فمن كان متحققاً بمرتبة التقوى في العمل قبلت منه زوائد العبادات



والطاعات المشروعة: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، واعتبرت له في صحيفة أعمال البر، وهذا ما يفهم من قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَآتَى﴾ [البقرة: ١٨٩].
أي: ولكن البر المقبول عند الله تعالى هو بر من اتقى.

وعندما يأتي ذكر البر والتقوى في سياق واحد، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]، فمن العلماء من فسر البر في الآية الكريمة بالأمر، والتقوى بالنهي.

ومنهم من قال: البر: فعل الخيرات، والتقوى: ترك المنكرات. ومنهم من تأول التقوى برضا الله تعالى، والبر برضا الناس.

وللتأكيد على أهمية التقوى كقاعدة لبناء الأعمال التي تثمر بعد ذلك ثمرات البر، ذيلت الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، أي: لن يتحقق لكم البر إلا بعد التحقق بمرتبة التقوى في نوع العمل. على أن البر في الحقيقة درجة أعلى من التقوى؛ فهو التوسع في أعمال الخير فوق الواجبات حتى بدايات مرتبة الإحسان. فنوافل الصلاة فوق أداء الصلوات المفروضة هي من مرتبة البر، وبذل الصدقات فوق أداء الزكاة الواجبة هي من مرتبة البر. ولفضل مرتبة البر على التقوى جاء في الكتاب العزيز تقديم البر على التقوى.

وفي هذا السياق قال ابن القيم: «البر والتقوى كلاهما يتضمن أجزاء من الإيمان وأركاناً من الإسلام. لكن ما يخص منها القلب يسمى بالتقوى، وما يخص الجوارح يسمى البر؛ فالتقوى بر القلب، والبر تقوى الجوارح... وشأن البر والتقوى كشأن الإيمان والإسلام، كل منها يدخل في مسمى الآخر إما تضمناً أو لزوماً، وكون أحدهما لا يدخل في الآخر عند الاقتران لا يدل على أنه لا يدخل فيه».

﴿عندما نحقق التقوى:﴾

إحوة الإسلام: عندما يحقق المجتمع التقوى فإن الله عز وجل يبارك لنا ويفتح لنا أبواب رحمته وأبواب خزائنه قال الله تعالى تنزل عليكم الخيرات والبركات من السماوات، وتفتح لكم أنواع وألوان البركات؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وهذا معناه أنه وسع عليهم في الخير ويسره لهم بسبب التقوى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦]، وكذلك إذا لم تحصل التقوى، يظهر الفساد في الأرض؛ ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، ويحصل التلوث والأمراض والسرطانات؛ ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، وتُترَع البركة بالمعصية

: ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

وقال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ [طه: ١٣٢].

النجاة من كيد الظالمين وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ لَنُيْغُوْا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية: ١٩].

نبي الله لوط عليه السلام ومواجهته للفساد الأخلاقي^(١٣٨)

الخطبة الأولى

الحمد لله المنعم على عباده بدينه القويم وشرعته، وهداهم لاتباع سيّد المرسلين والتمسك بسنته، وأسبغ عليهم من واسع فضله وعظيم رحمته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له دعوة الحق يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، يسبح له الليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس، وأشهد أن محمداً عبداً لله ورسوله سيّد المرسلين، وقائد الغر المحجلين، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وعلى أصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فيا أيها الناس: اتقوا الله حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، واعلموا أن أحسن الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم -، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده شريك له وأن محمداً رسول الله ما جرا أثواب الحرير وما مشى التاج من فوق الجبين مرصعاً القميص مرقعاً

أما بعد: حديثنا اليوم عباد الله عن قصة نبي من الأنبياء الله تعالى أرسله ربه لمواجهة قضية من اخطر قضايا الفساد إنها قضية الفساد الأخلاقي

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتماً



حديثنا اليوم مع حامل لواء الإصلاح الأخلاقي نبي الله لوط عليه السلام
فمن هو لوط ؟ وأين كان يعيش ؟ وما هي الجريمة الأخلاقية التي وجهها نبي الله لوط ؟ وما هو موقف
قومه ؟ وكيف كانت عاقبتهم؟ وهل هناك أمثال لهم في عصر العولمة والإنترنت؟
أعيروني القلوب والأسماع

العنصر الأول التعريف بنبي الله لوط

من هو لوط؟،

سيدنا لوط هو بن هاران تاح، بن أخ الخليل إبراهيم، وقد تم ذكره في القرآن الكريم، ويعتبر اسم لوط
اسم غير عربي، حيث ينتمي للأسماء الأعجمية، وقد أرسل الله لوط إلى قوميه في عهد نبي الله إبراهيم
عليه السلام.

أين ولد نبي الله لوط؟،

في أرض بابل.

لماذا سمي لوط بهذا الاسم؟، لم يكن لفظ لوط أسم مكروه، فلقد كرم الله الأنبياء والرسل ورفع قدرهم،
ولكن سمي بذلك لشدة حبه لعمه.

ورد ذكر لوط - عليه السلام - في القرآن سبعاً وعشرين مرة.

إخوة الإيمان: لقد تحدث القرآن الكريم عن قصة نبي الله لوط عليه السلام عن دعوته وعن مواجهته
للفساد الأخلاقي وعن انتكاس فطرة قوميه وقد جاء ذكر قصته مع قوميه في سور ثمان: الأعراف، هود،
الحجر، الشعراء، النمل، العنكبوت، الصافات، القمر، أما السور الأخرى الباقية فقد أشارت إشارات
سريعة له -عليه السلام-.

العنصر الثاني: لوط عليه السلام ودعوة قوميه إلى عبادة الله وطاعته وتقواه:

معاشر الأحباب: دعا لوط عليه السلام أهل سدوم إلى الدين الحق وإلى طريق مستقيم، وصدّر دعوته
بالأمر بتقوى الله؛ إذ هي ملاك الأمر كله، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (الشعراء: ١٦٣)، ثم أخبرهم -
شأن الرسل عليهم صلوات الله أجمعين- أنه رسول أمين، وأنه لا يسألهم أجراً على دعوته لهم إلى الحق
المبين، ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ١٦٤).

العنصر الثالث: لوط عليه السلام ومواجهته للفساد الأخلاقي:

واجه لوط عليه السلام اغرب ظاهرة في تاريخ البشري ألا وهي ظاهرة الشذوذ الجنسي.... " هي
ظاهرة غريبة في تاريخ الجماعات البشرية. فقد يشذ أفراد، لأسباب مرضية نفسية أو لملاسات وقتية
فيميل الذكور لإتيان الذكور وأكثر ما يكون هذا في معسكرات الجنود حيث لا يوجد النساء، أو في

السجون التي يقيم فيها المسجونون فترات طويلة معرضين لضغط الميل الجنسي، محرومين من الاتصال بالنساء. أما أن يشيع هذا الشذوذ فيصبح هو القاعدة في بلد بأسره، مع وجود النساء وتيسر الزواج، فهذا هو الحادث الغريب حقا في تاريخ الجماعات البشرية! لقد جعل الله من الفطرة ميل الجنس إلى الجنس الآخر، لأنه جعل الحياة كلها تقوم على قاعدة التزاوج.

فقال: «سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ، وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ». فجعل الأحياء كلها أزواجا سواء نبات الأرض والأنفس وما لا يعلمه الناس في شتى المخلوقات. والتزاوج يبدو أصيلا في بناء الكون كله- فضلا على الأحياء- فالذرة ذاتها مؤلفة من كهارب والكترونات. أي من كهربائية إيجابية وأخرى سلبية. وهي وحدة الكائنات المكرورة فيها جميعا كما يبدو حتى الآن.

يبدأ لوط -عليه السلام- دعوته لقومه: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ ﴿أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾.

إخوة الإسلام: "عجب في عبارته الأولى من إتيانهم هذه الفاحشة، وهم يبصرون الحياة في جميع أنواعها وأجناسها تجري على نسق الفطرة، وهم وحدهم الشواذ في وسط الحياة والأحياء.... وصرح في عبارته الثانية بطبيعة تلك الفاحشة.

ومجرد الكشف عنها يكفي لإبراز شذوذها وغرابتها لمألوف البشرية، ولمألوف الفطرة جميعا. ثم دمغهم بالجهل بمعنييه: الجهل بمعنى فقدان العلم. والجهل بمعنى السفه والحمق. وكلا المعنيين متحقق في هذا الانحراف البغيض. فالذي لا يعرف منطق الفطرة يجهل كل شيء، ولا يعلم شيئا أصلا. والذي يميل هذا الميل عن الفطرة سفيه أحمق معتد على جميع الحقوق! فماذا كان جواب قوم لوط على هذا الاستنكار للانحراف، وهذا التوجيه إلى وحي الفطرة السليمة؟

قال ابن كثير: يخبر تعالى عن عبده لوط -عليه السلام-: أنه أنذر قومه نقمة الله بهم، في فعلهم الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم، وهي إتيان الذكور دون الإناث، وذلك فاحشة عظيمة؛ استغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، قال: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أي: يرى بعضكم بعضا، وتأتون في ناديكم المنكر؟ ﴿أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ أي: لا تعرفون شيئا لا طبعاً ولا شرعاً... (١٣٩)



قال ابن سعدي: ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ ﴾ أي: الفعلة الشنعاء، التي تستفحشها العقول والفطر، وتستقبحها الشرائع ﴿ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ ذلك، وتعملون قبحه، فعاندتم، وارتكبتهم ذلك، ظلما منكم، وجرأة على الله.

ثم فسر تلك الفاحشة فقال: ﴿ أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ ﴾ أي: كيف توصلتم إلى هذه الحال، فصارت شهوتكم للرجال، وأدبارهم، محل الغائط والنجو، والخبث، وتركتهم ما خلق الله لكم من النساء من المحال الطيبة، التي جبلت النفوس على الميل إليها. وأنتم انقلب عليكم الأمر، فاستحسنتم القبيح، واستقبحتم الحسن. ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ متجاوزون لحدود الله، متجرئون على محارمه... (١٤٠)

العنصر الرابع: اخرجوا آل لوط من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون:

فما كان رد قوم لوط عليه السلام على لوط؟

يخبرنا الله تعالى عن سفه وعن جهل وعن كبرياء هؤلاء الأقزام فيقول سبحانه وتعالى ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ أي انقلاب، في المعايير؟

وأي ردة، في المقاييس يمكن أن يرتكس فيها الإنسان إذا جرت به الأهواء فصار من الأشقياء؟!

قول الله - تعالى -: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١١] "الذين يفسدون أشنع الفساد، ويقولون: إنهم مُصلِحون كثيرون جداً في كل زمان.... يقولونها لأن الموازين مُختلّة في أيديهم!

ومتى اختل ميزان الإخلاص والتجرّد في النفس اختلت سائر الموازين والقيم.... والذين لا يُخلِصون سريرتهم لله يتعذّرون أن يشعروا بفساد أعمالهم.... لأن ميزان الخير والشر والصالح والفساد في نفوسهم يتأرجح مع الأهواء الذاتية ولا يثوب إلى قاعدة، ربّانية"

العنصر الخامس: الملائكة في بيت لوط عليه السلام:

إخوة الإسلام قبل أن يرسل الله تعالى عليهم العذاب أرسل الله عز وجل إلى لوط عليه السلام ملائكة بصفة حسنة؛ جبريل وميكائيل وإسرافيل في صور شباب مرد حسان، محنة من الله واختباراً لقوم لوط، فأضافهم لوط عليه السلام وهو خائف عليهم من قومه، ولكن زوجته السوء العجوز الشريرة بعثت إلى قومها فأعلمتهم بأضياف لوط، فأقبلوا يهرعون إليه من كل مكان، يريدون أولئك الشباب المرد

الحسان، وأغلق لوط دونهم الباب، فجعلوا يحاولون كسر الباب وذلك عشية، ولوط عليه السلام يدافعهم ويمانعهم دون أضيافه، ويقول لهم: ﴿هُؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الحجر: ٧١] أي: نساؤهم ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩] يريدون فاحشة اللواط، فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول، خرج عليهم جبريل عليه السلام، فضرب أعينهم بطرف جناحه فانطمست أعينهم، يقال: أنها غارت من وجوههم، ويقال: أنه لم تبق لهم عيون بالكلية، فرجعوا على أدبارهم يتحسسون بالحيطان، ويتوعدون لوطاً عليه السلام إلى الصباح، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ صَيفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ﴾ [القمر: ٣٧].

ولقد جاءت الملائكة لوطاً عليه السلام، تأمره بالخروج من بين أظهر أولئك؛ لأن العذاب قد حان نزوله بهم، قال الله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [الحجر: ٦٥] صدر الأمر العظيم من إله الأولين والآخرين: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦].

العنصر السادس: عقاب الله لقوم لوط عليه السلام

أمر الله تعالى نبيه لوطاً عليه السلام أن يأخذ من معه من المؤمنين وأن يخرجوا آخر الليل ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ والسرى سير الليل، والقطع من الليل جزؤه. وقد كان الأمر للوط أن يسير بقومه في الليل قبل الصبح، وأن يكون هو في مؤخرهم يتفقدهم ولا يدع أحدا منهم يتخلف أو يتلكأ أو يتلفت إلى الديار على عادة المهاجرين الذين يتنازعهم الشوق إلى ما خلفوا من ديارهم فيتلفتون إليها ويتلكأون. وكان الموعد هو الصبح والصبح قريب:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ: أَنْ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ»..

وأطلعناه على ذلك الأمر الخطير: أن آخر هؤلاء القوم - وهو دابرهم - مقطوع في الصباح. وإذا انقطع آخرهم فقد انقطع أولهم والتعبير على هذا النحو يصور النهاية الشاملة التي لا تبقي أحدا. فلا بد من الحرص واليقظة كي لا يتخلف أحد ولا يتلفت، فيصيبه ما يصيب أهل المدينة المتخلفين.

بشاعة العقوبة بقدر بشاعة الذنب:

أخي المسلم: بعد أن تعرفنا على شناعة المعصية وعظم الجرم تأمل وتصور ذلك العذاب! تصور تلك القرى وجبريل عليه السلام يرفعها بجناحه ثم يقلبها عليهم: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٧٤ - ٧٧].



نعم يخبر الله جل وعلا أنهم أخذتهم الصيحة، وهي ما جاءهم به من الصوت القاصف عند شروق الشمس، وهو طلوعها وذلك مع رفع بلادهم إلى عنان السماء ثم قلبها وجعل عاليها سافلها، وإرسال حجارة السجيل عليهم، أمر الله جبريل -وهو ملك من ملائكة الرحمن له ستمائة جناح- أمر الله جبريل عليه السلام فاقتلع ديارهم بجناح واحد من أصولها، ورفعها إلى السماء الدنيا، حتى سمع الملائكة نباح الكلاب وصياح الديكة، فقلبها عليهم ثم اتبعهم الله بحجارة من سجيل منضود، فتلكم قرية سدوم الذي أصابها ما أصابها من القلب الصوري والمعنوي، والقذف بالحجارة حتى صارت بحيرة منته خبيثة، في طريق مهيع مسلكه مستمر إلى اليوم، وهو المعروف ب البحر الميت، الذي لا يعيش فيه شيء.

١-الطمس على الاعين (وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ)

٢-الحاصب: الحاصب ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِي إِذَا أُرْسِلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ وهي الريح شديدة البرد

٣-الصيحة ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ (٧٣) و تخيل اذا تعرض الجسم إلى موجات صوتية عالية ٢٠ الف هرتز يؤدي ذلك الى الانفجار داخل الجسد تم تساقط الجلد وآخر حاسة يفقدها الإنسان من جراء الصيحة البصر قال الله في قوم ثمود ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٤٣) ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٣-٤٤]

٤-فَجَعَلْنَا عَلَیْهَا سَافِلَهَا: جاء جبريل عليه السلام فرفع سبع قرى بجناح واحد بها ٤٠٠ الف انسان وغيرها من الكائنات

حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم ثم جعل عاليها سافلها

٥-وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ: قال بعض: أهل العلم حجارة من نار محرقة متتابعة قال الله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنضُودٍ﴾ انها معلمة ومخصصة لكل انسان حجر ﴿مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾

٦- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ المطر الشديد الذي من أثاره تكون البحر الميت ولقد اكتشف علماء الجيولوجيا أن اعماق مكان على ظهر الأرض يكون في البحر الميت وسمي ميتا لأنه ليس به أي نوع من أنواع الحياة حيث أن ملوحة أي بحر لا تتجاوز ٣% أما البحر الميت فنسبة الملوحة فيه تصل إلى ٣٤% لما ماتت القلوب والفطر أماتهم الاله واقبرهم في مكان لا يوجد فيه أي نوع من أنواع الحياة وفي أواخر التسعينات تم اكتشاف سبع قرى ذلك المكان

﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ (٧٤) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾

[الحجر: ٧٣-٧٥]

الخطبة الثانية

العنصر السادس: قوم لوط الجُدُد "الشواذ"

أيها الأحباب: إن هناك شريحةً أثمرتْها حضارة العصر تسمى "شريحة الشواذ" والشاذُّ هو الغريب المستغرب غير المؤلف عند أصحاب العقول، لكن يبدو أن ثوب الحضارة واسعٌ للجميع. خرجوا على الدنيا من قلب حضارتهم بمظاهراتٍ واحتفالاتٍ ومطالب تَسْتَجْلِبُ حمرة الخجل وتوجب المعرَّة والندم.

إن أسفل الناس وأقلهم أخلاقاً - في قديم الأزمان - حيث التخلف والبداءة، لم يكن يدور بخلده أبداً أن الدنيا ستجود على أهلها بهذه النماذج المنحطة، شيء لا يتصوره خيال (الآدميين) أن تنطلق ثلَّة منكسة الفطرة ومجردة من طهرة إنسانيتها إلى هذا الدرك الأسفل من التعاطى لسلوك شاذ، ثم تزداد الصفاقة والسמادة إلى حد التظاهر ورفع الصوت.

إذا لم تخش عاقبة الليالي... ولم تستح فاصنع ما تشاء

إن ما يجنيه الشواذ اليوم من ثمرات الاعتراف بكيانهم في بلاد التحضر قد بدا غرسه منذ زمان، فقد [نشرت جريدة الأهرام القاهرية بتاريخ ٣٠ / ١١ / ١٩٦٧ م] ما يلي: وافق تسعون من رجال الدين الأمريكيين في ندوة عقدوها في نيويورك على عدم استنكار ممارسة الشذوذ الجنسي إذا كانت قائمة على عاطفة الحب]

أي حب هذا الذي يطمس الفطرة ويعطل النسل ويورث الداء العضال؟

وهل تتغير معاني الحب وتتسفل إلى درك الغرائز المحرمة؟، إن الحب في عمق معناه أنقى وأطهر من أن يتداوله الشواذ والمخثون.

واليوم.. قد تم اعتماد الشواذ للالتحاق بالجيوش نظراً لكثرتهم في المجتمعات (المتحضرة) وقد صار هذا من البروق والعروض التي يتاجر بها الساسة ضمن برنامجهم الانتخابي.

ولتشابه الصورة في أوروبا فقد صرح مرجعٌ ديني هام بما يفيد مزيد التدليل والتكريم، وتضاعف العطف لهذه الشريحة الاجتماعية غير الملوثة في فكره، فقد [قال رئيس أساقفة السويد: أنه ينبغي إباحة تزويج المثليين في الكنيسة.. وهو اقتراحٌ مثيرٌ للجدل حتى في دولة كانت سباقةً في الاعتراف ببعض الحقوق للمثليين، وقال رئيس الأساقفة "كيد جى هامر" للصحفيين: رأينا هذا الزواج يعطي أولوية لجانب الحب بدلاً من التناسل، وهذا يفتح الباب لفهم الحب الذي ليس بين رجل وامرأة.

وسمحت السويد منذ ١٩٩٥ م للمثليين بتسجيل أنفسهم كرفقاء، وهذا يعطيهم نسبياً نفس الحقوق القانونية التي يتمتع بها الزواج المدني وهي أيضاً من بين الدول القليلة التي تسمح للمثليين بتبنى أطفالٍ



بموجب قانون صدر العام الماضي.. ومن المتوقع أن يثير تأييد رئيس الأساقفة لزواج المثليين احتجاج بعض الأساقفة].

العنصر السابع: عقوبة من عمل قوم لوط في الإسلام:

إخوة الإسلام: وفي زماننا انتكست الفطر وانقلب الموازين وزين لبعض بني البشر ما زين لقوم لوط وانساق بعض شباب الأمة وراء تلك التزغات والترعات الشيطانية وجهل كثير من المسلمين بعقوبة تلك الجريمة الشنعاء وما يؤول إليه حالهم.....

ولما كانت تلك الجريمة تنافي مع الأخلاق والآداب، وتغضب الجبار جل وعلا، جاء فيها وعيدٌ شديدٌ عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط" (١٤١).

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لعن الله من عمل عمل قوم لوط، لعن الله من عمل عمل قوم لوط، لعن الله من عمل عمل قوم لوط" (١٤٢).

عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "اقتلوا الفاعل والمفعول به" (١٤٣). وجه الاستدلال بالأحاديث السابقة:

أثما دلت دلالة صريحة على أن اللواط مما يوجب استحقاق لعن صاحبه. وإقامة حد القتل على الفاعل والمفعول، وأنه من أعظم الأمور التي تخاف منها الرسول صلى الله عليه وسلم على أمته، فدل ذلك على أن اللواط كبيرة من كبائر الذنوب.

واعلم أن الصحابة - رضي الله عنهم - لم يختلفوا في أن حكم من فعل تلك الفاحشة القتل، ولكن اختلفوا في كفيته، وإليك ما قاله الإمام الشوكاني - رحمه الله - حول عقوبة من فعل ذلك: "وما أحقُّ مُرتكب هذه الجريمة، ومُقارَف هذه الرذيلة الذميمة، بأن يُعاقب عقوبة يصير بها عبرة للمعتبرين، ويُعذَّب تعذيباً يكسر شهرة الفسقة المتمردين، فحقيقٌ بمن أتى بفاحشة قوم ما سبقهم بها من أحدٍ من العالمين، أن يصلى بما يكون في الشدة والشناعة مشابهاً لعقوبتهم، وقد حسف الله تعالى بهم، واستأصل بذلك العذاب بكرهم وثيبتهم"؛ ٥.١.

١٤١- سنن الترمذي مع تعليقات الألباني، أبواب الحدود، باب ما جاء في اللوطي (٣٤٥) قال الألباني رحمه الله: (صحيح).

١٤٢- أخرجه الإمام أحمد في المسند، مسند عبد الله بن عباس رضي الله عنه (٢٦/٥)، قال الذهبي في التعليق على الحاكم (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) (٣٩٥/٣).

١٤٣- أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، السابع والثلاثون من شعب الإيمان وهو باب في تحريم الفروج وما يجب من التعفف عنها (٣٥١/٤) قال الزيلعي: (وهو حديث في إسناده مقال، ولا نعلم أحدا رواه عن سهيل بن أبي صالح غير عاصم بن عمر العمري، وهو يضعف في الحديث من قبل حفظه) نصب الراية (٣٣٩/٣).

اللهمَّ إِنَّا نعوذ بك من الفواحش والفتن؛ ما ظهر منها، وما بطن، اللهمَّ احفظ علينا وعلى أهلينا وأولادنا وإخواننا - الدين والنفس والعرض، وحسن الأخلاق، يا رحيم يا كريم، اللهمَّ إِنَّا نسألك بأئلك أنت الله، لا إله إلا أنت المَنَّان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، اللهمَّ أصلح أحوال المسلمين في كلِّ مكان، اللهمَّ انصر المجاهدين في سبيلك في كلِّ مكان، اللهمَّ انصرهم نصرًا مؤزَّرًا، اللهمَّ اربط على قلوبهم، وثبت أقدامهم، اللهمَّ أنج المستضعفين المسلمين في كلِّ مكان، اللهمَّ احقن دماءهم وآمن روعاتهم، واستر عوراتهم واحفظهم يا كريم يا مَنَّان.

تحفة الأنام بخلق الاحترام^(١٤٤)

الخطبة الأولى

إخوة الإسلام حديثنا اليوم عن خلق من أعظم الأخلاق التي فرط فيها كثير من أبناء الأمة وفرض فيها الأبناء إنه خلق الاحترام والإجلال والتعظيم لحق الآخرين فظهر جيل منحل لا يعرف الاحترام ولا التقدير فكثرة المشاكل وقلت البركة وانعدام الحب والوفاء..... لذا كان لزاما وأجل مسمى عن نتكلم عن ذلك الخلق ونبين مجالاته حتى نستدرك ما فات ونربي الأجيال القادم على ذلك الخلق.... فأعيروني القلوب والأسماع

﴿أولاً: احترام النبي صلى الله عليه وسلم﴾

إخوة الإيمان: إن من أعظم صور الاحترام في الإسلام احترام جناب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوقيره وإجلاله صلى الله عليه وسلم وإجلال شريعته وسنته صلى الله عليه وسلم والذي يقرأ صدر سورة الحجرات يجد أن رب الأرض والسموات يربي الأمة على ذلك الخلق الرفيع قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١) **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ** (٢) **إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ** (٣) **إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ** (٤) ﴿[الحجرات: ١ - ٤]

يقول السعدي -رحمه الله - هذا متضمن للأدب، مع الله تعالى، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتعظيم له، واحترامه، وإكرامه، فأمر [الله] عباده المؤمنين، بما يقتضيه الإيمان، بالله وبرسوله، من امتثال



أوامر الله، واجتناب نواهيه، وأن يكونوا ماشين، خلف أوامر الله، متبعين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، في جميع أمورهم، و[أن] لا يتقدموا بين يدي الله ورسوله، ولا يقولوا، حتى يقول، ولا يأمر، حتى يأمر، فإن هذا، حقيقة الأدب الواجب، مع الله ورسوله، وهو عنوان سعادة العبد وفلاحه، وبفواته، تفوته السعادة الأبدية، والنعيم السرمدي، وفي هذا، النهي [الشديد] عن تقديم قول غير الرسول صلى الله عليه وسلم، على قوله، فإنه متى استبان سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجب اتباعها، وتقديمها على غيرها، كائنا ما كان (١٤٥)

وقد نهي الله عز وجل عن رفع الأصوات بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه (أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم قد ارتفعت أصواتهما فجاء فقال: أتدريان أين أنتما؟ ثم قال: من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، فقال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً) (١٤٦).

وقال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره صلى الله عليه وسلم كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام، لأنه محترم حياً وفي قبره صلى الله عليه وسلم دائماً.

وقال تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٨-٩].

وقد ذهب علماء السلف إلى أن الضمير في قوله جل شأنه: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ راجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعناه: تعظموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفخموه في أدب المخاطبة والتحدث إليه ومحالسته. قال ابن تيمية: (فالتسبيح لله وحده، والتعزير والتوقير للرسول، والإيمان بالله ورسوله) (١٤٧).

❦ثانياً: احترام الوالدين:

و من مجالات الاحترام أن يحترم الأبناء آبائهم وأمهاتهم وهذا من أوجب الحقوق التي أوجبها الله تعالى على الأبناء قال الله تعالى ﴿إِذَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٤]!

١٤٥ - تفسير السعدي (ص: ٧٩٩)

١٤٦ - رواه البخاري (٤٧٠).

١٤٧ - ((بغية المرتاد)) (ص ٥٠٤).

النهي عن التأفف وهو أول مرحلة التضجر، والأمر بالقول الكريم وخفض جناح الذل (وهو أروع تشبيه) وطلب الرحمة من الله تعالى.

والملاحظ أن الوالدين عندما يبلغان مرحلة الكبر وتزداد أعباؤهما على الفرد تتوفر أرضية التضجر والتبرم أحياناً، وهنا يأتي القرآن الكريم للإنذار والنهي ليؤكد عنصر الاحترام المتواصل والرحمة والذل أمام الوالدين المسنين، فهي إذن طاقة دفع جديدة لضمان الاحترام المستمر.

قالت عائشة - رضي الله عنها - كان رجلاً من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أبر من كان في هذه الأمة بأمرهما: عثمان بن عفان، وحارثة بن النعمان - رضي الله عنهما -، أما عثمان فانه قال: ما قدرت أتأمل وجه أمي منذ أسلمت وأما حارثة، فكان يطعمها بيده ولم يستفهمها كلاماً قط تأمر به، حتى يسأل من عندها بعد أن يخرج، ماذا قالت أمي (١٤٨)

وتأملوا عباد الله: إلى قمة الاحترام للوالدين قيل لعمر بن ذر: كيف كان بر ابنك بك؟

قال: ما مشيت نهاراً قط إلا مشي خلفي، ولا ليلاً إلا مشي أمامي، ولا رقي سحطاً وأنا تحته. (١٤٩)

ثالثاً: احترام العلماء والدعاة إلى الله:

إخوة الإسلام: إن من مجالات الاحترام التي فقدتها كثير من أبناء المجتمع احترام أهل العلم وإنزالهم منزلتهم بل أصبح العلماء مصدراً للسخرية والفكاهة عند بعض من لا خلاق له ففي الفترة الأخيرة شوهت صورة العلماء على كثير من الفضائيات وأخذ الأقزام في سبهم والطعن في مكانتهم والنيل من منزلتهم في حين عباد الله اخذوا يرفعون كل سفيه وتافه على القنوات والفضائيات وأصبح أصحاب العفن الفني هم القدوة وهم من يغدق عليهم العطاء ومن يفسح لهم المجال.....

أيها الآباء أيها الأحباب: ينبغي علينا احترام المعلم الذي هو الشيخ وتوقيره والتواضع له، عن الأشعري [وهو أبو موسى] قال: " إِنْ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ، غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ، وَلَا الْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمَقْسُطِ " (١٥٠)

وأوجب طاعتهم فقال -جل وعلا-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، وأولو الأمر كما قال العلماء: هم العلماء، وقال بعض المفسرين: أولو الأمر الأمراء والعلماء.

١٤٨ - بر الوالدين - (١ / ٥) و التبصرة ج ١ ص ١٥٩

١٤٩ - المصدر السابق ص ٢٣٣، عيون الأخبار - (١ / ٣١٣)

١٥٠ - «سنن أبي داود - ت الأرئوط» (٧ / ٢١٢): «وهو عند البيهقي في "السنن" ٨ / ١٦٣، وفي "الشعب" (٢٦٨٥) و

(١٠٩٨٦)، وفي "الآداب" (٤٣)»



وقد حذر الإسلام من مهاجمة العلماء والانتقاص من قدرهم، ومن ذلك ما أخرجه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ". (١٥١)

قال ابن حجر -رحمه الله-: "المراد بولي الله، العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته". وروى الخطيب البغدادي عن أبي حنيفة والشافعي -رحمهما الله -أنهما قالوا: إن لم يكن الفقهاء أولياء الله فليس لله ولي.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (من آذى فقيهاً فقد آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد آذى الله عز وجل).

ذكر بعض الشافعية أن حق العالم أكد من حق الوالد؛ لأنه سبب لتحصيل الحياة الأبدية، والأب سبب لحصول الحياة الفانية، فعلى هذا تجب طاعته وتحرم مخالفته.

قال إدريس بن عبد الكريم المقرئ: رأيت علماءنا مثل الهيثم بن جميل، ومصعب الزبيري - وذكر (٢٠) عالماً من الحفاظ والفقهاء - فيمن لا أحصيهم من أهل العلم والفقهاء، يعظمون أحمد بن حنبل، ويجلونه، ويوقرونه، ويجلونه، ويقصدونه للسلام عليه.

وقال أبو بكر المروزي: أخبرني عبد الله بن المبارك -شيخ سمع منه قديماً، وليس بالخراساني- قال: كنت عند إسماعيل ابن عليّة، فتكلم إنسان فضحك بعضنا، وثم أحمد بن حنبل. فأتينا إسماعيل فوجدناه غضبان، فقال: أتضحكون وعندي أحمد بن حنبل؟! (١٥٢). (١٥٣)

هذا هارون الرشيد الذي حكم نصف العالم، يطلب من الإمام العالم الأصمعي أن يؤدب له ولديه وأن يعلمهما، وفي ذات يوم مر هارون الرشيد فرأى الأصمعي يغسل قدمه والذي يصب له الماء هو ابنه، ابن هارون هو الذي يصب للأصمعي

الماء حتى يغسل الأصمعي قدمه.. طلب هارون الرشيد الأصمعي وقال له: إنما طلبناك حتى تعلم ولدي وأن تؤدبهم وكان يجدر بك أن تأمر ولدي أن يصب الماء بيد وأن يغسل قدمك باليد الأخرى.

الله اكبر.. أين هذه التربية؟ أين هذه الأخلاق؟ أين هذه الآداب؟

ترى أي مكانة للمدرس في واقعنا؟ أليس اليوم من أولياء الأمور ومع الأسف

١٥١ - أخرجه البخاري من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، في الصحيح ١١ / ٣٤٠ - ٣٤١، كتاب الرقاق (٨١)، باب

التواضع (٣٨)، الحديث (٦٥٠٢)

١٥٢ - مناقب الإمام (ص ٦٨) والنبلاء (١١ \ ١٩٤).

١٥٣ - مجلة البحوث الإسلامية (٢٥ / ٢٢٧)

الشديد من يتكلم بكلام فيه إنقاص من قدر المعلم أو المعلمة أمام مسامع الأبناء، وأمام مسامع الطلاب. بالله عليكم إذا كانت هذه أخلاق الآباء وأولياء الأمور مع المعلمين والمعلمات.. ماذا يبقى للقدوة؟! وماذا يبقى للتعليم؟! وماذا يبقى لهيبة العلم والمعلم والتعليم؟! لما أساء بعض الآباء في قلة تقديرهم للمعلمين نتج لنا جيل يلعن المعلم ويضرب المعلم ويتلف ممتلكات المعلم. أترجون أن نعلو على الأمم وهذه أخلاقنا مع من يعلمون أبناءنا؟! إن المعلم والطبيب كلاهما لا ينصحان إذا هما لم يكرما

فاقنع بدائك إن جفوت طبيها واقنع بجهلك إن جفوت معلماً

أكرموا المعلمين والمعلمات، واغرسوا في قلوب الأبناء والبنات حبهم وتوقيرهم وإجلالهم والصبر على أذيتهم يكن لكم في ذلك خير كثير. (١٥٤)

رابعاً: احترام الكبير:

ومن صور الاحترام والتبجيل التي أولاهها الإسلام اهتمام احترام الكبير ذلك الخلق الغائب عن حياتنا اليومية فاليوم نرى ونسمع جرأة الصغير على الكبير ونرى الشباب لا يحترمون رأي ومشورة الكبار وكان للأعلام دور كبير في فساد أخلاق شبابنا من مسلسلات وأفلام تدعو إلى الخروج عن القيم الإسلامية والموروثات الأخلاقية.....

لقد جاء الإسلام باحترام الأكبر سناً وتوقيره فعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوقِّرْ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا " (١٥٥) وكان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا تحدّث عنده اثنان في أمرٍ ما يبدأ بأكبرهما بالحديث، ويقول: ((كَبُرَ كَبْرُ)) (١٥٦)

يبدأ الأكبر قبل أن يبدأ الأصغر.

و تأملوا إلى أدب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وكيف كان احترامهم للكبير وعدم تقديم رأيهم على رأي من هو أسن منهم وأن كان صواباً عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرْقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي، فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، قَالَ: فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالُوا: حَدِّثْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا

١٥٤ - أرشيف منتدى الألوكة

١٥٥ - «مسند أحمد» (١١/ ٥٢٩ ط الرسالة): «حسن لغيره»

١٥٦ - أخرجه البخاري (٧١٩٢)



هِيَ؟ قَالَ: «التَّخَلُّةُ»، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَحَدَّثْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بِالَّذِي وَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ لَأَنْ تَكُونَ قُلَّتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا (١٥٧)

❦ خامسا: احترام ولادة الأمر:

واعملوا عباد الله: أن من صور الاحترام أن تحترم الرعية حاكمها وولي أمرها وألا تهينه وألا تشق عصا الطاعة عليه فإن الناظر في أحكام الشريعة الإسلامية يجدها قد أوجبت على المسلمين احترام وتوقير فئات من المجتمع ومن بينهم الأمراء، فأكدت احترامهم وتوقيرهم ونهت عن سبهم وغشهم وانتقاصهم والحط من أقدارهم، لأجل مهابة الأمراء في نفوس الرعية لمنع أهل الفساد والمعاصي والبغي والعدوان. ومن الأدلة على وجوب توقير واحترام ولي فع عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: عَهْدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَمْسٍ، مَنْ فَعَلَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ كَانَ ضَامِنًا عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا، أَوْ خَرَجَ مَعَ جَنَازَةٍ، أَوْ خَرَجَ غَازِيًا أَوْ دَخَلَ عَلَى إِمَامِهِ، لَا يُرِيدُ إِلَّا تَعْزِيزَهُ وَتَوْقِيرَهُ، أَوْ قَعَدَ فِي بَيْتِهِ فَسَلِمَ النَّاسُ مِنْهُ وَسَلَّمَ». (١٥٨)

ومعنى التعزير: النصرة مع التعظيم. قال تعالى (وتعزروه) وقيل (التوقير والتعظيم) ودلالة الحديث دلالة واضحة على توقير واحترام ولي الأمر. قال سهل التستري - رحمه الله -: ((لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء، فإن عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإن استخفوا بهذين أفسدوا دنياهم وأخراهم)).

ومن التوقير والاحترام لولي الأمر الدعاء له، فالدعاء لولادة الأمر بالصلاح والتوفيق أمر مطلوب من كل المسلمين لأن في صلاح ولادة الأمر صلاح للعباد والبلاد. يقول الفضيل بن عياض - رحمه الله -: لو أن لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في السلطان.

عَنْ زِيَادِ بْنِ كُسَيْبِ الْعَدَوِيِّ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَبِي بَكْرَةَ تَحْتَ مِنْبَرِ ابْنِ عَامِرٍ وَهُوَ يَخْطُبُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُ رِقَاقٍ، فَقَالَ أَبُو بَلَالٍ: انْظُرُوا إِلَيَّ أَمِيرَنَا يَلْبَسُ ثِيَابَ الْفُسَّاقِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ: اسْكُتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ أَهَانَهُ اللَّهُ» (١٥٩)

١٥٧ - «مسند أحمد» (٩/ ٢٠٨ ط الرسالة): «وأخرجه البخاري (١٣١)، والترمذي (٢٨٦٧)، وابن منده في "الإيمان"

«(١٨٨)»

١٥٨ - أخرجه أحمد (٥/ ٢٤١، رقم ٢٢١٤٦)، والطبراني (٣٧/ ٢٠) رقم ٥٥ (صحيح) انظر حديث رقم: ٣٢٥٣ في صحيح الجامع

١٥٩ - أخرجه الترمذي (٤/ ٥٠٢، رقم ٢٢٢٤) وقال: حسن غريب. وأخرجه أيضاً: الطيالسي (ص ١٢١، رقم ٨٨٧)، والبخاري (٩/ ١٢١، رقم ٣٦٧٠)

والمعنى أيها الإخوة الكرام: أن من أهان وانتقص من قدر من أعزّه الله بالسّلطنة، بغير وجه حق، "أهانته الله"، أي: عوقبَ بما فعل معه، فقبِلَت الإهانة بالإهانة، وفي إهانة الحاكم بغير وجه حق انتقص من هيئته بما يُضِرُّ بالأمة، وفيه تفریقٌ لكلمة المسلمين المتفقة على الحاكم، وفيه فتحٌ لباب شرٍّ عظيمٍ عُلِمَ بالواقع أنّه يكونُ فيه فتنةٌ وقتالٌ وإضعافٌ للأمة، وكلُّ ذلك فيه مخالفةٌ لأوامرِ الله ورسوله. وقيل: المراد بالسُّلطان الدَّلِيلُ والبرهان، وسُلطانُ الله في الأرض هو القرآن؛ فمن أهانته ولم يعمل به ولم يقم بما أمر به، وينته عما نهى عنه - أهانته الله بكلِّ نوعٍ من الإهانة.

الخطبة الثانية

سادسا: احترام الداخل إلى المجلس:

إخوة الإسلام: إن من مظاهر الاحترام أن يحترم الجالس من دخل مجلسه وأن يفسح له ليجلس قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]

قال قتادة: نزلت هذه الآية في مجالس الذكر، وذلك أنهم إذا رأوا أحدهم مقبلا ضنوا بمجالسهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض (١٦٠) ولقد حثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على احترام الضيف فقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: فراش للرجل، وفراش لامرأته، والثالث للضيف، والرابع للشيطان " رواه مسلم. قال القرطبي في المفهم: وأما فراش الضيف: فيتعين للمضيف إعداده له؛ لأنه من باب إكرامه والقيام بحقه.

عن ابن عباس قال: دخل عيينة بن حصن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وهم جلوس على الأرض جميعاً، فأمر لعينة بنمرقة فأجلسه عليها وقال: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه» (١٦١)

عن ابن عباس قال: أعز الناس علي جليسي الذي يتخطى الناس إلي، أما والله إن الذباب يقع عليه فيشق علي.

وسئل ابن عباس من أكرم الناس عليك؟ قال: جليسي حتى يفارقني.

١٦٠ - محاسن التأويل (٩/ ١٧١)

١٦١ - «تاريخ المدينة لابن شبة» (٢/ ٥٣٩) الصحيحة ١٢٠٥.



وروى الطبراني بإسناده في مكارم الأخلاق عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: ثلاثة لا أقدر على مكافأتهم ورابع لا يكافئه عني إلا الله تعالى، فأما الذين لا أقدر على مكافأتهم: فرجل أوسع لي في مجلسه، ورجل سقاني على ظمإ، ورجل أغبرت قدماءه في الاختلاف إلى بابي، وأما الرابع الذي لا يكافئه عني إلا الله عز وجل فرجل عرضت له حاجة فظل ساهرا متفكرا بمن يتزل حاجته وأصبح فرآني موضعا لحاجته، فهذا لا يكافئه عني إلا الله عز وجل، وإني لأستحي من الرجل أن يظأ بساطي ثلاثا لا يرى عليه أثرا من أثري. (١٦٢)

سابعاً: احترام قبور الموتى وعدم امتهاها:

معاشر الموحدين: ومن مجالات الاحترام في إسلام احترام الموتى وعدم أذيتهم فواجب على المسلمين احترام الموتى من المسلمين وعدم إيذائهم، فعن النبي صلى الله عليه وسلم النهي والتحذير عما هو أقل من هذا كالجُلوس على القبور أو الاتكاء عليها ونحوه، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها» (١٦٣).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لأن يجلس أحدكم على حمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر» (١٦٤)، خرجه مسلم أيضاً،

وعن عمرو بن حزم قال: «رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئاً على قبر، فقال: لا تؤذ صاحب هذا القبر أو لا تؤذه» (١٦٥) رواه الإمام أحمد.

ومن احترامهم ذكر محاسنهم والسكوت عن مساوئهم عن ابن عمر، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "اذْكُرُوا مَحَاسِينَ مَوْتَاكُمْ، وَكُفُّوا عَنْ مَسَاوِيهِمْ" (١٦٦)

الدعاء.....

١٦٢ - الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ٣٠٨)

١٦٣ - رواه الإمام أحمد في (مسند الشاميين) برقم (١٦٧٦٤)، ومسلم في (الجنائز) برقم (٩٧٢).

١٦٤ - رواه الإمام أحمد في (باقي مسند المكثرين) برقم (٨٨١١)، ومسلم في (الجنائز) برقم (٩٧١)، واللفظ له

١٦٥ - رواه الإمام أحمد في (مسند الأنصار) برقم (٢٠٩٣١).

١٦٦ - «سنن أبي داود - ت الأرنؤوط» (٧/ ٢٦١): «وأخرجه الترمذي (١٠٤٠)، وابن حبان في "صحيحه"،

القول الجميل في الاعتراف بالفضل والجميل (١٦٧)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي أعطى الأمان لمن شكر
سبحانه سبحانه رب عظيم قد على فوق الخلاق وقندر
سبحانه سبحانه عنت الوجوه لجاهه واستسلمت فطر الحياة لأمره لما أمر
فأتم فيض نعيمه للمؤمنين العاملين لدينهم جنات عدن عزها نور الجلال أفاءه أمر الذي في كل أمر قد
أمر
وأضاف من مدد الخلود ما غاب عن وعي المسامع والبصر
من كل فيض ناعم يسمو على كل الفكر
و يفوق كل تصور عرفته أذهان البشر
واشهد أن لا اله إلا الله واحد أحد فرد صمد لا شريك له في ملكه ولا سند
سبحانه سبحانه جعل الحياة مطوية مطوعة للمؤمنين المحسنين لأنهم قد وحدوا الله العظيم المقتدر
ومشوا على درب الهدي لما بدى في المبتدى نور الذي أحيا الفطر
ونشهد أنه رسول الله من جاء فخرا للحياة يؤمها نحو العلا حتى علت رغم الحفر
رغم الصعاب تقدمة تمحو الظلام وتنتصر
بالعلم ترسم للحياة سبيلها من أجل إسعاد البشر

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٠٢) ﴿ [آل

عمران/١٠٢

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا
كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١) [النساء/١]
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا
(٦٩) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (٧٠) [الأحزاب/٦٩-٧١] ﴾

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدى محمد -صلى الله عليه وسلم- وشر الأمور محدثاتها،
وكل محدثاتها بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.



أما بعد: إخوة العقيدة حديثنا في هذا اليوم الطيب الميمون الأغر عن القول الجميل في الاعتراف بالفضل والجميل وهذا من الأخلاق المحمودة التي حثنا عليها الإسلام ودعانا إليها رب الأنام وحبينا المهام صلى الله عليه وسلم

ومن يسدّ معروفاً إليك فكن له شكوراً يكن معروفاً غير ضائع
ولا تبخلنّ بالشكر والقرض فاجزه تكن خير مصنوع إليه وصانع
فأعيرون القلوب والأسماع أيها الكرام.....

﴿الإسلام ودعوته لحفظ والاعتراف بالجميل:

إخوة الإسلام: إن رب الأنام جل جلاله أمرنا في كتابه أن نعترف بالجميل لمن أسداه إلينا وذلك من شيم الكرام من الأنبياء والأولياء والأصفياء.....أمرنا الله أن نحسن إلى عباده كما احسنوا إلينا فالجزاء من جنس العمل قال الله تعالى: (وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) القصص ٧٧١، وقال تعالى: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) الرحمن ٦٠. وقال: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٩١) سورة النحل.

وها هو صلى الله عليه وسلم يخبرنا أن نشكر من قدما لنا معروفا وأن نبذل له الشاء وعن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ. (١٦٨)
وعن ابن عمر قال قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعْيَذُوهُ وَمَنْ سَأَلَكَم بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ وَمَنْ اسْتَجَارَ بِاللَّهِ فَأَجِيرُوهُ وَمَنْ آتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافَتْوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ كَفَّيْتُمُوهُ. - وفي رواية: مَنْ سَأَلَكَم بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ وَمَنْ أَهْدَى لَكُمْ فَكَافَتْوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافَتْوهُ فَادْعُوا لَهُ. (١٦٩)

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر يتعلق بالمزيد، وهما مقرونان، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد)
وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: "عليكم بملازمة الشكر على النعم، فقلّ نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم".

١٦٨ - أخرجه أحمد ٢/٢٥٨ (٧٤٩٥) و"البخاري" في "الأدب المفرد" ٢١٨ و"أبو داود" ٤٨١١ و"الترمذي"

١٩٥٤ و"ابن حبان" ٣٤٠٧.

١٦٩ - أخرجه أحمد ٢/٦٨ (٥٣٦٥) و"البخاري" في (الأدب المفرد) ٢١٦. و"أبو داود" ١٦٧٢ و"النسائي"

٨٢/٥ و"الكبرى" ٢٣٥٩.

الاعتراف بالجميل للجليل جل جلاله:

أيها الكرام إن الله سبحانه هو صاحب الفضل والإفضال والإنعام علينا وهو وصاحب كل معروف على عباده في الدنيا والآخرة فهو الجميل جل جلاله وهو الذي أخرجنا من الظلمات إلى النور وهو سبحانه من هدانا إلى الصراط المستقيم وهو الذي ربانا بنعمه التي لا تعد ولا تحصى لذا فواجب علينا أن نشكره آن الليل واطراف النهار وأن نعترف له بالفضل والمنة

الاعتراف الأنبياء بفضل رب الأرض والسماء

الاعتراف إبراهيم عليه السلام لربه بفضلله وإنعامه عليه:

إخوة الإسلام ها هو خليل الجليل جل جلاله يعترف بفضل الله عليه وعطائه له ويثني عليه فيقول ﴿

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ ﴿ [إبراهيم: ٣٩]

والحمد هو الثناء باللسان على من صدرت منه النعمة، وأل فيه للاستغراق أى: جميع أجناس الحمد ثابتة لله رب العالمين، لأن كل ما يستحق أن يقابل بالثناء والحمد فهو صادر عنه- سبحانه- إذ هو الخالق لكل شيء.

وإنما ذكر قوله «على الكبر لأن المنة بمبة الولد في هذا السن أعظم، من حيث إن هذا الزمان زمان وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة في وقت اليأس من أعظم النعم، ولأن الولادة في هذه السن المتقدمة كانت آية لإبراهيم» «١٧٠».

الاعتراف يوسف عليه السلام بجميل الجميل جل جلاله:

ومن صور الاعتراف بالفضل والجميل اعتراف نبي الله يوسف عليه السلام بعد أن أتم الله عليه النعمة ورد عليه أباه وإخوته يقول الله تعالى حاكيا عن يوسف عليه السلام ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿ [يوسف: ١٠١]

يقول السعدي رحمه الله " لما أتم الله ليوسف ما أتم من التمكين في الأرض والملك، وأقر عينه بأبويه وإخوته، وبعد العلم العظيم الذي أعطاه الله إياه، قال مقرا بنعمة الله شاكرها لها داعيا بالثبات على الإسلام:

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ وذلك أنه كان على خزائن الأرض وتديرها ووزيرا كبيرا للملك ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ أي: من تأويل أحاديث الكتب المتزلة وتأويل الرؤيا وغير ذلك



من العلم ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّدٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ أي: أدم عليّ الإسلام وثبتني عليه حتى توفياني عليه، ولم يكن هذا دعاء باستعجال الموت، ﴿وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ من الأنبياء الأبرار والأصفياء الأخيار. (١٧١)

﴿اعتراف سليمان عليه السلام بجميل رب الأنام تبارك وتعالى﴾

ومن جميل الاعتراف بالجميل ما ورد على لسان نبي الله سليمان عليه السلام الذي وسخر الله تعالى له الجن والإنس والطير فهم يوزعون وعلمه منطق الطير فلم يأخذه الغرور ولا الكبر حال كثير من الأغنياء والملوك بل اعترف بفضل ربه ومولاه جل في علاه قال الله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩)﴾ [النمل: ١٨-١٩]

"يعتر، ولم يفخر، ولم يفاخر، بل عرف حق النعمة واتجه إلى شكرها، ودعا ربه ثلاثا. أولا: ضرع إلى ربه أن يدفعه، فقال أوزعني أي ادفعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت بها علي، وعلى والدي، فإن هذه نعمة تحتاج إلى الالتجاء إليك لأتمكن من شكرها، وهي علي، وعلى والدي فقد كان نبيا آتيته ما آتيت ولده سليمان، فكان ما أنا فيه نعمة علي وعليه. ثانيا: دعا ربه أن يوفقه للخير فقال: (وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ)، أي أن أعمل عملا هو صالح في ذاته وأن ترضاه بأن يكون خاليا من كل غرض غير رضاك سبحانه، إنك أنت المعطي، والمانع. ثالثا: أن يكون في ضمن عباد الله الصالحين، فقال: (وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ)، أي أن الدخول في الصالحين من عباد الله سبحانه هو برحمته سبحانه، لا بعمل قدمه، فكل عمل هو من فضله، وكل جزاء هو من رحمته. (١٧٢)

﴿اعتراف المؤمنون بجميل الجليل جل جلاله﴾

أيها الإخوة الكرام ومن صور الاعتراف بالفضل والجميل اعتراف الإنسان عندما يتم الله عليه نعمه ويبلغ يسر الأربعين هنا يبتهل إلى ربه ويعترف بفضل الله تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً

١٧١ - تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٠٦)

١٧٢ - زهرة التفاسير (١٠ / ٥٤٤٥)

قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿[الأحقاف: ١٥]

(حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ) أي: استحکم قوته وعقله وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَي: ألهمني أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ أَي: بالهداية للتوحيد، والعمل بطاعتك، وغير ذلك. وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي أَي: واجعل الصلاح ساريا في ذريتي، راسخا فيهم إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ أَي: من ذنوبي التي سلفت مني وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَي: المستسلمين لأمرك ونهيك، المنقادين لحكمك.

و من صور الاعتراف بالنعم للمنعم جل جلاله اعتراف اهل الجنة بان الفضل والمنة لله الواحد الأحد قال الله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا

لُغُوبٌ ﴿[فاطر: ٣٢-٣٥]

وقال تعالى ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةَ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿[الأعراف: ٤٣]

الاعتراف بالجميل للوالدين

ومن مجالات الاعتراف بالجميل للوالدين وأن يرد عليهم ذلك الجميل مردا جميلا قال الله تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿[الإسراء: ٢٣، ٢٤].

- نموذج في الوفاء وحفظ الجميل للوالدين (برهما وعدم عقوقهما، والدعاء لهما في حياتهما وبعد مماتهما): كان ابن عمر يمشي في الصحراء على دابته فقابله أعرابي فتوقف ابن عمر ونزل، ووقف معه، وقال: أأنت فلان بن فلان؟ قال: بلى، ثم ألبسه عمامة كانت عليه، وقال له: اشدد به رأسك، ثم أعطاه دابته وقال: اركب هذا، فتعجب أصحاب ابن عمر، وقالوا له: إن هذا من الأعراب، وهم يرضون بالقليل، فقال: إن أبا هذا كان وِدًّا لعمر، وإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ صَلََةَ الرَّجُلِ أَهْلًا وَدُّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُؤَلِّيَ) (رواه مسلم).

يتحاکمان من الذي يقوم برعاية أمه:



ما سأحدث عنه هو بكاء حيزان، حيزان رجل مسن من الأسياح (قرية تبعد عن بريدة ٩٠ كم).
بكى في المحكمة حتى ابتلت لحيته، فما الذي أبكاه؟

هل هو عقوق أبنائه أم خسارته في قضية أرض متنازع عليها أم هي زوجة رفعت عليه قضية خلع؟
في الواقع ليس هذا ولا ذاك، ما أبكى حيزان هو خسارته قضية غريبة من نوعها.
فقد خسر القضية أمام أخيه، لرعاية أمة العجوز التي لا تملك سوى خاتم من نحاس.
فقد كانت الأم المسنة في رعاية ابنها الأكبر حيزان، الذي يعيش وحيدا. وعندما تقدمت به السن جاء أخوه من مدينة أخرى ليأخذ والدته لتعيش مع أسرته، لكن حيزان رفض محتجا بقدرته على رعايتها.
وكان أن وصل بهما النزاع إلى المحكمة ليحكم القاضي بينهما، لكن الخلاف احتدم وتكررت الجلسات وكلا الأخوين مصر على أحقيته برعاية والدته، وعندها طلب القاضي حضور الأم المسنة لسؤالها، أحضرها الأخوان يتناوبان حملها.. وبسؤالها عمن تفضل العيش معه، قالت وهي مدركة لما تقول: هذا عيني مشيرة إلى حيزان وهذا عيني الأخرى مشيرة إلى أخيه. وعندها اضطر القاضي أن يحكم بما يراه مناسبا، وهو أن تعيش مع أسرة الأخ الأصغر فهو الأقدر على رعايتها، وهذا ما أبكى حيزان.

📌 **الاعتراف بالجميل للمعلم** ومن مجالات الاعتراف بالفضل ورد الجميل أن يعترف الطالب بفضل الله أولا ثم بفضل معلميه الذين بذلوا الجهد من اجل تعليمه

ويكون ذلك باحترامهم وتوقيرهم والدعاء لهم، والحذر من الإساءة إليهم)
قال أبو حنيفة -رحمه الله-: "ما صليتُ منذ مات شيخي حماد، إلا استغفرتُ له مع والدي، وإني لأستغفر لمن تعلَّمْتُ منه علماً أو علَّمته علماً!".
وقال أبو يوسف -رحمه الله-: "إني لأدعو لأبي حنيفة قبلُ أبوي!".
وقال الإمام أحمد -رحمه الله-: "ما بتُّ منذ ثلاثين سنةً إلا وأنا أدعو للشافعي وأستغفر له!".
وقال الشافعي -رحمه الله-: "الحر من راعي وداد لحظة، وانتمى لمن أفاده لفظة".

📌 **الاعتراف بالفضل والجميل بين الزوجين:**

الحياة الزوجية مبنية على السكن والمودة والمحبة وأن يعترف ويقر كلا الزوجين للآخر بفضلله وجزيل عطائه:

ولقد ضرب لنا النبي صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في ذلك المجال، فعن عائشة، قالت: مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا، قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ، فَيَقُولُ: «أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ»، قَالَتْ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: خَدِيجَةُ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حَبَّهَا». (١٧٣)

وعنها أيضًا: (قَالَتْ: اسْتَأْذَنْتُ هَالَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَأَرْتَاخَ لِذَلِكَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَالَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ»، فَعَرْتُ فَقُلْتُ: وَمَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ، حَمَرَاءِ الشُّدْقَيْنِ، هَلَكْتُ فِي الدَّهْرِ فَأَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا). (١٧٤)

الاعتراف بالفضل والجميل للأصحاب:

أيها الكرام ومن مجالات الاعتراف بالفضل ورد الجميل ألا ينسى المرء من مد له يد المعونة ووقف معه أيام الشدائد والحن وحبيكم صلى الله عليه وسلم لم ينس المعروف لاحد من أصحابه ولم ينكره بل كان يتحدث بذلك ويثني عليه فيها هو يثني على أبي بكر رضي الله عنه وقد كان أبو بكر هو أول من أسلم من الرجال، وسارع في تصديق النبي صلى الله عليه وسلم بلا تلوؤ أو تردد، كما كان أكثر الناس مساعدة للنبي في دعوته، سواء ببذنه أو ماله؛ لذلك حفظ له النبي جميله، فقال مثنيًا عليه ومظهرًا فضله: (إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحَّتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةَ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتَهُ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ، إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ). (١٧٥)

وقال أيضًا مظهرًا فضله: «مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَيْنَاهُ مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِئُهُ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا نَفَعَنِي مَالٌ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ». (١٧٦)

وها هو يوصي من بعده بأصحابه خيرا ويعترف بفضلهم عليه وعلى دعوته صلى الله عليه وسلم وذلك لجهادهم الطويل معه في سبيل دعوته، وكفاحهم المتواصل في سبيل نصرته دينه، هذا الدين الذي ما قام إلا على أكتافهم، وما توطدت أركانه إلا بسبب تضحياتهم وتحملهم العناء الكبير والتعب المتواصل في سبيل رفع رايته، ونشر لوائه، لذلك نهانا عن سبهم حفظًا لجميلهم، وإقرارًا بفضلهم، فقال: (لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَتَّفَقَ مِثْلُ أَحَدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ) (١٧٧)

١٧٣ - صحيح مسلم؛ برقم: [٢٤٣٥].

١٧٤ - صحيح مسلم؛ برقم: [٢٤٣٧].

١٧٥ - البخاري (٤٦٦)

١٧٦ - الترمذي (٣٦٦١) وصححه الألباني.

١٧٧ - البخاري (٣٦٧٣).



عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: اجْتَمَعَ نَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالُوا: يُؤْتِرُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا غَيْرَنَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَطَبَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ تَكُونُوا أَذِلَّةً فَأَعَزَّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟»، قَالُوا: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: «أَلَمْ تَكُونُوا ضُلَّالًا، فَهَدَاكُمْ اللَّهُ؟»، قَالُوا: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: «أَلَمْ تَكُونُوا فَقَرَاءَ فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟»، قَالُوا: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُجِيبُونِي؟ أَلَا تَقُولُوا: أَتَيْنَا طَرِيدًا فَأَوْيَانَا، وَأَتَيْنَا خَائِفًا فَأَمَّنَّا، أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَدْخُلُونَ بِهِ دُورَكُمْ، لَوْ أَنَّكُمْ سَلَكَتُمْ وَادِيًا - أَوْ شِعْبًا - وَالنَّاسُ وَادِيًا - أَوْ شِعْبًا - لَسَلَكَتُمْ وَادِيَكُمْ - أَوْ شِعْبَكُمْ - وَلَوْ لَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَهُ، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي» ((١٧٨))

الخطبة الثانية

أما بعد: أيها الإخوة الكرام:

رد الجميل للكفار:

إخوة الإسلام: لم ينس نبينا صلى الله عليه وسلم من أسدى إليه معروفًا حتى ولو كان كافرًا بدعوته ورسالته صلى الله عليه وسلم

لم ينس نبع الوفاء صلى الله عليه وسلم مواقف عمه أبي طالب الذي واساه ورباه، ودافع عنه حتى آخر رمق في حياته، فشفع له عند الله تعالى أن يخفف عنه العذاب؛ عن العباس، قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "ما أغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟" قال: ((هو في ضَحَضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْ لَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ)) ((١٧٩))

وفاء النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي البختری بن هشام:

ومن مواقف الوفاء مع الكفار وفاء النبي صلى الله عليه وسلم لأبي البختری بن هشام الذي وقف في وجه قريش، وعمل على نقض الصحيفة، ودافع عن النبي وأصحابه فلم ينس النبي صلى الله عليه وسلم هذا الموقف، وأراد أن يرد إليه الجميل في غزوة بدر، فقال لأصحابه كما في حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: ((إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهًا، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البختری بن هشام فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبدالمطلب فلا يقتله؛ فإنه إنما أخرج مستكرهاً)) ((١٨٠)).

١٧٨ - «صحيح مسلم» (٢/ ٧٣٨):

١٧٩ - أخرجه البخاري في: ٦٣، كتاب: مناقب الأنصار: ٤٠ باب: قصة أبي طالب.

١٨٠ - تاريخ الطبري؛ تاريخ الأمم والملوك (٢: ٣٤)، السيرة النبوية؛ لابن هشام (٣/ ١٧٧)

الآلئ الغراء من فضائل وفوائد الحياء^(١٨١)

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العلمين إله الأولين والآخرين وقيوم السماوات والأرضين، سبحانه
سبحانه بهرت عظمته قلوب العارفين، وأظهرت بدائعه لنواظر المتأملين، نصب الجبال فأرساها، وأرسل
الرياح فأجرها، ورفع السماء فأعلاها وبسط الأرض فدحاها، الملائكة من خشيته مشفقون، والرسل
من هيئته خائفون، والجبابة لعظمته خاضعون، ﴿لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ

[الروم: ٢٦]

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد الأحد، القيوم الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، لا معيذ غير الله، ولا مجير غير الله، ولا معين غير الله، ولا ناصر غير الله،
وأشهد أن محمد عبده ورسوله النبي المصطفى والرسول المجتبي الرحمة المهداة والنعمة المسداة، صاحب
المقام المحمود والحوض المورود الشفاعة العظمى، سيد الأولين والآخرين على الله ولا فخر
اللهم صل عليه وسلم على آله وأصحابه

الطيبين الأبرار الذين كانوا فيما بينهم رحماء فرضى عنه رب الأرض والسماوات وعن التابعين وتابعين
بإحسان إلي يوم الدين قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) [آل عمران/ ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا
كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ [النساء/ ١]
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا
(٦٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠)﴾ [الأحزاب/ ٦٩-٧١]

أما بعد

أما بعد: حديثنا اليوم عن صفة من الصفات التي بها يرتقي المسلم إلى سلم الأيمان والتقوى، والتي بها
يرتقى المجتمع إلى الطهارة والنقاء والعفة والوفاء،
حديثنا عن صفة من صفات الله تعالى، وهي كذلك من صفات الأنبياء والأولياء والأتقياء، إنها مفتاح
الطهارة، إنها دليل النقاء، حديثنا أيها الأحاب عن صفة الحياء...
فما هو الحياء؟ وما هي ثمراته؟ وما هو أثره على الفرد والمجتمع؟



أعبروني القلوب والأسماع فإن الأمة بل البشرية جمعاء بحاجة إلى ذلك الخلق وتلك الصفة
﴿تعريف الحياء:﴾

أيها المسلم الكريم قال بعض الحكماء عن الحياء: من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه.

فالحياء هو أفضل كساء وأفضل ما يتميز به المسلم والمسلمة

تعريف الحياء: قال فضل الله الجيلاي: الحياء تغيير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يلام به مما كان
قبيحا حقيقة

قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْحَيَاءُ مِنَ الْحَيَاةِ، وَعَلَى حَسَبِ حَيَاةِ الْقَلْبِ يَكُونُ فِيهِ قُوَّةُ خُلُقِ الْحَيَاءِ، وَقَلَّةُ الْحَيَاءِ مِنْ
مَوْتِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ، وَأَوَّلَى الْحَيَاءِ: الْحَيَاءُ مِنَ اللَّهِ، وَالْحَيَاءُ مِنْهُ أَلَّا يَرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ، وَيَكُونُ ذَلِكَ عَنْ
مَعْرِفَةٍ وَمُرَاقَبَةٍ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ الطَّوِيلِ لَمَّا سَأَلَهُ عَنِ
الْإِحْسَانِ: (الْإِحْسَانُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) الطبراني

﴿الحياء صفة من صفات رب الأرض والسماء:﴾

وعلموا علمني الله تعالى وإياكم: أن الحياء صفة من صفات الله جل جلاله فمن صفات المولى-عزّ
وجلّ- (الحبي) عَنْ سَلْمَانَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ رَبَّكُمْ حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ
عَبْدِهِ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ فَيَرُدَّهُمَا صِفْرًا أَوْ قَالَ خَائِبَتَيْنِ) (١٨٢)
عَنْ يَعْلَى قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيٌّ سِتِيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ
أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ) (١٨٣)

والغرض والغاية من وصف الله تعالى به فعل ما يسرّ وترك ما يضرّ والعطاء من غير سؤال « بذل
المجهود».

وقال الفيروز آبادي: وأما حياء الربّ تبارك وتعالى من عبده، فنوع آخر لا تدركه ولا تكيّفه العقول
فإنّه حياء كرم وبرّ وجود، فإنّه كريم يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا، ويستحي أن
يعذّب شيبة شابت في الإسلام) (١٨٤)

﴿الحياء من صفات الأنبياء والأتقياء:﴾

إخوة الإيمان: اعلّموا: أن الحياء صفة من صفات الأنبياء والأتقياء ممن اختارهم الله تعالى لحمل رسالته
والدعوة إلى منهجه ونذكر منهم:

١٨٢ - أخرجه أبوداود (١٢٧٣) وابن ماجه (٣٨٥٥)

١٨٣ - أخرجه أبو داود (٣٤٩٧)

١٨٤ - بصائر ذوي التمييز (٢/ ٥١٧)

❦ حياة كريم الله موسى عليه السلام:

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ((إِنْ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيًّا سِتِيرًا لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتَحْيَاءٌ مِنْهُ فَأَذَاهُ مَنْ أَذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسْتَرُ إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ وَإِمَّا آفَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبَيِّرَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى فَخَلَا يَوْمًا وَخَذَهُ فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الْحَجَرِ ثُمَّ اغْتَسَلَ فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الْحَجَرَ فَجَعَلَ يَقُولُ تَوْبِي حَجَرٌ تَوْبِي حَجَرٌ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ وَقَامَ الْحَجَرُ فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبَسَهُ وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ فَوَالَلهُ إِنْ بِالْحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (١٨٥)

❦ حياة حبيب الله محمد صلى الله عليه وسلم -

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جَالِسٌ وَعَائِشَةُ وَرَاءَهُ اسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَدَخَلَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَدَخَلَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عَلِيٌّ فَدَخَلَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فَدَخَلَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَانَ فَدَخَلَ وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَتَحَدَّثُ كَاشِفًا عَنْ رُكْبَتِهِ فَمَدَّ ثَوْبَهُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: اسْتَخْرِجِي عَنِّي. فَتَحَدَّثُوا سَاعَةً ثُمَّ خَرَجُوا قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَخَلَ عَلَيْكَ أَصْحَابُكَ فَلَمْ تَصْلَحْ ثَوْبَكَ عَلَى رُكْبَتِكَ وَلَمْ تَزْجُرْنِي عَنْكَ حَتَّى دَخَلَ عَثْمَانُ! فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ أَلَا أَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنْ الْمَلَائِكَةُ لَتَسْتَحْيِي مِنْ عَثْمَانَ كَمَا تَسْتَحْيِي مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؟ وَلَوْ دَخَلَ وَأَنْتَ قَرِيبَةٌ مِنِّي لَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ وَلَمْ يَتَحَدَّثْ حَتَّى يَخْرُجَ. (١٨٦)

❦ حياة عائشة رضي الله عنها:

أَمَّا إِنْ سَأَلْتُمْ عَنْ حَيَاةِ الْمُسْلِمَاتِ الْأَوَّلِ فَنَذْكُرْكُمْ بِحَيَاةِ الصَّدِيقَةِ بِنْتِ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا زَوْجَةِ الْحَبِيبِ الْمَحْبُوبِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كُنْتُ أَدْخُلُ بَيْتِي الَّذِي فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي، فَأَضَعُ ثَوْبِي فَأَقُولُ: إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي، فَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ مَعَهُمْ فَوَالَلهُ مَا دَخَلْتُ إِلَّا وَأَنَا مَشْدُودَةٌ عَلَى ثِيَابِي حَيَاءً مِنْ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (١٨٧)

١٨٥ - أخرجه أحمد (٣١٥/٢). و«البخاري» (٧٨١). و«مسلم» (١٨٣/١)، (٩٩/٧)

١٨٦ - أخرجه أحمد (٦٢/٦)، رقم (٢٤٣٧٥)، ومسلم (١٨٦٦/٤)، رقم (٢٤٠١)

١٨٧ - رواه ابن سعد/ الطبقات ٢/٢٩٤، ٣/٣٦٤، أحمد/ المسند ٦/٢٠٢، ابن شبة/ تاريخ المدينة ٣/١٦٢، الخلال / السنة ص ٢٩٧. صحيح من طريق أحمد.



ثمرات الحياء

أ- الحياء مفتاح كل خير: في الصحيحين: عن عمران بن حصين قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:

« الحياءُ لا يأتي إلا بخيرٍ ». (١٨٨)

يقول ابن حجر رحمه

الله: إذا صار الحياء عادة وتخلق به صاحبه يكون سبباً يجلب الخير إليه فيكون منه الخير بالذات والسبب. [فتح الباري:

الحياء أصل كل خير وذهابه ذهاب

ب- الحياء مغلاق لكل شر: في صحيح البخاري عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البصري

رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة

الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت» (١٨٩)

ج - الحياء سبب لكل الطاعات: في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال الإيمان سبع

وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان

». (١٩٠)

وقد سمي الحياء من الإيمان؛ لكونه باعثاً على فعل الطاعة وحاجزاً عن فعل المعصية فإن قيل لم أفرد

بالذكر هنا ؟ أجب بأنه -الحياء - كالداعي إلى باقي الشُّعَب - أي شعب الإيمان (١٩١)

معنى ذلك أن الحياء الحقيقي يحفزك على فعل باقي شعب الإيمان الكثيرة وكافة الطاعات.

د محبة الله تعالى لأهل الحياء: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن

الله تعالى إذا أنعم على عبد يحب أن يرى أثر النعمة عليه ويكره البؤس والتبؤس ويغض السائل الملحف

ويحب الحيي العفيف المتعفف». (١٩٢)

فالله تعالى يحب الحياء وبالتالي يحب أهل الحياء ومن أحبه الله تعالى صار سعيداً في كل حياته وعند مماته

وفي قبره ويوم لقاء الله تعالى.

١٨٨ - رواه البخاري رقم "٦١١٧" في الأدب، ومسلم رقم "٩٧" في الحياء،

١٨٩ - صحيح. رواه البخاري (٦١٢٠)

١٩٠ - - أخرجه: البخاري ٩/١ (٩)، ومسلم ٤٦/١ (٣٥) (٥٨).

١٩١ - [الفتح: ٦٨/١]

١٩٢ - قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ١٧١١ في صحيح الجامع

❦ الحياء زينة وبهاء: عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ، وَمَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانُهُ» (١٩٣)

❦ كز الأمن من أهوال يوم القيامة: في صحيح البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» (١٩٤)

قال القرطبي: قوله:

«إني أخاف الله إنما يصدر ذلك عن شدة خوف من الله تعالى ويقين وتقوى» (١٩٥)

❦ ح- الحياء شهادة ضمان لدخول الجنة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ» (١٩٦)

❦ أثر الحياء على الفرد والمجتمع

١- ❦ الصدق في المعاملة (بيعا، وشراء وتعلما، واستشارة وموعدا... الخ) وهذه من صفات المروءة التي يحمل عليها الحياء، قبل أن يدعو إليها الإسلام ومن الشواهد على ذلك الحوار المشهور بين أبي سفيان (عند ما كان في الجاهلية) وهرقل حيث أجابه بصدق عن كل ما سأل ولم يكذب بل قال: (فَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْحَيَاءَ مِنْ أَنْ يَأْتِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ) (١٩٧) وما أخرجنا إلى مثل هذا الصدق في معاملتنا، وفي حكمنا على الآخرين، بل وفي حكمنا على أنفسنا.

٢- ❦ أدب الطلاب مع المعلمين، واحترام الصغار للكبار، ومن الشواهد على ذلك ما جاء في فتح الباري عن ابن عمر انه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ فَرَّقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي

١٩٣ - أخرجه: ابن ماجه (٤١٨٥)، والترمذي (١٩٧٤)، وقال: ((حديث حسن غريب)).

١٩٤ - أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الزكاة: ٣٦ باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد

١٩٥ - [فتح الباري ٢/٦٦٠]

١٩٦ - أخرجه البخاري في (الأدب المفرد) (١٣١٤) و"ابن ماجه" ٤١٨٤

١٩٧ - البخاري في صحيحه ج ١/ ص ١١ حديث رقم: ٧



أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ - وفي رواية فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ فَإِذَا أَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمَ - ثُمَّ قَالُوا حَدَّثَنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هِيَ النَّخْلَةُ (١٩٨)

وعند ما يغيب الحياء نرى الطالب يتناول على المعلم والصغير لا يوقر الكبير ويختفي الاحترام وتغيب المروءة. وتظهر العبارات الوقحة من الطلاب والشباب (بل والشيب) في الأسواق، والمركبات العامة، والمناسبات.

٣- **شيوخ العفة بين الفقراء وترك الإلحاح في السؤال** جاء في صحيح البخاري عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ الْأُكْلَةُ وَالْأُكْلَتَانِ وَلَكِنَّ الْمِسْكِينُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ غِنًى وَيَسْتَحْيِي أَوْ لَا يَسْأَلُ النَّاسَ إِلْحَافًا) (١٩٩) قال ابن حجر:

(وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ الْمَسْكِينَةَ إِذَا تَحَمَّدَ مَعَ الْعِفَّةِ عَنِ السُّؤَالِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْحَاجَةِ، وَفِيهِ اسْتِحْبَابُ الْحَيَاءِ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ، وَحُسْنُ الْإِرْشَادِ لَوْضَعِ الصَّدَقَةِ، وَأَنْ يَتَحَرَّى وَضْعَهَا فِيمَنْ صِفَتُهُ التَّعَفُّفُ دُونَ الْإِلْحَاحِ) (٢٠٠)

فما أحوجنا إلى الحياء لتغيب عن مجتمعاتنا مظاهر التسول القبيحة من الذين يؤذون المصلين في المساجد عقب كل صلاة، أو الذين يخرجون الآكلين أثناء تناول الطعام، أو المتعلقين بالسائرين في الطرقات إلحاحًا وإصرارًا.

٨- **أثر قلة الحياء في حياة الفرد والمجتمع**

١. موت القلب، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه "من قل حياؤه قل ورعه، من قل ورعه مات قلبه"
٢. قال ابن مسعود رضي الله عنه "من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله"
٣. نقص الإيمان أو ذهابه بالكلية عيادًا بالله تعالى
٤. الإقدام على المعاصي وعدم الحياء؛ حتى إن إبليس إذا رآه تهلل وجهه
٥. من لا يستحي يكون ممقوتًا من الله ومن الناس

١٩٨ - أخرجه البخاري في: ٣ كتاب العلم: ٤ باب قول المحدث: حدثنا أو أخبرنا وأنبأنا

١٩٩ - أخرجه البخاري (٥٣٧/٢، رقم ١٤٠٦)، والنسائي (٨٥/٥، رقم ٢٥٧٢).

٢٠٠ - (الفتح ج ٥ ص ٩٧).

غيرة السلف على أعراضهم وتفريط الخلف (٢٠١)

الخطبة الأولى

أما بعد: أيها الأحباب أحباب الحبيب حبيب علام الغيوب محمد صلى الله عليه وسلم - نضر الله تلك الوجه وحياكم وبياكم ومن كل خير منحكم وأعطاكم ومن كل مكروه حفظكم ونجاكم حديثنا اليوم عن " غيرة السلف على أعراضهم وتفريط الخلف " لنرى البون شاسعا بين ما كان عليه السلف من غيرة ورجولة على أعراضهم وبين ما آل إليه حال الخلف وتردى أخلاقهم إلى هوة الديانة فأعيروني القلوب والأسماع

📖 **معنى الغيرة:** الغيرة أيها الإخوة: تغير القلب وهيجان الغضب بسبب الإحساس بمشاركة الغير فيما هو حق الإنسان، وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين، وهذه الغريزة يشترك فيها الرجال والنساء بل قد تكون في النساء أكثر وأشد.

📖 **الغيرة من مظاهر الرجولة:** الغيرة في موضعها مظهر من مظاهر الرجولة الحقيقية، وفيها صيانة للأعراض، وحفظ للحرمان، وتعظيم لشعائر الله وحفظ لحدوده، وهي مؤشر على قوة الإيمان ورسوخه في القلب، ولذلك لا عجب أن ينتشر التحلل والتبرج والتهتك والفجور في أنحاء العالم الغربي وما يشابهه من المجتمعات؛ لضعف معاني الغيرة أو فقدانها

📖 **الغيرة صفة من صات الله تعالى:**

اعلم علمني الله وإياك: أن من الصفات والأخلاق الكريمة التي يجب على المسلم أن يتصف بها ويعمل على التخلق بها صفة الغيرة، فالغيرة من صفات الله تعالى: كما في الحديث الصحيح عن المغيرة بن شعبه قال: سعد بن عباد لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: أتعجبون من غيرة سعد، فوالله لأنا أغير منه والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شخص أغير من الله ولا أحب إليه المعاذير ولذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين ولا شخص أحب إليه المدح من الله ولذلك وعد الجنة. (٢٠٢)

يقول بدر الدين العيني - رحمه الله - وأما معنى غيرة الله تعالى فالزجر عن الفواحش والتحريم لها والمنع منها لأن الغيور هو الذي يزجر عما يغار عليه وقد بين ذلك بقوله (ومن غيرته حرم الفواحش أي زجر عنها ومنع منها) وقال غيرة الله أن لا يأتي المؤمن ما حرم الله عليه

٢٠١ - موقع الألوكة وصيد الفوائد

٢٠٢ - أخرجه أحمد (٢٤٨/٤)، رقم (١٨١٩٣)، والبخاري (٢٦٩٨/٦)، رقم (٦٩٨٠)، ومسلم (١١٣٦/٢).



ومعنى الحديث سعد أنا أزجر عن المحارم منه والله أزجر مني واستدل ابن المواز من المالكية بحديث سعد هذا أنه إن وقع ذلك ذهب دم المقتول هدرا (٢٠٣)

وعند مسلم: عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إن الله تبارك وتعالى يغار وإن المؤمن يغار وغيره الله أن يأتي المؤمن ما حرم عليه.. فالله سبحانه يغار على عبده أن يرى في قلبه غيره لذلك يرد على المرائي والمشرک عمله لأنه لا يرضي أن يكون له شريكا، فقد أخرج مسلم عن أبي هريرة مرفوعا قال اله تعالى: أنا أغني الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه. (٢٠٤)

. فالله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم، ومن غيرته سبحانه أنه حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن فعن أبي هريرة (رضي) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إن الله يغار والمؤمن يغار، وغيره الله أن يأتي المؤمن ما حرم عليه،

غيرة (صلى الله عليه وسلم) على الأعراس غيرته على تلك المرأة التي تعرض لها أحد يهود بني قينقاع، روي ابن هشام عن أبي عون: أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها، فباعته في سوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها وهي غافلة فلما قامت انكشفت سواها فضحكوا بها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهوديا فشددت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع. (٢٠٥)

ومن غيرة المعصوم -صلى الله عليه وسلم- عن عائشة قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي رجل قاعد فاشتد ذلك عليه ورأيت الغضب في وجهه، قالت: فقلت: يا رسول الله إنه أخي من الرضاعة، قالت: فقال: (انظرن إختوتكن من الرضاعة؛ فإنما الرضاعة من المجاعة) (٢٠٦)

وجاء في حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما - قال: قال النبي: (رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة، وسمعت خشفة أي: حركة فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال، ورأيت قصرا بفنائها جارية، فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لعمر، فأردت أن أدخله فأنظر إليه، فذكرت غيرتك، فوليت

٢٠٣ - عمدة القاري [جزء ٢٠ - صفحة ٢٠٥]

٢٠٤ - أخرجه أحمد (٤٦٦/٣)، رقم (١٥٨٧٦)، والترمذي (٣١٤/٥)، رقم (٣١٥٤)

٢٠٥ - الرحيق المختوم (ص: ٢٠٠)

٢٠٦ - أخرجه أحمد (٩٤/٦)، رقم (٢٤٦٧٦)، والبخاري (٩٣٦/٢)، رقم (٢٥٠٤)، ومسلم (١٠٧٨/٢)، رقم (١٤٥٥)، وأبو داود (٢٢٢/٢)، رقم (٢٠٥٨)، والنسائي (١٠٢/٦)، رقم (٣٣١٢)، وابن ماجه (٦٢٦/١)، رقم (١٩٤٥).

مُدبراً)، فبكى عمر وقال: بأبي وأمي يا رسول الله، أعليك أغار؟! متفق عليه [٢٠٧]. أي: أعليها أغار منك؟!

❏ **غيرة معاذ بن جبل (رضي الله عنه):**

ومن غيرة شيدنا معاذ رضي الله عنه ما ذكر ابن القيم رحمه الله في روضة المحبين حيث قال: بينا معاذ (رضي الله عنه) جالس مع زوجته وهما يأكلان تفاح إذا دخل عليهما الخادم وكانت بيد زوجة معاذ تفاحه فنظر الخادم إليها وقد أكلت منها فدفعتها إليه فقام معاذ (رضي الله عنه) فأوجعها ضرباً غيرة عليها، لأنها قد أعطته من التفاحة التي أكلت منها. (٢٠٨)

❏ **غيرة امرأة وقتلها من روادها**

وهذه امرأة تغار على عرضها وتقطع طمع الذئب البشري الذي حاول أن يدنس عرضاً فقتلته فقد ذكر سفيان بن عيينة الزهري: عن القاسم بن محمد بن عبيد الله بن عمير أن رجلاً أضاف إنساناً من هذيل فذهبت جارية لهم تحتطب فأرادها عن نفسها فرمته بفهر فقتله فرفع ذلك إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فقال: ذاك قتيل الله يودي أبداً. (٢٠٩)

❏ **يُكتب هذا في مكارم الأخلاق:** يروى أن امرأة تقدمت إلى مجلس القاضي موسى بن إسحاق بمدينة الري... فادّعى وكيلها بأن لموكلته على زوجها خمسمائة دينار (مهرها)، فأنكر الزوج فقال القاضي لو وكيل الزوجة: شهودك. قال: أحضرهم.

فطلب بعض الشهود أن ينظر إلى المرأة، ليشير إليها في شهادته، فقام الشاهد وقال للمرأة: قومي. فقال الزوج: ماذا تفعلون؟

قال الوكيل: ينظرون إلى امرأتك وهي سافرة الوجه، لتصحّ عندهم معرفتها (وذلك للحاجة). قال الزوج: إني أشهد القاضي أنّ لها عليّ هذا المهر الذي تدّعيه ولا تُسفر عن وجهها. فقالت المرأة: إني أشهد القاضي أنّي وهبت له هذا المهر وأبرأت ذمته في الدنيا والآخرة. فقال القاضي وقد أعجب بغيرتهما: يُكتب هذا في مكارم الأخلاق.

٢٠٧ - صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأهلها مخلوقة (٣٠٧٠)، وكتاب فضائل الصحابة،

باب: مناقب عمر بن الخطاب (٣٤٧٦)، صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل عمر (٢٣٩٥).

٢٠٨ - روضة المحبين

٢٠٩ - روضة المحبين ص ٣٠٣..



وَأَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

أما بعد أيها الإخوة.....

اعلموا أن من صفات المؤمن الحق، غَيْرَتُهُ عَلَى أَهْلِهِ، وَعَكْسُهُ الدِّيُوثُ الَّذِي هُوَ أَحَبُّ خَلْقِ اللَّهِ، وَالْجَنَّةُ حَرَامٌ عَلَيْهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُ لَوْلَدَيْهِ، وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ، وَالدِّيُوثُ" رواه أحمد والنسائي، والديوث: هو الذي لا غيرةَ له على عِرْضِهِ وَأَهْلِهِ.

مظاهر انعدام الغيرة لدى خلف الأمة:

أيها الإخوة الأحباب إن مما يدمي الفؤاد تردّي أخلاق كثير من أبناء الأمة إلا ما رحم ربك حيث ماتت النخوة والرجولة في قلوب وإليك بعض مظاهر الديانة في عند خلف الأمة:

منها: إذن بعض أولياء الأمور لبناتهم بكشف وجوههن أمام الأجانب، وفي بعض البلاد بكشفهن سوقهن وشعورهن وسواعدهن وغير ذلك.

أَتَخَافُ عَلَى بَنَاتِكَ وَزَوْجَتِكَ مِنَ الْمَرَضِ وَالْبَرْدِ وَالْجُوعِ وَالْعَطَشِ أَمَا تَخَافُ عَلَيْهِنَّ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ نَارَ حَرِّهَا شَدِيدٌ وَقَعْرِهَا بَعِيدٌ وَمَقَامِعُهَا مِنْ حَدِيدٍ ؟؟؟ !!!

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: إِنَّا لَنَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمُنْزَلَ صِنْفَيْنِ فِي النَّارِ: قَوْمٌ يَكُونُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مَعَهُمْ سَيَاطٌ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ عَلَى غَيْرِ جُرْمٍ لَا يَدْخُلُونَ بُطُونَهُمْ إِلَّا خَبِيثًا، وَنِسَاءٌ كَاسِيَّاتٌ عَارِيَّاتٌ مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا (٢١٠)

ومنها: عدم إنكار بعض الأولياء والأزواج على زوجاتهم وبناتهم لبس العبايات غير الساترة؛ كالضيقة والرقيقة والشفافة والمزخرفة والمزينة.

ومنها: السماح للنساء بمشاهدة المسلسلات وسماع الأغاني ومتابعة البرامج التي تخدش الحياء وتعرض العورات وتثير الغرائز.

ومنها: ترك الحبل على الغارب في استعمال الزوجات والبنات للجوال عبر خدماته المختلفة من وسائل التواصل الاجتماعي وتصفح المواقع واليوتيوب وغيرها من المسميات.

ومنها: الإذن لخروج الزوجات والبنات إلى الشوارع والأسواق المزدهمة بالرجال وقضاء الأوقات الطويلة هناك من غير محرم.

ورد عن علي رضي الله عنه أنه قال: (ألا تستحيون أو تغارون؛ فإنه بلغني أن نساءكم يخرجن في الأسواق يزاحمن العلوج!) (٢١١).

وجاء عن الحسن قول قريب من ذلك حيث قال: (أتدعون نساءكم يزاحمن العلوج في الأسواق؟! قبح الله من لا يغار!) (٢١٢).

ومنها: عدم إنكار بعض الأزواج وأولياء الأمور على زوجاتهم أو بناتهم الركوب مع السائقين من غير أن يكون مع المرأة أحد في تلك السيارة غير السائق.

ومنها: السماح للنساء بإبقاء صورهن في الجولات وقد تكون المصيبة أن تكون الصور في حال تزين المرأة في أعراس وحفلات، ومن المعلوم أن الجولات معرضة للضياع والسرقة والذهاب إلى المهندسين.

ومنها: انتشار الألبسة الفاضحة؛ كالعارية والشفافة والضيقة كالبنطال، وأحياناً قد تلبسها البنت الشابة أمام إخوانها أو أعمامها وأخواتها، أو الزوجة أمام إخوة زوجها وأقاربه!

ومنها: ما نراه في الأفراح من اختلاط ومن رقص أمام الرجال وتصويرهن وهن يتمايلن ونشر ذلك على مواقع التواصل الاجتماعي بحجة أن ذلك يوم في العمر.....!!!!

هذه بعض المظاهر المؤسفة التي تدل على قلة الحياء وضعف الغيرة، التي نسأل الله أن يعافي المجتمعات المسلمة منها، وأن يرد أهل الزلل إلى رشدهم وكمال حيائهم وغيرتهم

هذا وصلوا وسلموا على القدوة المهداة...: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]

الدعاء.....

٢١١ - موسوعة المفاهيم الإسلامية (٢/ ٢٩٦)

٢١٢ - قوت القلوب (٢/ ٤١٨).



شذا الريحان من مزاح سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم (٢١٣)

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العلمين إله الأولين والآخرين وقيوم السماوات والأرضين، سبحانه
سبحانه بهرت عظمته قلوب العارفين، وأظهرت بدائعه لنواظر المتأملين، نصب الجبال فأرساها، وأرسل
الرياح فأجرها، ورفع السماء فأعلاها وبسط الأرض فدحاها، الملائكة من خشيته مشفقون، والرسل
من هيئته خائفون، والجبابة لعظمته خاضعون، ﴿لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ

[الروم: ٢٦]

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد الأحد، القيوم الصمد، الذي لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكنْ له كُفُوًا أحدٌ، لا مغيث غير الله، ولا مجير غير الله، ولا معين غير الله، ولا ناصر غير الله،
وأشهد أن محمد عبده ورسوله النبي المصطفى والرسول المجتبي الرحمة المهداة والنعمة المسداة، صاحب
المقام المحمود والحوض المورود الشفاعة العظمى، سيد الأولين والآخرين على الله ولا فخر ذاك:

الشفيع مقامه المحمود ولوائه بيد العلا معقود

فاذا توافدت للحساب وفود قالوا تقدم بالأنام زعيما

صلوا عليه وسلموا تسليما فيقوم بالباب العلي ويسجد

ويقول يا مولاي آن الموعد فيجابه قل يسمع إليك محمد

ونريك منا نصرة ونعيما صلوا عليه وسلموا تسليما

اللهم صل عليه وسلم على آله وأصحابه الطيبين الأبرار الذين كانوا فيما بينهم رحماء فرضى عنه رب
الأرض والسماوات وعن التابعين وتابعين بإحسان إلى يوم الدين قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا
اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) [آل عمران/ ١٠٢] ﴿

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا
كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) [النساء/ ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا
(٦٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) [الأحزاب/ ٦٩-٧١]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثاتها بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

"إن الإسلام دين واقعي لا يخلق في أجواء الخيال والمثالية الواهمة، ولكنه يقف مع الإنسان على أرض الحقيقة والواقع.. ولا يعامل الناس كأنهم ملائكة، ولكنه يعاملهم كبشر يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق.

لذلك لم يفرض الإسلام على الناس أن يكون كل كلامهم ذكراً، وكل سماعهم قرأناً، وكل فراغهم في المسجد، وإنما اعترف بهم وبفطرتهم وغرائزهم التي خلقهم الله عليها، وقد خلقهم - سبحانه - يفرحون ويمرحون ويضحكون ويلعبون، ولقد كانت حياة النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً رائعاً للحياة الإنسانية المتكاملة، فهو في خلوته يصلي ويطيل الخشوع والبكاء، ويقوم حتى تتورم قدماه، وهو في الحق لا يبالي بأحد في جنب الله، ولكنه مع الحياة والناس بشر سوى، يحب الطيبات ويبش ويتسم ويداعب ويمزح ولا يقول إلا حقاً

ولذا فلا عجب أنه صلى الله عليه وسلم كان يتفكه حيناً ويطرف للفكاهة والمزاح - الذي لا يحمل إثمًا - أحياناً، فلم يكن النبي صلى الله عليه وسلم في حياته جافاً ولا قاسياً ولا فظاً ولا غليظاً، وإنما عند استعراض سيرته وحياته صلى الله عليه وسلم نجد أنها قد تخللها نوع من الدعابة والمزاح." (٢١٤) و في هذا اللقاء نقف مع المزاح وحكمه والحكمة منه ومع صور مشرقة من مزاح رسل الله - صلى الله عليه وسلم -

تعريف المزاح:

أمّا اصطلاحاً: فعرفه بعض أهل العلم بأنه: المباسطة إلى الغير على جهة التلطف والاستعطاف دون أذية. (٢١٥)

حكمه:

المزاح في الأصل مباحٌ إن سلّم من محرّم؛ لفعل النبيّ صلى الله عليه وسلم له. قال العزّ بن عبد السلام رحمه الله: «فإن قيل: فما تقولون في المزاح؟ قلنا: إنّما يجوز المزاح لما فيه من الاستيرواح، إمّا للمزاح أو للممزوح معه، وإمّا لهما» ١..٥ (٢١٦)

٢١٤ - من كتاب صفة ضحك و بكاء النبي صلى الله عليه وسلم و مزاحه مع أصحابه المؤلف: أحمد مصطفى قاسم طهطاوي

٢١٥ - انظر: «لسان العرب»، و«تاج العروس»، و«الصّحاح»، و«المعجم الوسيط»: (مادة: مزح).

٢١٦ - «قواعد الأحكام في مصالح الأنام» (٢/٣٩١).



وَبِمِثْلِ ذَلِكَ قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ حَيْثُ قَرَّرَ أَنَّ مَا كَانَ مِنْهُ لِمَصْلَحَةٍ، وَتَطْيِيبِ نَفْسِ الْمُخَاطَبِ وَمُؤَانَسَتِهِ؛ فَهَذَا لَا مَانِعَ مِنْهُ قَطْعًا، بَلْ هُوَ سُنَّةٌ مُسْتَحَبَّةٌ إِذَا كَانَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ. (٢١٧)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا، قَالَ: «نَعَمْ غَيْرَ أَنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا».. (٢١٨)

ثالثًا الحكمة من شرعيته:

اعلم أن الحكمة من شرعية المزاح هي: مؤانسة الإخوان وتطبيب النفوس؛ لأن المزاح ما أُبِيحَ إِلَّا لما فيه من الاسترواح، إمَّا للمزاح أو الممزوح معه، وإمَّا لهما، قال الماوردي رحمه الله . ولذا قيل: «العاقِلُ يتوخَّى بمزاحه أحدَ حالَيْنِ لا ثالثَ لهما: أحدهما: إيناسُ المصاحِبِينَ والتَّودُّدُ إِلَى المَخَالَطِينَ، وثانيهما: أن يَنْفِي بِالْمَزَاحِ مَا طَرَأَ عَلَيْهِ وَحَدَّثَ بِهِ مِنَ الْهَمِّ» (٢١٩).

وجاء في مختلف الحديث لابن قتيبة.. فلو ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم طريق الطلاق والهشاشة والدمائة إلى القطوب والعبوس والزماتة أخذ الناس أنفسهم بذلك على ما في مخالفة الغريزة من المشقة والعناء، فمزح صلى الله عليه وسلم ليمزحوا، ووقف على أصحاب الدركة وهم يلعبون فقال: خذوا يا بني أرفدة، ليعلم اليهود أن في ديننا فسحة.. (٢٢٠)

وكان أصحابه رضوان الله عليهم يتأسون به صلى الله عليه وسلم ويقتدون بهديه وشكله.. كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ الأحزاب: ٢١

وروى الطبراني عن قرّة قال: قلت لابن سيرين: هل كانوا يتمازحون -يعني الصحابة-؟ قال: ما كانوا إلا كالناس، كان ابن عمر يمزح وينشد الشعر.. (٢٢١)

أشكال صور من مزاح النبي صلى الله عليه وسلم -

أولاً: مزاح النبي صلى الله عليه وسلم مع أطفال الصحابة رضي الله عنهم:

أخي المسلم لقد كن رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم رفيع درجته وسمو مكانته يداعب ويمزح الأطفال ولذكر موقف من مزاحه - صلى الله عليه وسلم - مع الأطفال

٢١٧ - الأذكار (ص: ٥٨١)

٢١٨ - رواه الترمذي في «سننه» (١٩١٣)، وفي «الشمائل» (٢٣٨)، وقال: «حديث حسن صحيح»، حديث صحيح، انظر: «الصحيح» (١٧٢٦).

٢١٩ - فيض القدير (٣ / ١٨)

٢٢٠ - تأويل مختلف الحديث (ص: ٢٩٣)

٢٢١ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢ / ٢٧٥)

🔖 الصورة الأولى: عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "يا ذا الأذنين". يعني يمازحه (٢٢٢)

إن هذا القول من جملة مداعباته -صلى الله عليه وسلم- ولطيف أخلاقه.

🔖 الصورة الثانية: روي عن عبد الله بن الحارث قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفُ عبد الله، وعبيد الله، وكثير بن العباس، ثم يقول: "مَنْ سبق إليَّ فله كذا وكذا". قال: فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره، فيقبلهم ويلتزمهم". (٢٢٣)

🔖 الصورة الثالثة: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ أَنَّهُ وَصَفَ أَخْلَاقَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَالَ: إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُخَالِطُنَا حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ! مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟» قَالَ: وَكَانَ إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ بَسَطْنَا بَسَاطًا لَنَا، فَقَامَ وَصَفَّنَا خَلْفَهُ " (٢٢٤)

قال أبو عيسى: وفقه هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمازح. وفيه أنه كنى غلاماً صغيراً فقال له: "يا أبا عمير". وفيه أنه لا بأس أن يُعطى الصبي الطير ليلعب به، وإنما قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "يا أبا عمير، ما فعل النغير؟". لأنه كان له نغير يلعب به، فمات، فحزن الغلام عليه، فمازحه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يا أبا عمير، ما فعل النغير؟" (٢٢٥)

🔖 ومن مزاحه صلى الله عليه وسلم: ما رواه البخاري ومسلم عن محمود بن الربيع رضي الله عنه قال: "عقلتُ من النبي صلى الله عليه وسلم مَجَّةً مَجَّهَا فِي وَجْهِهِ وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ مِنْ دُلُو". (٢٢٦)

قال النووي رحمه الله: "قال العلماء: المَجُّ طرح الماء من الفم بالتزريق؛ وفي هذا مُلاطفة الصبيان، وتأنيسهم، وإكرام آبائهم بذلك، وجواز المزاح...". اه باختصار؛ (٢٢٧)

🔖 مزاح النبي صلى الله عليه وسلم مع الرجال من أصحابه - رضي الله عنهم -

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، " أَنَّ رَجُلًا اسْتَحْمَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي حَامِلُكَ عَلَى وَلَدٍ نَاقَةٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ؟

٢٢٢ - أخرجه أحمد (١١٧/٣)، وأبو داود (٣٠١/٤)، وأبو داود (٣٠١/٤)، والترمذي (٣٥٨/٤)، رقم (١٩٩٢)

٢٢٣ - انظر: الشرائع الحمدي، لأبي عيسى الترمذي.

٢٢٤ - "مسند أحمد" ١/ ٢١٤.

٢٢٥ - أخرجه الطيالسي (ص ٢٨٠، رقم ٢٠٨٨)، وأحمد (١١٩/٣)، رقم (١٢٢٢٠)، والبخاري (٢٢٧٠/٥)، رقم (٥٧٧٨)

٢٢٦ - أخرجه البخاري (٢٩/١)

٢٢٧ - شرح مسلم: ٥/ ١٦٢.



فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَهْلٌ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا التُّوقُ " . (٢٢٨)

معناه سأعطيك جملاً كبيراً، ولكنه من باب المداعبة قال: سأحملك على ولد الناقة، فظن الرجل أنه سيعطى ناقة صغيرة أو جملاً صغيراً، فقال: وما أفعل به يا رسول الله فعلمه ووضح له الأمر - صلى الله عليه وسلم - فقال: له وهل من إبلا أو وهل من جملا إلا وهو ولد ناقة. (٢٢٩)

﴿مزاحه صلى الله عليه وسلم مع رجل من أهل البادية:﴾

عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرٌ بْنُ حَرَامٍ أَوْ حِرَامٍ، وَكَانَ يُهْدِي لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْهَدِيَّةَ مِنَ الْبَادِيَةِ، فَيَجْهُزُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ زَاهِرًا بَادِيًا وَنَحْنُ حَاضِرُونَ»، قَالَ: وَكَانَ يُحِبُّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ رَجُلًا دَمِيمًا، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ، وَهُوَ لَا يُبْصِرُهُ فَقَالَ: «أُرْسِلْنِي، مَنْ هَذَا؟» فَالْتَفَتَ فَعَرَفَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ لَا يَأْلُو مَا أَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ عَرَفَهُ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا وَاللَّهِ تَجَدَّنِي كَاسِدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ، - أَوْ قَالَ: - لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَ غَالٍ» (٢٣٠)

﴿مزاح النبي - صلى الله عليه وسلم مع النساء﴾

و لقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يمازح زوجاته رضي الله عنهن أجمعين وكذا كان يمازح النسوة من اتباعه

• يقول ابن كثير - رحمه الله -: "وكان من أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله ويتلطّف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه حتى إنّه كان يسابق عائشة أم المؤمنين يتودّد إليها بذلك". (٢٣١)

عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْذُنْ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: "تَقَدَّمُوا" فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ لِي: "تَعَالِي حَتَّى أُسَاقِكَ" فَسَاقَتْهُ

٢٢٨ - أخرجه أحمد (٢٦٧/٣)، رقم (١٣٨٤٤)، وأبو داود (٣٠٠/٤)، رقم (٤٩٩٨)، والترمذي (٣٥٧/٤)، رقم (١٩٩١)

٢٢٩ - الحديث الموضوعي - جامعة المدينة (ص: ٣٤٣)

٢٣٠ - مسند أحمد ط الرسالة (٩١ / ٢٠)

"مصنف عبد الرزاق" (١٩٦٨٨)، أخرجه الترمذي في "الشمائل" (٢٣٩)، وأبو يعلى (٣٤٥٦)، والبزار (٢٧٣٥) - كشف الأستار

٢٣١ - "تفسير ابن كثير" (٥٦٣ / ١)

فَسَبَقْتُهُ، فَسَكَتَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدَأْتُ وَنَسِيتُ، خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: "تَقَدَّمُوا" فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ: "تَعَالَى حَتَّى أُسَاقِكَ" فَسَبَقْتُهُ، فَسَبَقَنِي، فَجَعَلَ يَضْحَكُ، وَهُوَ يَقُولُ: "هَذِهِ بَيْتُكَ". (٢٣٢)

﴿مزاحه صلى الله عليه وسلم مع امرأة عجوز:﴾

عن الحسن قال: أتت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجنة. فقال: "يا أم فلان، إن الجنة لا تدخلها عجوز". قال: فقلت تبكي. فقال: "أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرْبًا أَتْرَابًا﴾" [الواقعة: ٣٥ - ٣٧]. (٢٣٣)

﴿وكان أصحابه رضوان الله عليهم ربما مازحوه صلى الله عليه وسلم.﴾

عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ وَقَالَ «ادْخُلْ». فَقُلْتُ أَكُلِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ «كُلْكَ». فَدَخَلْتُ. (٢٣٤). فعوف رضي الله عنه يمازح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك.

وهذا من مزاج أصحابه معه وطبي لبساط الأدب عند انبساط الحب وترك التكلف في مقام القرب (٢٣٥)

٢٣٢ - مسند أحمد ط الرسالة (٤٣/ ٣١٣) وأخرجه الطبراني في "مسند الشاميين" (٢٩٧) و (٣٦٠٨)

٢٣٣ - (الشمائيل الحمدي) ٢٣٨، الصحيحة: ٢٩٨٧، مختصر الشمائل: ٢٠٥، وهداية الرواة: ٤٨١٤

٢٣٤ - رواه ابن ماجه (٤٠٤٢)، وأحمد ٦/ ٢٤، وابن حبان (٦٦٧٥). وصححه الألباني.

٢٣٥ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١٤/ ١٦٢)



(هكذا كانوا يحاسبون أنفسهم) (٢٣٦)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي عز جلاله فلا تدركه الإفهام، وسما كماله فلا يحيط به الأوهام، وشهدت أفعاله أنه الحكيم العلام، الموصوف بالعلم والقدرة والكلام، سبحانه هو الله الواحد السلام، المؤمنون حبيب إليهم الإيمان وشرح صدورهم للإسلام، ويقبل التوبة ويكشف الحوبة ويغفر الإجرام، تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام

وأشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو علي كل شيء قدير شهادة من قال ربى الله ثم استقام

الله ربى لا أريد سواه هل في الوجود حقيقة إلا هو يا من وجب الكمال بذاته فالكل غاية فوزهم لقياه عجز الأنام عن امتداحك انه تتصاغر الأفكار دون مداه من كان يعرف انك الحق الذي بهر العقول فحسبه وكفاه

وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحببيه لم يزل صلى عليه الله وسلم يقاتل في الله بعزم واهتمام، حتى انقشع عن سماء الحق تراكم الغمام، وظل في أفق الإيمان بدر التمام

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

أما بعد: فاعلموا علمني الله وإياكم: أن المسلم لا بد من أن يحاسب نفسه على أقواله وأفعاله في سفرة وحضره، يحاسبها على العمل سواء كان الأمر يتعلق بالدين أو الدنيا، أو كان يتعلق به في خاصته أو يتعلق بغيرة من إخوانه، فإن ذلك هو أسلم الطرق للنجاة من النار ومن شدة المحاسبة في الآخرة

تعريف المحاسبة: عرفها الإمام الماوردي فقال: المحاسبة أن يتصفح الإنسان في ليله ما صدر من أفعاله فمأثره فإن كان محموداً أمضاه وأتبعه بما شاكره وضأه، وإن كان مذموماً استدراكه إن أمكن وإن لم يمكن فيتبعها بالحسنات لتكفيرها وينتهي عن مثلها في المستقبل

﴿دعوة القرآن والسنة إلى المحاسبة:﴾

والمحاسبة لا نجاة إلا بها ﴿يَوْمَ يَعْتَنُّهُمْ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَنْبِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ [المجادلة: ٦]﴾.

والمحاسبة تصدر من التأمل في هذه النصوص، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾ المحاسبة انطلاقاً من آثار قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ [آل عمران: ٣٠]﴾. والمحاسبة تنطلق من الإيمان باليوم الآخر وأن الله يحاسب فيه الخلائق وقد حذرنا الله من ذلك اليوم فقال سبحانه وتعالى ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [البقرة: ٢٨١]﴾

﴿حث السلف على محاسبة النفس﴾

اعلم زادك الله علماً: أن سلف هذه الأمة تواتره أقوالهم على الحث على محاسبة العبد نفسه والوقوف بها عند الخطرات وغيرها،

عن وهب بن منبه: قال مكتوب في حكمة آل داود: حق على العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه،

وساعة يخلو فيها مع إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه، ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلو فيها بين نفسه وبين لداقها، فيما يحل ويحسد في هذه الساعة عوناً على تلك الساعات وإجماعاً للقلوب. (٢٣٧)

وحق على العاقل أن لا يرى ظاعناً إلا في ثلاث زاد لميعاد، أو مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم، وحق على العاقل أن يكون عارفاً بزمانه، حافظاً للسانه على شأنه.

قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفي منكم خافية. (٢٣٨)

﴿هكذا كانوا يحاسبون أنفسهم﴾

أيها الإخوة الفضلاء: هيا لنعيش مع سلف هذه الأمة لنرى كيف كانوا يحاسبون أنفسهم في جميع أحوالهم وأفعالهم وأقوالهم

٢٣٧ . مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ٢٨ ص ٣٦٨، وإحياء علوم الدين ج ٤ ص ٤٠٢، و. أخبار أصبهان - (رقم ١٩٨)

٢٣٨ . - أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/١٠٣)، رقم (٣٠٦)، وابن أبي شيبة (٩٦/٧)، رقم (٣٤٤٥٩)



أولاً: حاسبوا أنفسهم على أقوالهم

إن للكلمة تأثير عظيم ولها خطر كبير فرب كلمة كانت سبباً من أسباب سعادة المرء في الدنيا والآخرة ورب كانت سبباً لشقائه في الدنيا والآخرة عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنم)) (٢٣٩)

لذا كان سلف هذه الأمة يحاسبون أنفسهم على أقوالهم لعلمهم أن هناك ملائكة يدونون ما يتلفظ به الإنسان ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٦ - ١٨]

فتأملوا صديق هذا الأمة -رض الله عنه- فعن قيس قال رأيت، أبا بكر أخذ بطرف لسانه ويقول هذا الذي أوردني الموارد. (٢٤٠)

وهذا ابن مسعود رضي الله عنه -يعاتب لسانه ويقول: ((أنه ارتقى الصفا فأخذ بلسانه فقال: يا لسان قل خيراً تغنم، واسكت عن شر تسلم، من قبل أن تندم. ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أكثر خطايا ابن آدم في لسانه)) (٢٤١).

حدث أبو حيان التميمي عن أبيه قال: رأيت ابنة الربيع بن خثيم أته فقالت: يا أبتاه، أذهب ألعب؟ قال: يا بني، اذهبي قولي خيراً. (٢٤٢)

قال طوق بن منبه: دخلت على محمد بن سيرين فقال: كأني أراك شاكياً؟ قلت: أجل، قال: اذهب إلى فلان الطبيب فاستوصفه، ثم قال: اذهب إلى فلان فإنه أطب منه، ثم قال: أستغفر الله أراني قد اغتبهته. (٢٤٣)

٢٣٩ - رواه البخاري كتاب الرقائق، باب حفظ اللسان [٦٤٧٨].

٢٤٠ - أداب النفوس - (ص: ٤٤) - صفة الصفوة ج ١ ص ٨٧ و. الرياض النضرة في مناقب العشرة - (ص: ٩١)

٢٤١ - رواه الطبراني (١٩٧/١٠) (١٠٤٤٦)، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (١٠٧/٤)

٢٤٢ - أخرجه ابن سعد (١٨٨/٦)، وهناد في " الزهد " (٢/ ٥٣٨).

٢٤٣ - صفة الصفوة ٣ / ١٧١

ثانياً: حاسبوا أنفسهم على تركهم المحافظة على صلاتهم

أيها الآباء والإخوة الأعزاء: إن الصلاة التي يتهاون بها كثير من المسلمين ويضيعونها ويفرطون فيها والله تعالى أمرنا أن نحافظ عليها وإن نقيمها في أوقاتها فقال سبحانه وتعالى ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]

ولعظم شأن الصلاة جعلها النبي - صلى الله عليه وسلم - العهد الذي بين أهل الإيمان وأهل الكفر والعصيان فعن أبي بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن ترك الصلاة فقد كفر. (٢٤٤)

وجعل الحد الفاصل بين الكفر والإيمان فقال - صلى الله عليه وسلم - بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة. (٢٤٥)

واعلم علمني الله وإياك: أن الصلاة هي وصية النبي - صلى الله عليه وسلم - لأمته عند فراقه الدنيا فعن علي رضي الله عنه قال: كان آخر كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم. (٢٤٦)

عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ، قَالَ: جَلَسْتُ إِلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ عِبَادَةُ بَنِي الصَّامِتِ فَذَكَرُوا الْوُتْرَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ سُنَّةٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ وَاجِبٌ، فَقَالَ عِبَادَةُ: لَا أَدْرِي مَا تَقُولُ غَيْرَ أَنِّي أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " أَتَانِي جَبْرِيلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ إِنِّي أَفْرَضْتُ عَلَى أُمَّتِكَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فَمَنْ أَدَّاهُنَّ بِحُقُوقِهِنَّ وَطَهَّرِهِنَّ، وَمَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ فِيهِنَّ، فَإِنَّ لَهُ عَهْدًا أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ انْتَقَصَ مِنْ حُقُوقِهِنَّ شَيْئًا فَلَا عَهْدَ لَهُ عَلَيَّ، إِنْ شِئْتُ عَذَّبْتُهُ، وَإِنْ شِئْتُ غَفَرْتُ لَهُ " (٢٤٧)

ولقد كان سلف هذه الأمة يحافظون عليها ولا يتخلفون عن صلاة الجماعة وكانوا يحاسبون أنفسهم إذا فترت عزائمهم عن الصلاة

فها هو الفاروق رضي الله عنه يحاسب نفسه على تركه لصلاة الجماعة فعن نافع: أن ابن عمر كان إذا فاتته العشاء في جماعة أحيأ بقية ليلته.

وروي أن عمر بن الخطاب فاتته صلاة العصر مع جماعة، فتصدق بأرض قيمتها مائة ألف درهم.

٢٤٤ - أخرجه ابن أبي شيبة (١٦٧/٦)، رقم ٣٠٣٩٦، وأحمد (٣٤٦/٥)، رقم ٢٢٩٨٧، والترمذي (١٣/٥)، رقم ٢٦٢١.

٢٤٥ - أخرجه البخاري رقم ٢٥، وأخرجه أيضاً: أحمد (٣٨٩/٣)، رقم ١٥٢٢١.

٢٤٦ - أحمد (٧٨/١)، رقم ٥٨٥، والبخاري في الأدب المفرد (٦٧/١)، رقم ١٥٨.

٢٤٧ - أخرجه أحمد (٢٤٤/٤)، رقم ١٨١٥٧ [الصحيحة: (٨٤٨)].



وهذا رجل صالح فاتته صلاة الجماعة، وما فاتته منذ أربعين سنة، فندم ندمًا عظيمًا، وتأسف أسفًا بالغًا، ثم قام يصلي وحده، فصلى سبعا وعشرين صلاة؛ لأنه سمع حديث النبي: «صلاة الرجل في جماعة تفضل عن صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة».

فصلى الصلاة التي فاتته سبعا وعشرين مرة، ثم نام، فرأى في المنام خيالة يركبون على خيول، عليهم ثياب بيض، ثم رأى نفسه على فرس وحده، يحاول أن يلحق بهم فلا يستطيع، فيضرب فرسه ليدركهم فلا يقدر، ثم التفتوا إليه وقالوا: لا تحاول، نحن صلينا في جماعة، وأنت صليت وحدك!! ومنها: حاتم الأصم وهو رجل صالح فاتته صلاة العصر في جماعة، فصلاها في البيت، فجلس يبكي؛ لأن صلاة الجماعة قد فاتته - نقول هذا لكثير من المؤمنين الذين تفوتهم الصلاة بكليتها حتى يخرج وقتها- فجاءه أصحابه يعزونه على فوات صلاة الجماعة، فنظر إليهم وكانوا قلة فبكى، قالوا: ما يبكيك رحمك الله؟

قال: لو مات ابن من أبنائي لأتى أهل المدينة كلهم يعزونني، أما أن تفوتني صلاة فلا يأتيني إلا بعض أهل المدينة!! والله لموت أبنائي جميعا أهون عندي من فوات صلاة الجماعة: (تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ) ندم لأنه ترك الطاعة، وندم لأنه ارتكب المعصية.

ثالثا: حاسبوا أنفسهم على إضاعة أوقاتهم

إخوة الإسلام: ومما هو مشاهد لدى الجميع أننا نرى كثيرا من الناس يضيعون أوقاتهم في غير طاعة أمام الشاشات والفضائيات والشبكات يقتلون أوقاتهم وما درى هؤلاء أنهم يقتلون أعمارهم فعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم- لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه؛ وعن شبابه فيما أبلاه؛ وعن ماله من أين أكتسبه؛ وفيما أنفقه؛ وعن عمله ماذا عمل فيه. (٢٤٨)

في الحديث الذي أخرجه البخاري عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم- " نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ ". (٢٤٩)

و لقد كان سلف هذه الأمة يدركون قيمة الوقت وانه انفس من الذهب لذا كانوا يحاسبون انفسهم على أوقاتهم التي ربما تمر من غير طاعة

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسهُ اقترب فيه أجلي ولم يزد فيه عملي..

٢٤٨ - أخرجه الترمذي (٤/٦١٢، رقم ٢٤١٦) وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم ١٩٦٩.

٢٤٩ - سبق تخريجه.

فلله دره هو صحابي جليل ساقاه النحيلتان أثقل في الميزان من جبل أحد كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم

وقال ابن عمر قال لما أُحتضر: "لم آسف على شيء في الدنيا إلا على ثلاث ضمماً المهاجر ومكابدة الليل ولم أقاتل الفئة الباغية التي نزلت بنا يعني الحجاج"

وتدبر أخي المسلم معي ما قاله هذا الحكيم "من أمضى يوماً من عمره في غير حق قضاءه، أو فرض أداه أو مجد أثله أو حمد حصله أو خير أسسه أو علم أقتبسه فقد عق يومه وظلم نفسه"

وعن سحيم مولي بني تميم: قال جلست إلى عامر بن عبد الله وهو يصلي فتجوز في صلاته ثم أقبل علي، فقال أرحني بحاجتك فأني أبادر؛ قلت وما تبادر؟

قال: ملك الموت رحمك الله قال: فقمته عنه، وقام إلى صلاته (٢٥٠) وقال رجل قف حتى أكلمك فقال: فأمسك الشمس. (٢٥١)

رابعاً: حاسبوا أنفسهم على الاشتغال بغير ما يعينهم

ومن الأمور التي كان سلف الأمة يحرص عليها عدم الاشتغال بما لا يعينهم والعمل بحديث النبي صلى الله عليه وسلم - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حُسِّنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ تَرَكُّهُ مَا لَا يَعْنِيهِ» (٢٥٢)

يقول ابن القيم رحمه الله: فأنتفع الدواء أن تشغل نفسك بالفكر فيما يعينك دون ما لا يعينك فالفكر فيما لا يعني باب كل شر ومن فكر فيما لا يعنيه فاته ما يعنيه واشتغل عن أنفع الأشياء له بما لا منفعة له فيه فالفكر والخواطر والإرادة والهمة أحق شيء بإصلاحه من نفسك فإن هذه خاصتك وحقيقتك التي تبتعد بها أو تقرب من إلهك ومعبودك الذي لا سعادة لك إلا في قربه ورضاه عنك وكل الشقاء في بعدك عنه وسخطه عليك ومن كان في خواطره ومجالات فكره دينياً خسيساً لم يكن في سائر أمره إلا كذلك وإياك أن تمكن الشيطان من بيت أفكارك وإرادتك فإنه يفسدها عليك فساداً يصعب تداركه (٢٥٣).

يقول عطاء بن رباح رحمه الله: "أما يستحي أحدكم لو نُشِرت صحيفته التي أُملى في صدره فماره، وليس فيها شيء من أمر آخرته ينفعه".

٢٥٠ - قصر الأمل - (١ / ١٠٢)

٢٥١ - صيد الخاطر ص ٤٦٧.

٢٥٢ - أخرجه الترمذي (٥٥٨/٤ رقم ٢٣١٧) وقال: غريب. وابن ماجه (١٣١٥/٢)، رقم ٣٩٧٦،

٢٥٣ - الفوائد (ص: ١٧٥)



دخلوا على أبي دجانة رضي الله عنه وهو مريض، فكان وجهه يتهلل، فقيل له: ما لوجهك يتهلل يرحمك الله؟ فقال: [[ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، وكان قلبي للمسلمين سليماً]]^(٢٥٤) ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

ودخل رجل فضولي على داود الطائي رحمه الله زائراً، فقام يتفقد البيت، ثم قال: يا إمام! إن في سقف بيتك جذعاً مكسوراً.

قال: يا بن أخي! إن لي في البيت عشرين سنة ما تأملت سقفه، مالك وله رحمك الله؟! ﴿من حُسن إسلام المرأة تركه ما لا يعنيه﴾. وكل ما يزرع الإنسان يحصده فأحسن الزرع يحسن حين يُحتصد ورحم الله ابن بشار يوم قال -متحدثاً بنعمة الله عليه-: منذ ثلاثين سنة ما تكلمت بكلمة أحتاج أن أعتذر عنها.

واسمع أخي لأحد السلف رحمه الله: أنه أراد طلاق امرأة؛ فقيل له: ما الذي يريك فيها؟ فقال: العاقل لا يهتك ستر امرأته، فلما طلقها قيل له: لم طلقته؟ فقال مالي ولا امرأة غيري^(٢٥٥). ومرَّ حسان بن سنان بغرفة فقال: متى بنيت هذه؟ ثم أقبل على نفسه فقال: تسألين عما لا يعينك لأعاقبك بصوم سنة، فصامها.^(٢٥٦)

❧ خامسا: كانوا يحاسبون أنفسهم على النوم عن صلاة الليل

إخوة الإسلام: ومن مجالات المحاسبة التي كان سلف الأمة يحرصون عليها محاسبة أنفسهم على صلاة الليل وتركهم إياها قال أبو جعفر البقال: دخلت على أحمد بن يحيى رحمه الله، فرأيت يبيكي بكاء كثيراً ما يكاد يتمالك نفسه!! فقلت له: أخبرني ما حالك؟! فأراد أن يكتمني فلم أدعه، فقال لي: فاتني حزبي البارحة!! ولا أحسب ذلك إلا لأمر أحدثته، فعوقبت بمنع حزبي!! ثم أخذ يبيكي!! فأشفقت عليه وأحببت أن أسهل عليه، فقلت له: ما أعجب أمرك!! لم ترض عن الله تعالى في نومة نومك إياها، حتى قعدت تبكي!! فقال لي: دع عنك هذا يا أبا جعفر!! فما احسب ذلك إلا من أمر أحدثته!! ثم غلب عليه البكاء!! فلما رأيته لا يقبل مني انصرف وتركته.

^{٢٥٤} - رواه ابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) (٣/ ٥٥٧) من حديث زيد بن أسلم.

^{٢٥٥} - ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٢/ ٥٦).

^{٢٥٦} - موسوعة الأخلاق والزهد والرفائق (٢/ ١٩٣)

كان أبو مسلم الخولاني - رحمه الله - يصلي من الليل فإذا أصابه فتور أو كسل قال لنفسه: أیظن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يسبقونا عليه، والله لأزاحمهم عليه، حتى يعلموا أنهم خلفوا بعدهم رجالا !! ثم يصلي إلى الفجر. أقول قولي، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، اللهم لك الحمد على نعمة الإسلام والإيمان، ولك الحمد أن جعلتنا من أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، أما بعد:

سادسا: محاسبتهم أنفسهم على ما بدر منهم من خطايا وذنوب:

ومن موطن المحاسبة التي كان يواظب عليها الأنبياء والصالحون محاسبتهم أنفسهم على ما بدر منهم من خطايا وذنوب وتوبتهم إلى علام الغيوب جل جلاله

فها هو أبو البشرية-آدم -عليه السلام- يحاسب نفسه ويكي ولا يستطيع أن يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله تعالى، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «بَكَى آدَمُ عَلَى خَطِيئَتِهِ مِائَةَ سَنَةٍ، وَمَا رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ بَعْدَ ذَلِكَ حَيًّا مِنْ رَبِّهِ» (٢٥٧)

وها هو نبي الله داود عليه السلام يعاتب ويحاسب نفسه على خطيئته عن مُجَاهِدٍ، قَالَ: " سَأَلَ دَاوُدُ رَبَّهُ أَنْ يَجْعَلَ خَطِيئَتَهُ فِي كَفِّهِ. فَكَانَ لَا يَتَنَاوَلُ طَعَامًا، وَلَا شَرَابًا، وَلَا يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى شَيْءٍ إِلَّا أَبْصَرَ خَطِيئَتَهُ فَأَبْكَاهُ قَالَ: فَكَانَ رَبُّمَا أَتَى بِالْقَدَحِ ثَلَاثَةَ مَاءٍ فَيَهْرِيقُهُ يَتَنَاوَلُهُ، فَيَنْظُرُ إِلَى خَطِيئَتِهِ، وَلَا يَضَعُهُ عَلَى شَفْتِهِ حَتَّى يُفِيضَ مِنْ دُمُوعِهِ " (٢٥٨)

سَلَمَةُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ بَعْضِ رَجَالِهِ، أَنَّ زَيْدًا ضَحِكَ ذَاتَ يَوْمٍ حَتَّى عَلَا صَوْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ. وَبَكَى بُكَاءً شَدِيدًا فَقَالَ لَهُ جُلَسَاؤُهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ: مَا رَأَيْنَا أَصْلَحَ اللَّهَ الْأَمِيرَ بُكَاءً فِي إِثْرِ ضَحِكٍ أَسْرَعَ مِنْ بُكَائِكَ بِالْأَمْسِ قَالَ «إِنِّي وَاللَّهِ ذَكَرْتُ ذَنْبًا أَذْنَبْتُهُ، كُنْتُ بِهِ حِينَئِذٍ مَسْرُورًا، فَذَكَرْتُهُ، فَبَكَيتُ خَوْفًا مِنْ عَاقِبَتِهِ ثُمَّ بَكَى أَيْضًا» (٢٥٩)

أحد الصالحين: - عن شعبة بن منصور عن إبراهيم: أن رجلا من العباد كلم امرأة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها، فوضع يده في النار حتى نشت. (٢٦٠)

٢٥٧ - الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (ص: ٢١٩)

٢٥٨ - الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (ص: ٢٣٩)

٢٥٩ - الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (ص: ١٤٠)

٢٦٠ - محاسبة النفس رقم ٤٨، و الدينار - (رقم ١٤) و التواين - (رقم ٢٩)



غزوان بن غزوان الرقاشي: عن هارون بن رثاب، أن غزوان، وأبا موسى كانا في بعض مغازيهم فتكشفت جارية فنظر إليها غزوان فرفع يده فلطم عينه حتى نفرت وقال: « إنك للحاظلة إلى ما يضرك »^(٢٦١)

هكذا أيا الآباء والإخوة الفضلاء كانوا يحاسبون أنفسهم في جميع أحوالهم فحاسبوا أنفسهم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسهم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفي منكم خافية

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا^(٢٦٢)

الخطبة الأولى

فاعلم علمني الله وإياك: أن المسلم لابد من أن يحاسب نفسه على أقواله وأفعاله في سفرة وحضره، يحاسبها على العمل سواء كان الأمر يتعلق بالدين أو الدنيا، أو كان يتعلق به في خاصته أو يتعلق بغيره من إخوانه، فإن ذلك هو أسلم الطرق للنجاة من النار ومن شدة المحاسبة في الآخرة تعريف المحاسبة: عرفها الإمام الماوردي فقال: المحاسبة أن يتصفح الإنسان في ليله ما صدر من أفعاله نهاره فإن كان محمودا أمضاه وأتبعه بما شاكله وضاهاه، وإن كان مذموما استدراكه إن أمكن وإن لم يمكن فيتبعها بالحسنات لتكفيرها وينتهي عن مثلها في المستقبل

﴿دعوة القرآن والسنة إلى المحاسبة:﴾

والمحاسبة لا نجاة إلا بها ﴿يَوْمَ يَعْتَصِمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَنْبِتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ [المجادلة: ٦]﴾.

والمحاسبة تصدر من التأمل في هذه النصوص، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾ المحاسبة انطلاقا من آثار قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ [آل عمران: ٣٠]﴾. والمحاسبة تنطلق من الإيمان باليوم الآخر وأن الله يحاسب فيه الخلائق وقد حذرنا الله من ذلك اليوم فقال سبحانه وتعالى ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [البقرة: ٢٨١]﴾

٢٦١ - المحاسبة رقم ٤٠، و صفة الصفوة - (٣ / ٢٥٢)

٢٦٢ - موقع الالوكة و صيد الفوائد

محاسبة النفس طريقة المؤمنين وسمة الموحدين وعنوان الخاشعين فالؤمن متق لربه محاسب لنفسه مستغفر لذنبه يعلم أن النفس خطرهما عظيم وداؤها وخيم ومكرها كبير وشرها مستطير فهي أمارة بالسوء ميالة إلى الهوى داعية إلى الجهل، فائدة إلى الهلاك تواقعة إلى الله إلا من رحم الله فلا تترك لهواها لأنها داعية إلى الطغيان، من أطاعها، قادتته إلى القبائح ودعته إلى الرذائل وخاضت به المكارة... وغوائلها عجيبة ونزعاتها مخيفة وشرورها كثيرة فمن ترك سلطان النفس حتى طغى فإن له يوم القيامة مأوى من **جحيم** ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى [النازعات: ٣٧ - ٣٩] ﴾ وعلى النقيض ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى [النازعات: ٤٠، ٤١] ﴾.

الآية التي أمرنا الله فيها بالحاسبة هي قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [الحشر: ١٨] ﴾ تنظر أي تفكر وتتفكر.

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - عن هذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه وأنه ينبغي له أن يتفقدتها فإن رأى ذنب تدركه عنه بالإقلاع والتوبة النصوح والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه وإن رأى نفسه مقصرا في أمر الله بذل جهده واستعان بربه في تكميله وإتقانه ويقايس بين ممن الله عليه وبين تقصيره هو في حق الله فإن ذلك يوجب الحياء لا محالة والحرمان كل الحرمان أن يغفل العبد عن هذا الأمر ويشابه قوما نسوا الله وغفلوا عن ذكره والقيام بحقه وأقبلوا على حظوظ أنفسهم وشهواتها فلم ينجحوا ولم يحصلوا على طائل بل أنساهم الله مصالح أنفسهم وأغفلهم عن منافعها وفوائدها فصار أمرهم فرطا فرجعوا بخسارة الدارين وغبنوا غبنا لا يمكن تدركه ولا يجبر كسره لأنهم هم الفاسقون^(٢٦٣)

❦ **حث السلف على محاسبة النفس:**

اعلم زادك الله علما: - أن سلف هذه الأمة تواتره أقوالهم على الحث على محاسبة العبد نفسه والوقوف بها عند الخطرات وغيرها،
عن وهب بن منبه: قال مكتوب في حكمة آل داود: حق على العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعة يناجي فيها ربه،

وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها مع إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه، ويصدقونه عن نفسه،



وساعة يخلو فيها بين نفسه وبين لذاتها، فيما يحل ويحمد في هذه الساعة عوناً على تلك الساعات وإجماماً للقلوب. (٢٦٤)

وحق على العاقل أن لا يرى ظاعناً إلا في ثلاث

زاد لميعاد،

أو مرمة لمعاش،

أو لذة في غير محرم،

وحق على العاقل أن يكون عارفاً بزمانه، حافظاً للسانه على شأنه.

قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفي منكم خافية. (٢٦٥)

وكتب عمر (رضي الله عنه) .. إلى بعض عماله: فكان في آخر كتابه: أن حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة، فإن من حاسب نفسه في الرخاء قبل حساب الشدة عاد مرجعه إلى الرضى والغبطة، ومن أهتته حياته وشغلته شهواته، عاد مرجعه إلى الندامة والحسرة، فتذكر ما توعظ به لكي تنتهي عما ينهي عنه (٢٦٦)

وقال الحسن بن أبي الحسن: فإذا علم العبد أنه خلق وحده ويموت وحده، ويحاسب وحده، وما قدر الله له من الذنوب والخطايا لا يحمله عنه غيره يكون حذراً ويتوقع رسولاً رب العالمين عند كل كلمة وعند كل خطوة، والدنيا ميدان الله والمؤمنون خيل الله اليوم المضمار، وغدا السباق، ولا يجاوز الصراط إلا كل ضامر مهزول من خشية الله. (٢٦٧)

قال الحسن البصري - رحمه الله -: المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله عز وجل وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وإنما شق الحساب يوم القيامة أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة، إن المؤمن يفاجأ الشيء وبعبجه الشيء فيقول: الله إني لأشتهيك وإنك لمن حاجتي ولكن والله ما صلة إليك هيهات حيل بيني وبينك ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول هيهات ما أردت إلى هذا ومالي ولهذا، والله ما أعذر بهذا ولا أعود إلى هذا أبداً إن شاء الله، ومالي ولهذا والله ما

٢٦٤ . مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ٢٨ ص ٣٦٨، وإحياء علوم الدين ج ٤ ص ٤٠٢، و. أخبار أصبهان - (رقم ١٩٨)

٢٦٥ . - سبق تخريجه

٢٦٦ - تاريخ دمشق ج ٤٤ ص ٣٣٥، و الزهد الكبير للبيهقي - (رقم ٤٦٩) ومحاسبة النفس - (رقم ١٦)

٢٦٧ - طبقات المحدثين بأصبهان ج ٢ ص ٣٤٨.

أعذر بهذا والله لا أعود إلى هذا أبداً إن شاء الله، إن المؤمنين قوم أوقفهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته لا يأمن شيئاً حتى يلقي الله، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وفي بصره وفي لسانه وفي جوارحه. (٢٦٨)

❖ ومحاسبة النفس نوعان: نوع قبل العمل، ونوع بعده.

واعلموا علمني الله وإياكم أن للمحاسبة نوعان:

النوع الأول: فهو أن يقف عند أول همه وإرادته فينظر: هل العمل موافق لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أم لا؟ فإن كان موافقاً أقدم، وإن كان مخالفاً ترك، ثم ينظر: هل فعله خير له من تركه؟ أو تركه خير له من فعله؟ فإن كان الثاني: تركه ولم يقدم عليه، ثم ينظر: فإن كان لله مضي، وإن كان للجاء، والثناء، والمال من المخلوق ترك.

❖ أما النوع الثاني: فهو محاسبة النفس بعد العمل وهو ثلاثة أنواع: أولاً: محاسبتها على طاعة قصرت فيها من حق الله تعالى فلم توقعها على الوجه الذي ينبغي، وحق الله في الطاعة ستة أمور: الإخلاص لله في العمل، النصيحة لله فيه، متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، شهود مشهود الإحسان فيه، شهود منة الله عليه، شهود تقصيره فيه، بعد ذلك كله يحاسب نفسه هل وفّى هذه المقامات حقها؟ وهل أتى بها في هذه الطاعة؟

ثانياً: أن يحاسب نفسه على المناهي، فإن عرف أنه ارتكب منها شيئاً تداركه بالتوبة، والاستغفار، والحسنات الماحية.

ثالثاً: أن يحاسب نفسه على كل عمل كان تركه خيراً من فعله.

❖ فوائد المحاسبة:

أخي المسلم: هيا لنرى الفوائد التي يجنيها المحاسب لنفسه بعد المحاسبة يقول ابن القيم رحمه الله: وفي محاسبة النفس عدة مصالح منها

الاطلاع على عيوبها، ومن لم يطلع على عيب نفسه لم يمكنه إزالته فإذا اطلع على عيوبها مقتها في ذات الله، وقد روي الإمام أحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في جنب الله ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مقتاً، ثم تأمل أخي المسلم إلى أحوال السلف وحرصهم الشديد على محاسبة أنفسهم ومقتها في جنب الله: -

٢٦٨ - المحاسبة رقم ١٧، و الزهد لابن المبارك - (رقم ٣٠٧) ذم الهوى - (ص: ٤١) وتهذيب الكمال - (٣١ / ٥٣١)



قال مطرف بن عبد الله. لولا ما اعلم من نفسي لقليت الناس.
قال أبو بكر المزني: إلى أهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم لو لا أي كنت فيهم.
قال: أيوب السخيتاني: إذا ذكر الصالحون كنت عنهم بمعزل

❦ثانيا: أنه يعرف بذلك حق الله تعالى:

ومن فوائد محاسبة النفس: أنه يعرف بذلك حق الله تعالى، ومن لم يعرف حق الله تعالى عليه فإن عبادته لا تكاد تجدي عليه وهي قليلة المنفعة جدا،
وقد قال الإمام أحمد عن وهب قال: بلغني أن نبي الله موسى عليه السلام مر برجل يدعو ويتضرع فقال: يا رب ارحمه، فإني قد رحمته فأوحى الله إليه: لو دعاني حتى تنقطع قواه ما استجبت له حتى ينظر في حقي عليه.

❦ثالثا: ومن فوائد نظر العبد في حق الله عليه: -

أن لا يتركه ذلك يدل بعمل أصلا، كائنا ما كان ومن أدل بعمله لم يصعد إلى الله تعالى، كما ذكر الإمام أحمد عن بعض أهل العلم بالله أنه قال له رجل، إني لأقوم في صلاتي فأبكي حتى يكاد ينبت البقل من دموعي، فقال له: إنك إن تضحك وأنت تعترف لله بخطيئتك خير من أن تبكي وأنت مدل بعملك، فإن صلاة الدال لا تصعد فوقه، فقال له: أوصني، قال: عليك بالزهد في الدنيا وأن لا تنازعها أهلها وأن تكون كالنحلة إن أكلت أكلت طيبا وإن وضعت وضعت طيبا، وإن وقعت على عود لم تضره ولم تكسره، وأوصيك بالنصح لله عز وجل نصح الكلب لأهله، فإنهم يجيعونه ويطردونه ويأبى إلا أن يحوطهم وينصحبهم، (٢٦٩)

وقال الإمام أحمد: عن الجريري قال: بلغني أن رجلا من بني إسرائيل كانت له إلى الله عز وجل حاجة فتعبد واجتهد، ثم طلب إلى الله تعالى حاجته فلم ير نجاحا، فبات ليلة مزريرا على نفسه وقال: يا نفس مالك لا تقضي حاجتك، فبات محزونا قد أزرى على نفسه والزم إطلاقه نفسه، فقال: أما والله ما من قبل ربي أتيت ولكن من قبل نفسي أتيت، وألزم نفسه الملامة فقضيت حاجته (٢٧٠)
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

أما بعد:

بعد أن عشنا في رياض القرآن والسنة وتعرفنا على المحاسبة وفوائدها، هيا لنرى حرص السلف من الصحابة والتابعين على محاسبة أنفسهم وكيف نظروا إليها وعلموا أنه لا نجاة لهم من شدائد وأهوال يوم القيامة إلا إذا حاسبوا أنفسهم في الدنيا.

قال إبراهيم التيمي - رحمه الله - مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق إيكارها، ثم مثلت نفسي في النار أكل من زقومها وأشرب من صديديها، وأعالج سلاسلها وأغلالها، فقلت لنفسي أي نفس أي شيء تريد؟ قالت: أرد إلى الدنيا فأعمل صالحا، قال: قلت: فأنت في الأمانة فاعملي.

قال الذهبي - رحمه الله -، ويروي أن يحيى بن يحيى شرب دواء فقالت زوجته قم فتمشي في الدار، قال: أنا أحب أن أحاسب نفسي أربعين سنة على خطاي فما أعلم ما هذه المشية (٢٧١) فتأمل أخي حال يحيى بن يحيى كيف أنه توقف عن المشي لأنه ما يعلم هذه المشية التي تريد زوجته أن يمشيها، وما ذاك إلا لأنهم كانوا يحاسبون أنفسهم عن كل خطوة هل هي لله وهل تعود عليه بالخير أم بالشر.

ويقول عامر بن قيس: لقيت ناسا من أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - فأخبروني أن أخلص الناس يوم القيامة أشدهم محاسبة في الدنيا لنفسه وأن أشد الناس فرحا يوم القيامة أشدهم حزنا في الدنيا، وإن أكثر الناس ضحكا يوم القيامة أكثرهم بكاء في الدنيا. (٢٧٢)

قال مالك بن ضعيم: حدثني خالتي حبابة ميمونة العتكية قالت: رأيت أبا ضعيم نزل ذات ليلة من فوق البيت بكوز قد برد له حتى صبه في اكتاز من الجب ماء حارا فشرب فقلت له بأبي أنت قد، رأيت الذي صنعت فمم ذاك؛

قال: كانت مني نظرة إلى امرأة فجعلت على نفسي أن تذوق الماء البارد أيام الدنيا قلت أنغص عليها الحياة. (٢٧٣)

عن عبد الجبار بن نضر السلمي قال: مرّ حيان بن أبي سنان بغرفة فقال: متى بنت هذه؟ ثم أقبل على نفسه فقال: تسألين عمالا يعينك لأعاقبك بصوم سنة فصامها. (٢٧٤)

٢٧١ - تاريخ الإسلام ج ١ ص ١٧٥٦

٢٧٢ - تاريخ دمشق ج ٢٦ ص ٥، و جامع الأحاديث - (٣٩ / ٤٢٠) [كتر العمال ٨٧٢٣] أخرجه ابن عساكر (٤/٢٦).

٢٧٣ - محاسبة النفس - (رقم ٥٢) و ذم الهوى - (١ / ١٣٢)



قال مالك بن ضغيم: جاء رياح القيسي يسأل عن أبي بعد العصر فقلنا إنه نائم فقال: نوم هذه الساعة؟! أهذا وقت نوم؟!؛

ثم ولى منصرفاً فأتبعناه رسولاً فقلنا قل له ألا نوقظه لك؛ فأبطأ علينا الرسول ثم جاء وقد غربت الشمس فقلنا أبطأت جداً فهل قلت له، قال هو اشغل من أن يفهم عني شيئاً أدركته وهو يدخل المقابر وهو يعاتب نفسه وهو يقول أقلت أنوم هذه الساعة؟! أفكان عليك ينام الرجل متى شاء وقلت هذا وقت نوم، وما يدرك أن هذا ليس وقت نوم تسألين عما لا يعنيك وتكلمين بما لا يعنيك، أما إن لله علي عهداً لا أنقضه أبداً لا أوسدك الأرض لنوم حولاً إلا لمرض جاء بك أو لذهاب عقل زائل سوء لك سوء لك، أما تستحين كم توبخين عن غيك لا تنهين، قال وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني فلما رأيت ذلك انصرفت وتركته. (٢٧٥)

عن محمد بن المنكدر قال: أن تميماً الداري نام ليلة لم يقيم يتجهجد حتى أصبح فقام سنة لم ينم عقوبة للذي صنع. (٢٧٦)

فهذا حال تميم (رضي الله عنه) حاسب نفسه على انه لم يقيم ليلة فصام سنة فما بال الخلف الذين ينامون عن صلاة الفجر ولا يصلونها في جماعة بل الواحد منهم يفرط في الفرائض وربما لا يصلها أصلاً فأين الثرى من الثريا.

كان الأحنف بن قيس يجيئ إلى المصباح بالليل فيضع إصبعه فيه ثم يقول " حس، حس " ثم يقول يا أحنف ما حملك على ما صنعت يوم كذا، وما حملك على ما صنعت يوم كذا. (٢٧٧)

عن الشعبي قال: سمع عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) امرأة تقول: -

دعني النفس بعد خروج عمرو إلى اللذات تطلع إطلاعا

فقلت لها عجلت فلن تطاعي ولو طالت إقامته رباعا

أحاذر أن أطيعك سب نفسي ومخزاة تحلني قناعا

فقال لها عمر: ما الذي منعك من ذلك؟؛

قالت: الحياء وإكرام زوجي فقال: عمر إن هذا الحياء لهنات ذات ألوان: من استحي اختفى ومن اختفى اتقى ومن اتقى وقي (٢٧٨)

٢٧٤ شعب الإيمان ج ٤ ص ٢٧٥، و بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب - (١ / ٣٣٩) و ذم الهوى - (ص ٤٤) محاسبة النفس - (رقم ٥٣)

٢٧٥ - تاريخ دمشق ج ١١ ص ٧٤٣ وتاريخ الإسلام ج ١ ص ٤٨٠ وشعب الإيمان ج ٣ ص ١٥٩

٢٧٦ - بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب - (١ / ٢٢٨) و تاريخ دمشق - (١١ / ٧٧)

٢٧٧ - التخويف من النار ص ٤٢.

قال حميد بن هلال: كان الأسود بن كلثوم إذا مشي نظر إلى قدميه قال ودور النساء إذا ذاك فيها تواضع، فعسى أن يفاجأ النسوة فيقول بعضهن لبعض كلا، إنه الأسود بن كلثوم، إنه لا ينظر فلما قرب غازيا، قال اللهم إن هذه النفس ترعم في الرخاء ألما تحب لقاءك، فإن كانت صادقة فارزقها ذلك، وإن كانت كاذبة فاحملها عليه وإن كرهت فاجعل ذلك قتلا في سبيلك وأطعم لحمي سباعا وطيرا، وقال فانطلق في طائفة من ذلك الجيش الذي خرج فيه، حتى دخلوا حائطا فيه ثلثة، وجاء العدو حتى قام على الثلثة، فترل عن فرسه وضرب وجهه فانطلق غابرا، ثم عمد إلى ماء في الحائط، فتوضأ منه، وصلى وقال: تقول العجم هكذا استسلام العرب، فلما قضى صلاته قاتلهم حتى قتل، وعظم الجيش على ذلك الحائط وفيهم أخوه فقيل لأخيه ألا تدخل الحائط فتنظر ما أصيبت من فنظر ما أصيبت من عظام أخيك؛ قال ما أنا بفاعل شيئا دعا به أخي، فاستحييت له (٢٧٩)

عن عطاء قال: دخلت على فاطمة بنت عبد الملك بعد وفاة عمر بن عبد العزيز فقلت لها يا بنت عبد الملك أخبريني عن أمير المؤمنين، قالت: أفعل، ولو كان حيا ما فعلت إن عمر -رحمه الله- كان قد فرغ نفسه وبدنه للناس كان يقعد لهم يومه، فإذا أمسى وعليه بقية من حوائج يومه وصله بليله إلى أن أمسى وقد فرغ من حوائج يومه فدعا بسراجيه الذي يسرج له من ماله، ثم قام فصلى ركعتين ثم أقعى واضعا رأسه على يديه تسایل دموعه على خده يشهق الشهقة فأقول، قد خرجت نفسه، انصدعت كبده، فلم يزل كذلك ليلته، حتى برق له الصبح، ثم أصبح صائما، قالت فدنوت منه فقلت: يا أمير المؤمنين لشيء ما كان الليلة ما كان منك؛ قال أجل، فدعيني وشأني وعليك وشأنك

قالت، فقلت إني لأرجو أن اتعظ، قال: إذا أخبرك إني نظرت إلي، فوجدتني قد وُلِّيتُ أمر هذه الأمة صغيرها وكبيرها وأسودها وأحمرها ثم ذكرت الغريب الضائع والفقير المحتاج، والأسير المفقود وأشباههم في أقاصي البلاد وأطراف الأرض، فعلمت أن الله سائلني عنهم، وأن محمد (صلى الله عليه وسلم) حجيبي فيهم، فخفت على نفسي خوفا دمعت له عيني ووجل له قلبي، فأنا كلما ازدددت لها ذكر ازدددت لها وجلا، وقد أخبرتك فاتعظي الآن أو دعي. (٢٨٠)

تأملوا إخوة الإسلام: في محاسبة الأخيار كيف يحاسب الواحد منهم على نفسه على أنفاسه؟ أم كيف وصلت بهم الخشية والخوف من الله إلى أن يفارق الواحد منهم الحياة فرقا من عذاب الله،

٢٧٨ - محاسبة النفس ص ١١٣.

٢٧٩ - صفة الصفوة ج ٢ ص ٦٤٣، المحاسبة رقم ٢٠.

٢٨٠ - محاسبة النفس رقم ٩٨، تاريخ دمشق - (٤٥ / ١٩٧)



كان توبة بن الصمة بالرقعة، وكان محاسباً لنفسه فحسب فإذا هو ابن ستين سنة فحسب أيامها فإذا هي واحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال: يا وليتي؛ ألقى الملك بواحد وعشرين ألف ذنب، كيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب؛ ثم خر مغشياً عليه فإذا هو ميت، فسمعوا قائلاً يقول: يالك ركضة إلى لفردوس الأعلى. (٢٨١)

الدعاء.....

النظام في هدي خير الأنام (٢٨٢)

الخطبة الأولى

أحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم-نعيش في هذا اللقاء مع النبي صلى الله عليه وسلم - من أسس النظام ووضع ضوابطه وآدابه ونهي عن الإهمال والعشوائية والغوغائية التي تؤدي إلى الخلل في حياتنا اليومية فأكمل الهدي هدي سيد الأنبياء وإمام الأصفياء صلى الله عليه وسلم- أعيروني القلوب والأسماع

النظام في عباداته صلى الله عليه وسلم:

عندما ينظر المسلم إلى الشريعة الغراء التي جاء بها إمام الأتقياء-صلى الله عليه وسلم-ليرى أن تلك التشريعات جاءت على نظام محكم متين والإخلال بذلك النظام التعبدى يبطل العبادة ويفسدها ويخل بها لنضرب على ذلك أمثلة:

أولاً: النبي -صلى الله عليه وسلم-ونظام الصلاة

إخوة الإيمان: إن الله تعالى أمرنا بالصلاة ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣] ولم يبين لنا كيفيتها في القرآن الكريم وإنما جاء بيان ذلك على لسان النبي صلى الله عليه وسلم فحدد النبي صلى الله عليه وسلم مواقيت الصلاة بحيث لا تجزئ الصلاة قبل موعدها المحدد لها ويأثم المسلم إذا أخرجها عن وقتها، وها هو جبريل عليه السلام -جاء لينظم للنبي - صلى الله عليه وسلم مواقيت الصلاة فلكل صلاة وقت محدد، فعن ابن عباس، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أَمَّنِي جِبْرِيلُ عِنْدَ الْبَيْتِ مَرَّتَيْنِ، فَصَلَّى الظُّهْرَ فِي الْأُولَى مِنْهُمَا حِينَ كَانَ الْفَيْءُ مِثْلَ الشَّرَاكِ، ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ حِينَ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ مِثْلَ ظِلِّهِ، ثُمَّ صَلَّى الْمَغْرِبَ حِينَ وَجَبَتِ الشَّمْسُ وَأَفْطَرَ الصَّائِمُ، ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ، ثُمَّ صَلَّى الْفَجْرَ حِينَ بَرَقَ الْفَجْرُ، وَحَرُمَ الطَّعَامُ عَلَى الصَّائِمِ، وَصَلَّى الْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ

٢٨١ - صفة الصفوة ج ٤ ص ١٩٦، بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب - (١ / ٩٤) الزهد والرقائق للخطيب البغدادي -

(رقم ٧٠) وتنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين - (١ / ٤٦)

٢٨٢ - موقع الالوكة وصيد الفوائد

الظُّهْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ لَوَقْتُ الْعَصْرِ بِالْأَمْسِ، ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلِهِ، ثُمَّ صَلَّى الْمَغْرِبَ لَوَقْتِهِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ حِينَ ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ، ثُمَّ صَلَّى الصُّبْحَ حِينَ أَسْفَرَتِ الْأَرْضُ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ جَبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا وَقْتُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ، وَالْوَقْتُ فِيمَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ " (٢٨٣)

النظام في أداء الصلاة: وعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم النظام الأتم للصلاة فبينها لنا كما في حديث المسيء صلاته عن أبي هريرة، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ؛ فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَدَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ؛ فَقَالَ: ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ فَصَلِّ، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَالَ: ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ ثَلَاثًا فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَحْسَنُ غَيْرَهُ، فَعَلَّمَنِي قَالَ: إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ ثُمَّ اقْرَأْ مَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا (٢٨٤)

ثم وضع لنا النظام الأكمل في صلاة الجماعة مع الإمام عن أبي موسى الأشعري، قال: عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ فَقَالَ: " إِذَا كَبَّرَ الْإِمَامُ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ يَسْمَعُ اللَّهُ لَكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ " (٢٨٥)

وتنوع من يخالف ذلك النظام بالعقوبة الربانية عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((أَمَّا يَخْشَى الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يُحَوَّلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ، أَوْ يَجْعَلَ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ ؟)) (٢٨٦)

وهو في عن مسابقة الإمام عن معاوية بن أبي سفيان، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُبَادِرُونِي بِالرُّكُوعِ، وَلَا بِالسُّجُودِ، فَمَهْمَا أَسْبَقَكُمْ بِهِ إِذَا رَكَعْتُ تُدْرِكُونِي بِهِ إِذَا رَفَعْتُ، وَمَهْمَا أَسْبَقَكُمْ بِهِ إِذَا سَجَدْتُ تُدْرِكُونِي بِهِ إِذَا رَفَعْتُ، إِنِّي قَدْ بَدَأْتُ» (٢٨٧)

٢٨٣ - أخرجه أحمد (٣٣٣/١) (٣٠٨١)

٢٨٤ - أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الأذان: ١٢٢ باب أمر النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا يتم ركوعه بالإعادة

٢٨٥ - أخرجه ابن أبي شيبة (١١٧/٢)، رقم (٧١٥٨).

٢٨٦ - صحيح البخاري: (١/١٧٧)؛ (فتح - ٢/١٨٢ - ١٨٣ - رقم: ٦٩١). "صحيح مسلم": (٢/٢٨ - ٢٩)؛

(فؤاد - ١/٣٢٠ - ٣٢١ - رقم: ٤٢٧)



﴿ثم وضع نظاماً لأصحاب الأعذار من المرضى وغيرهم﴾ فشرع لهم الصلاة على حسب الاستطاعة عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَتْ بِي بَوَاسِيرٌ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: " صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَصَلِّ جَالِسًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ " (٢٨٨) فلو أننا أخذنا أنظمة الصلاة، كما مرّت آنفًا، وطبقناها على حياتنا، لاستقامت الحياة، وآتت ثمارها، من الدقة والانضباط في العمل، ووفرة الإنتاج، مع التعاون والتآلف، ومع السهولة واليسر، والبعد عن التعنيف وشدة التكليف.

عرض بعض المسلمين على رجل أمريكي مشهداً للحرم وهو يعجّ بالمصلين والطائفين قبل إقامة الصلاة في المسجد الحرام، ثم سأله: كم من الوقت يحتاج هؤلاء لكي يكونوا في صفوف منظمة متحلقة حول الكعبة؟ فقال ساعتين إلى ثلاث ساعات، فقالوا له: إن الحرم أربعة أدوار!! فقال: إذا اثنتي عشرة ساعة. فقالوا: إنهم مختلفو اللغات وحتى اللهجات ومن بلدان شتى!! فقال الخواجة: هؤلاء لا يمكن اصطفاؤهم أبداً. ثم حان وقت الصلاة.. فتقدم إمام الحرم بعد الإقامة.. وقال: استووا واعتدلوا.. سوا صفوفكم.. فوقف الجميع في صفوف متراصة حول الكعبة المشرفة في دقيقتين لا أكثر. وأذكر أن أحد الصحفيين العرب عند باب المسجد الحرام رأى الملك الراحل فيصل بن عبدالعزيز يرحمه الله خارجاً فأراد أن يشكره على حسن تنظيم هذه الوفود أثناء موسم الحج وفي كل الشعائر، فقاطعه الملك قائلاً: يا أخي لا تشكرني ولا تشكر أحداً.. بل اشكر الله وحده، فهذه الجموع البشرية الهائلة لا يمكن لبشر أن ينظم مسيرتها، ولكنها حكمة الله وحده القادرة على ذلك.

﴿ثانياً: النظام في الحج:

فللحجّ مواقيتٌ مكانيةٌ وزمانيةٌ يجب التقيّد بها، وعدم الإخلال بها، أو التساهل فيها، وله أركانٌ وواجباتٌ يجب الإتيان بها كما هي، من غير زيادة أو نقصان، وله محظوراتٌ يحرم اقترافها. عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَافَ سَبْعًا رَمَلًا ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فَصَلَّى سَجْدَتَيْنِ وَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَالْكَعْبَةِ ثُمَّ اسْتَلَمَ الرُّكْنَ ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ فَأَبْدَعُوا بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ (٢٨٩)

٢٨٧ - صحيح ابن حبان - محققا (٥/ ٦٠٨) غسناده حسن. ابن محيريز: اسمه عبد الله. وأخرجه أحمد ٩٢/٤، وأبو داود

"٦١٩" في الصلاة: باب ما يؤمر به المأموم من اتباع الإمام، وابن ماجة "٩٦٣"

٢٨٨ - أخرجه أحمد (٤/ ٤٢٦)، رقم (١٩٨٣٢)، والبخاري (١/ ٣٧٦)، رقم ١٠٦٦

٢٨٩ - أخرجه مالك (١/ ٣٧٢)، رقم (٨٢٩)، والطيالسي (ص ٢٣٢)، رقم (١٦٦٨)، وأحمد (٣/ ٣٨٨)، رقم (١٥٢٠٩)،

ثالثاً: النظام في دخوله وخروجه صلى الله عليه وسلم-

ومن هديه صلى الله عليه وسلم- في دخوله وخروجه أنه كان يحرص على النظام في دخوله وخروجه وجعل لذلك أدعية يسن للمسلم أن يقوم بها ولنضرب على ذلك أمثلة:

النظام في دخوله المسجد وخروجه منه صلى الله عليه وسلم-

عن عائشة رضي الله عنها: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ التَّيَمُّنَ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ» (٢٩٠)
عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال: "بسم الله، اللهم صل على محمد"، وإذا خرج قال: "بسم الله، اللهم صل على محمد" (رواه ابن السني وحسنه الألباني).

عن أبي حميد، أو أبي أسيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ». (٢٩١)

أن يُصلي ركعتين تحية للمسجد:

وهذا إذا جاء مبكراً للصلاة، فإنه يُسن له ألا يجلس حتى يصلي ركعتين؛ لحديث أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسُ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ» (٢٩٢)

النظام في دخوله الدورة الخلاء وخروجه منها:

و لم ينس صلى الله عليه وسلم أن يضع لنا نظاماً في دخولنا لدورة الخلاء والخروج منها فعلمنا كيف ندخل وماذا نقول وكيف نقضي حاجتنا ثم علمنا نظام الخروج منها وبين لنا الدعاء المشروع عند الخروج منها عَنْ سَلْمَانَ - رضي الله عنه - قَالَ: - لَقَدْ نَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - "أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقْلٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ عَظْمٍ" - رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٣).

أَبِي أَيُّوبَ - رضي الله عنه - - لَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ وَلَا بَوْلٍ، وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا - (٢٩٤).

٢٩٠ - رواه البخاري برقم (١٦٨)، ومسلم برقم (٢٦٨)

٢٩١ - رواه مسلم برقم (٧١٣).

٢٩٢ - رواه البخاري برقم (١١٦٣)، ومسلم برقم (٧١٤)

٢٩٣ - صحيح. رواه مسلم (٢٦٢)

٢٩٤ - صحيح. رواه البخاري (١٤٤ و ٣٩٤)، ومسلم (٢٦٤)،



وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْغَائِطِ قَالَ: "غُفْرَانُكَ" (٢٩٥)

رابعاً: نظام النبي في نومه واستيقاظه -صلى الله عليه وسلم-

وضع النبي صلى الله عليه وسلم سننا ونظاما معيناً عند النبي بينه لنا أصحابه رضي الله عنهم أجمعين وهاك بيانه:

كان إذا أوى إلى فراشه للنوم قال: ((بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَحْيَا وَأَمُوتُ)) وكان يجمع كَفِّهِ ثُمَّ يَنْفُثُ فِيهِمَا، وكان يقرأُ فيهما: المعوذتين والإخلاص، ثم يمسحُ بهما ما استطاعَ من جسده، يبدأُ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبلَ من جسده، يفعلُ ذلك ثلاثَ مراتٍ. وكان ينامُ على شقه الأيمن، ويضعُ يدهُ تحتَ خدّه الأيمن، ثم يقول: ((اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعُثُ عِبَادَكَ))

وكان إذا انتبه من نومه قال: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ))، وَيَتَسَوَّكُ، وربما قرأَ العشر آيات من آخر آل عمران [ق].

خامساً: النبي يضع النظام العام لحقوق الطرقات

وضع النبي صلى الله عليه وسلم -آداباً ونظاماً إسلامية للطريق؛ وأصل ذلك ما في عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطَّرِيقَاتِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ، نَتَحَدَّثُ فِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. (٢٩٦)

ويأمرنا برفع الأذى عن الطريق: وعن أبي ذرٍّ الغفاري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ ابْنِ آدَمَ صَدَقَةٌ، تَسْلِيْمُهُ عَلَى مَنْ لَقِيَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُهُ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيُهُ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُهُ الْأَذَى مِنَ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ، وَبُضْعُهُ أَهْلَهُ صَدَقَةٌ، وَيُجْزَى مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ مِنَ الضُّحَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَحَدُنَا يَقْضِي شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ صَدَقَةٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ وَضَعَهَا فِي غَيْرِ حِلِّهَا أَلَمْ يَكُنْ يَأْتُمُّ". (٢٩٧)

٢٩٥ - حسن. رواه أبو داود (٣٠)، والترمذي (٧)، وابن ماجه (٣٠٠)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (٧٩)، وأحمد

(٦٥٥)، وابن حبان (١٤٤٤)

٢٩٦ - أخرجه: البخاري ٦٣/٨ (٦٢٢٩)، ومسلم ١٦٥/٦ (٢١٢١) (١١٤).

٢٩٧ - أخرجه أبو داود (٢٦/٢)، رقم (١٢٨٥).

وينهى عن الأذى على الطرقات:

عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((اتَّقُوا اللَّاعِنِينَ)) قالوا: وما اللاعنان يا رسول الله؟ قال: ((الذي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ ظَلِّهِمْ)). (٢٩٨)

وقد أخبر - عليه الصلاة والسلام - بأن إمطة الأذى عن الطريق صدقة، وأنها من شعب الإيمان عن حذيفة بن أسيد أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((من آذى المسلمين في طرقهم، وجبت عليه لعنتهم)). (٢٩٩)

لا يخفى على ذي لب أن ما قدمناه من آداب الطريق لازم لكل من قعد في مجلس على الطريق، أو كان مجلسه يُنظر منه الطريق، أو كان يقف على الطريق أو يمر به ماشياً أو راكباً، أو ساكناً في دار تطل عليه.

وعلى ذلك فضوابط المرور التي وضعت لسائقي السيارات لها أصل في الإسلام بإعطاء الطريق حقه وآدابه؛ وكذلك فإن حفظ النفس من الكليات التي جاء بها الإسلام، فما وُضع من ضوابط لحفظ النفس فله أصل في هذا الدين العظيم، ما لم يخالف نصاً أو يكون فيه ظلم، والقاعدة العظيمة في الإسلام لحفظ حقوق الناس وسلامتهم: "لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ".

سادساً: هدي سيد الأنام في وضع النظام لتناول الطعام:

كثيراً ما نسمع عن الإتيكيت في الطعام ونجد البعض يتحدث عن ذلك ولقد وضع النبي صلى الله عليه وسلم قواعد وإتيكيت الطعام قبل أن يعرفه الغرب المتحضر وهاك الإتيكيت في الإسلام قال ابن القيم رحمه الله: "ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يجلس للأكل متوركاً على ركبتيه ويضع بطن قدمه اليسرى على ظهر قدمه اليمنى تواضعاً لربه عز وجل وأدباً بين يديه واحتراماً للطعام وللمواكل فهذه الهيئة أنفع هيئات الأكل وأفضلها" (٣٠٠)

وكان صلى الله عليه وسلم يأكل بيمينه، عَنْ حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ اضْطَجَعَ عَلَى يَدِهِ الْيُمْنَى ثُمَّ قَالَ رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ ثَلَاثَ مَرَارٍ وَكَانَ يَجْعَلُ يَمِينَهُ لِأَكْلِهِ وَشُرْبِهِ وَوُضُوئِهِ وَتَيَابِهِ وَأَخَذِهِ وَعَطَائِهِ وَيَجْعَلُ شِمَالَهُ لِمَا

٢٩٨ - أخرجه مسلم ٢٦٩.

٢٩٩ - الطبراني في الكبير ٣٠٥٠ وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١٤٨.

٣٠٠ - زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٢٠٣)



سِوَى ذَلِكَ وَكَانَ يَصُومُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ وَالْاِثْنَيْنِ مِنَ الْجُمُعَةِ الْاُخْرَى
".(٣٠١)

وعن أبي حفص عمر بن أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد ربيب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ،
قَالَ: كُنْتُ غَلَامًا فِي حِجْرِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ
لِي رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : ((يَا غُلَامُ، سَمَّ اللَّهُ تَعَالَى، وَكُلْ يَمِينَكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ))
فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. "(٣٠٢)

عن أبي جحيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أما أنا فلا أكل متكئاً "(٣٠٣)
عَنْ شُعَيْبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكَلَ مُتَّكِمًا
قَطُّ، وَلَا يَطَأُ عَقِبَهُ رَجُلَانِ "(٣٠٤).

قال شمس الحق العظيم آبادي شارح أبي داود: " ولا يَطَأُ عَقِبَهُ رَجُلَانِ " أي لا يَطَأُ الأرض خلفه رجلان.
وكان يعلمهم النظام في الأكل حيث يأمرهم أن يأكلوا من حافة القصعة عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْبَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطَّعَامِ فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسْطِهِ "(٣٠٥)
أقول قولي، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، اللهم لك الحمد على نعمة الإسلام والإيمان، ولك الحمد أن جعلتنا من أمة
سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، أما بعد:

سابعاً: النظام في الحياة السياسية والعسكرية

إخوة الإيمان لقد وضع النبي -صلى الله عليه وسلم الأسس القويمة والنظم المستقيمة للحياة العسكرية
والسياسية

فأوجب النبي صلى الله عليه وسلم على المجاهدين في سبيله أن لا يباغتوا عدوهم بل أمرهم أن يخبروهم
بين ثلاثة أمور قبل الشروع في الحرب وأمرهم ألا يقتلوا امرأة ولا طفلاً ولا شيخاً

٣٠١ - أخرجه أحمد ٦/٢٨٧

٣٠٢ - رواه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢)

٣٠٣ - أخرجه الترمذي (٢٧٣/٤)، رقم (١٨٣٠) وقال: حسن صحيح

٣٠٤ - أخرجه أحمد ١٦٥/٢ (٦٥٤٩)

٣٠٥ - أخرجه الحميدي (٥٢٩) وأحمد (٢٧٠/١) (٢٤٣٩)

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْ صَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تَعْدِرُوا، وَلَا تَمْتَلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْعَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلِّهِمُ الْجَزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ، وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّتَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لَا»، (٣٠٦)

وحثنا الله تعالى على التزام النظام عند القتال فقال سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ﴾ [الصف: ٤]

ولقد كان من هديه تسوية صفوف المقاتلين قبل بدء المعركة روى ابن هشام وابن كثير وغيرهما: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قدح (سهم) يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزية حليف بني عدي بن النجار وهو مُسْتَتَبِلٌ (متقدم) من الصف، فطعن في بطنه بالقدح، وقال: (استو يا سواد) فقال: يا رسول الله! أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأفدني (مكيني من القصاص لنفسي)، فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه فقال: (استقد) (أي: اقتص)، قال: فاعتنقه، فقبل بطنه، فقال: (ما حملك على هذا يا سواد؟) قال: يا رسول الله! حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير، وقال له: (استو يا سواد!) (٣٠٧).

٣٠٦ - أخرجه أحمد (٣٥٨/٥)، رقم (٢٣٠٨٠)، ومسلم (١٣٥٧/٣)، رقم (١٧٣١)

٣٠٧ - معرفة الصحابة لأبي نعيم (٣/ ١٤٠٤) وحسنه الألباني



الصدق مجالات وثمرات (٣٠٨)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب... أظهر الحق بالحق وأخزى الأحزاب... وأتمّ نوره، وجعل كيد الكافرين في تباب...

أرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته وأجرى بفضلله السحاب... وأنزل من السماء ماء، فممه شجر، وممه شراب...

جعل الليل والنهار خلفه فتذكر أولو الألباب... نحمده تبارك وتعالى على المسببات والأسباب... ونعوذ بنور وجهه الكريم من المؤاخذة والعتاب... ونسأله السلامة من العذاب وسوء الحساب... وأشهد أن لا إله إلا الله العزيز الوهاب... الملك فوق كل الملوك ورب الأرباب.

الحكم العدل يوم يكشف عن ساق وتوضع الأنساب... غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب... خلق الناس من آدم وخلق آدم من تراب... خلق الموت والحياة لبلونا وإليه المآب... فمن عمل صالحاً فلنفسه، والله عنده حسن الثواب... ومن أساء فعليها، وما متاع الدنيا إلا سراب... وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المستغفر التواب... المعصوم صلى الله عليه وسلم في الشبهة والشباب...

خُلِقَ الكتاب، ورأيه الصواب، وقوله فصل الخطاب... قدوة الأمم، وقمة الهمم، ودرة المقربين والأحباب...

عُرِضَتْ عليه الدنيا بكنوزها، فكان بلاغه منها كزاد الركاب... ركب البعير، ونام على الحصير، وخصف نعله ورتق الثياب...

أضاء الدنيا بسنته، وأنقذ الأمة بشفاعته، وملاً للمؤمنين براحته من حوضه الأكواب... اللهم صلّ وسلّم وبارك عليه وعلى الآل والأصحاب... ما هبت الرياح بالبشرى وجرى بالخير السحاب...

وكلما نبت من الأرض زرع، أو أينع ثمر وطاب.

حديثنا في هذا اليوم الطيب الميمون الأغر عن منزلة من منازل أهل الإيمان إنها منزلة الصدق من نزلها فاز في الدارين ونجا.

فالصدق شديد على النفس؛ ولهذا قال ابن القيم: (فحمل الصدق كحمل الجبال الرواسي، لا يطيقه إلا أصحاب العزائم، فهم يتقلبون تحته تقلب الحامل بحمله الثقيل، والرياء والكذب خفيف كالريشة، لا يجد له صاحبه ثقلًا البتة، فهو حامل له في أي موضع اتفق، بلا تعب ولا مشقة ولا كلفة، فهو لا يتقلب تحت حمله ولا يجد ثقله)

مدح الصدق والصادقين:

أيها الأحباب أحباب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- اعلموا ان الله تعالى امتدح الصدق والصادقين في غير ما آية من القرآن الكريم فامر الله تعالى المؤمنين بالصدق قال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

الصدق من صفات الله عز وجل:

قال سبحانه: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾.

الصدق من صفات الأنبياء والرسول: فالصدق من صفات الأنبياء والرسول قال ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾.

قال إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٣، ٨٤]. ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤١].

إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٩، ٥٠].

إِسْمَاعِيلَ -عليه السلام: ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤].

إِدْرِيسَ -عليه السلام: ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٦].

يُوسُفَ -عليه السلام: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ [يوسف: ٤٦].

وهذا سيد الأولين وإمام الصادقين صلى الله عليه وسلم كان أصدق الناس وأبرهم وأكملهم علما وعملا وإيمانا و يقينا، كان معروفاً بالصدق في قومه، وقد كان ذلك فيه بمثابة السجّية والطبع فعرف بذلك حتّى قبل البعثة، وكان لذلك يلقّب بالصادق الأمين، واشتهر بهذا وعرف به بين أقرانه. وبعد



البعثة المباركة كان تصديق الوحي له مدعاة لأن يطلق عليه أصحابه «الصّادق المصدوق»، وصدق الله - عزّ وجلّ - إذ قال: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم: ٢ - ٤].

مجالات الصدق

اعلموا علمني الله تعالى ووأياكم أن للصدق مجالات متعددة كلها تنبثق عن الإيمان بالله تعالى واتباع شرعه والسير خلف الأنبياء والمرسلين وهاكم بيانها بحول الله تعالى وطوله:

أولا الصدق مع الله:

الصدق مع الله "ويكون المسلم صادقاً مع ربّه تعالى إذا حقّق الصدق في جوانب ثلاثة: الإيمان والاعتقاد الحسن، والطاعات، والأخلاق، فليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، والصادق فيه هو من حققه على الوجه الذي أراده منه ربه تعالى، ومنه الصدق في اليقين، والصدق في النية، والصدق في الخوف منه تعالى، وليس كل من عمل طاعة يكون صادقاً حتى يكون ظاهره وباطنه على الوجه الذي يحبه الله تعالى.

وقد بيّن الله تعالى الصادقين في آية واحدة، وهي قوله عز وجل: (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوكَا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ) ثم قال سبحانه بعد هذه الأوصاف كلها: (أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) البقرة/ ١٧٧.

، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: [ليس شيء أنفع للعبد من صدق ربه في جميع أموره، مع صدق العزيمة، فيصدق في عزمه وفي فعله قال تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾]. فسعادته في صدق العزيمة وصدق الفعل.... ومن صدق الله في جميع أموره صنع له فوق ما يصنع لغيره]. أ.هـ (٣٠٩)

الواقع التطبيقي للصدق مع الله تعالى:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: عمّي أنس بن النضر -سُمّي به- لم يشهد بداراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر عليه، فقال: أول مشهد قد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه!! أما والله لئن أراني الله مشهداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أصنع. قال: فهاب

أن يقول غيرها، فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد من العام المقبل، فاستقبله سعد بن معاذ، فقال له أنس: يا أبا عمرو، إلى أين؟ قال [٤]: واهًا لريح الجنة!! أجدها دون أحد. فقاتل حتى قُتل، فوجد في جسده بضْعٌ وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية، قالت عَمَّتِي الرَّيِّعُ بنت النضر: فما عَرَفْتُ أخي إلا ببنانه. ونزلت هذه الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢٣] (٣١٠).

- عن الحافظ أحمد بن عبد الله العجلي، قال: رُبْعِي بن جَرَّاشٍ، تابعي ثقة، لم يكذب قط، كان له ابنان عاصيان زمن الحجاج، فقيل للحجاج: إن أباهما لم يكذب قط، لو أرسلت إليه فسألتَهُ عنهما. فأرسل إليه فقال: أين ابناك؟ فقال: هما في البيت. فقال: قد عفونا عنهما بصدقك (٣١١).

- عن شداد بن الهاد: أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه، ثم قال: أَهَاجِرُ معك. فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غَمَمَ النبي صلى الله عليه وسلم سَبِيًّا فَفَقَسَمَ، وَقَسَمَ لَهُ، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ، وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ دَفْعُوهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: قَسَمَ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَأَخَذَهُ، فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: "قَسَمْتُهُ لَكَ". قَالَ: مَا عَلَى هَذَا أَتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى إِلَى هَاهُنَا - وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ - فَأَمُوتْ فَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ. فَقَالَ: "إِنْ تَصَدَّقَ اللَّهُ يَصْدُقْكَ". فلبثوا قليلاً ثم فُضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَهْوَ هُوَ". قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: "صَدَقَ اللَّهُ فَصَدَقَهُ". ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَكَانَ فِيهِمَا ظَهْرٌ مِنْ صَلَاتِهِ: "اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا، أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ" (٣١٢).

١٢٠٠: ثانياً: الصدق مع النفس:

ومن مجالات الصدق أن يكون الإنسان صادقاً مع نفسه ولا يخادعها ويتركها تسبح في بحر الأملاني والأهواء، فكم رأينا وشاهدنا أناساً يكذبون على أنفسهم ويمنونها الأملاني الكاذبة فيزين لنفسه مع حرم الله تعالى

٣١٠ - مسلم: كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد (١٩٠٣)، البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة أحد (٣٨٢٢) بألفاظ أخرى.

٣١١ - الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٤٣٣/٨، ابن شرف النووي: بستان العارفين ص ١٤.

٣١٢ - رواه النسائي: كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهداء (١٩٥٣)، والبيهقي: (٢٠٨٠)، (٦٦٠٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٥٦)، وانظر ابن القيم: زاد المعاد ٣/٣٢٤.



تجده يتعامل بالربا ويكذب على نفسه ويقول ضرورة عصرية ومعاملة بنكية
تجده يسرف على نفسه بالمعاصي ويقول طالما أن القلب أبيض لا يضرك شيء
تجده يترك الجمع والجماعات ويبارز الله في الخلوات بالحرمان ويقول إن الله غفور رحيم
وهذا هو الكذب بعينه ولكن نتيجه مضرة وعاقبه وخيمة ونهايته أليمة
أيها الإخوة ينبغي علينا أن نكون صادقين مع انفسنا نرى عيوبنا ونقوم بإصلاحها ومحاسبة النفس طريقة
المؤمنين وسمة الموحدين وعنوان الخاشعين فالمؤمن متق لربه محاسب لنفسه مستغفر لذنبه يعلم أن النفس
خطرها عظيم وداؤها وخيم ومكرها كبير وشرها مستطير فهي أمارة بالسوء ميالة إلى الهوى داعية إلى
الجهل، قائدة إلى الهلاك تواقه إلى الله إلا من رحم الله فلا تترك لهواها لأنها داعية إلى الطغيان، من
أطاعها، قادتته إلى القبائح ودعته إلى الرذائل وخاضت به المكاره... وغوائلها عجيبة ونزعاتها مخيفة
وشروورها كثيرة فمن ترك سلطان النفس حتى طغى فإن له يوم القيامة مأوى من جحيم ﴿ فَأَمَّا مَنْ
طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى [النازعات: ٣٧ - ٣٩] ﴾ وعلى
النقيض ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى
[النازعات: ٤٠، ٤١] ﴾

قال أبو الدرداء. (رضي الله عنه): لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت نفسه في جنب الله، ثم يرجع إلى
نفسه فيكون لها أشد مقتا، (٣١٣)

وقال أبو بكر الصديق (رضي الله عنه).. من مقت نفسه في ذات الله أمنه الله من مقتته (٣١٤)

*وقال ميمون بن مهران - رحمه الله - لا يكون الرجل تقيا حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من
الشريك لشريكه (٣١٥)

وقال مالك بن دينار - رحمه الله - رحمه الله عبد الله قال لنفسه النفيسة ألسنت صاحبة كذا وكذا ثم ذمها
ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله فكان لها قائدا. (٣١٦)

٣١٣ - جامع الأحاديث - (٣٨ / ٣٣٣) أخرجه ابن عساكر (١٧٢/٤٧) وسير أعلام النبلاء - (٤ / ٥٣٩) الحلية ٥ /

٢١٢، محاسبة النفس - (رقم ٢٣)

٣١٤ - جامع الأحاديث - (٢٥ / ٩٣) و[كثر العمال ٨٧٥٢] أدب النفوس للآجري - (رقم ٦) الزهر الفاتح في ذكر من

تزه عن الذنوب والقبائح - (١ / ٢٧) حلية الأولياء - (٢ / ٣٥٠) محاسبة النفس - (رقم ٢٢)

٣١٥ المحاسبة لأبن أبي الدنيا رقم ٧، و الزهد لوكيع - (٢٢٣) و ذم الهوى - (ص: ٤٣)

٣١٦ المحاسبة رقم ٨

وقال قتادة - رحمه الله: (وكان أمره فرطا (سورة: الكهف آية رقم: ٢٨)) قال: « أضاع أكبر الضيعة أضاع نفسه وعسى مع ذلك أن تجده حافظا لما له، مضيعا لدينه » (٣١٧)

❦ثالثا: الصدق مع الناس:

إخوة الإيمان المجال الثالث هو الصدق مع الناس ويقول ذلك بالصدق في الأقوال والصدق في الأعمال والصدق في الأحوال

فالصدق مع الناس علامة من علامات الإيمان والكذب علامة من علامات النفاق عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليفة، وعفة في طعمة". رواه أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي بأسانيد حسنة.

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: الصدق أمانة، والكذب خيانة.

وعن جرير بن عبد الله البجلي ؟ قال: ((بايعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم -على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم)) (٣١٨) وزاد ابن حبان: ((فكان جرير بن عبد الله إذا بايع أحدا قال: اعلم يا أخي أن ما أخذنا منك خير مما أعطيناك فاختر)). كل هذا من النصح والصدق للمسلم والصدق مع الناس

واجب علينا إن نربي أبنائنا على الصدق وأن نجنبهم الكذب أخرج أحمد وأبو داود والبيهقي عن عَبدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا، وَرَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « وَمَا أَرَدْتَ أَنْ تُعْطِيَهُ؟ » قَالَتْ: أُعْطِيَهُ تَمْرًا. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تُعْطِيهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكَ كِذْبَةٌ ». (٣١٩)

وكم من الأمهات يكذبن على أبنائهن، وكم من الآباء يكذبون على أبنائهم، وما علموا أنهم بذلك يغرسون خلق الكذب في نفوس أبنائهم. فأين الآباء والأمهات من تربية أبنائهم على الصدق؟ والسير بهم في طريق الصادقين؟..

❦ثمرات الصدق

أيها الآباء الفضلاء: إن للصدق ثمرات أشهى من العسل وعد الله تعالى الصادقين بالحصول عليها وإن يتذوقوا حلاوتها في الدارين الدنيا والآخرة وإليكم بيان ذلك:

٣١٧ - المحاسبة رقم ٥

٣١٨ - أحمد (٣٦٥/٤)، رقم (١٩٢٦٥).

٣١٩ - أخرجه أحمد (٤٤٧/٣)، رقم (١٥٧٤٠)، وأبو داود (٢٩٨/٤)، رقم (٤٩٩١)



الأول - ثمرات الصدق في الدنيا:

١- الصدق جماع كل البر، والكذب أصل كل الفجور، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَالْبِرُّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَالْفُجُورُ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ ثَمَّ اللَّهُ كَذَّابًا» (٣٢٠)

٢- البراءة من صفة النفاق عن الصادقين؛ ففي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا: إِذَا حَدَّثَ كَذِبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ)) (٣٢١)

٣-: تفريج الهموم الكربات، وإجابة الدعوات، والنجاة من المهلكات، كما يدل على ذلك قصة أصحاب الغار التي أخرجها البخاري ومسلم عن عبدالله بن عمر عن النبي -صلى الله عليه وسلم -، وفيها أنه قال بعضهم لبعض: ((...إِنَّهُ وَاللَّهِ يَا هَؤُلَاءِ، لَا يَنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ، فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ))، (٣٢٢)

فدعا كل واحد منهم ربه بما عمله من عمل صدق فيه لله، وأخلص له فيه، فكان أن جاء الفرج، ففرج لهم فرجة بعد أخرى، حتى خرجوا من تلك المحنة.
قال الربيع بن سليمان:

صَبْرٌ جَمِيلٌ مَا أَسْرَعَ الْفَرْجَ مَنْ صَدَقَ اللَّهُ فِي الْأُمُورِ نَجَا
مَنْ خَشِيَ اللَّهَ لَمْ يَنْلُهُ أَذًى وَمَنْ رَجَا اللَّهَ كَانَ حَيْثُ رَجَا

ويحكى أن هاربًا لجأ إلى أحد الصالحين، وقال له: أَخْفِنِي عَنْ طَالِبِي، فقال له: نَمْ هُنَا، وَأَلْقَى عَلَيْهِ حَزْمَةً مِنْ خَوْصٍ، فَلَمَّا جَاءَ طَالِبُوهُ وَسَأَلُوهُ عَنْهُ، قَالَ لَهُمْ: هَا هُوَ ذَا تَحْتَ الْخَوْصِ، فَظَنُّوا أَنَّهُ يَسْخَرُ مِنْهُمْ فَتَرَكُوهُ، وَنَجَا بِبَرَكَةِ صَدَقِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ.

ويروى أن الحجاج بن يوسف خطب يومًا فأطال الخطبة، فقال أحد الحاضرين: الصلاة، فإن الوقت لا ينتظر، والرب لا يعذر، فأمر بحبسه، فأتاه قومه وزعموا أن الرجل مجنون، فقال الحجاج: إن أقرَّ

٣٢٠ - أخرجه البخاري (٢٢٦١/٥)، رقم ٥٧٤٣، ومسلم (٢٠١٢/٤)، رقم ٢٦٠٧.

٣٢١ - أخرجه أحمد (١٨٩/٢)، رقم ٦٧٦٨، والبخاري (٢١/١)، رقم ٣٤، ومسلم (٧٨/١)، رقم ٥٨،

٣٢٢ - أخرجه أحمد (١١٦/٢) (٥٩٧٣). والبخاري (١١٩/٣)

بالجنون خلصته من سجنه، فقال الرجل: لا يسوغ لي أن أجدد نعمة الله التي أنعم بها عليّ، وأثبت لنفسني صفة الجنون التي نزهني الله عنها، فلما رأى الحجاج صدقه، خلّى سبيله.

٤- حصول البركة في الأرزاق فعن حكيم بن حزام -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((البيعان بالخيار ما لم يتفرقا - أو قال: حتى يتفرقا - فإن صدقا وبينا، بُورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا، مُحِقَّتْ بركة بيعهما)) (٣٢٣)

٥- إذا أردت أخي الغالي راحة الضمير وشفاء النفس فكن من الصادقين فكن أخي الحبيب من الصادقين واحذر طريق الكاذبين عن أبي محمد، الحسن بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهما- قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم: دَعُ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ، فَإِنَّ الصَّدَقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيَّةٌ " (٣٢٤).

أقول قولي، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، اللهم لك الحمد على نعمة الإسلام والإيمان، ولك الحمد أن جعلتنا من أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

أما بعد:

ثانيا - ثمرات الصدق في الآخرة

أيها الآباء الفضلاء والإخوة الأعزاء والأبناء النجباء اعلموا أن للصدق ثمرات ممدودة وعطايا غير محدودة ينالها العبد في الدار الآخرة لان الجنة هي دار الصادقين وهاكم بيان ذلك

١- الصدق طريق موصل إلى الجنة فاقرب الطرق إليها طريق الصادقين؛ قال - صلى الله عليه وسلم -: ((إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة)) (رواه البخاري ومسلم).

٢- الصدق منجاة في الآخرة كما كان منجاة لهم في الدنيا فلا ينفعك يوم القيامة مال ولا بنون ولكن الذي ينفعك هو الصدق مع الله تعالى قال - تعالى -: (هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ) [المائدة: ١١٩].

٣- الفوز بالجنان وحصول رضى الرحيم الرحمن، قال - تعالى -: (هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا - رضى الله عنهم - وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [المائدة: ١١٩].

٣٢٣ - أحمد (٤٠٢/٣)، رقم (١٥٣٥٧)، والبخاري (٧٣٢/٢)، رقم (١٩٧٣)، ومسلم (١١٦٤/٣)، رقم (١٥٣٢)

٣٢٤ - أخرجه: الترمذي (٢٥١٨)، والنسائي ٣٢٧/٨ وفي "الكبرى"، له (٥٢٢٠).



٤- بلوغ درجة الشهداء وان مات الصادق على فراشه عن سهل بن حنيف: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ " (٣٢٥)

٥- **شهادة ضمان لدخول جنة الرحمن** عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " اِضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ: اِصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا أَوْعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا أُؤْتِمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ " (٣٢٦)

٣٢٥ - أخرجه الدارمي (٢٧٠/٢، رقم ٢٤٠٧) وأبو داود (٨٥/٢، رقم ١٥٢٠) والترمذي (١٨٣/٤، رقم ١٦٥٣)

٣٢٦ - أخرجه أحمد (٣٢٣/٥، رقم ٢٢٨٠٩)، وابن حبان (٥٠٦/١، رقم ٢٧١)، والحاكم (٣٩٩/٤، رقم ٨٠٦٦)

وفاء النبي صلى الله عليه وسلم بالعهود^(٣٢٧)

الخطبة الأولى

الحمد لله الكريم الجواد... خلق الإنسان من نطفة وجعل له السمع والبصر والفؤاد...
أنزل الغيث مباركاً فأحيا به البلاد... وأخرج به نبات كل شيء رزقاً للعباد...
نحمده تبارك وتعالى حمد الطائعين العباد... ونتوكل عليه توكل المختبين الزهاد... ونعوذ بنور وجهه
الكريم من الوعيد بسوء المهاد... ونرجوه تحقيق الأمل في الوعد والمعاد... ونسأله النصر في الحياة الدنيا
ويوم يقوم الأشهاد...
وأشهد أن لا إله إلا الله المضل الهاد... المتره الذات عن الأشباه والأنداد... الفعال لما يريد ولا يقع في
ملكه إلا ما أراد... خلق سبع سموات طباقاً بغير عمد... ومن الأرض مثلهن وأرسي الجبال
كالأوتاد... سبقت كلمته أن من أطاعه عز في الأرض وساد... ومن كفر أمهله وهو له بالمرصاد...
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد الأسياد... سيد الأولين والآخرين من حاضر وباد... خير من
دعا وهدى وبالخير العظيم جاد...
المبعوث رحمة فينا وبشفاعته يغاث العباد... المبشر بالأخوة والمحبة ونبذ الغل والأحقاد... أشجع الناس
قاطبة إذا دعا داع الجهاد... وأكرم الناس طرا إذا عز مال أو قل زاد... بعث والقوم في ذل الشرك قد
ساد فيهم الأوغاد... ودعاهم إلى الهدى فلم يجد منهم إلا العناد... أراد بهم خيراً وتربصوا به الدوائر
على كل جبل وواد... وحين خضعت أعناقهم بفتح مكة وأصبحوا كالرماذ... نادى بعفوه وبالصفح
الجميل من قبله المناد... اللهم صل وسلم وبارك عليه حيث الصلاة عليه لنا خير زاد... ما نادى للصلاة
مناد... وكلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون إلى يوم التناد...
أما بعد:
إخوة الإيمان: حديثنا اليوم عن نبع الوفاء سيد الأنبياء وإمام الأتقياء صلى الله عليه وسلم من كان في
وفائه نبع سلسبيل، مزاجه زنجبيل، ورحيقه مسك أصيل، إنه حبيب الله صلى الله عليه وسلم
فأعيروني القلوب والأسماع لننهل ونعب من نبع وفائه.



يا طالباً للحُبِّ هم بمحمد ذاك هو النبع الزُّلال الصافي
حُبًّا يورثك الجنان فسيحة يُنجيك من كرب بلا مقداًف
اعرف فضائل مصطفىاك فريضة وأسكنها بالقلب الكليم الجافي
إن كنت ترضى في الحبيب تواضعاً فمحمداً فمر التواضع صافي
أو كنت ترضى في الحبيب تعظفاً فبعطفه أمسى الصقيع دافي
إن كان يُعجبك التسامح شيمة سل أهل مكة ساعة الإنصافِ
ولئن يروك أن تهيم بماجدٍ فالجد صنعته بلا إسفاف

﴿أولاً: دعوة القرآن وسنة النبي العدنان لخلق الوفاء:﴾

أيها الأحباب: لقد جاء القرآن الكريم وسنة النبي الأمين صلى الله عليه وسلم لترسيخ خلق الوفاء لأن الوفاء بالعهود هو شرع الله ودينه الذي ارتضاه جل في علاه، فقال ربُّنا - تبارك وتعالى - في سورة "المعارج" في صفات أهل الجنة المكرمون: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المعارج: ٣٢]، وقال في سورة (المؤمنون) في صفات المؤمنين الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨]، وقال في علامات الصادقين المتقين في سورة البقرة: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

والوفاء بالعهد من صفات الأنبياء والمرسلين؛ فقال - تعالى - متحدثاً عن سيدنا إسماعيل - عليه السلام - في سورة مريم: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤]، وقال - تعالى - في إبراهيم - عليه السلام -: ﴿وَأَبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٧].

﴿وفاء النبي -صلى الله عليه وسلم- مع الله﴾

إخوة الإسلام: أول نبع للوفاء وفاء سيد الأنبياء مع رب الأرض والسماء، فالله تعالى أمره أن يبلغ رسالته وأن يقوم بالدعوة إليه فقال الله تعالى في غير ما آية من القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧] وقال سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: ١ - ٣]

فقام النبي - صلى الله عليه وسلم - داعياً إلى الله تعالى إلى أن أجاب داعيه ووافته المنية

فما زال يدعو ربه لهداهم وإن كان قد قاسى أشد المتاعب
وما زال يعفو قادراً عن مسيئهم كما كان منه عند جذوة جاذب
وما زال طول العمر لله معرضاً عن البسط في الدنيا وعيش المزارب
بديع كمال في المعالي فلا امرء يكون له مثلاً ولا بمقارب
أتانا مقيم الدين من بعد فترة وتحريف أديان وطول مشاغب

وفي له في العبادة له فقام حتى تورمت قدماه صلى الله عليه وسلم عن زياد بن علقمة قال سمعت المغيرة بن شعبة يقول قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه فقيل له قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبداً شكوراً (٣٢٨)

ثالثاً نبع الوفاء مع المؤمنين

أيها الإخوة الأحباب: لقد ارتوى الصحابة رضي الله عنهم من نبع وفائه وحسن خلقه ولم ينس صلى الله عليه وسلم ما بذله الأنصار نحو الدعوة إلى الله تعالى فقد ضحوا بأنفسهم وأهليهم وأموالهم من أجل إعلاء كلمة الله تعالى

فها هو يفي للأنصار الذين امنوا به وصدقوه ونصروه واتبعوا النور الذي جاء به صلى الله عليه وسلم - عن أبي سعيد الخدري قال: لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا في قریش وقبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت فيهم القالة حتى قال قائلهم: لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة، فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، فسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظيماً في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار شيء، قال: " فأين أنت من ذلك يا سعد؟ " قال: يا رسول الله، ما أنا إلا امرؤ من قومي، وما أنا؟ قال: " فأجمع لي قومك في هذه الحظيرة "، قال: فخرج سعد، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة، قال: فجاء رجال من المهاجرين، فتركهم، فدخلوا وجاء آخرون، فردهم، فلما اجتمعوا أتاه سعد فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، قال: فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه، بالذي هو له أهل، ثم قال: " يا معشر الأنصار ما قالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها في أنفسكم، ألم آتكم ضللاً فهداكم الله؟ وعالة فأغناكم الله؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟ "، قالوا: بل الله ورسوله آمن وأفضل. قال: " ألا تحببونني يا معشر الأنصار " قالوا: وبماذا نحببك يا رسول الله، ولله ورسوله



الْمَنُ وَالْفَضْلُ. قَالَ: " أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصَدَقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَذِّبًا فَصَدَقْنَاكَ، وَمَخَذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَأَوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَأَسَيْنَاكَ، أَوْجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا، تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسَلِّمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ؟ أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّقَا وَالْبُعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ فِي رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ لَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكَتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ " قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ، حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقُوا (٣٢٩)

وفاء النبي - صلى الله عليه وسلم - لأبي بكر الصديق:

و من نبع وفائه -صلى الله عليه وسلم- أنه لم ينس ما قدمه أبو بكر الصديق رضي الله عنه لنصرت النبي - صلى الله عليه وسلم والإسلام فعن علي -رضي الله تعالى عنهم -أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: " ما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر " (٣٣٠)

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: «إِنَّ النَّاسَ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ النَّاسِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ خَلَّةَ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ» (٣٣١)

وفاء النبي -صلى الله عليه وسلم- لا مع زوجته:

معشر الإخوة: ومن نبع وفائه صلى الله عليه وسلم - وفاؤه للسيد الفاضلة خديجة -رضي الله عنها التي واسته بماله وحسبها ونصرتة صلى الله عليه وسلم - فما نسي النبي - لها ذلك الجميل فعمها بوفائه في حياتها وبعد مماتها - رضي الله عنها -

فمن وفائه صلى الله عليه وسلم في هذا الباب، أنه كان يكرم صديقات زوجته خديجة رضي الله عنها بعد موتها عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُتِيَ بِالشَّيْءِ يَقُولُ: «أَذْهَبُوا بِهِ إِلَى فُلَانَةٍ، فَإِنَّهَا كَانَتْ صَدِيقَةً خَدِيجَةَ. أَذْهَبُوا بِهِ إِلَى بَيْتِ فُلَانَةٍ، فَإِنَّهَا كَانَتْ تُحِبُّ خَدِيجَةَ» (٣٣٢).

٣٢٩ - أخرجه ابن أبي شيبة ١٥٦/١٢ - ١٥٧، ١٤/٥٢٨-٥٢٩، وأبو يعلى (١٠٩٢)

٣٣٠ - قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٥٦٦١ في صحيح الجامع

٣٣١ - أخرجه أحمد (١٨/٣)، رقم (١١١٥٠)، والبخاري (١٧٧/١)، رقم (٤٥٤)، ومسلم (٤/١٨٥٤)، رقم (٢٣٨٢).

٣٣٢ - أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" ٢٣٢، والبراز "١٩٠٤"

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «مَا غَرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا بِي أَنْ أَكُونَ أَذْرَكْتُهَا وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِكَثْرَةِ ذِكْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا، وَإِنْ كَانَ لِيَذْبَحُ الشَّاةَ فَيَتَّبِعُ بِهَا صَدَائِقَ خَدِيجَةَ فَيُهْدِيهَا لَهُنَّ»: (٣٣٣)

يقول توماس كارليل - منبهراً بوفاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - لزوجته السابقة المتوفاة: (... كان وفاءه وفاءً لا تحده حدود.... إنه لم ينس أبداً زوجته الطيبة الكريمة الأخلاق خديجة. وبعد وفاة زوجته أم المؤمنين خديجة بوقت طويل، سألته زوجته الشابة، وهي امرأة كانت تشعر بمكانتها المتميزة بين نساء النبي، وسألته يوماً قائلة له: " أأستأ أنا الآن أفضل من خديجة؟ لقد كانت أرملة تقدم بها العمر، وكانت قد فقدت رونق شبابها. أأستأ تحبني أنا أكثر مما كنت تحبها؟ فقال لها: " لا، والله لقد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وآوتني إذ رفضني الناس، وصدقتني إذ كذبتني الناس، ورزقت منها الولد وحُرمتُموه مني". (٣٣٤)

❖ وفاء النبي صلى الله عليه وسلم - مع غير المسلمين:

ومن أهم المواقف الدالة على التزام المسلمين بخلق الوفاء وتعظيمهم له في السلم والحرب: قال حذيفة بن اليمان: "ما منعتني أن أشهد بدرًا إلا أني خرجتُ أنا وأبي حُسَيْلٌ، قال: فأخذنا كفارَ قريش قالوا: إنكم تُريدون محمدًا، فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا مِنَّا عهدَ الله وميثاقه لننصرفنَّ إلى المدينة، ولا نُقاتل معه، فأتينا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه الخبرَ، فقال: «انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم» (٣٣٥).

قال النووي في تعليقه على الحديث: "وفيه الوفاء بالعهد، أمرهما النبي صلى الله عليه وسلم بالوفاء، وهذا ليس للإيجاب؛ فإنه لا يجب الوفاء بترك الجهاد مع الإمام ونائبه، ولكن أراد النبي صلى الله عليه وسلم ألا يشيع عن أصحابه نقضُ العهد" (٣٣٦)

❖ وفاء النبي - صلى الله عليه وسلم - مع أبي البختری بن هشام:

ومن مواقف الوفاء مع الكفار وفاء النبي صلى الله عليه وسلم لأبي البختری بن هشام الذي وقف في وجه قريش وعمل على نقض الصحيفة ودافع عن النبي وأصحابه فلم ينس النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا الموقف وأراد أن يرد إليه الجميل في غزوة بدر فقال لأصحابه كما في حديث ابن عباس أن النبي

٣٣٣ - صحيح سنن ابن ماجه ١٩٩٧

٣٣٤ - توماس كارليل، الأبطال وعبادة الأبطال والبطولات في التاريخ

٣٣٥ - أخرجه مسلم (٣٣٤٢) في كتاب الجهاد والسير، باب الوفاء بالعهد.

٣٣٦ - شرح صحيح مسلم، النووي، (١٢: ٢٠١)، دار قرطبة - القاهرة



صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: (إني قد عرفت أن رجلاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهًا، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البختريّ بن هشام فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله، فإنه إنما أخرج مستكرهاً)، (٣٣٧)

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن
أقول قولي، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، اللهم لك الحمد على نعمة الإسلام والإيمان، ولك الحمد أن جعلتنا من أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، أما بعد:

نوع الوفاء مع الكفار في صلح الحديبية:

أما إن سألت عن نوع الوفاء وعن خلق الأصفياء مع الأعداء فتأمل هذا المشهد الذي يعلم الدنيا كلها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم -هو إمام أهل الوفاء، قال ابنُ إسحاق: فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ أَتَاهُ أَبُو بَصِيرٍ عُتْبَةُ بْنُ أُسَيْدٍ بْنِ جَارِيَةَ، وَكَانَ مِمَّنْ حُبِسَ بِمَكَّةَ فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ فِيهِ أَزْهَرُ بْنُ عَبْدِ عَوْفٍ بْنِ عَبْدِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ زُهْرَةَ وَالْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقِ بْنِ عَمْرِو بْنِ وَهَبٍ الثَّقَفِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعَثَا رَجُلًا مِنْ بَنِي لُؤَيٍّ وَمَعَهُ مَوْلَى لَهُمْ فَقَدِمَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابِ الْأَزْهَرِ وَالْأَخْنَسِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَبَا بَصِيرٍ إِنَّا قَدْ أُعْطِينَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ مَا قَدْ عَلِمْتَ، وَلَا يَصْلُحُ لَنَا فِي دِينِنَا الْعَدْرُ وَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا، فَأَنْطَلِقْ إِلَى قَوْمِكَ، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُرَدِّنِي إِلَى الْمُشْرِكِينَ يَفْتِنُونَنِي فِي دِينِي ؟ قَالَ يَا أَبَا بَصِيرٍ انْطَلِقْ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَجْعَلُ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا (٣٣٨)

وعن حذيفة بن اليمان قال: ما منعني أن أشهد بدرًا إلا أني خرجت أنا وأبي حسيل، فأخذنا كفار قريش، قالوا: إنكم تريدون محمدا، فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة، ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه الخبر، فقال: (انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم) رواه مسلم.

٣٣٧ -تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك (٢: ٣٤). السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٧٧)

٣٣٨ - الروض الأنف (٤/ ٥٧)

❦ وفاؤه صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب:

لم ينس نبع الوفاء صلى الله عليه وسلم -مواقف عمه أبي طالب الذي واساه ورباه ودافع عنه حتى آخر رمق في حياته فشفع له عند الله تعالى أن يخفف عنه العذاب عن العباس قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ((ما أغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قال: (هو في ضَحْضَاحٍ مِنَ نارٍ، ولولا أنا لكان في الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النارِ)) (٣٣٩).

❦ الواجب علينا:

عباد الله: اعلّموا أن الواجب علينا أن نقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم وأن نفي بالعهد والمواثيق وأجل تلك العهود عهد الله تعالى الذي أخذه علينا أن نؤمن به وحده ولا نشرك به أحداً وأن نفي بعهد رسول الله -صل الله عليه وسلم فندافع عن سيرته وسنته وأن نعمل بشريعته وأن نعلي رايته صلى الله عليه وسلم تكون نكون ممن سمى الله تعالى في كتابه ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]

وواجب علينا أيها الأحباب أن نكون صورة مشرفة للإسلام بأن نكون أوفياء مع الناس جميعاً لا فرق في الوفاء بين قريب أو بعيد صديق أو عدو مؤمن أو كافر فالأخلاق في الإسلام لا تتلون وإنما هي ثابتة لا تحابي أحداً على حساب أحد وقال عزّ من قائل: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ [الرعد: ١٩ - ٢٠].

لقد سطر المسلمون في تاريخهم أروع الأمثلة في الوفاء بالعهود حتى مع المشركين، بل اشتهر هذا الخلق بين جيوش المسلمين حتى أصبح سمة لهم وكان سبباً في دخول الناس إلى دين الله أفواجا، وفتح الكثير من البلدان لما رأوا من وفائهم بعهدهم عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ - رَجُلٍ مِنْ حِمِيرٍ - قَالَ كَانَ بَيْنَ مُعَاوِيَةَ وَبَيْنَ الرُّومِ عَهْدٌ وَكَانَ يَسِيرُ نَحْوَ بِلَادِهِمْ حَتَّى إِذَا انْقَضَى الْعَهْدُ غَزَاهُمْ فَجَاءَ رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ أَوْ بِرْذَوْنٍ وَهُوَ يَقُولُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ وَفَاءٌ لَا غَدْرَ فَنَظَرُوا فَإِذَا عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ فَسَأَلَهُ فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ «مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فَلَا يَشُدُّ عُقْدَةً وَلَا يَحُلُّهَا حَتَّى يَنْقَضِيَ أَمَدُهَا أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ». فَارْجَعَ مُعَاوِيَةُ. (٣٤٠)

٣٣٩ - أخرجه البخاري في: ٦٣ كتاب مناقب الأنصار: ٤٠ باب قصة أبي طالب

٣٤٠ - أخرجه الترمذي (١٥٨٠) والنسائي (٨٧٣٢) -الكبرى). وقال الترمذي: حسن صحيح.



قال المهلب - رحمه الله -: "الغدر حرام بالمؤمنين وبأهل الذمة، وفاعله مستحق لاسم النفاق وللعنة الله والملائكة والناس أجمعين" (٣٤١).

ومهما يكن قدر الغدر والخيانة إلا أنه يبقى قبيحاً تشمئز منه النفوس المجبولة على الفطرة والوفاء، وكما قال الإمام الذهبي: "الخيانة قبيحة في كل شيء، وبعضها شرٌّ من بعض، وليس من خانك في فلسٍ كمن خانك في أهلك ومالك وارتكب العظائم" (٣٤٢).
قال الرياشي:

إذا ذهب التكرم والوفاء وباد رجاله وبقي الغناء
وأسلمني الزمان إلى رجال كأمثال الذئاب لها عواء
صديقٌ كلما استغنيت عنهم وأعداءٌ إذا جهد البلاء
إذا ما جئتهم يتدافعوني كأني أجرب آذاه داء
أقول ولا ألام على مقالٍ على الإخوانِ كلَّهم العفاء (٣٤٣)

كونوا عباد الله أوفياء فالوفاء من شيم الكرام:

إنَّ الوفاءَ على الكريمِ فريضةٌ واللؤمُ مقرونٌ بذِي الإخلافِ
وترى الكريمَ لمن يعاشِرُ منصفاً وترى اللئيمَ مجانبَ الإنصافِ (٣٤٤)

قال ابن حزم رحمه الله (الوفاء مركب من العدل، والجود، والنجدة؛ لأنَّ الوفي رأى من الجور أن لا يقارض من وثق به، أو من أحسن إليه؛ فعدل في ذلك، ورأى أن يسمح بعاجل يقتضيه له عدم الوفاء من الحظ؛ فجاد في ذلك، ورأى أن يتجلد لما يتوقع من عاقبة الوفاء؛ فشجع في ذلك) (٣٤٥)
وعن الأصمعي قال: (إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ووفاء عهده، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه، وتشوقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من زمانه) (٣٤٦)

الدعاء.....

٣٤١ - شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣٦٢/٥

٣٤٢ - كتاب الكبائر: ١٤٩.

٣٤٣ - موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية (٢/ ١٠٨)

٣٤٤ - موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية (٢/ ١٠٨)

٣٤٥ - ((الأخلاق والسير)) لابن حزم (ص ١٤٥).

٣٤٦ - ((الآداب الشرعية)) لابن مفلح (ص: ٢٩٢).

تحذير المؤمنين من خطر النفاق والمنافقين (٣٤٧)

الخطبة الأولى

الحَمْدُ لِلَّهِ الدَّاعِي إِلَى بَابِهِ، الْمُوفِّقُ مِنْ شَاءَ لَصَوَابِهِ، أَنْعَمَ بِإِنْزَالِ كِتَابِهِ، يَشْتَمِلُ عَلَى مُحْكَمٍ وَمُتَشَابِهٍ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، وَأَمَّا الرَّاَسَخُونَ فِي الْعِلْمِ فَيَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ، أَحْمَدُهُ عَلَى الْهُدَى وَتَيْسِيرِ أَسْبَابِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً أَرْجُو بِهَا النِّجَاةَ مِنْ عِقَابِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَكْمَلَ النَّاسَ عَمَلًا فِي ذَهَابِهِ وَإِيَابِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى صَاحِبِهِ أَبِي بَكْرٍ أَفْضَلَ أَصْحَابِهِ، وَعَلَى عُمَرَ الَّذِي أَعَزَّ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ وَاسْتَقَامَتِ الدُّنْيَا بِهِ، وَعَلَى عِثْمَانَ شَهِيدِ دَارِهِ وَمِحْرَابِهِ، وَعَلَى عَلِيٍّ الْمَشْهُورِ بِحُلِّ الْمُشْكِلِ مِنَ الْعُلُومِ وَكَشْفِ نِقَابِهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ كَانَ أَوْلَى بِهِ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا.

أمة الإسلام: حديثنا في هذا اليوم الطيب الميمون الأغر عن سوس هذه الأمة الذي ينخر في جسدها ويتربص بها الدوائر خطر أخطر على الأمة من الكفار والمشركين ويكمن خطره أنه يلبس لنا جلود الضأن وقلبه قلب ذئب خبيث الطبع خبيث الصفات إنهم أعدى الأعداء حيثنا عن (تحذير المؤمنين من خطر النفاق والمنافقين) يقول فيهم الشاعر وهو يصف صفاتهم:

﴿أولاً: تعريف المنافق في الشرع:﴾

المنافق: هو الذي يظهر غير ما يظن. فإن كان الذي يخفيه التكذيب بأصول الإيمان فهو المنافق الخالص وحكمه في الآخرة حكم الكافر وقد يزيد عليه في العذاب لخداعه المؤمنين بما يظهره لهم من الإسلام قال تعالى: (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) وإن كان الذي يخفيه غير الكفر بالله وكتابه ورسوله وإنما هو شيء من المعصية لله فهو الذي فيه شعبة أو أكثر من شعب النفاق.

﴿ثانياً: المنافقون كثر:﴾

واعلموا عباد الله: أن مما يوجب مزيد الخوف من النفاق والحذر من المنافقين: أنهم كثيرون، منتشرون في بقاع الأرض، كما قال الحسن البصري (رحمه الله) لولا المنافقون لا استوحشتم في الطرقات. ولا يعني ذلك تعميم الحكم بالنفاق على الأكثرية والأغلبية، فإن النفاق شعب وأنواع، كما أن الكفر شعب وأنواع فكذا من كان متهمًا بنفاق فهم على أنواع متعددة، كما وضحه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: (ولهذا لم يكن المتهمون بالنفاق نوعًا واحدًا، بل فيهم المنافق المحض، وفيهم من فيه إيمان ونفاق



وفيه من إيمانه غالب وفيه شعبة من النفاق، ولما قوي الإيمان وظهر الإيمان وقوته عام تبوك: صارو يعاتبون من النفاق على ما لم يكن يعاتبون عليه قبل ذلك.)

﴿ثالثاً تحذير القرآن من المنافقين:﴾ فإن من يتأمل حديث القرآن الكثير والكثيف عن النفاق والمنافقين، يدرك أنه يتناول خطراً ماحقاً وضرراً مفعجاً يستحق أمر التحذير منه والتوجيه إلى مواجهته استغراق صفات النفاق آيات كثيرة، حيث كان الحديث عنهم في القرآن في ١٧ سورة مدنية من ٣٠ سورة، واستغرق ذلك قرابة ٣٤٠ آية، حتى قال ابن القيم رحمه الله: "كاد القرآن أن يكون كله في شأنهم" (٣٤٨)

إن الله تبارك وتعالى صنف عباده في أول سورة البقرة إلى مؤمنين وكافرين ومنافقين، وأنزل في ذلك عشرين آية في أول هذه السورة.

منها ثلاث آيات في وصف المؤمنين وآيتان في وصف الكافرين، وثلاث عشرة آية في وصف المنافقين، بين فيها أحوالهم وكشف أسرارهم وصور طبائعهم ونفسياتهم وطريقة تفكيرهم ومنطقهم.

وقد تحدث القرآن عن المنافقين في مواضع كثيرة. وفي سور عديدة وأكثر ما تحدث عنهم في سورة التوبة حتى سميت الفاضحة لأنها فضحت المنافقين وكشفت أحوالهم وبينت أسرارهم ودواخلهم وخططهم ثم فرغت سورة بأكملها للمنافقين كشفت أيضاً أسرارهم وأساليبهم وبينت شيئاً من خططهم سميت سورة المنافقين كل هذا لتحذير المجتمع المسلم من خطر هذا العدو الهدام الذي يحاربهم من داخلهم، ويسعى إلى تدميرهم خلسة وخفية حتى لا تراه الأعين ولكن يجب أن تكتشفه البصائر، إن أهم سمة وأخطر صفة لهذا العدو الهدام المدمر هي صفة الخفاء فهو خلال المجتمع المسلم، داخل خلال المجتمع المسلم، يظهر التعاطف معهم ويخفي كفره وعداوته معه في باطنه، فالمكر والخداع والكذب هي أساليبه وأدواته لكن إذا سنحت الفرصة ووجد ثغرة ينفذ منها لضرب المسلمين فإنه يكون حينئذ أشد قسوة ووحشية ونكاية للمؤمنين من أي عدو مجاهر، كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون [التوبة: ٨].

﴿رابعاً خطورة المنافقين على المجتمع:﴾

أمة الإسلام: تكمن هذه الخطورة في تلك الصفات الشيطانية التي يتصف بها هذا العدو ونذكر منها على سبيل المثال:

﴿إِبْطَانِ الْكُفْرِ وَالتَّظَاهِرِ بِالْإِيمَانِ: و هذه الصفة أصل النفاق في قلوب المنافقين وكل ثمرة بعدها شر وبلاء قال رب الأرض والسماء﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿ [البقرة: ٨ - ١٠] وها هم يصلون خلف النبي ويقولون نشهد انك رسول الله ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ [المنافقون: ١، ٢]

العزوف عن التحاكم إلى الله ورسوله: و هذه الصفة عباد الله من أبرز صفات المنافقين في كل عصر ومصر لا يرضون بالشرع الله ولا بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويطعنون فيهما ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿ [النساء: ٦٠ - ٦٣]

﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ [النور: ٤٧ - ٥١]

﴿مَوَلَاةُ الْكُفَارِ وَمَمْلَأَتُهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ: وهي من أخطر صفاتهم وهي مكن كل شر وأصل كل بلية تحل بالأمة الإسلامية حيث انهم يندسون في صفوف الموحدين والمجاهدين ليكونوا بعد ذلك خنجرا في ظهر الأمة فهم يلبسون لنا جلود الطأن وقلوبهم قلوب ذئاب كما قال الشاعر

وَإِذَا الذَّنَابُ اسْتَنْعَجَتْ لَكَ مَرَّةً فَحَذَارِ مِنْهَا أَنْ تَعُودَ ذَنَابَا

فالذئب أخبث ما يكون إذا اكتسى من جلد أولاد النعاج ثيابا



فهل مُنية الأمة بالهزائم والنكبات إلا وورائها ذئاب المنافقين قال الله تعالى مبينا ذلك ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الحشر: ١١]

ويقول سبحانه ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ [البقرة: ١٤]

ولقد بشرهم الله تعالى بالعذاب الأليم فقال ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُّهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٣٨، ١٣٩]

و نذكر موقفا من مواقفهم ومولاتهم الكافرين ففي غزوة احد انسحبوا من الجيش الإسلامي ورجعوا بثلاث الناس قبل وصول احد مبتغين بذلك إضعاف الجيش الإسلامي أمام الكفار ويستشف من الأحداث إن هذا التحذيل الذي قام به المنافقون كان باتفاق بينهم وبين اليهود فقد لوحظ قبيل المعركة أنه اجتمع تحت زعامة عبد الله بن أبي بن سلول ثلاثمائة من المنافقين وعدد كبير من اليهود يزيد على ستمائة وقد رفض النبي - صلى الله عليه وسلم الاستعانة بهم مما يشير الى مؤامرات دبرت من اليهود والمنافقين كانت تستهدف الميل على الجيش الإسلامي والكيد به

وقد نزل الله سبحانه وتعالى في صنيع المنافقين في احد آيات فضحهم فيها وبين انهم اقرب إلى الكفار منهم إلى المسلمين فقال رب العالمين ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّغَى الْجَمْعَانِ فَيَا ذُنَّ اللَّهِ وَلَيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦) وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧) الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٦ - ١٦٨]

الدرس والوقية بين المسلمين: وهذه من صفاتهم الخطيرة التي يستغلها المنافقون لإيقاع العداوة والخلافات بين المسلمين ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١١، ١٢]

و ها هم يتخذون مسجدا للمكيدة ولتفريق المسلمين فضحهم رب العالمين وانزل في شانهم قرانا يقرأ إلى يوم الدين ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ

أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿التوبة: ١٠٧، ١٠٨﴾

قال ابن إسحاق السيرة النبوية (٥ - ١٩٩) وخلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - علي بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى أهله وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون وقالوا: ما خلفه إلا استثقلا له وتحففا منه. فلما قال ذلك المنافقون أخذ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه سلاحه ثم خرج حتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو نازل بالجرف فقال: يا بني الله زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استثقتني وتحففت مني؟ فقال: "كذبوا، ولكني خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمتلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي" فرجع علي إلى المدينة ومضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٣٤٩)

﴿ومن صفاتهم الجبن والتخلف عن الجهاد: وذلك لأن الثبات والشجاعة والإقدام من ثمرات الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، فلما فرغت قلوبهم من الإيمان أصبحت خواء فهم لا يدفعون ولا ينفعون قال الله تعالى مبينا صفات المؤمنين ومبينا جبن المنافقين ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٤، ٤٥]

و يقول سبحانه وتعالى ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللَّسِنَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩) يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٩، ٢٠]

﴿الصد عن سبيل الله والأمر بالمنكر: وتلك سحبة فيهم أنهم يصدون عن سبيل الله بحدهم وحديدتهم قال الله سبحانه وتعالى ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧]

﴿إشاعة الفاحشة والزيلة في المجتمع: وتلك من خستهم وأنهم يعملون على ترويح الفاحشة في المجتمع الإسلامي بكل ما لديهم من وسائل قال الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ



مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ [النور: ١١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩]

الكذب وخيانة العهد والأمانة:

وها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم بين لنا بعض صفاتهم عن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثَةٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اتَّمِنَ خَانَ " وقال الله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَيْنَ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [التوبة: ٧٥ - ٧٨]

الكسل في عبادة الله عز وجل: فمن دناءة همتهم أنهم لا ينشطون للطاعات ولا يسارعون إلى الجمع والجماعات قال الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢) مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢، ١٤٣]

الفرح بما يصيب المسلمين من مصائب والاستياء بما يجعل الله تعالى من النصر والتمكين: ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ (٥٠) قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥٠، ٥١]

﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾.

إن هؤلاء المنافقين لا يريدون لك أيها الرسول ولأصحابك إلا المكارِه، فيتألمون إذا نالكم خيرٌ من نصرٍ أو غنيمة. ﴿وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾. ويفرحون إذا أصابكم مكروه م جراح أو قتل أو هزيمة، ويقولون شامتين: قد أخذنا حذرنا بالعودة، إذ تخلفنا عن القتال ولم نُلقِ بأيدينا إلى الهلاك. ثم ينصرفون مسرورين

خامسا خوف السلف الصالح على أنفسهم من النفاق: أمة الإسلام: وقد كان سلفنا الصالح رحمهم الله - مع عمق إيمانهم وكمال علمهم - يخافون النفاق أيما خوف فقد أخرج البخاري: تعليقا - أن ابن أبي مليكة رحمه الله

قال: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه.

قال الحافظ بن حجر (والصحابه الذين أدركوا ابن أبي مليكة من أجلهم: عائشة وأختها أسماء، وأم سلمة، والعبادلة الأربعة وأبو هريرة.. فهؤلاء ممن سمع منهم، وقد أدرك بالسن جماعة من أجل من هؤلاء، كعلي، وسعد بن أبي وقاص، وقد جزم بأنهم كانوا يخافون النفاق في الأعمال، ولم ينقل عن غيرهم خلاف ذلك، فكأنه إجماع، وذلك لأن المؤمن قد يعرض عليه في عمله ما يشوبه مما يخالف الإخلاص، ولا يلزم من خوفهم من ذلك وقوعه منهم...)(٣٥٠)

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه إذا فرغ من التشهد في الصلاة يتعوذ بالله من النفاق، ويكثر التعوذ منه فقال له أحدهم: ومالك يا أبو الدرداء أنت والنفاق؟ فقال دعنا عنك، فوالله إن الرجل ليقرب عن دينه في الساعة الواحدة فيخلع منه وكان الحسن البصري رحمه الله يقول: (ما خافه - النفاق - إلا مؤمن ولا آمنه إلا منافق) أخرجه البخاري تعليقا.

وسئل الإمام أحمد: ما تقول فيمن لا يخاف على نفسه النفاق؟ قال: (ومن يأمن على نفسه النفاق) يقول بن القيم: (وبحسب إيمان العبد ومعرفته يكون خوفه أن يكون من أهل هذه الطبقة، ولهذا اشتد خوف سادة الأمة وسابقيها على أنفسهم أن يكونوا منهم، فكان عمر يقول لحذيفة: ناشدتك الله، هل سماني رسول الله مع القوم؟ فيقول: لا، ولا أزكي بعدك أحداً، يعني لا أفتح عليّ هذا الباب في تزكية الناس، وليس معناه أنه لم يبرأ من النفاق غيرك. فتأمل رحمك الله ما عليه أولئك الأسلاف الأبرار من خوف شديد من النفاق ودواعيه، ثم انظر إلى حال الأكثرين منا في هذا الزمان، فمع ضعف الإيمان وغلبة الجهل تجد الأمن من النفاق والغفلة عنه! فالله المستعان.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هُوَ يَتَوَكَّلُ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمِينَ مُتَلَازِمِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.
أَمَّا بَعْدُ:



سادسا سبل الوقاية من النفاق: أمة الإسلام بعد أن تعرفنا على خطورة النفاق والمنافقين هيا لتتعرف على أسباب الوقاية من النفاق لأنه كما علمنا انه لا يامن النفاق إلا منافق لذا يجب علينا أن نتعرف على الوقاية من ذلك المرض الخطير:

كثرة ذكر الله تعالى: فذكر الله تعالى من سمات المحبين المؤمنين: قال ابن القيم: "إن كثرة ذكر الله عز وجل أمان من النفاق؛ فإن المنافقين قليلو الذكر لله عز وجل، قال الله عز وجل في المنافقين: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال كعب: من أكثر ذكر الله عز وجل برئ من النفاق. ولهذا والله أعلم ختم الله تعالى سورة المنافقين بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]، فإن في ذلك تحذيرا من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر الله عز وجل فوقعوا في النفاق. وسئل بعض الصحابة رضي الله عنهم عن الخوارج: منافقون هم؟ قال: (لا، المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا). فهذا من علامة النفاق: قلة ذكر الله عز وجل، وكثرة الأمان من النفاق، والله عز وجل أكرم من أن يبتلي قلبا ذاكرا بالنفاق، وإنما ذلك لقلوب غفلت عن ذكر الله عز وجل" (٣٥١)

الدعاء: والدعاء هو سلاح المؤمن الذي يقيه: من الوقوع في خطر النفاق عن جبير بن نفير قال: دخلت على أبي الدرداء منزله بجمص، فإذا هو قائم يصلي في مسجده، فلما جلس يتشهد جعل يتعوذ بالله من النفاق، فلما انصرف قلت: غفر الله لك يا أبا الدرداء، ما أنت والنفاق؟ قال: (اللهم غفرا ثلاثا، من يأمن البلاء؟! من يأمن البلاء؟! والله إن الرجل ليفتن في ساعة فينقلب عن دينه) (٣٥٢)

الاتصاف التام بالصدق في الأمر كله: فإن الصدق هب الصفة الفاصلة بين أهل الإيمان وأهل النفاق، قال ابن تيمية: "الصفة الفارقة بين المؤمن والمنافق هو الصدق، فإن أساس النفاق الذي بني عليه الكذب" (٣٥٣).

البعد عن سماع الغناء: وسماع الغناء في الأصل محرم، ومع ذلك فإنه يورث النفاق في القلب. قال ابن مسعود رضي الله عنه: (الغناء ينبت النفاق في القلب، كما ينبت الماء البقل) قال ابن القيم: "وهذا كلام عارفٍ بأثر الغناء وثمرته، فإنه ما اعتاده أحد إلا نافق قلبه وهو لا يشعر، ولو عرف حقيقة النفاق وغايته لأبصره في قلبه، فإنه ما اجتمع في قلب عبد قط محبة الغناء ومحبة القرآن إلا طردت إحداهما الأخرى، وقد شاهدنا نحن وغيرنا ثقل القرآن على أهل الغناء وسماعه، وتبرمهم به،

٣٥١- [الوابل الصيب (ص ١١٠)].

٣٥٢ [أخرجه الفريابي في صفة المنافق (٧٣)،].

٣٥٣- [مجموع الفتاوى (٧٥/٢٠)].

وصياحهم بالقارئ إذا طَوَّل عليهم، وعدم انتفاع قلوبهم بما يقرؤه، فلا تتحرك ولا تطرب ولا تهيج منها بواعث الطلب، فإذا جاء قرآن الشيطان فلا إله إلا الله كيف تخشع منهم الأصوات، وتهدأ الحركات، وتسكن القلوب وتطمئن، ويقع البكاء والوجد، والحركة الظاهرة والباطنة، والسماحة بالأثمان والثياب، وطيب السهر، وتمني طول الليل، فإن لم يكن هذا نفاقاً فهو آخية النفاق وأساسه" (٣٥٤)

وقال: "فإن أساس النفاق أن يخالف الظاهر الباطن، وصاحب الغناء بين أمرين؛ إما أن يتهتك فيكون فاجراً، أو يظهر النسك فيكون منافقاً، فإنه يظهر الرغبة في الله والدار الآخرة، وقلبه يغلي بالشهوات، ومحبة ما يكرهه الله ورسوله من أصوات المعازف وآلات اللهو، وما يدعو إليه الغناء ويهيّجه، فقلبه بذلك معمور، وهو من محبة ما يحبه الله ورسوله وكراهة ما يكرهه قفر، وهذا محض النفاق" (٣٥٥).

الجهاد في سبيل الله: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق)) (٣٥٦)

قال النووي: "المراد أن من فعل هذا فقد أشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد في هذا الوصف؛ فإن ترك الجهاد أحد شعب النفاق. وفي هذا الحديث أن من نوى فعل عبادة فمات قبل فعلها لا يتوجّه عليه من الذم ما يتوجّه على من مات ولم ينوها" (٣٥٧)

الدعاء.....

صفحات سوداء من تاريخ المنافقين (٣٥٨)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي نور بجميل هدايته قلوب أهل السعادة، وطهر بكرم ولايته أفئدة الصادقين فأسكن فيها وداده، ودعاها إلى ما سبق لها من عنايته فأقبلت منقاداً، الحميد المجيد الموصوف بالحياة والعلم والقدرة والإرادة، نحمده على ما أولى من فضل وأفاده، ونشكره معترفين بان الشكر منه نعمة مستفاده.

واشهد إن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة أعداها من أكبر نعمه وعظائمه، وأعداها وسيلة إلى يوم لقاءه

٣٥٤ - [مدارج السالكين (١/٥٢٣)].

٣٥٥ - [إغاثة اللهفان (١/٢٥٠)].

٣٥٦ - أخرجه أحمد (٢/٣٧٤، رقم ٨٨٥٢) ومسلم (٣/١٥١٧، رقم ١٩١٠)

٣٥٧ - [شرح صحيح مسلم (١٣/٥٦)].

٣٥٨ - موقع صيد الفوائد



وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحببيه
الذي أقام به منابر الإيمان ورفع عماده، وأزال به سنان البهتان ودفع عناده
أما بعد:

﴿أولاً: تعريف المنافق في الشرع:﴾

المنافق: هو الذي يظهر غير ما يطن. فإن كان الذي يخفيه التكذيب بأصول الإيمان فهو المنافق الخالص
وحكمه في الآخرة حكم الكافر وقد يزيد عليه في العذاب لخداعه المؤمنين بما يظهره لهم من الإسلام
قال تعالى: (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار)
وإن كان الذي يخفيه غير الكفر بالله وكتابه ورسوله وإنما هو شيء من المعصية لله فهو الذي فيه شعبة
أو أكثر من شعب النفاق

﴿الصفحة الأولى: المنافقون هم الطابور الخامس:﴾

يمثل المنافقون الطابور الخامس الذي يحيك المؤامرات وينتهاز الفرص ويتربص بالأمة الدوائر، تظهر
خباياهم في مواقفهم من الإسلام ورسول الإسلام وها هي صورة تنبئكم عن حقد وعداوة ذلك الطابور
تجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام

قَالَ عَمْرُو: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ - قَالَ سُفْيَانُ: مَرَّةً فِي
جَيْشٍ - فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ:
يَا لِلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ» قَالُوا: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ» فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ
اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ، فَقَالَ: فَعَلُوهَا، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: دَعْنِي أَضْرِبَ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: «دَعْنِي، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ» وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حِينَ
قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، ثُمَّ إِنَّ الْمُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بَعْدُ، قَالَ سُفْيَانُ: فَحَفِظْتُهُ مِنْ عَمْرُو، قَالَ عَمْرُو: سَمِعْتُ جَابِرًا:
كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣٥٩)

يقول شيخ الأزهر محمد السيد طنطاوي - رحمه الله كما يرى المتدبر لهذه الآيات، والأحداث التي
نزلت فيها، أن النفوس إذا جحدت الحق، واستولت عليها الأحقاد، واستحوذ عليها الشيطان.. أبت أن
تسلك الطريق المستقيم، مهما كانت معاملة واضحة أمامها...

فعبد الله بن أبي وجماعته، وقفوا من الدعوة الإسلامية موقف المحارب لها ولأتباعها، وسلکوا في إذاعة السوء حول الرسول - صلى الله عليه وسلم - وحول أصحابه كل مسلك... مع أن آيات القرآن الكريم، كانت تتلى على مسامعهم صباح مساء، ومع أن إرشادات الرسول - صلى الله عليه وسلم - كانت تصل إليهم يوما بعد يوم، ومع أن المؤمنين الصادقين كانوا لا يكفون عن نصحتهم ووعظهم (٣٦٠)

الصفحة الثانية: إثارة الفتن والقلق بين أفراد الأمة:

وهذا هو دأب المنافقون في كل زمان ومكان يعملون على إثارة الشحناء والبغضاء والعمل على تفتيت الصف الإسلامي والتاريخ المعاصر يشهد على هؤلاء المنافقين الذين يتكلمون بألسنتنا ويلبسون لنا جلود الضأن وقلوبهم قلوب ذئاب فها هم يظهرهم في أثواب بالية تحت مسمى التقدم والحضارة وهلم جر....

وما يحدث اليوم قد حدث مع النبي - صلى الله عليه وسلم - فاهم ينتقصون من النبي - صلى الله عليه وسلم - ولكن بأسلوب في تورية قد فهمه أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - عن أبي، أن أنساً رضي الله عنه، قال: قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ أَتَيْتَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي، «فَأَنْطَلَقَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَكِبَ حِمَارًا، فَأَنْطَلَقَ الْمُسْلِمُونَ يَمْشُونَ مَعَهُ وَهِيَ أَرْضٌ سَبَخَةٌ»، فَلَمَّا أَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِلَيْكَ عَنِّي، وَاللَّهِ لَقَدْ آذَانِي نَتْنُ حِمَارِكَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْهُمْ: وَاللَّهِ لَحِمَارُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ، فَغَضِبَ لِعَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَشَتَمَهُ، فَغَضِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْحَابُهُ، فَكَانَ بَيْنَهُمَا ضَرْبٌ بِالْجَرِيدِ وَالْأَيْدِي وَالنَّعَالِ، فَبَلَّغْنَا أَنَّهَا أُنْزِلَتْ: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩] (٣٦١)

الصفحة الثالثة: التخاذل والتخلف عن نصرته الإسلام

دائما وابدأ ترى المنافقين يقفون في صفوف أعداء الأمة ويعملون زعزعة أمنها واستقرارها فإذا نادى منادي الجهاد يلوذ هؤلاء المنافقون بجحورهم هربا من القتال وهربا من نصرته الإسلام من تلك الصفحات السوداء ما جاء في حديث أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أن رجلاً من الْمُنافِقِينَ، عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْعَزْوِ، تَخَلَّفُوا عَنْهُ، وَفَرَحُوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

٣٦٠ - الوسيط لسيد طنطاوي (ص: ٤٢١٩)

٣٦١ - أخرجه البخاري (٢٣٩/٣)



الله عليه وسلم، اعتذروا إليه، وحلفوا، وأحبوا أن يُحمدوا بما لم يفعلوا فَنَزَلَتْ (لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ) الآية (٣٦٢)

📖 الصفحة الرابعة: المنافقون يستهزئون بالمصدقين:

ومن بين تلك الصفحات صفحة سوداء قائمة قديمة حديثة وأسلوب خبيث يتبعه خلف هؤلاء تبعا لأسلافهم المنافقين إنه الاستهزاء والسخرية من المؤمنين والمؤمنات

إن ما نشاهده اليوم على الشاشات والفضائيات وما يكتب على الصفحات من حرب صريحة على الإسلام وعلى الشريعة الغراء فهذا يستهزئ بالحجاب وآخر يستهزئ باللحية وثالث يستهزئ بالسنن النبوية كل هؤلاء هم أتباع وخلف عبد الله بن أبي بن سلول -لعنه الله تعالى-

عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البصري -رضي الله عنه -، قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا: مرأى، وجاء رجل آخر فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا! فنزلت: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]. متفق عليه، هذا لفظ البخاري. (٣٦٣)

📖 الصورة الخامسة: منافق ويهودي يسحران الحبيب النبي - صلى الله عليه وسلم -

و من صفحات المنافقين السوداء العمل على سحر سيد الأصفياء - صلى الله عليه وسلم - و السحر مرض من الأمراض الجسدية التي تعترى البشر وكذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - وهذا يدل دلالة واضحة كما كمال بشريته - صلى الله عليه وسلم -

عن عائشة، قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُحْرًا، حَتَّى كَانَ يَرَى أَنََّّهُ يَأْتِي النِّسَاءَ وَلَا يَأْتِيَهُنَّ قَالَ سُفْيَانُ (أَحَدُ رِجَالِ السَّنَدِ) وَهَذَا أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنَ السُّحْرِ إِذَا كَانَ كَذَا فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ أَعْلِمْتِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلْآخَرِ: مَا بَالُ الرَّجُلِ قَالَ: مَطْبُوبٌ قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ قَالَ: لُبَيْدُ ابْنِ أَعْصَمَ، رَجُلٌ مِنْ زُرَيْقٍ، حَلِيفٌ لِيَهُودٍ، كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: وَفِيمَ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاقَّةٍ قَالَ: وَأَيْنَ قَالَ: فِي جُفٍّ طَلَعَةٍ ذَكَرَ تَحْتَ رَعُوفَةٍ، فِي بئرِ ذُرْوَانَ قَالَتْ: فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبِئْرَ حَتَّى اسْتَخْرَجَهُ فَقَالَ: هَذِهِ الْبِئْرُ الَّتِي أُرِيْتُهَا وَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْجِنِّاءِ، وَكَأَنَّ نُحْلَهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ قَالَ: فَاسْتَخْرَجَ قَالَتْ: فَقُلْتُ أَفَلَا، أَيْ، تَنْشَرَتْ فَقَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ فَقَدْ شَفَانِي، وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ شَرًّا (٣٦٤)

٣٦٢ - أخرجه البخاري في: ٦٥ كتاب التفسير: ٣

٣٦٣ - أخرجه: البخاري ١٣٦/٢ (١٤١٥)، ومسلم ٨٨/٣ (١٠١٨) (٧٢).

٣٦٤ - أخرجه البخاري في: ٧٦ كتاب الطب: ٤٩ باب هل يستخرج السحر

الصفحة السادسة استثمار الأحداث من أجل إثارة الشُّكوك والقلق بين أفراد الصف الداخلي وزعزعة الوضع، ومن ذلك:

كان من دأب المنافقون التخلف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في الغزوات ووجد المنافقون الفرصة السانحة لزعزعة الأمن وتفتيت وحدة الصف في غزوة تبوك عندما جعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم- عليا - رضي الله عنه - نائبا عن في المدينة فبدا المنافقون ينفثون سمومهم ويشعلون نيرانهم وينسجون خيوطهم التي هي أوهى من بيت العنكبوت.

حين سار رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لغزوة تبوك خلف علي بن أبي طالب -رضي الله عنه - في المدينة، فقال المنافقون: استثقله، فعن إبراهيم بن سعد، أنه سمع أباه يقول: لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى تبوك، خلف علي بن أبي طالب، فأتاه بالجرف يحمل سلاحه، فقال: يا رسول الله أتخلفني بعدك ولم أتخلف عنك قط؟ قال: فولى مدبرا، فاغرورقت عيناه، فرجع بعد فراقه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إن المنافقين يزعمون أنك إنما خلفتني استثقلا لي. فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ حتى روي في وجهه، فقال: «أما ترضى أن تكون مني بمتلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي؟». (٣٦٥)

الصورة السابعة: العمل كجواسيس للأعداء، وتسريب أخبار الدولة الإسلامية للخارج:

وقد قام المنافقون يعملون لليهود فقد أرسل رأس المنافقين عبد الله بن أبي إلى يهود خيبر، إن محمدا قصد قصدكم وتوجه إليكم فخذوا حذركم. ولا تخافوا منه، فإن عددكم وعدتكم كثيرة، وقوم محمد شرذمة قليلون، عزل لا سلاح معهم إلا قليل، فلما علم ذلك أهل خيبر، أرسلوا كنانة بن أبي الحقيق، وهوذة بن قيس إلى غطفان يستمدونهم لأنهم كانوا حلفاء يهود خيبر، ومظاهرين لهم على المسلمين وشرطوا لهم نصف ثمار خيبر إن هم غلبوا على المسلمين. (٣٦٦)

فتأملوا عباد الله إلى تلك الخيانة العظمى التي قام بها المنافقون في حالة الحرب حيث أخبروا عدو رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بمقدمه ليأخذوا العدة وأخبروهم بحالة الجيش وأنهم عزل لا سلاح ولا عتاد معهم

فكم وكم من منافقي هذا الزمان يعملون كجواسيس وعملاء للعداء ضد الأمة وضد الأوطان

٣٦٥ - السنة لابن أبي عاصم (٣/ ٣٣٧) السيرة لابن حبان (ص: ٣٦٦)

٣٦٦ - المنهج الحركي للسيرة النبوية (٣/ ٦٢)



الصفحة الثامنة: المنافقون يحاولون قتل النبي - صلى الله عليه وسلم -:

ومن صفحاتهم السوداء محاولاتهم قتل إمام الأنبياء - صلى الله عليه وسلم - فالمنافقون أشد خطراً، وأعظم ضرراً من اليهود والنصارى والمشركين، فالواجب الحذر منهم، والتحذير، وبيان أخلاقهم، وكشف مخططاتهم ومؤامراتهم.

عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، قَالَ: لَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَخَذَ الْعَقَبَةَ، فَلَا يَأْخُذُهَا أَحَدٌ، فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُودُهُ حُذَيْفَةُ وَيَسُوقُ بِهِ عَمَّارٌ إِذْ أَقْبَلَ رَهْطٌ مُتَلَثِّمُونَ عَلَى الرَّوَاحِلِ، غَشَوْا عَمَّارًا وَهُوَ يَسُوقُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَقْبَلَ عَمَّارٌ يَضْرِبُ وَجْهَ الرَّوَاحِلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحُذَيْفَةَ: " قَدْ، قَدْ " حَتَّى هَبَطَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا هَبَطَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ وَرَجَعَ عَمَّارٌ، فَقَالَ: " يَا عَمَّارُ، هَلْ عَرَفْتَ الْقَوْمَ؟ " فَقَالَ: قَدْ عَرَفْتُ عَامَّةَ الرَّوَاحِلِ وَالْقَوْمَ مُتَلَثِّمُونَ قَالَ: " هَلْ تَدْرِي مَا أَرَادُوا؟ " قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " أَرَادُوا أَنْ يَنْفِرُوا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَطْرَحُوهُ " قَالَ: فَسَأَلَ عَمَّارٌ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ، كَمْ تَعْلَمُ كَانَ أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ فَقَالَ: أَرْبَعَةَ عَشَرَ فَقَالَ: إِنْ كُنْتُ فِيهِمْ فَقَدْ كَانُوا خَمْسَةَ عَشَرَ، فَعَذَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةً قَالُوا: وَاللَّهِ مَا سَمِعْنَا مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ، وَمَا عَلِمْنَا مَا أَرَادَ الْقَوْمُ، فَقَالَ عَمَّارٌ: أَشْهَدُ أَنْ الْإِثْنَيْنِ عَشَرَ الْبَاقِينَ حَرْبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ قَالَ الْوَلِيدُ: وَذَكَرَ أَبُو الطُّفَيْلِ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلنَّاسِ: وَذَكَرَ لَهُ: أَنْ فِي الْمَاءِ قِلَّةٌ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنَادِيًا فَنَادَى: " أَنْ لَا يَرِدَ الْمَاءُ أَحَدٌ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ فَوَرَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدَ رَهْطًا قَدْ وَرَدُوهُ قَبْلَهُ، فَلَعَنَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ " (٣٦٧)

الصفحة التاسعة: المنافقون واستغلال الأزمات وحرب الأعصاب:

وتظهر رائحة النفاق جلية وسط الأزمات، حتى إن المنافقين يصفون وعد الله ورسوله - وكذلك شرعه - بالأماني والغرور؛ وذلك لإدخال اليأس والقنوط - وهذا مستحيل - في قلوب الموحدين المؤمنين؛ لكي يستسلموا للأمر الواقع، ويخضعوا لأعدائهم، وقد حذر الله عباده الصالحين من خطط المنافقين، بفضح مكنون قلوبهم في فلتات ألسنتهم

فأهل النفاق وضعفاء النفوس ممن أثر فيهم الإرجاف فقد تزعزعت قلوبهم وانخلعت صدورهم لرؤية الجموع والعدد والعدة ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [سورة الأحزاب: ١٣]. وقال المنافقون في ما بشر النبي صلى الله عليه وسلم من خزائن كسرى وقيصر: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط، وقالوا تنصلًا من الجهاد وهربًا منه: ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [سورة الأحزاب: ١١٣].

ولقد تراجع فريق من هؤلاء المنافقين (ممن خرجوا للقتال والدفاع عن المدينة) وراحوا يعتذرون للرسول وللمسلمين عن تراجعهم هذا بأن بيوتهم مكشوفة، وأنها ضعيفة لا تمنع اللصوص والأعداء من اقتحامها، وليس فيها رجال يدافعون عنها... هؤلاء المنافقون لم يكونوا صادقين في اعتذارهم، ولم يكن هدفهم إلا الفرار من المعركة (كما جاء في الآية الثالثة عشرة) بدليل أنهم كانوا على استعداد تام للخروج من بيوتهم هذه للخوض في الفتنة ضد المسلمين، ولما لبثوا فيها سوى وقت يسير جدًا يكتفهم من أخذ أسلحتهم للخوض في هذه الفتنة ضد المسلمين.

و في حال الشدائد يظهر كل شخص على حقيقته، فإن كان في بطنه الخير ظهر الخير، وإن كان شرًا ظهر الشر، أما في حال الرخاء فالناس على درجه واحدة من الطمأنينة والهدوء، وهذه فائدة من فوائد الابتلاءات كما قال عز وجل " ليميز الله الخبيث من الطيب ".

❦ منافقو العصر أعلنوها صراحة

النفاق كلمة قبيحة بلا شك ولقبحها هرب الناس منها - كلفظ واستبدلوها بكلمات جذابة كالجاملة... والتعامل الدبلوماسي..... والمرونة..... وغير ذلك من الكلمات التي نسمعها كل يوم..... وهي في الحقيقة ليست إلا أغلفة لبراقة للنفاق....

فهذا موظف لا يكتفي بالسكوت عن الباطل بل لا يفتأ يزينه ويبحث له عن المسوغات تزلفا منه ونفاقا.....

وذاك صحفي يزور الحقيقة أو يشوه صورتها رغبة أو رهبة....

والكثير من الناس يقابل بعضهم بعضا بالفرح والابتسام. حتى إذا أعطى كل واحد ظهره للأخر كال له من الشتائم أنواعا ومن القبائح أصنافا....

هي مجاملات أو قل مصالح وسياسات غير أنها في حقيقة الأمر لا تخرج عن خلق النفاق.... وتحكي صورة تدمي القلب عن تردي أخلاقنا وتعاملاتنا لدرجة أصبح النفاق خلقا مقبولا لا نستطيع إنكاره أو الاعتذار عنه فضلا عن رفضه وإزالته من قاموسنا...



لقد جلس أحد المنافقين في مجلس يضم أشباهه من المنافقين وهو جلاس بن سويد بن حبيب، فقال لجلسائه: لئن كان هذا الرجل صادقاً -يعني النبي صلى الله عليه وسلم- لنحن شر من الحمير -يعني الحمير الوحشية-، فسمع هذه المقولة ربيبه الغلام المؤمن الصغير عمير بن سعد فقال: والله يا جلاس إنك لأحب الناس إلي، وأحسنهم عندي يداً، وأعزهم علي أن يصيبه شيء يكرهه، ولكنك قلت مقالة لئن قتلها وأخبرت عنك فضحتك، ولئن سكتُ ليهلكن ديني، والأولى أيسر عندي، فديني أغلى من روحي، ثم مشى الغلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ما قاله جلاس؛ إذ لا بد من فضح المنافقين وبيان حقيقتهم، فحلف المنافق بالله كاذباً بأن عميراً قد كذب عليه وأنه لم يقل ما قال! فقبل منه النبي صلى الله عليه وسلم يمينه اتقاء للفتنة، فاحتار الغلام في أمره، فجاءه العون من السماء، نزل القرآن يؤيد عميراً ويثبت ويفضح المنافق ويكفره، قال الله: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ [التوبة: ٧٣-٧٤].

ومع عظم جرمهم وقبيح فعلهم، فقد فتح الله لهم الباب ليعودوا، فقال سبحانه: فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ [التوبة: ٧٤].

ولقد روي أن جلاساً هذا قد تاب وحسنت توبته، حتى عرف منه الخير والإسلام، فهذه دعوة للمنافقين أن يتوبوا ويرجعوا.

السماحة في البيع والشراء في الشريعة الغراء^(٣٦٨)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي تكرر على العالمين بدين الإسلام، وجعل السماحة فيه منهجاً للأنام، ويسر شرائعه وبيّن الأحكام، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شرفنا بهذا الدين، وأمرنا باتباع هديه المبين، وأعزّ مَنْ آمَن وعمل صالحاً وكان من المتقين، وأشهد أن سيدنا وحبیب قلوبنا محمّداً عبده ورسوله، بعثه رحمة للعالمين، واصطفاه نوراً يضيء درب السالكين، اللهم صلّ وسلّم عليه في الأولين والآخرين، واراض اللهم على آلِه الطّاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، وعلى مَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد:

إخوة الإسلام نعيش اليوم مع خلق من أخلاق المعاملات التي تنشر المودة والمحبة بين أفراد الأمة وتجعل منهم أمة متماسكة مترابطة يحنو الكبير على الصغير، والقوي على الضعيف، والغني على الفقير، إن الخلق هو خلق السماحة في البيع والشراء فهيا عباد الله لتتعرف على ترابط الدين بالدنيا، الأخلاق بالمعاملات، فليس ليس عبادات فقط بل هو دين المعاملة

تعريف السماحة:

إن التسامح هو اللين والتساهل، قال ابن الأثير: والسماحة: المساهلة، وقال الفيروزآبادي: وتساحوا: تساهلوا وهو نوع من أنواع الإحسان إلى النفوس التي جُبلت على حب من أحسن إليها، لذا فإن التسامح يؤدي إلى المحبة والتآلف ونبد العنف والتنافر، والتسامح هو: القلب النابض لحياة طيبة ونفس زكية خالية من العنف.

وهي: التسامح مع الغير في المعاملات المختلفة ويكون ذلك بتيسير الأمور والملاينة فيها التي تتجلى في التيسير وعدم القهر، وسماحة المسلمين التي تبدو في تعاملاتهم المختلفة سواء مع بعضهم أو مع غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى.

دعوة الإسلام إلى السماحة في البيع والشراء:

أمة الإسلام لقد دعاكم الإسلام إلى السماحة في البيع والشراء في الأخذ والعطاء وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن اتصف بالسماحة بالرحمة

عن جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى)) - (٣٦٩)



قال ابن بطال: (فيه الحِصْرُ على السَّماحة، وحسن المعاملة، واستعمال معالي الأخلاق ومكارمها، وترك المشاحة والركة في البيع، وذلك سبب إلى وجود البركة فيه؛ لأن النبي عليه السلام لا يحض أمته إلا على ما فيه النفع لهم، في الدنيا والآخرة) (٣٧٠)

وقال المناوي: ... ((رحم الله عبداً)). دعاء أو خبر، وقرينة الاستقبال المستفاد من. ((إذا)). تجعله دعاء. ((سمحاً)). بفتح فسكون، جواداً أو متساهلاً، غير مضايق في الأمور، وهذا صفة مشبهة تدل على الثبوت؛ ولذا كرر أحوال البيع والشراء والتقاضي، حيث قال: ((إذا باع، سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا اقتضى)). أي: وفي ما عليه بسهولة. ((سمحاً إذا اقتضى)). أي: طلب قضاء حقه، وهذا مسوق للحث على المسامحة في المعاملة، وترك المشاحة والتضييق في الطلب، والتخلُّق بمكارم الأخلاق، وقال القاضي: رتب الدعاء على ذلك؛ ليدل على أنَّ السهولة والتسامح سبب لاستحقاق الدعاء، ويكون أهلاً للرحمة والاقتضاء والتقاضي، وهو طلب قضاء الحق) (٣٧١)

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم" ((ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار؟ على كل قريب هين سهل)) (٣٧٢)

الله أكبر عباد الله: يا من تريد شهادة ضمان لدخول جنة الرحيم الرحمن يا من تريد براءة من النار كن سمحاً سهلاً لنا

قال القاري: (أي: تحرم على كل سهل طلق حلیم، ليّن الجانب، قيل: هما يطلقان على الإنسان بالثقل والتخفيف. ((قريب)). أي: من الناس بمجالستهم في محافل الطاعة، وملاطفتهم قدر الطاعة. ((سهل)). أي: في قضاء حوائجهم، أو معناه أنه سمح القضاء، سمح الاقتضاء، سمح البيع، سمح الشراء) (٣٧٣)

- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": ((إنَّ الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر، والأبيض، والأسود، وبين ذلك، والسهل، والحزن، والخبيث، والطيب)) (٣٧٤)

٣٦٩ - رواه البخاري (٢٠٧٦).

٣٧٠ - ((شرح صحيح البخاري)) (٢١٠/٦).

٣٧١ - ((فيض القدير)) (٤٤١/٢).

٣٧٢ - رواه الترمذي (٢٤٨٨)، وابن حبان (٢١٥/٢) (٤٦٩)، وصححه لغيره الألباني في ((صحيح الترغيب)) (١٧٤٤).

٣٧٣ - ((مرقاة المفاتيح)) (٣١٧٩/٨).

٣٧٤ - رواه أبو داود (٤٦٩٣)، والترمذي (٢٩٥٥) وصححه الألباني في ((صحيح الجامع)) (١٧٥٩).

الواقع التطبيقي:

لم تكن تعاليم الإسلام عبارات أو شعارات فحسب بل كانت ترجمة حرفية وفورية، أخلاق تمشي على الأرض تراها في الأسواق والمواصلات والمعاملات

عن حذيفة رضي الله عنه قال: ((أتى الله بعبد من عباده آتاه الله مالاً، فقال له: ماذا عملت في الدنيا؟ - قال ولا يكتُمون الله حديثاً - قال: يا رب آتيتني مالك، فكنت أبايع النَّاسَ، وكان من خلقي الجواز، فكنت أتيَسِّرُ على الموسر، وأنظر المعسر. فقال الله: أنا أحقُّ بذا منك، تجاوزوا عن عبدي)) (٣٧٥).

قال النووي: (والتَّجَاوَزُ والتَّجَوُّزُ معناهما، المسامحة في الاقتضاء، والاستيفاء، وقبول ما فيه نقص يسير، كما قال وأتَجَوَّزُ في السُّكَّةِ، وفي هذه الأحاديث فضل إنظار المعسر والوضع عنه، إمَّا كل الدين، وإمَّا بعضه من كثير، أو قليل، وفضل المسامحة في الاقتضاء وفي الاستيفاء، سواء استوفي من موسر أو معسر، وفضل الوضع من الدين، وأنَّه لا يحتقر شيء من أفعال الخير، فلعله سبب السعادة والرحمة) (٣٧٦).

خرَّج الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما، وهما أصح كتابين بعد كتاب الله، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: “اشتري رجلٌ من رجلٍ عقاراً، فوجد الذي اشترى العقار في عقاره جرَّةً فيها ذهب، فقال الذي اشترى العقار للبائع: خذ ذهبك، أنا اشتريت منك الأرض، ولم أشتِ الذهب؛ وقال الذي باع له الأرض: إنما بعْتُك الأرض وما فيها؛ فتحاكما إلى رجل، فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما: نعم؛ وقال الآخر: لي جارية أي بنت؛ قال: أنكحا الغلام الجارية، وأنفقا على أنفسهما منه؛ فانصرفا”. (٣٧٧)

يا لله العجب ممن نعجب عباد الله من ورع وتقوى المشتري أم من سماحة وكرم البائع عباد الله؟

٣٧٥ - رواه البخاري (٢٠٧٧)، ومسلم (١٥٦٠) واللفظ له

٣٧٦ - ((شرح مسلم)) للنووي (٢٢٥/١٠).

٣٧٧ - أخرجه: البخاري ٢١٢/٤ (٣٤٧٢)، ومسلم ١٣٣/٥ (١٧٢١) (٢١).



📌 هدي سيد الأصفياء في البيع والشراء:

أمة الإسلام: لابد لنا أن نرجع إلى النبعين الصافيين القرآن الكريم وسنة النبي -صلى الله عليه وسلم- بفهم سلف هذه الأمة، فهذا لتعيش مع هدي سيد الأصفياء في البيع والشراء لتتعلم كيف نبيع وكيف نشترى، نتعلم ذلك من مدرسة النبوة الفاضلة

📌 هدي النبي صلى الله عليه وسلم يأمر التجار بالبر، والصدق، والصدقة.

ولقد كان هديه أكمل وأتم الهدي -بأي هو وأمي -صلى الله عليه وسلم- فهذا هو يضع لنا مبدأ السماحة والصدق في البيع والشراء، يسن القوانين التي يحتكم إليها كلا الطرفين في بيعهم وشرائهم فبين لهم مشروعة الخيار وبين لهم أسباب البركة في البيع والشراء

عن حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيْنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا). (٣٧٨)

عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُبَيْدٍ بْنِ رِفَاعَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُصَلَّى، فَرَأَى النَّاسَ يَتَبَايَعُونَ فَقَالَ: (يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ)، فَاسْتَجَابُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَفَعُوا أَعْنَاقَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ إِلَيْهِ فَقَالَ: (إِنَّ التُّجَّارَ يُعْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّارًا، إِلَّا مَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَبَرَّ وَصَدَقَ). (٣٧٩)

📌 ومن هديه -صلى الله عليه وسلم- يأمر التجار الصدقة

وَعَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي غَرَزَةَ قَالَ: كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ إِنَّ الْبَيْعَ يَحْضُرُهُ اللَّعْوَ وَالْحَلْفُ، فَشُوبُوهُ بِالْصَّدَقَةِ). (٣٨٠)

📌 ومن كرمه وسماحته -صلى الله عليه وسلم- أن يهب السلعة وثمنها لصاحبها بعد أن يشتريه منه

وضرب النبي -صلى الله عليه وسلم- لنا أروع الأمثلة في السماحة وفي الكرم والجود إذ أنه جاد بالثمن والسلعة بعدما اشتراها

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَكُنْتُ عَلَى بَكْرٍ صَعْبٍ لِعُمَرَ، فَكَانَ يَغْلِبُنِي فَيَتَقَدَّمُ أَمَامَ الْقَوْمِ، فَيَزِجُرُهُ عُمَرُ وَيُرْدُّهُ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ فَيَزِجُرُهُ عُمَرُ وَيُرْدُّهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ: (بِعْنِيهِ) قَالَ: هُوَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (بِعْنِيهِ) فَبَاعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ

٣٧٨ - رواه البخاري (١٩٧٣) ومسلم (١٥٣٢).

٣٧٩ - رواه الترمذي (١٢١٠) وابن ماجه (٢١٤٦)، وصححه الألباني في " صحيح الترغيب " (١٧٨٥).

٣٨٠ - رواه الترمذي (١٢٠٨) وأبو داود (٣٣٢٦) وصححه الألباني في " صحيح أبي داود ".

صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (هُوَ لَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ تَصْنَعُ بِهِ مَا شِئْتَ .) (٣٨١)

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ كَانَ يَسِيرُ عَلَى جَمَلٍ لَهُ قَدْ أُعْيَا فَأَرَادَ أَنْ يُسَيِّبَهُ قَالَ: فَلَحِقَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَا لِي وَضَرَبَهُ فَسَارَ سِيرًا لَمْ يَسِرْ مِثْلَهُ قَالَ: (بَعْنِيهِ بِوُقْيَةٍ) قُلْتُ: لَا، ثُمَّ قَالَ: (بَعْنِيهِ)، فَبَعَثَهُ بِوُقْيَةٍ وَاسْتَشْنَيْتُ عَلَيْهِ حُمْلَانَهُ إِلَى أَهْلِي فَلَمَّا بَلَغْتُ أَتَيْتُهُ بِالْجَمَلِ فَتَقَدَّنِي ثَمَنُهُ ثُمَّ رَجَعْتُ فَأَرْسَلَ فِي أَثَرِي فَقَالَ: (أَتَرَانِي مَا كَسْتُكَ لَأَخْذَ جَمَلِكَ خُذْ جَمَلَكَ وَدَرَاهِمَكَ فَهُوَ لَكَ) . (٣٨٢)

أقول قولي وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين... اللهم لك الحمد على نعمة الإسلام والإيمان ولك الحمد أن جعلتنا من أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام....

أما بعد:

ومن هديه أن يحسن أداء الحقوق لأهلها، ويحث عليه

و من سماحته في أخذه وعطائه أن يحسن الأداء إلى من تعامل معه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِنٌَّ مِنَ الْإِبِلِ فَجَاءَهُ يَتَقَاضَاهُ فَقَالَ: (أَعْطُوهُ)، فَطَلَبُوا سِنَّهُ فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ إِلَّا سِنًّا فَوْقَهَا، فَقَالَ (أَعْطُوهُ)، فَقَالَ: أَوْفَيْتَنِي أَوْفَى اللَّهِ بِكَ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنْ خِيَارُكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً) . (٣٨٣)

ومن هدية -صلى الله عليه وسلم -إقالة النادم

ومن هديه وتعاليمه في البيع والشراء سن الإقالة للنادم في شرائه أو بيعه فقد يشتري الإنسان السلعة ويجد أنه مغبون فيها ويريد أن يرجع فيها فشرع وحث المشتري على إقالته عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا أَقَالَهُ اللَّهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) . (٣٨٤)

والإقالة: هي المسامحة، والتراجع عن البيع، أو الشراء، وتدل على كرم في النفس.

٣٨١ - رواه البخاري (٢٦١٠).

٣٨٢ - رواه البخاري (١٩٩١) ومسلم (٧١٥) - واللفظ له -.

٣٨٣ - رواه البخاري (٢١٨٢) ومسلم (١٦٠١).

٣٨٤ - رواه أبو داود (٣٤٦٠) وابن ماجه (٢١٩٩)، وصححه الألباني في " صحيح أبي داود ".



ومن هديه سماحته -صلى الله عليه وسلم- ألا يبخس صاحب السلعة سلعته

وعن سُوَيْدِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: جَلَبْتُ أَنَا وَمَخْرَمَةُ الْعُبَيْدِيِّ بَزًّا مِنْ " هَجَرَ " فَأَتَيْنَا بِهِ مَكَّةَ، فَجَاءَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي، فَسَاوَمَنَا بِسَرَاوِيلَ، فَبِعْنَاهُ. (٣٨٥)

اشترى سليمان عليه السلام الأرض التي بنى عليها المسجد الأقصى من رجل، فبعدما لزم البيع قال لصاحب الأرض: اعلم أن أرضك أقيم مما أعطيناك من المال، فهل أنت راضٍ به؟ فما زال الرجل يستزيده ويزيده سليمان إلى أن قنع.

* وما فعله سليمان كان يفعله الصحابي حكيم بن حزام، حيث اشترى له غلامه حصانًا بثلاثمائة دينار، فذهب حكيم إلى صاحب الحصان، وقال له: اعلم أن حصانك أقيم عندنا من الثلاثمائة، فاستزاده الرجل فزاده إلى ستمائة دينار.

كان صلى الله عليه وسلم يأمر برجحان الوزن.

عن سُوَيْدِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: (رَأَى) رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَزِنُ بِالْأَجْرِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (زِنْ وَأَرْجِحْ). (٣٨٦)

الدعاء.....

٣٨٥ - رواه الترمذي (١٣٠٥) وقال: حسن صحيح، وأبو داود (٣٣٣٦)

٣٨٦ - أخرجه الطيالسي (ص ١٦٥، رقم ١١٩٢)، وأحمد (٣٥٢/٤، رقم ١٩١٢١)

السماحة في الحياة الزوجية سر السعادة الأبدية^(٣٨٧)

الخطبة الأولى

الحمد لك يا الله جعلت الفردوس لعبادك المؤمنين نُزُلًا؛ فلك الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، الحمد لله الذي يَسِّرُها لنا، ويسِّرُ الأعمال الصالحة لنا؛ فلم يتخذ السالكون إلى الله سواها شغلاً، وسهل لهم سبلها فلم يسلكوا سواها سبلاً، خلقها قبل أن يخلقهم، وأسكنهم إياها قبل أن يوجدهم، وحفَّها بالمكاره ليلوهم أيهم أحسن عملاً، وأودعها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وفوق ذلك: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨].

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، شهادة أدخرها لي ولكم إلى يوم المصير، شهادة عبده وابن عبده وابن أمته، ومن لا غنى به طرفه عين عن رحمته وفضله ومنه وكرمه، ولا مطمع له في الفوز بالجنة والنجاة من النار إلا بمَنِّه وكرمه ورحمته. وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، ومحجة للسالكين، وحجة على العباد أجمعين، شرح الله به الصدور، وأنار به العقول، وفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً؛ أما بعد: أيها الأحباب أحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم نقف اليوم في ظلال السماحة التي جاءت بها الحنيفية السمحة لتتعرف على السماحة في الحياة الزوجية وعلى أشكائها وألوانها مع تطبيقاتها

السماحة في الاختيار على أساس الدين:

أمة العقيدة والسماحة: من سماحة الإسلام اختيار الزوجة دون النظر إلى حالتها المالية او الجمالية وإنما أحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام لا ينظر إلى الحسب ولا الجمال ولا المال وإنما ينظر إلى الإيمان والتقوى وهذا من سماحة التشريع الإسلامي وقد بين الله تعالى ذلك في القرآن الكريم فقال الله تعالى ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١]

﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ﴾ أي إياكم أن تنخدعوا بالمعايير الهابطة النازلة، وعلى كل منكم أن يأخذ حكم الله: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ لأن إعجاب الإنسان بالمرأة بصرف النظر عن الإيمان سيكون إعجاباً قصير العمر.



إن عمر الاستمتاع بالجمال الحسي للمرأة إن جمعنا لحظاته فلن يزيد مجموعته عن شهر من مجموع سنوات الزواج. فكل أسبوع يتم لقاء قد يستغرق دقائق وبعدها يذبل الجمال، وتبقى القيم هي المتحكمة، ونحن نجد المرأة حين تتزوج، ثم يبطئ الحمل فإنها تعاني من القلق وكذلك أهلها.

إن الرجل إن كان قد تزوجها للوسامة والقسامة والقوام والعينين، فهذا كله سيبرد ويهدأ بعد فترة، ثم توجد مقاييس أخرى لاستبقاء الحياة، وعندما يلتفت إليها الإنسان ولا يجدها فهو يغرق في الندم؛ لأنها لم تكن في باله وقت أن اختار

وها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع ميزان الاختيار عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك " (٣٨٨) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

المثال التطبيقي للسماحة في الاختيار:

و هذا لمثال التطبيقي من واقع المدينة الفاضلة المبنية على السماحة اليمانية عن أنس، قال: خَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جُلَيْبِ امْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى أَبِيهَا، فَقَالَ: حَتَّى أَسْتَأْمِرَ أُمَّهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَتَعَمَّ إِذَا، قَالَ: فَأَنْطَلَقَ الرَّجُلُ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا، فَقَالَتْ: لَاهَا اللَّهُ إِذَا، مَا وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا جُلَيْبًا، وَقَدْ مَعَنَاهَا مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانٍ ؟ قَالَ: وَالْجَارِيَةُ فِي سِتْرِهَا تَسْتَمِعُ، قَالَ: فَأَنْطَلَقَ الرَّجُلُ يُرِيدُ أَنْ يُخْبِرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ، فَقَالَتْ الْجَارِيَةُ: أَتُرِيدُونَ أَنْ تَرُدُّوهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرُهُ ؟ إِنْ كَانَ قَدْ رَضِيَ لَكُمْ فَأَنْكِحُوهُ، فَكَأَنَّهَا جَلَّتْ عَنْ أَبِيهَا، وَقَالَا: صَدَقْتَ، فَذَهَبَ أَبُوهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتُ قَدْ رَضِيتُهُ فَقَدْ رَضِيَنَاهُ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ رَضِيتُهُ، فَزَوَّجَهَا، ثُمَّ فُرِّعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ، فَكَرِبَ جُلَيْبٌ، فَوَجَدُوهُ قَدْ قُتِلَ، وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ قَتَلَهُمْ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهَا وَإِنَّهَا لَمِنْ أَنْفَقَ بَيْتٌ فِي الْمَدِينَةِ. (٣٨٩)

روى الخطيب البغدادي رحمه الله أن سعيد بن اسماعيل الواعظ رحمه الله سئل أي أعمالك أرجى عندك ؟ فقال إني لما ترعرعت وأنا بالري وكان يريدوني على التزويج فأمتنع، فجاءتني امرأة فقالت: يا أبا عثمان قد أحببتك حبا قد أذهب نومي وقراري، وأنا أسألك بمقلب القلوب وأتوسل به إليك إلا تزوجتني. فقلت ألك والد ؟ قالت نعم، فأحضرتة فاستدعى بالشهود فتزوجتها، فلما خلوت بها فإذا

٣٨٨ - أخرجه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦)

٣٨٩ - أخرجه أحمد ١٣٦/٣ (١٢٤٢٠). وعبد بن حميد (١٢٤٥).

هي عوراء عرجاء شوهاء مشوهة الخلق، فقلت: اللهم لك الحمد على ما قدرته لي، وكان أهل بيتي يلوموني على تزويجي بها

• فكنت أزيدها برا وإكراما وربما احتبستني عندها ومنعتني من حضور بعض المجالس، وكأني كنت في بعض أوقاتي على أحر من الجمر وكنت لا أبدي لها من ذلك شيئا فمكثت على ذلك خمس عشرة سنة، فما شيء أرجى عندي من حفظي إليها ما كان في قلبها من جهتي.

ثانيا السماحة في تخفيف المهور:

أيها الأحباب: و من صور السماحة في الإسلام أن دعا إلى تخفيف المهور وعدم المغالاة فيها تيسيرا للزواج وإحصانا للمجتمع من الوقوع في معصية الله تعالى علم علمني الله وإياك أن الإسلام لم يحدد مهرا معيناً للمرأة، ولكنه حث على التيسير في أمور الزواج ورغب في ذلك أشد الترغيب.

عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِنَّ أَعْظَمَ النِّكَاحِ بَرَكَهَ أَيْسَرُهُ مَوْثِقُهُ" أخرجه أحمد.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « أَنْظُرْتَ إِلَيْهَا ». قَالَ لَا. قَالَ « فَادْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّ فِي أَعْيُنِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا ».

زاد في رواية: ... قَالَ قَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهَا. قَالَ « عَلَى كَمْ تَزَوَّجْتَهَا ». قَالَ عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ كَأَنَّمَا تَنْحُتُونَ الْفِضَّةَ مِنْ عُرْضِ هَذَا الْجَبَلِ مَا عِنْدَنَا مَا نَعْطِيكَ وَلَكِنْ عَسَى أَنْ تَبْعَثَكَ فِي بَعْثٍ تُصِيبُ مِنْهُ ». قَالَ فَبَعَثَ بَعْثًا إِلَى بَنِي عَبْسٍ بَعَثَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فِيهِمْ. " (٣٩٠).

قال النووي في شرح مسلم: " معنى هذا الكلام: كراهة إكثار المهر بالنسبة إلى حال الزوج " (٣٩١). وقد كان المهر أحيانا في عهده صلى الله عليه وسلم شيئا معنويا رائعا فتأملوا سماحة الإسلام ويسره تلك السماحة التي غفلنا عنها وشددنا على أنفسنا وعلى أبنائنا وبناتنا، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: " جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! جِئْتُ أَهْبَ نَفْسِي لَكَ فَنَظَرُ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَعَّدَ النَّظَرَ فِيهَا وَصَوَّبَهُ! ثُمَّ طَاطَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [رأسه]، فَلَمَّا رَأَتْ الْمَرْأَةُ أَنَّهُ لَمْ يَقْضَ فِيهَا شَيْئًا جَلَسَتْ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: يَا

٣٩٠ - أخرجه مسلم (١٤٢٤) (٧٥).

٣٩١ - شرح النووي على مسلم (٩/ ٢١١).



رَسُولُ اللَّهِ ! إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ فَزَوِّجْنِيهَا، فَقَالَ: فَهَلْ عِنْدَكَ [مِنْ] شَيْءٍ ؟ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَى أَهْلِكَ فَانْظُرْ هَلْ تَجِدُ شَيْئًا ؟ فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ [مَا وَجَدْتُ شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انْظُرْ وَلَوْ خَاتَمَ مِنْ حَدِيدٍ، فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ]، وَلَا خَاتَمَ مِنْ حَدِيدٍ ! وَلَكِنْ هَذَا إِزَارِي ؟ - قَالَ سَهْلٌ: مَا لَهُ رِذَاءٌ -، [فَلَهَا نِصْفُهُ] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا تَصْنَعُ بِإِزَارِكَ ؟ إِنْ لَبِستَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ، وَإِنْ لَبِستَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ [مِنْهُ] شَيْءٌ ؟ فَجَلَسَ الرَّجُلُ حَتَّى إِذَا طَالَ مَجْلِسُهُ قَامَ فَرَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْلِيًا، فَأَمَرَ بِهِ فُدْعِيَ فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: مَاذَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ؟ قَالَ مَعِيَ سُورَةُ كَذَا [وَسُورَةُ] كَذَا - عَدَدَهُمَا. فَقَالَ: تَقْرَأُوهن عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اذْهَبْ فَقَدْ مُلِكتُهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ " مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ. وَفِي لَفْظٍ: " قَالَ انْطَلَقَ فَقَدْ زَوَّجْتُكَهَا ! فَعَلِمَهَا مِنَ الْقُرْآنِ ". وَفِي لَفْظٍ لِلْبُخَارِيِّ: " مَكْنَاهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ". (٣٩٢).

الثالث: السماحة في بيت الزوجية:

و بعدما يتم بناء الأسرة فإن الإسلام يأمرنا بالسماحة في الحياة الزوجية ولقد عبر الله تعالى عن تلك السماحة فقال سبحانه ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١]

فهذه هي ثلاثية الحياة الزوجية مبناها على السماحة وهي المودة سكن ورحمة

و لقد جاءت الوصايا النبوية بالسماحة والرفق بالزوجة، فهذا هو من علم الدنيا السماحة والوفاء صلى الله عليه وسلم يأمرنا ويوصينا بالنساء عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((...)) واستَوْصُوا بالنساء خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الصُّلْعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسْرَتُهُ، وَإِنْ تَرَكَتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بالنساء خَيْرًا)). رواه البخاري ومسلم (٣٩٣).

قال النووي: ((استوصوا بالنساء: فيه الحثُّ على الرِّفْقِ بالنساء واحتمالهن)) (٣٩٤).

وقال ابن حجر: ((معناه: اقبلوا وصيَّتي فيهنَّ، واعملوا بهنَّ، وارفقوا بهنَّ، وأحسنوا عشرتهنَّ)) (٣٩٥).

٣٩٢ - البخاري (٨/ ٦٩٦ رقم ٥٠٣٠)، ومسلم (٢/ ١٠٤٠ رقم ١٤٢٥) [٧٦].

٣٩٣ - البخاري: كتاب النكاح - باب الوصاة بالنساء (٥١٨٦)، ومسلم: كتاب الرضاع - باب الوصية بالنساء ٢:

١٠٩١ حديث ٦٠ (١٤٦٨)

٣٩٤ - ((شرح صحيح مسلم)) ١٠: ٥٨.

٣٩٥ - ((فتح الباري)) ٦: ٤٢٤ عند شرح حديث (٣٣٣١)

منهج السماحة في بيت النبوة: ولم تكن تعليمات النبي صلى الله عليه وسلم أقوالاً فحسب لا والله بل كانت تترجم في كل حركة من حركاته صلى الله عليه وسلم عن عائشة. قالت: مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَادِمًا لَهُ قَطُّ، وَلَا امْرَأَةً لَهُ قَطُّ، وَلَا ضَرَبَ يَدَيْهِ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ (٣٩٦) رواه النسائي.

سماحة تجعله صلى الله عليه وسلم لا يتكبر ولا يستنكف أن يخدم أهله ويساعدهم في عمل بيت الزوجية وسُئلت عما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يصنع في أهله، قالت: "كان في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة"؛ (٣٩٧) رواه البخاري،

سماحة تجعله صلى الله عليه وسلم يفهم نفسية زوجته ويعلم من خلالها إن كانت راضية عنه أو غضبي منه صلى الله عليه وسلم ففي الصحيحين عن عروّة، عن عائشة. قالت: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضْبَى قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَمِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ قَالَ: أَمَّا إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً، فَإِنَّكَ تَقُولِينَ: لَا. وَرَبِّ مُحَمَّدٍ وَإِذَا كُنْتُ غَضْبَى، قُلْتُ: لَا. وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ. قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلْ. وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ.. (٣٩٨)

غض الطرف عن بعض نقائصها:

ومن سماحة الإسلام مع المرأة ألا يقف معها على الواحدة فيعد لها الزلات والأخطاء بل ينبغي عليه أن يتغافل فإنه إن كره منها خلقاً رضي آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يفرك - ييغض - مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر.." (٣٩٩) (رواه مسلم).

٣٩٦ - أخرجه: مسلم ٨٠/٧ (٢٣٢٨) (٧٩).

٣٩٧ - أخرجه البخاري ١٦٢/٢ (٦٧٦) المسند ١٢١/٦، ومسلم ١٧٩٤/٤ (٢٢٩٤).

٣٩٨ - أخرجه أحمد (٦١/٦)، رقم (٢٤٣٦٣)، والبخاري (٢٠٠٤/٥)، رقم (٤٩٣٠)، ومسلم (١٨٩٠/٤)، رقم (٢٤٣٩).

٣٩٩ - أخرجه مسلم من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه في الصحيح ١٠٩١/٢، كتاب الرضاع (١٧)، باب الوصية بالنساء (١٨)، الحديث (١٤٦٩/٦١).



❦ - يناديها بأفضل أسمائها التي تحبها:

ومن سماحته صلى الله عليه وسلم أنه كان يناديها بأحب أسمائها ويداعبها عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً: "يا عائش، هذا جبريل يقرئك السلام" فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته". (٤٠٠). (رواه البخاري).

❦ ملاطفة الزوجة بإطعامها:

ومن السماحة مع الزوجة ملاطفتها عند تناول الطعام وهذا مما يزيد الحب ويديم العشرة بين الرجل وزوجته عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى ما تجعل في فم امرأتك". (٤٠١) (رواه البخاري).

❦ رابعا: السماحة عند الاختلاف والشقاق:

أخرجه مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - إذ يقول - بأبي هو وأمي -: ((لا يَفْرَكُ مؤمنٌ مؤمنةً، إنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا، رَضِيَ مِنْهَا خُلُقًا آخَرَ))؛ (٤٠٢) أي: لا يُبغض مؤمنٌ مؤمنةً. إِنَّهُ مِنْهَا جِبَابٌ يُجِبُّ أَتْبَاعُهُ فِي جَمِيعِ الْعِلَاقَاتِ بَيْنَ النَّاسِ، وَأَخْصَصُ هَذِهِ الْعِلَاقَاتِ مَا جَاءَ هَذَا النَّصُّ فِيهِ بِخُصُوصِهِ، وَهُوَ الْعِلَاقَةُ بَيْنَ الزَّوْجِ وَزَوْجَتِهِ، فَمَنْ ذَا الَّذِي سَلِمَ مِنْ عِيُوبٍ وَنَقَصٍ؟!

مَنْ ذَا الَّذِي مَا سَاءَ قَطُّ وَمَنْ لَهُ الْحُسْنَى فَقَطُّ

فقابل - أيها المبارك - النقص الذي تراه إمّا في الخلق أو الخلق بكثير من الكمالات، تصفُ لك الحياة، وتزُلِ السَّوَاءَاتِ.

عباد الله: إنَّ الخير العظيم قد يكون في طَيِّبَاتِ الْكُرْهِ والمضض، كما قال - جلَّ وعلا -: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]؛ قال ابن عَبَّاسٍ في هذه الآية: هو أن يَعْطِفَ عَلَيْهَا، فَيُرْزَقَ مِنْهَا وَلَدًا، ويكون في ذلك الولد خيرٌ كثير. (٤٠٣) وقال السعدي - رحمه الله -: "أي: ينبغي لكم - أيها الأزواج - أن تُمَسِّكُوا زَوْجَاتِكُمْ مَعَ الْكَرَاهَةِ لَهُنَّ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ خَيْرًا كَثِيرًا، من ذلك: امتثال أمر الله، وقَبُولُ وصيته التي فيها سعادةُ الدنيا والآخرة. (٤٠٤)

٤٠٠ - أخرجه البخاري في بدء الخلق (٣٢١٧)، وفي الاستئذان (٦٢٤٩). وفي فضائل الصحابة (٣٧٦٨)، وفضل عائشة

(٦٢٠١)، ومسلم (٢٤٤٧)، والنسائي في الكبرى (٨٣٥٨).

٤٠١ - البخاري في الأدب المفرد ج ١ / ص ٢٦٤ حديث رقم: ٧٥٢

٤٠٢ - مسلم (٢ / ١٠٩١ رقم ١٤٦٩) [٦٣].

٤٠٣ - تفسير ابن كثير / دار طيبة (٢ / ٢٤٣)

خامسا: السماحة عند الطلاق:

إخوة الإسلام ومن سماحة الإسلام السماحة عند الطلاق وأن يتفرقا بمعروف وإحسان دون أن يسيء أحدهما إلى الآخر ودون أن يشهر أحدهما بالآخر كما نرى وكما نشاهد من نشر للأسرار الزوجية بعد الطلاق ومن ذم ورمي بالبهتان مما يود الحقد والعداوة والبغضاء بين الناس واسمع أخي لأحد السلف رحمه الله يوم أراد أن يطلق زوجته لأمر ما، فقيل له: ما يسوءك منها؟ قال: أنا لا أهلك ستر زوجتي، ثم طلقها بعد ذلك، فقيل له: لِمَ طَلَّقْتَهَا؟ قال: ما لي وللكلام عن امرأة صارت أجنبية عني.

فمن صور السماحة أيها الأحباب السماحة عندما تستحيل الحياة الزوجية فشرع الله تعالى الطلاق وحثنا على أن نلتزم تعليمه في الطلاق فأمرنا إذا طلقنا أن نطلق بإحسان قال الله تعالى ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩] وقال تعالى ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبُغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣١] ويقول سبحانه ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦]

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: إن في هذا الطلاق غضاظة وإيهاما للناس أن الزوج ما طلقها إلا وقد رابه منها شيء، فإذا هو متعها متاعا حسنا نزول هذه الغضاظة ويكون هذا المتاع الحسن بمنزلة الشهادة بتراتها، والاعتراف بأن الطلاق كان من قبله؛ أي: لعذر يختص به، لا من قبلها؛ أي: لا لعلة فيها؛ لأن الله تعالى أمرنا أن نحافظ على الأعراض بقدر الطاقة، فجعل هذا التمتع كالمرهم لجرح القلب لكي يتسامع به الناس، فيقال: إن فلانا أعطى فلانة كذا وكذا فهو لم يطلقها إلا لعذر، وهو آسف عليها معترف بفضلها؛ لأنه رأى عيبا فيها أو رابه شيء من أمرها، ويقال: إن سيدنا الحسن السبط متع إحدى زوجاته بعشرة آلاف درهم وقال: ((متاع قليل من حبيب مفارق))^(٤٠٤)

^{٤٠٤} - تفسير السعدي (ص: ١٧٢)

^{٤٠٥} - تفسير المنار (٢/ ٣٤١)



وقال سبحانه وتعالى ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧]

يقول الشعراوي- ولنا أن نتذكر دائما في مثل هذه المواقف قول الحق: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ فحتى في مقام الخلاف الذي يؤدي إلى أن يفترق رجل عن امرأة لم يدخل بها يقول الله: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي لا تجعلوها خصومة وثأراً وأحقاداً، واعلموا أن الحق سبحانه يجعل من بعض الأشياء أسباباً مقدورة لمقدور لم نعلمه. وهذه المسألة تجعل الإنسان لا يعتقد أن أسبابه هي الفاعلة وحدها. (٤٠٦)

تلك هي بعض مظاهر السماحة داخل الأسرة المسلمة فبالسماحة تدوم المودة ويرفرف الحب على الأسرة وبالسماحة ينال المسلم والمسلة السعادة الأبدية.....
الدعاء.....

تبصرة الأنام بسماحة الإسلام (٤٠٧)

الخطبة الأولى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ، وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ، عَالِمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ.

الحمد لله، أصبحت له الوجوه ذليلة عانية، وحذرت النفوس مجدة ومتوانية، ذم الدنيا إذ هي حقيرة فانية، وشوق لجنة قطوفها دانية، وخوف صرعى الهوى أن يسقوا من عين آنية. أحمد على تقويم شانيه، وأستعينه وأستعيذه من شر كل شان وشانية، وأحصن بتحقيق التوحيد إيمانيه، أحمد وهو العليم العالم بالسر والعلانية، فالسر عنده علانية.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيب

٤٠٦ - تفسير الشعراوي (ص: ٦٤٠)

٤٠٧ - موقع الألوكة وصيد الفوائد

إن الصلاة على المختار إن ذكرت في مجلس فاح منه الطيب إذ نفحاً
أما بعد:

أمة الإسلام: نعيش اليوم مع خلق من الأخلاق الرفيعة والتي هي سمة أساسية في الشريعة الإسلامية
نعيش مع محرك القلوب إلى محبة شرع علام الغيوب
نعيش مع الوصفة الربانية التي من خلالها يكسب المسلم المحبة والألفة
نعيش مع عظمة الشريعة والتشريع الإسلامي
إنها الصفة التي متى وجدت في مجتمع فلن تراه إلا متماسكاً متحاباً
إنها الصفة التي تجعل الأعداء إلى أصدقاء وتدخل الكفار دين النبي المختار
إنها الصفة التي متى نزع من أمة أصبحت غابت يأكل فيها القوي الضعيف
إنها السماحة

فما هي السماحة؟ وما هي مظاهرها؟
هذا هو موضوع اللقاء بإذن رب الأرض والسماء.. فأعيروني القلوب والأسماع
تعريف السماحة:

إن التسامح هو اللين والتساهل، قال ابن الأثير: والسماحة: المساهلة، وقال الفيروزآبادي: وتسامحوا: تساهلوا وهو نوع من أنواع الإحسان إلى النفوس التي جُبلت على حب من أحسن إليها، لذا فإن التسامح يؤدي إلى المحبة والتآلف ونبد العنف والتنافر، والتسامح هو: القلب النابض لحياة طيبة ونفس زكية خالية من العنف.

وهي: التسامح مع الغير في المعاملات المختلفة ويكون ذلك بتيسير الأمور والملاينة فيها التي تتجلى في التيسير وعدم القهر، وسماحة المسلمين التي تبدو في تعاملاتهم المختلفة سواء مع بعضهم أو مع غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى.

وقالوا عن السماحة: إنها بذل ما لا يجب تفضلاً، وقالوا: إنها الجود عن كرم وسخاء، وقالوا: إنها تيسير في المعاملة، وملاينة في المحادثة، ومفاهمة جميلة، وصفح وتجاوز، وإغضاء عن الهفوات والزلات، إنها طلاقة في الوجه، واستقبال للناس بالبشر، وحسن مصاحبة للأهل والإخوان والخدم وسائر الخلق.

﴿مجالات السماحة في الإسلام:

﴿أ- سماحة التشريع الإسلامي:

و اعلموا رحمكم الله أن الدين الإسلامي قائم على اليسر والسماحة إن الدين الإسلامي بمجمله قائم على اليسر ورفع الحرج ابتداء من العقيدة وانتهاء بأصغر أمور الأحكام والعبادات بشكل يتوافق مع



الطرة الإنسانية وتتقبله النفس البشرية من غير تكلف أو تعنت، وهذا ما أشار إليه الله تعالى في مواطن كثيرة من كتابه العزيز منها قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [سورة الحج، الآية: ٧٨]، وقوله أيضاً: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٨٥]، وقوله عز وجل: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [سورة النساء، الآية: ٢٨].

ولقد ذخرت السنة النبوية الشريفة بالأحاديث الحاثئة على السماحة واللين والسهولة. عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال إن الدين يسرٌ ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيءٍ من الدلجة (٤٠٨) والمتمعن في السيرة النبوية يجد أن سلوك النبي صلى الله عليه وسلم وتعامله مع صحابته مبني على منهج التيسير والسماحة، والشواهد أكثر من أن تعد أو تحصى، ولكن نكتفي بسرد حادثة وقعت لأحد الصحابة وجاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، يريد مخرجاً لها وهو صحابي فقير لا يملك قوت يومه، وهي تغني عن جميع ما كان يقع للصحابة من إحراجات.

حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ. قَالَ: «مَا لَكَ؟» قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟» قَالَ: لَا، فَقَالَ: «فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟» قَالَ: لَا، قَالَ: فَمَكَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْرَقٌ فِيهَا تَمْرٌ - وَالْعَرَقُ الْمَكْتَلُ - قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: «خُذْهَا، فَتَصَدَّقْ بِهِ» فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرِ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا - يُرِيدُ الْحَرَّتَيْنِ - أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَطْعِمُهُ أَهْلَكَ» (٤٠٩)

* سماحة الإسلام مع العصاة فشرع لهم التوبة

سماحة الإسلام مع أهل الأعداء فشرع لهم الرخص

فمن لا يجد الماء يتيمم

ومن لا يستطيع استعمال الماء لمرض يتيمم

ومن لا يستطيع أن يصلي قائماً صلى قاعداً

٤٠٨ - (صحيح البخاري، رقم ٣٩، ص ٩-١٠).

٤٠٩ - أخرجه البخاري "١٩٣٦" في الصوم: باب إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء فتصدق فليكفر،

ومن لا يستطيع الصوم اطعم عن كل يوم مسكين
و من لا يستطيع الحج فلا حج عليه
والمشقة تجلب التيسير

و جمعا ذلك كله قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ب - السماحة في التعامل مع الآخرين: وكن رجلاً على الأهوالِ جلدًا وشيئتك السَّماحةُ والوفاءُ

وإن كثرت عيوبك في البرايا وسرك أن يكون لها غطاءٌ
تستتر بالسَّخاءِ فكلُّ عيبٍ يُعطيه كما قيل السَّخاءُ
ولا ترجُ السَّماحةَ من بخيلٍ فما في النارِ للظَّمانِ ماءٌ

ويكون بعدم التشديد والغلظة في التعامل مع الآخرين فالمسلم لين سهل سمح فليس هو بالفظ ولا بالغليظ ولا بالسباب عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ الْمُسْلِمُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ» (٤١٠)

المثال التطبيقي: فيها هو صلى الله عليه وسلم يصفه ربه بالسماحة فيقول ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمحاً في تعامله وهو المثل الأكمل في السماحة، يحكي لنا أنس رضي الله عنه ما لاقاه من النبي صلى الله عليه وسلم من حسن المعاملة عن أنس رضي الله عنه قال: خَدَمْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: "أُفٍّ"، وَلَا: "لِمَ صَنَعْتَ؟"، وَلَا: "أَلَا صَنَعْتَ؟". (٤١١)

ج - السماحة في البيع والشراء:

٤١٠ - أخرجه ابن أبي شيبة ١٨/١١، وأحمد ٤٠٤/١، ٤٠٥، والبخاري في "الأدب المفرد" ٣٣٢، والترمذي "١٩٧٧"

٤١١ - أخرجه البخاري في: ٧٨ كتاب الأدب: ٣٩ باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل



وتكون السماح في البيع والشراء، بأن لا يكون البائع مغاليًا في الربح، ومكثرًا في المساومة، بل عليه أن يكون كريم النفس. وبالمقابل على المشتري أيضًا أن يتساهل وأن لا يدقق في الفروق البسيطة، وأن يكون كريمًا مع البائع وخاصة إذا كان فقيرًا.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((رحم الله رجلًا سمحًا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى)) (٤١٢)

• عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الْأَرْضَ وَلَمْ أَتَبَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ، فَقَالَ الَّذِي بَاعَ الْأَرْضَ: إِنَّمَا بَعْتُكَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا، فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ، فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ أَلَكُمَا وَلَدٌ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلَامٌ، وَقَالَ الْآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ. فَقَالَ: أَنْكِحَا الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ وَأَنْفِقَا عَلَى أَنْفُسِكُمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا) (٤١٣)

لا يدري والله المطلع على هذا الحديث أن يعجب أكثر من البائع، أم من المشتري، أم الحكم؟ فكل واحد منهم أشد عجبًا وأعظم ورعًا من الآخر.

ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الحادثة لأتمته إلا لتتخلق بمثل هذه الأخلاق الفاضلة، وتتشبه هؤلاء الثلاثة: البائع، والمشتري، والحكم، وإلا لتعامل بالصدق وتحفظ الأمانة، وتحرص على الشرف وحسن السمعة، ولا يستحل أحدنا ما لا يستحقه، فتحصل الثقة، وتحل البركة، ويخف الطمع، ويصح الورع.

• اشترى سليمان عليه السلام الأرض التي بنى عليها المسجد الأقصى من رجل، فبعدما لزم البيع قال لصاحب الأرض: اعلم أن أرضك أقيم مما أعطيناك من المال، فهل أنت راضٍ به؟ فما زال الرجل يستزيده ويزيده سليمان إلى أن قنع.

• وما فعله سليمان كان يفعله الصحابي حكيم بن حزام، حيث اشترى له غلامه حصانًا بثلاثمائة دينار، فذهب حكيم إلى صاحب الحصان، وقال له: اعلم أن حصانك أقيم عندنا من الثلاثمائة، فاستزاده الرجل فزاده إلى ستمائة دينار.

نحن لا نطمع من إخواننا التجار، والسماسرة، والوسطاء أن يكونوا بهذا الورع، ولكن نطلب منهم فقط تجنب الحرام البين، وتجنب ما نهى عنه صاحب الشريعة في البيع والشراء من السوم على سوم أخيه المسلم، أو البيع على بيعه، ومن النجش، وأن يبيع حاضر لبادٍ، ومن الغرر، والخديعة، ومن الغبن

٤١٢ - أخرجه أحمد (٣/ ٣٤٠) والترمذي (١٣٢٠) أخرجه البخاري (٣/ ٧٥). وابن ماجه (٢٢٠٣)

٤١٣ - مسلم (٣/ ١٣٤٥ رقم ١٧٢١)، البخاري (٦/ ٥١٢ - ٥١٣ رقم ٣٤٧٢).

الفاحش والغش الواضح، وعن تطفيف المكيال والميزان، ونحو ذلك من المحرمات والمنهيات، والله الموفق إلى كل خير، والهادي إلى سواء السبيل.

٤- السماحة في قضاء الحوائج:

و اعلّموا عباد الله: أن من مظاهر السماحة في الإسلام السماحة في قضاء حوائج المحتاجين وكشف الكرب عن المكروبين والسعي في مصالح المسلمين فإن الذي يقضي حوائج الناس فينفس كربتهم ويسر على معسرهم ييسر الله عنه في الدنيا والآخرة، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسِّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ " (٤١٤)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّكُمْ لَنْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَسْعَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ " (٤١٥)
فعن عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " إِنَّ اللَّهَ قَوْماً يَخْتَصُّهُمْ بِالنَّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، وَيَقْرُهَا فِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا، نَزَعَهَا مِنْهُمْ، فَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ " (٤١٦)

أفْضِ الحوائج ما استطعتَ وَكُنْ لَهُمْ أَخِيكَ فَارِجَ
فَلْخَيْرَ أَيَّامِ الْفَتْحِ يَوْمَ قَضَى فِيهِ الْحَوَائِجَ

القرآن يدعو المجتمع المسلم أن يتصف بالسماحة مع الفقراء والمساكين واليتامى ومن على شاكلتهم فهو يدعو إلى التكافل الاجتماعي بين الأغنياء والفقراء فيقول تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

ويقول جل جلاله: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١١ - ١٦]، ويقول تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٧، ١٨].

٤١٤ - أخرجه أحمد ٢/٢٥٢، ومسلم "٢٦٩٩"

٤١٥ - انظر صحيح الترغيب والترهيب: ٢٦٦١

٤١٦ - أخرجه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (٢٤/١)، رقم (٥)، والطبراني في الأوسط (٢٢٨/٥)، رقم (٥١٦٢)، وأبو نعيم في الحلية (١١٥/٦)، انظر صحيح الجامع: ٢١٦٤، الصحيح: ١٦٩٢، صحيح الترغيب والترهيب: ٢٦١٧



بل يجعل القرآن من لا يقوم بواجب هذه الفئات مكذباً بالدين غير مصدق ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ
بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ١ - ٣].

و على ذا سار الأصحاب - رضي الله عنهم أجمعين فمن معين القرآن وسنة النبي العدنان ينهلون
وتأملوا هذا الموقف لابن عباس - رضي الله عنهما -.

عن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان معتكفاً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل
فسلم عليه ثم جلس فقال له ابن عباس: يا فلان أراك كئيباً حزينا، قال: نعم يا ابن عم رسول الله صلى
الله عليه وسلم لفلان على حق، لا ورمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه، قال ابن عباس: أفلا أكلمه
فيك؟! قال: إن أحببت.

قال: فانتقل ابن عباس ثم خرج من المسجد، فقال له الرجل: أنسيت ما كنت فيه؟! قال: لا، ولكني
سمعت صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم والعهد به قريب -قدمعت عيناه- وهو يقول: "مَنْ مَشَى
فِي حَاجَةِ أَخِيهِ وَبَلَغَ فِيهَا كَانَ خَيْرًا مِنْ اعْتِكَافِ عِشْرِينَ سَنَةً، وَمَنْ اعْتَكَفَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ -عَزَّ
وَجَلَّ- جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ ثَلَاثَةَ خَنَادِقَ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْخَافِقِينَ". (٤١٧)

❦ • رحمك الله يا عمر. حتى الأرامل؟!!

ولقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعاهد الأرامل بالليل يستقي لهن الماء، فرآه طلحة رضي الله
عنه ليلة يدخل بيت امرأة. فدخل طلحة على المرأة فهاًراً فإذا هي امرأة عمياء مقعدة فقال لها: يا هذه ما
يصنع هذا عندك؟ قالت: إنه منذ كذا وكذا يتعاهدني يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى.
فقال طلحة رضي الله عنه: ثكلتك أمك يا طلحة... عورات عمر تتبع؟

❦ ه - السماحة في الاقتضاء:

من أروع صور السماحة عباد الله السماحة في طلب الدين التي على المدينين قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو
عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

قال السعدي: (وَإِنْ كَانَ الْمَدِينُ ذُو عُسْرَةٍ لَا يَجِدُ وَفَاءً فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَهَذَا وَاجِبٌ عَلَيْهِ أَنْ يَنْظُرَهُ
حَتَّى يَجِدَ مَا يُوْفِي بِهِ ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إما بإسقاطها أو بعضها). فمن

٤١٧ - جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير» (١٠ / ٢٣٦) أورده -مجمع الزوائد- كتاب- البر والصلة -باب فضل قضاء

السماحة في الاقتضاء أن يراعي حال المدين، وأن لا يطالبه بشدة وأمام الناس عن ابن عمر، وعائشة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «مَنْ طَلَبَ حَقًّا فَلْيُطْلَبْهُ فِي عَفَافٍ وَافٍ، أَوْ غَيْرِ وَافٍ». (٤١٨) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ لَهُ، أَظْلَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» (٤١٩)

عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إِنْ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، وَكَانَ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ: خُذْ مَا تَيْسَّرَ، وَاتْرُكْ مَا عَسَرَ وَتَجَاوَزْ، لَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَلَمَّا هَلَكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ قَالَ: لَا. إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِي غُلَامٌ وَكُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا بَعَثْتُهُ لِيَتَقَاضَى قُلْتُ لَهُ: خُذْ مَا تَيْسَّرَ، وَاتْرُكْ مَا عَسَرَ، وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ " (٤٢٠).

لقد جمع هذا الرجل بين عملين فاضلين كريمين يدلان على نبلة وكرمه، ومعهما نقف، وعليهما تقوم الحلقة هذه إن شاء الله..

أما العمل الأول: العفو والتجاوز. فما هو المراد بالتجاوز هنا؟ يجيبك ابن حجر العلامة الحبر البحر، قال رحمه الله: " يَدْخُلُ فِي لَفْظِ التَّجَاوُزِ: الْإِنْظَارُ، وَالْوَضِيعَةُ، وَحُسْنُ التَّقَاضِي ".

ذكر ثلاثة أمور: الإنظار: بأن يحل الأجل والمدين ليس له شيء فتنظره. وقد قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

الثاني: الوضعية وهي على قسمين: أن تضع عنه الدين كله. أو أن تضع جزء منه.

الثالث: حسن التقاضي

أقول قولي وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين... اللهم لك الحمد على نعمة الإسلام والإيمان ولك الحمد أن جعلتنا من أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام....

أما بعد:

٤١٨ - صحيح ابن حبان - محققا (١١ / ٤٧٤) وأخرجه ابن ماجه "٢٤٢١" في الصدقات: باب حسن المطالبة وأخذ الحق في

عفاف، والحاكم ٣٢/٢، والبيهقي ٣٥٨/٥

٤١٩ - مسند أحمد ط الرسالة (١٤ / ٣٢٩) وأخرجه الترمذي (١٣٠٦)

٤٢٠ - مسند أحمد ط الرسالة (١٤ / ٣٤٥) وأخرجه النسائي ٣١٨/٧، وابن حبان (٥٠٤٣)، والحاكم ٢٧/٢-٢٨، والبيهقي

في "الشعب" (١١٢٤٤) و (١١٢٤٥)



١٦٥-السماحة مع غير المسلمين:

وها هو الإسلام يتخطى دائرة المسلمين إلى الملل والنحل الأخرى ليرسم معالم السماحة من الأعداء فلم تقتصر سماحة الإسلام مع المسلمين فقط بل شملت أهل الكتاب والمشركون أثناء الحرب فقد أوصى النبي - صلى الله عليه وسلم - بالقبض خيراً، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا فُتِحَتْ مِصْرُ، فَاسْتَوْصُوا بِالْقَبْضِ خَيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا»، يَعْنِي أَنَّ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ كَانَتْ مِنْهُمْ " (٤٢١)

قال العلماء القيروط جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما، وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به، وأما الذمة فهي الحرمة والحق وهي هنا بمعنى الذمام، وأما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم وأما الصهر فلكون مارية أم إبراهيم منهم.

وهكذا كان تسامحه مع بعض المنافقين فقد تحمل المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول قصة الإفك ومع ذلك فقد عفا عنه - صلى الله عليه وسلم - بل حينما مات عبد الله بن أبي غطّاه بقميصه واستغفر له حتى نزل قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠].

وقد تجلّت روح التسامح عند النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى في الحرب فقد قال لهم أيضاً: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفَتْحِ جَاءَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، فَأَسْلَمَ بِمَرِّ الظُّهْرَانِ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ، فَلَوْ جَعَلْتَ لَهُ شَيْئًا، قَالَ: «نَعَمْ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ». (٤٢٢)

ومن تسامحه مع المشركون أيضاً أنه كان لا يمنع صلة المسلمين بأهلهم المشركون هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، أَخْبَرَنِي أَبِي، أَخْبَرَنِي أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ: أَتَنِي أُمِّي رَاغِبَةً، فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَصِلُهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [الممتحنة: ٨]. (٤٢٣)

١٦٦ نماذج من سماحة السلف مع غير المسلمين: عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: مَرَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِبَابِ قَوْمٍ وَعَلَيْهِ سَائِلٌ يَسْأَلُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ ضَرِيرٌ الْبَصَرِ، فَضَرَبَ عَضْدَهُ مِنْ خَلْفِهِ، وَقَالَ: مِنْ أَيِّ أَهْلِ

٤٢١ - أخرجه أحمد ١٧٤/٥، ومسلم "٢٥٤٣" "٢٢٦"

٤٢٢ - مسلم (٣/ ١٤٠٥ رقم ١٧٨٠).

٤٢٣ - مسند أحمد ط الرسالة (٤٤/ ٤٨٢) والحميدي (٣١٨)، والبخاري في "صحيحه" (٥٨٧٨)، وفي "الأدب المفرد"

(٢٥)، والطبراني في "الكبير" ٢٤/ (٢٠٨)

الْكِتَابِ أَنتَ؟ فَقَالَ: يَهُودِيٌّ. قَالَ: فَمَا أَلْجَأَكَ إِلَى مَا أَرَى؟ قَالَ: أَسْأَلُ الْجَزِيَّةَ وَالْحَاجَةَ وَالسِّنَّ. قَالَ: فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ، وَذَهَبَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ فَرَضَخَ ١ لَهُ بِشْيَاءَ مِنَ الْمَنْزِلِ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى خَازِنِ بَيْتِ الْمَالِ فَقَالَ: انْظُرْ هَذَا وَضُرْبَاءَهُ؛ فَوَاللَّهِ مَا أَنْصَفَنَاهُ أَنْ أَكَلْنَا شَبِيهَتَهُ ثُمَّ نَحْذِلُهُ عِنْدَ الْهَرَمِ "إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ"، وَالْفُقَرَاءُ هُمُ الْمُسْلِمُونَ وَهَذَا مِنَ الْمَسَاكِينِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَوَضَعَ عَنْهُ الْجَزِيَّةَ وَعَنْ ضُرْبَائِهِ. قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرَةَ: أَنَا شَهِدْتُ ذَلِكَ مِنْ عُمَرَ وَرَأَيْتُ ذَلِكَ الشَّيْخَ. ٤٢٤

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّهُ ذُبِحَتْ لَهُ شَاةٌ، فَجَعَلَ يَقُولُ لِغُلَامِهِ: أَهْدَيْتَ لِحَارِنَا الْيَهُودِيَّ؟ أَهْدَيْتَ لِحَارِنَا الْيَهُودِيَّ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُّهُ». (٤٢٥)

إننا بحاجة إلى خلق السماحة نطهر بها أنفسنا من الغلّ والبخل، ونرسم في مجتمعاتنا شعائر المحبة والإخاء. حتى إذا أصرت فئة أو طائفة على خلاف ذلك وجدت في مجتمع المؤمنين رفضا عمليا لأخلاق الجفاء، واستنكارا جماعيا لموارد الهلكة والشحناء.

ومن صور سماحة الإسلام أنه حرم التعرض لدور العبادة التي يتعبد فيها غير المسلمين عند نشوب حرب بين المسلمين وغيرهم، بل وحرّم قتل من لم يشارك في تلك الحرب من النساء والأطفال؛ فقد روى مسلم في صحيحه عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا). (٤٢٦)

وكان من وصايا أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- لأمرائه على الحرب قوله: «وستمرون على قوم في صوامع لهم احتبسوا أنفسهم فيها، فدعهم حتى يميتهم الله فيها على ضلالتهم، يا يزيد: لا تقتل صبيا ولا امرأة ولا صغيرا، ولا تخربن عامرا، ولا تعقرن شجرا مثمرا، ولا دابة عجماء، ولا بقرة ولا شاة إلا لما أكله، ولا تحرقن نخلا ولا تغرقنه، ولا تغلل، ولا تجبن».

وروى أبو داود في سننه عن رِبَاحِ بْنِ رِبِيعٍ قَالَ: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي غَزْوَةٍ، فَرَأَى النَّاسُ مُجْتَمِعِينَ عَلَى شَيْءٍ، فَبَعَثَ رَجُلًا فَقَالَ: انْظُرْ عَلَامَ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ، فَجَاءَ فَقَالَ: عَلَى امْرَأَةٍ

٤٢٤ - الخراج لأبي يوسف (ص: ١٣٩)

٤٢٥ - سنن أبي داود ت الأرئووط (٧/ ٤٦٢) وأخرجه الترمذي (٢٠٥٦)

٤٢٦ - مسند أحمد ط الرسالة (٣٨/ ١٣٨) ومسلم (١٧٣١) (٣)، والترمذي (١٤٠٨) و (١٦١٧)،



قَتِيلٌ. فَقَالَ: مَا كَانَتْ هَذِهِ لُتْفَاتِلَ. قَالَ: وَعَلَى الْمُقَدِّمَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَبَعَثَ رَجُلًا فَقَالَ: قُلْ لِيخَالِدٍ: لَا يَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلَا عَسِيفًا^(٤٢٧)

ويقول توماس أرنولد في كتابه الدعوة الإسلامية: "لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامح عظيم منذ القرن الأول للهجرة، واستمر هذا التسامح في القرون المتعاقبة، ونستطيع أن نحكم بحق أن القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام قد اعتنقته عن اختيار وإرادة، وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات المسلمين لشاهد على هذا التسامح".

الدعاء:

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.. اللهم حسن أخلاقنا وأعمالنا يا رب العالمين. اللهم أدبنا جميعًا بآداب نبيك، وأعنا على ذلك.. يا رب العالمين....

أمانة الصانع والتاجر وأثرها على الفرد والمجتمع^(٤٢٨)

الخطبة الأولى

الحمد لله الحي العليم السميع البصير القادر، المتكلم بكلام قدیم أزلِّي هو به ناه وآمر، زين قلوب العارفين بنور هدايته فأضاء منها السرائر ن من رضي بدونه فهو الخائن الغادر، الشقي من حرمه، والسعيد من رحمه، والطريد من حجه، والقريب من جذبه، والنادم من أهانه، والسالم من أعانه، وقد علم الولي والعدو والرابح والخاسر.

واشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير سبحانه أوضح الدلالة وبين، وحبب الإيمان إلى المؤمنين وزين، وطبع على قلوب الجاحدين فهم يجادلون في الحق بعد ما تبين.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحببيه وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

^{٤٢٧} - أبو داود (٢٦٦٩). وأخرجه النسائي في الكبرى (٨٦٢٥)، من طريق عمر بن مرقع به. وسيأتي في

(١٨٢٠٨). وقال الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٢٤): حسن صحيح.

^{٤٢٨} - موقع اللوكة وصيد الفوائد

ثم أما بعد: أحبابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديثنا في هذا اليوم الطيب الميمون الأغر عن (أمانة الصانع والتاجر وأثرها على الفرد والمجتمع).
هذا الخلق الإسلامي الرفيع الذي هو من أسمى الأخلاق اتصف به الأنبياء والمرسلون ومدحهم الله تعالى به في غير ما آية من كتابه
ذلك الخلق هو عنوان الإيمان وأتم صفات أهل الإحسان فما هي الأمانة؟ وما هو فضلها وكيف تكون الأمانة في الصنعة والتجارة؟
هذا هو موضوع الحديث بحول الله تعالى وقوته:

كن للأمانة راعيا لا للخيانة تستكين
حتى ولو سرا فكن للسر حافظه الأمين
الناس تعجب بالذي قد صافها في كل حين
وتبجل الشخص الذي لم يفش سرا... لا يلين
أدى الأمانة راجيا من ربنا كل الثواب
من خان أي أمانة حصد الهلاك مع الخراب
فالله يمتحن العباد والخائنون لهم حساب
أما الأمين هو الذي دوماً يفضل الصواب

العنصر الأول تعريف الأمانة:

الأمانة في الاصطلاح الشرعي: هي رعاية حقوق الله تعالى بتأدية المرء للفرائض والواجبات، وكذلك المحافظة على حقوق العباد فلا يطمع الإنسان في ودعة أؤتمن عليها ولا ينكر مالا أو متاعا آمنه الناس عليه.

العنصر الثاني الأمانة في القرآن والسنة:

الأمانة العظمى، وهي الدين والتمسك به، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: الأمانة تعم جميع وظائف الدين ١ هـ.
وكذلك كل من جاء بعدهم من العلماء والدعاة، فهم أمناء في تبليغ هذا الدين. وكل ما يأتي من أنواع يمكن دخولها في هذا النوع.



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اتَّخَذَ خَانَ ". (٤٢٩).

عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ الْعَادِرَ يُرْفَعُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَيُقَالُ: هَذِهِ غَدَرَةُ فُلَانٍ ابْنِ فُلَانٍ ". (٤٣٠).

عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَمَانُ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا طُهْرَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ، إِنَّمَا مَوْضِعُ الصَّلَاةِ مِنَ الدِّينِ كَمَوْضِعِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ» (٤٣١).

العنصر الثالث أمانة الأنبياء والرسل:

إن الأمانة شرط أساسي لاصطفاء الرسل، وهي من أبرز أخلاقهم، فلولا أنهم أمناء على ما يعود بالنفع على أمتهم، وحريصون على هداية وإرشاد أقوامهم لما استأنهم الله على رسالاته لخلقه، فقد نادى جميع الأنبياء الأقوام الذين أرسلوا إليهم بقوله تعالى: ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ * أَنْ أَذُوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الدخان: ١٧، ١٨]، وقوله تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨].

"أي إني رسول من الله إليكم أمين فيما بعثني به، أبلغكم رسالات ربي ولا أزيد عليها ولا أنقص ومأمون على تبليغ هذه الرسالة"

وكل رسول كان لسان دعوته لقومه ولسان حاله الذي يخاطب به الناس إني لكم رسول ناصح أمين، معبراً عن ثقل التبعة، وخطر ما يعلمه من عاقبة ما هم فيه من الجاهلية في الدنيا، ورغبته في هداية قومه وهو منهم وهم منه، وفي كل مرة يقف الملاء الذين استكبروا موقف الرفض، وعدم الاستسلام والخضوع لهذا الدين، وهذه القضية التي قامت عليها الرسالات، وقام عليها دين الله كله في الأرض.

أمانه هود عليه السلام:

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٦، ٦٨].

أمانة صالح عليه السلام وقال لهم:

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٠٧].

٤٢٩ - أخرجه البخاري (٣٣) و (٢٦٨٢) و (٢٧٤٩) و (٦٠٩٥)، ومسلم (٥٩) (١٠٧)

٤٣٠ - مسلم (٣/ ١٣٥٩ رقم ١٧٣٥)، البخاري (٦/ ٢٨٣ رقم ٣١٨٨)، وانظر (٦١٧٨، ٦١٧٧، ٦٩٦٦، ٧١١١).

٤٣١ - أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٨٣/٢)، رقم (٢٢٩٢). وأخرجه أيضاً: في الصغير (١١٣/١)، رقم (١٦٢)

❖ أمانة لوط عليه السلام:

﴿ كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [الشعراء: ١٦٠ - ١٦٦].

❖ أمانة شعيب عليه السلام:

قال تعالى ﴿ كَذَبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [الشعراء: ١٧٦ - ١٨٣].

وتلك الصِّفة بعينها ذُكرت خمس مرّات متواليات بحق الأنبياء في سورة الشعراء:

﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾.. فقد قالها نبيُّ الله نوح في آية [١٠٧]، ونبيُّ الله هود، في آية [١٢٥]، ونبيُّ الله صالح في آية [١٤٣]، ونبيُّ الله لوط في آية [١٦٢]، ونبيُّ الله شعيب في آية [١٧٨].

❖ أمانة النبي صلى الله عليه وسلم:

❖ رد الأمانات إلى أهلها عند الهجرة:

عن عائشة -رضي الله عنها- في هجرة النبي قالت: وأمر -تعني رسول الله - علياً أن يتخلف عنه بمكة؛ حتى يؤدّي عن رسول الله الودائع التي كانت عنده للناس. وكان رسول الله وليس بمكة أحدٌ عنده شيء يُخشى عليه إلا وضعه عنده؛ لما يُعلم من صدقه وأمانته... فخرج رسول الله، وأقام علي بن أبي طالب ثلاث ليال وأيامها؛ حتى أدّى عن رسول الله الودائع التي كانت عنده للناس، حتى إذا فرغ منها لحق رسول الله (٤٣٢).

❖ رد مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة:

عن ابن جريج قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨]، قال: نزلت في عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، قبض منه النبي مفتاح الكعبة، ودخل به البيت يوم الفتح، فخرج وهو يتلو هذه الآية، فدعا عثمان فدفع إليه المفتاح (٤٣٣).

٤٣٢ - سيرة ابن هشام (٢/ ٤٨٣).

٤٣٣ - أخرجه ابن جرير التفسير (١٤٥/٥).



🔹 أمانة النبي - صلى الله عليه وسلم - في تجارته لخديجة - رضي الله عنها:-

كانت خديجة - كما يروى ابن الأثير وابن هشام - امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه، فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الحديث وعظم الأمانة وكرم الأخلاق، أرسلت إليه ليخرج في مالها إلى الشام تاجرًا وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره، ومعه غلامها ميسرة. وقد قبل محمد صلى الله عليه وسلم هذا العرض فرحل إلى الشام عاملاً في مالها ومعه ميسرة.

فحالفه التوفيق في هذه الرحلة أكثر من غيرها، وعاد إلى خديجة بأرباح مضاعفة، فأدى لها ما عليه في أمانة تامة ونبل عظيم، ووجد ميسرة من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم وعظيم أخلاقه ما ملأ قلبه دهشة له، وإعجاباً به فروى ذلك لخديجة.

فأعجبت خديجة بعظيم أمانته، ولعلها دهشت لما نالها من البركة بسببه، فعرضت نفسها عليه زوجة بواسطة صديقتها (نفيسة بنت منية)، فوافق النبي عليه الصلاة والسلام، وكلم في ذلك أعمامه فخطبوها له من عمها عمرو بن أسد. وتزوجها عليه الصلاة والسلام وقد تم له من العمر خمسة وعشرون عاماً ولها من العمر أربعون.

🔹 الأمانة في البيع والشراء:

وأداء الأمانة في البيع والشراء أن يلتزم فيهما الحدود الشرعية التي رسمها الشارع الحكيم، فلا يتعاطى المعاملة بالربا لا صريحاً ولا حيلة فإن التحيل على الربا شر من الربا الصريح لأن التحيل جمع بين المخادعة والربا، وعلى العامل بالبيع والشراء أن يتجنب الغش.

🔹 الواقع التطبيقي:

الموقف الأول: عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال اشترى رجلٌ من رجلٍ عقاراً له فوجدَ الرجلُ الذي اشترى العقارَ في عقاره جرةً فيها ذهبٌ فقال الذي اشترى العقارَ خذْ ذهبَكَ مِنِّي إِنَّمَا اشترَيْتُ مِنْكَ الأرضَ ولم أَتبعِ الذهبَ وقال الذي له الأرضُ إِنَّمَا بعْتُكَ الأرضَ وما فيها فتحاكما إلى رجلٍ فقال الذي تحاكما إليه ألكُما وكَلْتُ قال أحدهُما لي غُلامٌ وقال الآخرُ لي جاريةٌ قال أنكِحُوا الغُلامَ الجاريةَ وأنفقوا على أنفسكما منه وتصدقوا (٣٤)

الموقف الثاني: ذات يوم خرج أحد التجار الأمناء في سفر له، وترك أحد العاملين عنده لبيع في متجره، فجاء رجل يهودي واشتري ثوباً كان به عيب.

٣٤ - أخرجه البخاري (٣٤٧٢)، ومسلم (١٧٢١)، وأبو عوانة ٢٣/٤-٢٤ وابن حبان (٧٢٠)، والبيهقي في "الشعب" (٥٢٩٠)، والبغوي (٢٢١٢).

فلما حضر صاحب المتجر لم يجد ذلك الثوب، فسأل عنه، فقال له العامل: بعته لرجل يهودي بثلاثة آلاف درهم، ولم يطلع علي عيبه. فغضب التاجر وقال له: وأين ذلك الرجل؟ فقال: لقد سافر. فأخذ التاجر المسلم المال، وخرج ليلحق بالقافلة التي سافر معها اليهودي، فلحقها بعد ثلاثة أيام، فسأل عن اليهودي، فلما وجدته قال له: أيها الرجل! لقد اشتريت من متجري ثوباً به عيب، فخذ دراهمك، وأعطني الثوب. فتعجب اليهودي وسأله: لماذا فعلت هذا؟ قال التاجر: إن ديني يأمرني بالأمانة، وينهايني عن الخيانة فقد قال رسولنا -صلى الله عليه وسلم-: (مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي). (٤٣٥)

فاندھش اليهودي وأخبر التاجر بأن الدراهم التي دفعها للعامل كانت مزيفة، وأعطاه بدلاً منها، ثم قال: لقد أسلمت لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

الموقف الثالث وابرأ من أهما تقلب الملعف:

الأصمعي قال أنبأنا سكن الخرخشي قال: جاءني يونس بن عبيد بشاة فقال بعها وابرأ من أهما تقلب الملعف وتترع الوتد ولا تبرأ بعد ما تبيع بين قبل أن تبيع.

الأمانة في حفظ ورد الدائع:

تشمل الوديعه الأشياء العينية من مال ومتاع وكل ما يؤتمن عليه الإنسان يجب أن يؤديه إلى أصحابه كاملة غير منقوص، ووفق هذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨]، فهم يؤدون الأمانات والودائع إلى أهلها، وإذا أؤتمنوا على شيء لم يخونوا، وجاء في الحديث الشريف عن أنس، قال: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: " لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ " (٤٣٦)

وأداء الودائع وسائر الأمانات واجب ولا سيما إذا طلبها صاحبها، ومن لم يؤديها في الدنيا أخذت منه في يوم القيامة، عن أبي هريرة، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَتَوْدُنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْحَمَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرَنَاءِ» (٤٣٧).

فالأمانة بمعنى الوديعه حقها الأداء حيث ورد الأمر بذلك في القرآن الكريم صراحة ومؤكداً بصيغة لام الأمر، قال تعالى: ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

٤٣٥ - أخرجه مسلم (٩٩/١)، رقم (١٠٢). وأخرجه أيضاً: أبو يعلى (٣٩٩/١١)، رقم (٦٥٢٠)، وابن حبان (٢٧٠/١١)، رقم (٤٩٠٥)

٤٣٦ - أخرجه ابن أبي شيبة في "الإيمان" ٧، و"المصنف" ١١/١١، وأحمد ١٣٥/٣ و١٥٤ و٢١٠، والبخاري ١٠٠،

٤٣٧ - أخرجه أحمد ٣٢٣/٢ و٣٧٢ و٤١١، والبخاري في "الأدب المفرد" ١٨٣، ومسلم ٢٥٨٢ في البر والصلة: باب تحريم الظلم،



وورد الأمر بصيغة التصريح بفعل الأمر برد الودائع والأمانات إلى أهلها، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: "الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُكَفِّرُ الذُّنُوبَ كُلَّهَا إِلَّا الْأَمَانَةَ، قَالَ: يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقَالُ: أَذْ أَمَانَتُكَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ ذَهَبَتِ الدُّنْيَا؟ قَالَ: فَيُقَالُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى الْهَٰوِيَةِ، فَيَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى الْهَٰوِيَةِ، وَيُمَثِّلُ لَهُ أَمَانَتُهُ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ دُفِعَتْ إِلَيْهِ، فَيَعْرِفُهَا فَيَهْوِي فِي أَثَرِهَا حَتَّى يُدْرِكَهَا، فَيَحْمِلُهَا عَلَىٰ مَنْكِبَيْهِ حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ خَارِجٌ زَلَتْ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَهُوَ يَهْوِي فِي أَثَرِهَا أَبَدَ الْأَبَدِينَ، ثُمَّ قَالَ: الصَّلَاةُ أَمَانَةٌ، وَالْوُضُوءُ أَمَانَةٌ، وَالْوِزْنُ أَمَانَةٌ، وَالْكَيْلُ أَمَانَةٌ، وَأَشْيَاءُ عَدَدَدُهَا، وَأَعْظَمُ ذَلِكَ الْوَدَائِعُ " فَاتَّيْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ فَقُلْتُ: أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ؟ قَالَ: كَذَا " قَالَ، كَذَا قَالَ، صَدَقَ أَمَا سَمِعْتَ يَقُولُ اللَّهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] " (٤٣٨)

الواقع التطبيقي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسَلِّفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ فَقَالَ: اتَّيَّنِي بِالشَّهَدَاءِ أَشْهَدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا، قَالَ: فَاتَّيَّنِي بِالْكَفِيلِ، قَالَ: كَفَىٰ بِاللَّهِ كَفِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَىٰ حَاجَتَهُ ثُمَّ التَّمَسَّ مَرْكَبًا يَرَكِبُهَا يَقْدُمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَلُهُ فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَىٰ صَاحِبِهِ ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا ثُمَّ أَتَىٰ بِهَا إِلَى الْبَحْرِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فَلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ فَسَأَلَنِي كَفِيلًا فَقُلْتَ كَفَىٰ بِاللَّهِ كَفِيلًا فَرَضِي بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا فَقُلْتَ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا فَرَضِي بِكَ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا، فَرَمَىٰ بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَىٰ بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطْبًا فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ فَأَتَىٰ بِالْأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِأَتِيكَ بِمَالِكَ فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ، قَالَ: هَلْ كُنْتُ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِشَيْءٍ، قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّىٰ عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الْخَشَبَةِ فَانْصَرَفَ بِالْأَلْفِ دِينَارٍ رَاشِدًا» (٤٣٩)

٤٣٨ - رواه الطبراني ١٠ / ٢١٩ (١٠٥٢٧)، قال الهيثمي ٥ / ٢٩٣، ورجاله ثقات. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤١٣٠).

٤٣٩ - أخرجه أحمد (٣٤٨/٢)، رقم (٨٥٧١)، والبخاري (٨٠١/٢) رقم (٢١٦٩).

أمانة الصانع وأثرها على المنتج الوطني والرخاء الاقتصادي:

إخوة الإسلام: ومن الأمانة التي ضيعها كثير من المسلمين أمانة الصناعة وإتقانها حتى رأينا كثيرا من المسلمين يتهافتون على المنتج الغربي الياباني والألماني وغيرها من منتجات أتقنها صناعتها بأمانة وحس الصنعة فراجت تجارتهم وارتفع اقتصادهم في حين أننا نرى كثيرا من المنتجات القومية والوطنية قد أعرض عنها المشتري لعلمه أنها افتقدت الأمانة فحين أننا أمة الأمانة والإتقان.

إن الإتقان في العمل والمسئولية قيمة تربوية ومرتكز نفسي مؤثر، على أساسه ينبنى الإنسان المسلم من بدايات حياته الأولى فاعلا ومؤثرا وناجحا، فيدع العجز والكسل، والقعود والخمول، وينطلق حيث الفعالية المؤثرة في شتى المجالات.

وأما السياج المحيط بصناعة الصانع فهو سياج الأخلاق، فالأخلاق تحيطه وتحميه من النقص أو الخلل، فأمر بكل خلق يصلح به العمل، فلا عمل بغير أمانة.

كذلك فالصدق في العمل، وعدم الغش فيه شرط من شروط صلاحه عن أبيه عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة من طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال يا صاحب الطعام! ما هذا؟ قال أصابته السماء يا رسول الله! قال أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس؟ ثم قال من غش فليس منا أخرجته الترمذي.

وهكذا قل في الأخلاق الأخرى.

و لقد مدح الله تعالى أهل الأمانة في الصنعة فقال عن نبيه داود عليه السلام ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سبأ: ١٠، ١١].

ومدح الإتقان والأمانة في حياة سليمان عليه السلام فقال سبحانه ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اْعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣]

أقول قولي وأستغفر الله لي ولكم.



الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين... اللهم لك الحمد على نعمة الإسلام والإيمان ولك الحمد أن جعلتنا من أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام... أما بعد:

العنصر الخامس: الوصايا النبوية للتجار والصناع:

أحباب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وها هي وصايا غراء من سيد الأصفياء - صلى الله عليه وسلم لكل تاجر في تجارته وكل صانع في صناعته:

الوصية الأولى إتقان الصنعة: أول هذه الوصايا أيها الصناع الإتقان أتقن عملك وصنعتك واعلم أن الله تعالى يحب المتقنين عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أَرْهَقُوا الْقُلَّةُ " قَالَ أَبُو حَفْصٍ: - يَعْنِي مُطَيَّنٌ، أَيْ اذْثُوبُوا إِلَيْهَا - فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ (٤٠)"

الوصية الثانية: التزم بوعودك ولا تخلفها:

لا كما نرى وما نسمع أن كثيرا من الصناع والتجار رأس مالهم إخلاف الوعود وعدم الالتزام بها وللأسف لقد شاع في الأمثال: (فلان وعده إنجليزي) لما يروونه من صدق هؤلاء في وعودهم وعدم إخلافها.

ونحن أحق وأولى لأننا امرنا الله تعالى بذلك قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]. فلا ينبغي للصانع أن يعد الناس بما لا يقدر على وفائه.

الوصية الثالثة: احذر أن تكتنم عيبا في تجارتك أو صنعتك: لأن هذا من الغش المذموم كما ذكرنا أنفا ولأن ذلك يوجب اللعن والطرده من رحمة الله تعالى

الوصية الرابعة احذر من الأيمان الكاذبة: فإنهما تمحق البركة وتمين صاحبها عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ رَجُلٌ عَلَى فَضْلٍ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ يَمْنَعُ ابْنَ السَّبِيلِ مِنْهُ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لِلدُّنْيَا إِنْ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ، وَفِي لَهُ وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ لَمْ يَفِرْ لَهُ، وَرَجُلٌ سَاوَمَ رَجُلًا عَلَى سِلْعَتِهِ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَحَلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا كَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ الْآخَرُ» (٤١)

ألا وصلوا وسلموا على خير خلق الله نبينا محمد، فقد أمرنا ربنا بهذا، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

٤٠ - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/٣٣٤، رقم ٥٣١٢). وأخرجه أيضاً: أبو يعلى (٧/٣٤٩، رقم ٤٣٨٦)

٤١ - أخرجه البخاري في: ٤٢ كتاب المساقاة: ٥ باب إثم من منع ابن السبيل من الماء

اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

الخوف من الله وأثره في استقامة الفرد والمجتمع^(٤٤٢)

الخطبة الأولى

الحمد لله الغفور الودود، الكريم المقصود، الملك المعبود قديم الوجود، المتعالي عن الأمثال والأشكال والجهات والحدود، لا يخفى عليه ديبب النملة السوداء في الليالي السود، ويسمع حس الدود في خلال العود، وتردد الأنفاس في الهبوط والصعود، القادر فما سواه فهو بقدرته الوجود، وبمشيئته تصاريق الأقدار.

وأشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة أخرها عنده ليوم اللقاء

وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحببيه

خاتم الرسل والأنبياء، وسيد النجباء والأولياء والأصفياء، المتصف بالصدق والوفاء.

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

ثم أما بعد:إخوة الإسلام: حديثنا في هذا اليوم الطيب الميمون الأغر عن صفة من صفات الأنبياء، وعن سلوك قويم من سلوك الأتقياء، كم له من أثر على الأفراد والمجتمعات، إنه الخوف من رب الأرض والسموات.

فما هو الخوف من الله؟ وما هي فضائله وثمراته؟ وما هي أحوال الخائفين؟ وما هي آثاره على الفرد والمجتمع؟

أعيروني القلوب والأسماع..

العنصر الأول: تعريف الخوف:

الخوف هو من أجل منازل الطريق وأنفعها للقلب، وهو فرض على كل مكلف، والوجل، والخوف والرغبة ألفاظ متقاربة غير مترادفة وللعلامة ابن القيم - رحمه الله - كلام جميل في كتابه مدارج السالكين:



قال أبو حفص: الخوف سوط الله، يقوم به الشاردين عن بابه، وقال: الخوف سراج في القلب به يصير ما فيه من الخير والشر وكل أحد إذا خفته هربت من إلا الله فإنك إذا خفته هربت إليه، فالحائف هارب من ربه إلى ربه وقال أبو سليمان، ما فارق الخوف قلباً إلا خرب.

وقال إبراهيم بن سفيان إذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها وطرده الدنيا عنها. وقال ذو النون: الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف فإذا زال عنهم الخوف ضلوا الطريق، وقال حاتم الأصم: لا تغتر بمكان صالح، فلا مكان أصلح من الجنة، ولقي فيها آدم ما لقي، ولا تغتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول العبادة لقي ما لقي ولا تغتر بكثرة العلم فإن بالعام بن باعوورا لقي ما لقي وكان يعرف الاسم الأعظم، ولا تغتر بلقاء الصالحين ورؤيتهم فلا شخص أصلح من النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم ينتفع بلقائه أعداؤه المنافقون ".

والخوف ليس مقصوداً لذاته بل هو مقصود لغيره قصد الوسائل، ولهذا يزول بزوال المخوف، فإن أهل الجنة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ".

العنصر الثاني فضل الخوف من الله وثمراته:

واعلم علمني الله وإياك: أن للخوف من الله تعالى ثمرات يانعة وفوائد مائعة نذكر منها:

﴿أولاً: أن الخوف شرط شرطه الله للإيمان به فقال سبحانه وتعالى ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال سبحانه ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وفي ذلك يقول ابن القيم - رحمه الله -: والمقصود أن الخوف من لوزام الإيمان وموجباته فلا يختلف عنه وقال تعالى ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤] وقد أثني عليهم ومدحهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فالرغب الرجاء، والرغبة والرهبة الخوف والخشية، وقال عن ملائكته الذين قد أمنهم من عذابه ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٥٠] وفي الصحيح عن عائشة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال إني أعلمكم بالله وأشدكم له خشية

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] فكلما كان العبد بالله أعلم كان أخوف قال ابن مسعود " كفى بخشية الله علماً " ونقصان الخوف من الله إنما هو لنقصان معرفة العبد بربه، فأعرف الناس أحشاهم لله، ومن عرف الله اشتد حياؤه منه وخوفه له وحببه له، وكلما ازداد معرفة ازداد حياءً وخوفاً وحباً، فالخوف من أجل منازل الطريق، وخوف الخاصة أعظم من خوف

العامّة، وهم إليه أحوج، وهو بهم أليق ولهم ألزم، فإن العبد إما أن يكون مستقيماً أو مائلاً عن الاستقامة، فإن كان مائلاً عن استقامة فخوفه من العقوبة على ميله، ولا يصح الإيمان إلا بهذا الخوف.

❦ ثانياً: - إن الجنة مأوى الخائفين يقول سبحانه ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

يقول ابن كثير رحمه الله " إلى خاف القيام بين يدي الله عز وجل وخاف حكم الله فيه ونهى نفسه عن هواها إلى طاعة مولاه ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١] أي متقلبة ومصييره ومرجعه إلى الجنة الفيحاء ".

بل إن الله ضاعف له الجزاء وأكرم له المثوبة فاعد له من الجنة جنتان ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ [الرحمن: ٤٦].

فهاتان الجنتين تفضلان غيرهما بفضائل ومميزات أعد الله تلك الفضائل لمن خاف مقام ربه عز وجل بل إن الجزاء أعظم وأكبر أن يعده عاد يقول سبحانه ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧].

عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ ثُمَّ قَرَأَ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] (٤٣)

❦ ثالثاً: أن تكون في ظل عرش الرحمن: فإن الخائف، دائم الدمعة لا قرار له إلا في دار القرار فإن غزارة الدمع تطفئ حرارة الشهوات وتكف المرء عن معصية ربه، لذا كان جزاؤه أن يكون في ظل عرش الرحمن عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَدْلٌ وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ. (٤٤)

٤٣ - صحيح البخاري (١١٦ / ٦) (٤٧٨٠)

٤٤ - أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١)



❦ رابعاً: - ومن فوائد الخوف والوجل والخشية الأمان من عذاب الله عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ فِي جَوْفٍ لَيْلٍ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ سَرِيَّةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ ". (٤٤٥)

يقول المناوي - رحمه الله - (عينان لا تمسهما النار أبدا عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله) قال الطيبي: قوله عين بكت إلخ كناية عن العالم العابد المجاهد مع نفسه لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] حيث حصر الخشية فيهم غير متجاوزة عنهم فحملت النسبة بين العينين عين مجاهدة مع النفس والشيطان وعين مجاهدة مع الكفار والخوف والخشية مترادفاً).
إن عينا ذرفت الدمع خشية من الله، لهي ناجية ولو كان هذا الدمع طفرة ثم ولت، أو مره في العام ثم أدبرت. قال سفيان الثوري رحمه الله " البكاء عشرة أجزاء فواحد منها لله والتسعة كلها رياء، فإذا جاء ذلك الجزء الذي لله تعالى في السنة مرة واحدة، نجح صاحبه من النار إن شاء الله.

❦ خامساً: - ومن فوائد الخوف من الله تعالى أن الله لا يبقِي في النار أحد ممن خافه في يوم من الأيام: عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْوِي ذَلِكَ، عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ يَقُولُ: " وَعَزَّيْتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمَنْتَنِي فِي الدُّنْيَا أَحَقَّتْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ". (٤٤٦)

فالعاقل من خشي ربه في السر والعلن وخافه في الدنيا حتى يؤمنه في الآخرة ويفر إليه في دار المفر حتى يسكنه غداً دار المستقر ويكون حاله في خوفه ووجله كما وصف الله عباده بقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون ٥٧: ٦١] فهم يصلون ويصومون ويزكون ويحجون ولكنهم قد ملأ الخوف قلوبهم فهم خائفون ألا يتقبل الله منهم.

❦ العنصر الثالث خوف الملائكة والأنبياء:

نقف مع الملائكة الأبرار والأنبياء الأخيار لنرى شدة خوفهم من الله - عز وجل - مع أنهم معصون من الخطأ والزلل إلا أن داعي الوجل والخوف يزداد كلما ارتقى العبد في سلم الإيمان وازداد في معرفة العزيز الجبار ازداد خوفه ووجله.

٤٤٥ - إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٥ / ١٢٤) (٤٣٦٥ - ٤٣٦٧) والإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء (٢ /

٥٤٢) (١٨٥٨) والإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء (٣ / ٢٩٤) (٢٤٢٩)

٤٤٦ - أخرجه البزار ٧٤ / ٤ برقم (٣٢٣٣)، ويحيى بن صاعد في زوائده على الزهد لابن المبارك برقم (١٥٨)

فها هم الملائكة الذين وصفهم بذلك الوصف الجميل بقوله ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦] على الرغم من هذا فهذا حالهم خوف وخشية ورهبة ورغبة يقول سبحانه ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٤٩، ٥٠] ووصف حالهم بقوله ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يُلْغُ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنَحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزَّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الْحَقُّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، (٤٧) "

عَنْ جَابِرٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : " مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى وَجَبْرِيلُ كَالْحِلْسِ الْبَالِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ " (٤٨) " والجلس: كساء يسط في أرض البيت "

ولكن لماذا يخاف الملائكة وهم معصوم وكذا الأنبياء؟

❦ خوف الأنبياء والرسل:

أما السادة الغرر المصطفين الأخيار الذين أختصهم الله واصطفاهم على العالمين، فإنهم أعلم الناس بالله وبماله من صفات وأسماء، وبما عنده من وعد ووعد لذا كانوا من أشد الناس لله خوفاً وخشية ورهبة... وهيا لنرى شدة خوفهم من ربهم كما جاء في حيث الشفاعة....

وهكذا يكون خوف العارفين والله تعالى قص علينا تضرعهم وابتهاهم وطلبهم المغفرة فقال في آدم - عليه السلام ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وقال في نوح - عليه السلام - ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

٤٧ - أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ٧٤٨١ وأخرجه الترمذي ٣٤، وابن ماجه في المقدمة ١٣ والدارمي في المقدمة ٤٥.

٤٨ - أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٤/٥، رقم ٤٦٧٩) قال الهيثمي (٧٨/١): رجاله رجال الصحيح. وأخرجه أيضاً: ابن أبي عاصم (٢٧٦/١، رقم ٦٢١) (حسن) انظر حديث رقم: ٥٨٦٤ في صحيح الجامع



وقال في إبراهيم - عليه السلام ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ ﴿الشعراء: ٨٢﴾،
وقال في موسى - عليه السلام - ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦]

وقال في يوسف - عليه السلام - ﴿وَرَأَوْنَاهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ
هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].
وقال في زكريا ويحيى - عليهما السلام - ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ
الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
وَيَدْعُونََنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩، ٩٠].

أما سيد الأولين وإمام المتقين من عبد ربه حتى أتاه اليقين فكان سيد العارفين الخاشعين المشفقين هيا
لنشاهده - صلى الله عليه وسلم - وهو يصف معرفته بربه وشدة خشيته له.
يقول القاضي عياض - رحمه الله - وأما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته له فعلى قدر علمه بربه
ولذلك قال...

، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا،
وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا " (٤٩)

وها هو - صلى الله عليه وسلم - يبكي عند سماع القرآن، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اقْرَأْ عَلَيَّ " فَقُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟ قَالَ: " إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي
" قَالَ: فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّى بَلَغْتُ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا
﴾ [النساء: ٤١] قَالَ: " حَسْبُكَ " فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَذْرِفَانِ (٥٠)

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ شَبْتُ، قَالَ: «شَبَبْتَنِي هُوْدُ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَلَاتُ،
وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» (٥١)

❦ خوف العلماء والأولياء والصحابة والتابعين:

قال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ
سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء:

٤٩ - أخرجه أحمد ٣١٢/٢، والبخاري "٦٦٣٧" في الأيمان والندور

٥٠ - أخرجه البخاري في: ٦٦ كتاب فضائل القرآن: ٣٥ باب البكاء عند قراءة القرآن

٥١ - أخرجه الترمذي في السنن ٤٠٢/٥، كتاب تفسير القرآن (٤٨)، باب ومن سورة الواقعة (٥٧)، الحديث (٣٢٩٧)،

وقال: (حسن غريب)، وأخرجه الحاكم في المستدرک ٣٤٣/٢، كتاب التفسير، تفسير سورة هود، وفي ٢/٤٧٦،

١٠٧ - ١٠٩] فهؤلاء علماء أهل الكتاب حين سمعوا القرآن استولى عليهم الخوف من الله تعالى فسقطوا على الأرض ساجدين من شدة الوله والخشية".

وهيا لنرى أحوال الخائفين المخبتين الوجلين...

◆ خوف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وخوفه من ربه: عن مسروق قال: قال رجل عند عبد الله، ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين، أكون من المقرين أحب إلي فقال عبد الله: لكن هاهنا رجل ود انه إذا مات لا يبعث يعني نفسه، وعن الحسن قال: قال عبد الله بن مسعود: لو وقفت بين الجنة والنار فقل لي اختر نخيرك من أيها تكون أحب إليك أو تكون رمادا؟ لا حبيت أن كون رمادا.

◆ خوف عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال عبد الله بن عامر بن ربيعة رأيت عمر بن الخطاب آخذ تبته من الأرض فقال يا ليتني هذه النبتة، وليتني لم أكن شيئا، ليت أُمي لم تلدني كنت نسيا منسيا. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: كان راس عمر على فخذي في مرضه الذي مات فيه فقال لي: ضع رأسي، قال فوضعت على الأرض فقال: ويلي وويل أُمي إن لم يرحمني ربي. وقال المسور بن مخرمة: لما طعن عمر قال: لو أن لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه.

◆ خوف أبي هريرة: وبكى أبو هريرة في مرضه فقيل له: ما يبكيك؟، فقال: أما إني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكن أبكي على بعد سفري وقلة زادي، وإني أمسيت في صعود على جنة أو نار، لا أدري إلى أيتهما يؤخذ بي.

◆ خوف عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: عن سمير الرياحي عن أبيه قال: شرب عبد الله بن عمر ماء مبردا فبكى، فاشتد بكاءه، فقيل له: ما يبكيك؟، ذكرت آية في كتاب الله عز وجل ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤].

فعرفت إن أهل النار لا يشتهون شيئا، وشهواتهم الماء، وقد قال الله عز وجل ﴿أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٠]. أقول قولي وأستغفر الله لي ولكم.



الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين... اللهم لك الحمد على نعمة الإسلام والإيمان ولك الحمد أن جعلتنا من أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام....

أما بعد:

العنصر الرابع أثر الخوف على الفرد والمجتمع:

أمة الإسلام: اعلّموا أن للخوف من الله تعالى آثار في حماية الفرد والمجتمع من الانحراف والانزلاق نذكر منها:

أولاً: حماية الفرد والمجتمع من الوقوع في الزنا والانحراف الخلقي: فالذي يخاف من الله تعالى يضع نصب عينيه معية الله تعالى له فاذا دعت نفسه الأمانة بالسوء إلى فعل ما يوجب سخط الله ذكرته نفسه اللوامة نظر الله إليه.

تأملوا عباد الله كيف منع الخوف من الله تعالى ذلك الشاب من الانحراف ذكر ابن الجوزي في "المواعظ": أن شاباً فقيراً، كان بائعاً يتجول في الطرقات، فمرّ ذات يوم ببيت، فأطلت امرأة وسألته عن بضاعته فأخبرها، فطلبت منه أن يدخل لتري البضاعة، فلما دخل أغلقت الباب، ثم دعت إلى الفاحشة، فصاح بها، فقالت: والله إن لم تفعل ما أريده منك صرخت، فيحضر الناس فأقول هذا الشاب، اقتحم عليّ داري، فما ينتظرك بعدها إلا القتل أو السجن.

فخوفها بالله فلم تترجر، فلما رأى ذلك، قال لها: أريد الخلاء.

فلما دخل الخلاء: أقبل على الصندوق الذي يُجمع فيه الغائط، وجعل يأخذ منه ويلقي على ثيابه، ويديه وجسده، ثم خرج إليها، فلما رآته صاحت، وألقت عليه بضاعته، وطرده من البيت، فمضى يمشي في الطريق والصبيان يصيحون وراءه: مجنون، مجنون، حتى وصل بيته، فأزال عنه النجاسة، واغتسل.

فلم يزل يُشتمُّ منه رائحة المسك، حتى مات - رحمه الله -.

ثانياً حماية المجتمع من السرقة والرشوة والمحسوبية: فاذا خاف العبد ربه حجب الخوف من أكل الحرام والبعد عن الشبهات

وها هو روع كهمس بن الحسن - رحمه الله - سقط منه دينار ففتش عليه فلقه فلم يأخذه وقال لعله غيره، وكان - رحمه الله - باراً بأمة فلما ماتت حج وأقام بمكة حتى مات وكان يعمل في الجص وكان يؤذن.

والذي يخاف من الله لا يغش أحداً من الناس تأملوا..

عن الأصمعي: حدثنا سكن صاحب الغنم قال: جاءني يونس بن عبيد بشاة فقال: بعها وأبرأ من أهما
تقلب العلف وتترع التود فبين قبل أن يقع البيع.

ثالثا الخوف من الله يمنع صاحبه من الظلم:

وها هو عمر - رضي الله عنه - يذهب ليستلم بيت المقدس: أقتسم الطريق مع خادمه في الركوب على
راحلته، فكان عمر يمشي مرحلة ويركب الخادم، ثم يركب عمر والخادم يمشي، حتى اقتربا من الشام
والقوم في استقباله، فكانت النوبة في الركوب للخادم، فعرض على عمر أن يركب ليقدّم على القوم
راكبا فأبى إلا أن يوفيه حقه فيقدمان على القوم والخادم راكب وعمر يمشي، قال طارق بن شهاب -
رحمه الله - لما قدم عمر الشام أتته الجنود وعليه إزارا وخفان وعمامة وهو آخذ برأس بعيره يخوض الماء،
فقالوا له: يا أمير المؤمنين تلقاك الجنود وبطارقة الشام، وأنت على هذه الحالة؟؟.

فقال عمر: إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلن نلتمس العز بغيره.

عدل عثمان - رضي الله عنه - وحرصه على إقامته.

أخرج السمان في الموافقة عن أبي الفرات قال: كان لعثمان - رضي الله عنه - عبد فقال له: إني كنت
عركت أذنك فاقتصص مني، فأخذ بأذنه ثم قال عثمان - رضي الله عنه - اشدد يا حبذا الله قصاص في
الدنيا لا قصاص في الآخرة.

الدعاء.....

الشهامة ومجالاتها وأثرها على الفرد والمجتمع^(٤٥٢)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي تفرد بالعز والجلال، وتوحد بالكبرياء والكمال، وجلّ عن الأشباه والأشكال، ودل على
معرفة فزال الإشكال، وأذل من اعتز بغيره غاية الإذلال، وتفضل على المطيعين بلذيق الإقبال، بيده
ملكوت السماوات والأرض ومفاتيح الأقفال، لا رادّ لأمره ولا معقب لحكمه وهو الخالق الفعال.

وأشهد إن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير

هو الأول والآخر والظاهر والباطن الكبير المتعال، لا يحويه الفكر ولا يحده الحصر ولا يدركه الوهم
والخيال.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحببيه



الذي أيده بالمعجزات الظاهرة، والآيات الباهرة، وزينه بأشرف الخصال
ورفعه إلى المقام الأسنى، فكان قاب قوسين أو أدنى، وخلع الجمال.
وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين
ونحن معهم يا أرحم الراحمين
ثم أما بعد:

أمة الإسلام، حديثنا في هذا اليوم الطيب الميمون عن خُلق من أخلاق الأنبياء والأولياء خلق به سمت
الأمة وبها عزت، هذا الخلق قد اندثر وهذا الخلق الكريم قل من اتصف به - إلا من رحم ربك -، إنه
خلق الشهامة والنجدة وإن أردت فقل الرجولة التي تصنع المواقف وتحمي الزمار والديار والأعراض.
والشهادة هي: الحرص على ما يوجب الذكر الجميل في العظام، وقال بعضهم: هي الحرص على
الأمر العظام توقعا للذكر الجميل.

أحقاً ماتت الشهامة؟

إن الناظر إلى أحوال الأمة في الحقبة الأخيرة ليرى أن الأمة قد أصابها الضعف الخور في كثير من البلدان
-إلا من رحم ربك- تأمل في مآسينا وانظر إلى أحوالنا ترى حقيقة مرة أمر من الصبر أن أمة الجسد
الواحد يتمزق جسدها ولا تتحرك الأعضاء لنصرة ذلك الجسد الجريح.

أين النخوة والشهامة الإسلامية، بل أين الشهامة العربية التي كان يتصف بها العرب قبل الإسلام؟
يقول الشاعر:

إن المروءة ليس يدركها امرؤ

ورث المكارم عن أب فأضاعها

أمرته نفس بالدناءة والخنا

ونفته عن سبيل العلا فأطاعها

فإذا أصاب من المكارم خلة

يبني الكريم بها المكارم باعها

أين الشهامة والنجدة مما يحدث في فلسطين؟

أين الشهامة والنجدة مما يحدث في سوريا لحرائر الشام على أيدي اللثام
أين الشهامة والنجدة مما يحدث للمسلمين في بورما

مررتُ على المروءة وهي تبكي

فقلتُ: علامَ تنتحبُ الفتاة ؟

فقلتُ: كيف لا أبكي وأهلي

جميعاً دون خَلق الله ماتوا

﴿أحقا ماتت الشهامة والمروءة والغيرة؟﴾

أقول: كلا طالما فينا كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- وهما منهج الفلاح ودليل الهداية وسراج الأمة لإخراجها من الظلمات إلى النور عودا إلى كتاب ربكم وسنة نبيكم فالعود أحمد، فالخير باق ما بقيت الأمة إلى قيام الساعة.

﴿مجالات الشهامة والنجدة:﴾

عباد الله: الأمة تحتاج إلى بعث للروح وبعث للأخلاق التي هي صمام الأمن والأمان وسبيل التقدم والرخاء ودستور المحبة والوفاء وإيكم أيها الكرام بعض مجالات الشهامة والنجدة.

﴿المجال الأول الشهامة في نصرة المظلوم وأخذ الحق من ظالمهم﴾

أحباب رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أول مجال من مجالات الشهامة نصر الضعفاء والمظلومين فكم وكم نرى من مظلومين قد تجاوز الظلم مداه فهاهم في بورما يحرقون ويذبحون يستغيثون ولا مغيث ويستجيرون ولا مجير حالهم مع الأمة كما قال الشاعر:

والمستجير بعمرو عند كرتة كالمستجير من الرمضاء بالنار

وانظر إلى حرائر الشام كم من امرأة انتهك شرفها وكم من أم أو طفل أو شيخ مات تحت البراميل التي تمطر عليهم من السماء تفرقوا في البلاد لا ناصر ولا معين تحكي لك عيونهن الماسي الأهوال كما قال الشاعر:

فإلى متى يبقى فؤادك قاسياً وإلى متى تبقى بغير شعور

هلا قرأت ملامح الأم التي ذبلت محاسن وجهها المذعور

هلا استمعت إلى بكاء صغيرها وإلى أنين فؤادها المفطور

هلا نظرت إلى دموع عفافها وإلى جناح إبنائها المكسور



أمة الإسلام: لقد دعاكم النبي الهمام - صلى الله عليه وسلم - إلى الشهامة والنجدة وإغاثة المظلومين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أخبره: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). (٤٣)

عن أنس -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا قَالَ «تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ» (٤٤)

(تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ): تمنعه من الظلم.

📌 الواقع التطبيقي:

وهذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أشجع الناس؛ يسبق الناس إلى الخطر ليتبين الحدث ويرجع فيطمئن الناس فعن أنس - رضي الله عنه - قال: كَانَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - أَحْسَنَ النَّاسِ وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَرَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً فَخَرَجُوا نَحْوَ الصَّوْتِ فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - وَقَدْ اسْتَبْرَأَ الْخَبَرَ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرِيٍّ وَفِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا ثُمَّ قَالَ وَجَدْنَاهُ بَحْرًا، أَوْ قَالَ إِنَّهُ لَبَحْرٌ (٤٥)

📌 النبي صلى الله عليه وسلم يغزو بني قينقاع من أجل إغاثة امرأة:

عن أبي عون قال: كان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوقهم، وجلست إلى صائغ بها. فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فلم تفعل. فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا، فصاحت. فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهودياً فشدت اليهود على المسلم فقتلوه فأغضب المسلمون ووقع الشر. (٤٦)

قام رسول الله والمسلمين بحصار اليهود ١٥ ليلة حتى وافقه على حكمه وحاول أحد المنافقين التوسط فغضب الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأجلاهم عن المدينة.

٤٣ - أخرجه البخاري (٢٤٤٢) و (٦٩٥١)، ومسلم (٢٥٨٠)، وأبو داود (٤٨٩٣)، والترمذي (١٤٢٦)

٤٤ - رواه البخاري ٥ / ٧٠ في المظالم، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، وفي الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه، والترمذي رقم (٢٢٥٦) في الفتن، باب رقم (٦٨).

٤٥ - أخرجه الطيالسي (٢٠٢٥)، وعبد بن حميد (١٣٤١)، والبخاري في "الصحيح" (٢٨٢٠) و (٢٨٦٦) و (٢٩٠٨) و (٣٠٤٠) و (٦٠٣٣)، وفي "الأدب المفرد" (٣٠٣)، ومسلم (٢٣٠٧) (٤٨)،

٤٦ - السيرة النبوية ٤٨/٢.

المعتصم يحيش جيشاً من أجل امرأة:

أمير المؤمنين، المعتصم أخو المأمون وابن هارون الرشيد والمعتصم هو الخليفة العسكري يقول أهل التاريخ: لم يكن أقوى منه جسماً، قالت المرأة: وامعتصماه! فتضاحك الروم، وقالوا: انتظري للمعتصم حتى يأتي على فرسه الأبلق لينصرك في هذا المكان، بيننا وبين المعتصم ما يقارب ألف ميل، فذهب هذا الأعرجي من السوق إلى بغداد ودخل، قال: أريد الإذن من أمير المؤمنين، قال الحرس: ماذا تريد؟ قال: أمرٌ خطيرٌ، فأدخلوه، ومثل أمامه، قال: يا أمير المؤمنين! كنت يوم كذا وكذا في سوق عمورية، فضربت امرأة مسلمة بين الكفار، فصرخت باسمك من عمورية تقول: وا معتصماه! فتضاحكوا، وقالوا: انتظريه على فرسه الأبلق لينصرك، فوثب من على الكرسي، وثبة معناها أن يقف له التاريخ، قال: والذي لا إله إلا هو لا يصل رأسي ماءً من جنابة حتى أنصرها بإذن الله، القتال القتال، أعلنوا في الأقاليم من يستطيع حمل السلاح ويتخلف فإن عقوبته الإعدام، وجهاز جيشاً عرمرماً عداؤه تسعون ألفاً، وجعل إمامه في الصلاة أبا يوسف القاضي الحنفي العالم، وبدأ الاستغفار والتوبة والعودة إلى الله، ثم مضى بالجيش، ولما وصل حدود الروم بدأ يحرقها مدينة مدينة، أول مدينة وصل إليها بدأت النيران تشتعل في الروم، ثم قال: أين عمورية؟ قالوا: يا أمير المؤمنين! في الشمال، قال: يأتيها حسابها.

لما رأت أختها بالأمس قد خربت كان الخراب لها أعدى من الحرب يقول أبو تمام: كل مدينة تغار من الأخرى، يقول: فالخراب يسعى فيها أعدى من الحرب في الغنم، ووصل إليها هناك، قال: هذه عمورية؟ قالوا: نعم، قال: الله أكبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين، قالوا: نفاوضك على الصلح، قال: حتى أرى حريقاً في المدينة، لا صلح حتى أرى الحصون تحترق، وبدأت الحصون تحترق، وأتى فارس الروم، فقال: من يبارز؟ قال المعتصم: أنا أبارزك، فترل المعتصم، فلما برز، قام المعتصم -من الشجاعة- فخلع الدرع من على صدره وقد كان من أشجع الناس، فالتقى بالرومي، فضربه الرومي، فنشب سيف الرومي في درع المعتصم فأخذ المعتصم سيفه، فضرب الرومي، فقسمه نصفين، ثم بدأت المعركة، فسحقهم سحقاً عظيماً، فلما دخلها قال: لن أخرج من المدينة حتى يأتي الرجل الذي ضرب المرأة، فاجتمعوا وقالوا: هذا هو الجرم، فأتوا به، قال: أين المرأة؟ فأتوا بالمرأة، قال: يا أمة الله! أنا المعتصم، وهذا هو الرجل الذي لطمك، فهو عبدٌ لك إن شئت أعتقته لوجه الله يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، وإن شئت فهو مولى لك، قالت: قد أعتقته يا أمير المؤمنين! (خطب عائض القرني).

رب وامعتصماه انطلقت



ملء أفواه الصبايا اليتيم

لامست أسماعهم لكنها

لم تلامس نخوة المعتصم

المجال الثاني الشهامة في إعانة المحتاجين:

ومن مجالات الشهامة والنجدة والغوث إعانة المحتاجين ومن أروع تلك الصور مشهد كليم الله موسى - عليه السلام الذي يصوره لنا القرآن قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

قال الحجازي: (فثار موسى، وتحركت فيه عوامل الشهامة والرجولة، وسقى لهما، وأدلى بدلوه بين دلاء الرجال حتى شربت ماشيتهما)

ومن مشاهد الشهامة مد يد العون للمحتاجين والمعوزين يذكر لنا النبي - مشهدا رائع في ذلك الباب عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ " ذَكَرَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسَلِّفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: اثْنَيْنِ بِشَهْدَاءَ أَشْهَدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، فَقَالَ: اثْنَيْنِ بِكَفِيلٍ، فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، قَالَ: فَدَفَعَهَا إِلَيَّ أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ التَّمَسَ مَرْكَبًا يَقْدُمُ عَلَيْهِ لِأَجَلِهِ الَّذِي أَجَّلَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا فَأَدْخَلَ فِيهَا الدَّنَانِيرَ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهَا ثُمَّ سَدَّ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا الْبَحْرَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي تَسَلَّفْتُ فَلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ فَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، ثُمَّ سَأَلَنِي كَفِيلًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، وَإِنِّي قَدْ جَهِدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ بِالَّذِي لَهُ، فَلَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَطْلُبُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ رَجَاءً أَنْ يَكُونَ قَدْ جَاءَ مَالُهُ فَإِذَا تِلْكَ الْخَشَبَةُ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ وَالصَّحِيفَةُ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطْبًا فَلَمَّا كَسَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ، وَقَدِمَ الَّذِي كَانَ تَسَلَّفَ مِنْهُ، فَأَتَاهُ بِالْأَلْفِ دِينَارٍ، وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِأَتِيكَ بِمَالِكَ فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بُعِثَ فِيهِ فِي الْخَشَبَةِ فَانْصَرَفَ بِالْفِكَ رَاشِدًا " « (٤٥٧)

لقد ربي الإسلام أهله على مكارم الأخلاق فكانوا قمما سامقة، وضربوا أروع الأمثلة في الإيثار والتضحية والشهامة، ومن هذه الأمثلة الرائعة ما ورد عن حذيفة العدوي قال: "انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي، ومعني شيء من ماء وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته، ومسحت به وجهه، فإذا أنا به فقلت: أسقيك؟ فأشار إلي أن نعم، فإذا رجل يقول: آه. فأشار ابن عمي إلي أن انطلق به إليه. فجئته فإذا هو هشام بن العاص. فقلت: أسقيك؟ فسمع به آخر فقال: آه. فأشار هشام انطلق به إليه. فجئته، فإذا هو قد مات فرجعت إلى هشام، فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات. رحمة الله عليهم أجمعين". (٤٥٨)

أقول قولي هذا، وأسأل الله سبحانه أن يمن علينا بالاستجابة له ولرسوله، وبالثبات على ما يرضيه إلى أن نلقاه تعالى، وأن يغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات، إنه غفور رحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين وصلوات الله وسلامه على خاتم المرسلين أحمدته سبحانه وأتوب إليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحابه إلى يوم الدين.

المجال الثالث الشهامة في إغاثة النكوبين

إخوة الإيمان: المجال الثالث من مجالات الشهامة إغاثة النكوبين وتقديم المساعدات المادية والمعنوية لهم. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ يَسِّرْ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ،» (٤٥٩) ووجه الدلالة من الأحاديث السابقة: هو أن من واجب المسلم على المسلم أن يغيثه ويعينه ويفرج الكرب عنه ويمشي في حاجته لأن الأصل في العلاقة بين المسلمين هي المودة والرحمة والعطف.

٤٥٨ - إحياء علوم الدين للغزالي ج ٣ ص ٢٤٢، ط الدار البيضاء.

٤٥٩ - أخرجه أحمد ٢/٢٥٢، ومسلم "٢٦٩٩"



عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)) (٤٦٠)

فما أغلاها من فرصة، وما أعلاها من درجة، وما أسعده من اصطفاه الله لمنفعة الناس ببشارة نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم -: وما أنهأهم من بين أهل المواقف، وما أربح سعيهم في ذلك اليوم عَنْ أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُظِلَّهُ اللَّهُ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، فَلْيُسِّرْ عَلَى مُعْسِرٍ أَوْ لِيَضَعْ عَنْهُ» (٤٦١)

وما أروع الحسن البصري رحمه الله، يوم أن قال: " لأن أقضي حاجة لأخي أحب إلي من عبادة سنة".

ولم أر كالمعروف أما مذاقه فحلو وأما وجهه فجميل

وقال جعفر الصادق -رحمه الله-: " إن الله خلق خلقاً من رحمته برحمته، وهم الذين يقضون حوائج الناس، فمن استطاع منكم أن يكون منهم فليكن".

📌 الواقع التطبيقي:

ها هو عمر -رضي الله عنه - يضرب أروع الأمثلة في إغاثة المنكوبين في عام الرمادة. روى ابن كثير في "تاريخه": أنَّ عمر -رضي الله عنه- عَسَّ ذات ليلة عام الرَّمَادَةِ، وقد بلغ بالناس الجُهِدُ كُلَّ مَبْلَغٍ، فلم يَسْمَعْ أحداً يَضْحَكُ، ولم يَسْمَعْ متحدِّثاً في منزله، ولم يَرِ سائلاً، فتعَجَّبَ وسأل، فقليل: "يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: قد سألوا فلم يجدوا، فقطعوا السؤال، فهم في همٍّ وضيق، لا يتحدَّثون ولا يضحكون." أمَّا حال عمر -رضي الله عنه- مع تلك المجاعة، فلا تسلُّ عن حاله؛ تغيَّرت عليه الدنيا، وأظلمت عليه المدينة، طال كمدُّه، وتغيَّرَ لونه، وذبل جسمُه، وحمل هُمًّا لا تتحمّله الجبال الرواسي. كان -رضي الله عنه- أكثرَ الناس إحساساً بهذا البلاء، وتحملاً لتبعاته، فكان لا ينام إلا غُبًّا، ولا يأكل إلا تقوَّتًا، ولا يلبس إلا خَشِينًا.

٤٦٠ - مسند أحمد ط الرسالة (٣٠٠/٣٢٣) وأخرجه مسلم (٢٥٨٦)

٤٦١ - أخرجه الطبراني (٣٠٤/١)، رقم (٨٩٩) قال الهيثمي (١٣٤/٤)

عاش كما يعيش الناس، تنفس همومهم وغمومهم، وذاق حاجتهم وفاقتهم، بل كان أول من جاع وآخر من شبع، ما قرب امرأة من نسائه زمن الرمادة، حتى أحيا الناس من شدة الهم.

قال عنه خادمه أسلم: "كنا نقول: لو لم يرفع الله تعالى المحل عام الرمادة، لظننا أن عمر يموت هماً بأمر المسلمين."

كَتَبَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَامَ الرَّمَادَةِ: " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْعَاصِيِّ ابْنِ الْعَاصِ، سَلَامٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ، أَفْتَرَانِي هَالِكًا وَمَنْ قَبْلِي وَتَعِيشُ أَنْتَ وَمَنْ قَبْلَكَ ؟ فَيَا غَوَاثَهُ، ثَلَاثًا قَالَ: فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، لِعَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، سَلَامٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَّا بَعْدُ، أَتَاكَ الْغَوَاثُ، فَلَبِثَ لَبِثٌ، لَأُبَعِثَنَّ إِلَيْكَ بَعِيرٌ أَوْلَاهَا عِنْدَكَ وَآخِرُهَا عِنْدِي، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمَ أَوَّلُ الطَّعَامِ كَلَّمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ فَقَالَ لَهُ: تَعْتَرِضُ لِلْبَعِيرِ فْتُمِيلُهَا إِلَى أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَتَقْسِمُهَا بَيْنَهُمْ، فَوَاللَّهِ لَعَلَّكَ أَلَا تَكُونُ أَصَبْتَ بَعْدَ صُحْبَتِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنْهُ. قَالَ: فَأَبَى الزُّبَيْرُ وَاعْتَلَّ، قَالَ: وَأَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ عُمَرُ: لَكِنْ هَذَا لَا يَأْبَى فَكَلَّمَهُ عُمَرُ فَفَعَلَ وَخَرَجَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَمَّا مَا لَقِيتَ مِنَ الطَّعَامِ فَمِلْ بِهِ إِلَى أَهْلِ الْبَادِيَةِ، فَأَمَّا الظُّرُوفُ فَاجْعَلْهَا لِحُفَا يَلْبَسُونَهَا، وَأَمَّا الْإِبِلُ فَانْحَرِهَا لَهُمْ يَأْكُلُونَ مِنْ لُحُومِهَا وَيَحْمِلُونَ مِنْ وَدَكِهَا، وَلَا تَنْتَظِرُ أَنْ يَقُولُوا: نَنْتَظِرُ بِهَا الْحَيَا، وَأَمَّا الدَّقِيقُ فَيَصْطَنَعُونَ وَيُحْرِزُونَ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ لَهُمْ بِالْفَرَجِ، وَكَانَ عُمَرُ يَصْنَعُ الطَّعَامَ وَيُنَادِي مُنَادِيَهُ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ طَعَامًا فَيَأْكُلَ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَأْخُذَ مَا يَكْفِيهِ وَأَهْلُهُ فَلْيَأْتِ فَلْيَأْخُذْهُ " (٤٦٢)

فهل يعجزك يا طالب الحسنات؛ أن تعين محتاجًا. أو تغيث ملهوفًا؟!

هل يعجزك أن تمسح دمعة محزون بلقمة أو ثوب تقدمهما له؟!

أخي: أما سمعت بقصة ذلك الرجل؛ الذي كان يخفف ويتجاوز عمن اقترض منه؟!

أتدري كيف كانت نهاية قصته؟! فلتسمع القصة من أصدق صادق!

فمن فرج، فرج الله عنه

ومن يسر، يسر الله له



ومن أغاث ملهوها أغاثه الله تعالى

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنْ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، وَكَانَ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ: خُذْ مَا تَيْسَّرَ، وَاتْرُكْ مَا عَسَرَ وَتَجَاوَزْ، لَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَلَمَّا هَلَكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ قَالَ: لَا. إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِي غُلَامٌ وَكُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا بَعَثْتُهُ لِيَتَقَاضَى قُلْتُ لَهُ: خُذْ مَا تَيْسَّرَ، وَاتْرُكْ مَا عَسَرَ، وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزَ عَنَّا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ " (٤٦٣).

العنصر الثالث: ثمرات الشهامة:

اعلموا عباد الله أن للشهامة ثمرات أحلى من الشهد وأطيب من المسك وأجمل من الورد وأنفس من الدر واليكم بعضها منها

﴿أولاً: النجاة من الشدائد: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: " أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءَ، فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ: وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَتَزَوَّدُهُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجَاهُ الْوَحْيُ، وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءَ، وَجَاءَ الْمَلَكُ فِيهِ، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَقُلْتُ: " إِنِّي لَسْتُ بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أُرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّانِيَةَ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أُرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَعَطَّنِي الثَّلَاثَةَ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أُرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: ١] حَتَّى بَلَغَ ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ٥] فَرَجَعَ تَرَجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَرَمَلُوهُ، حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ «يَا خَدِيجَةُ مَا لِي؟» وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ وَقَالَ: " قَدْ خَشِيتُ عَلَيَّ قَالَتْ: كَلَّا، أَبَشِرْ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلَ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكُلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ " (٤٦٤).

﴿ثانياً: الإعانة الربانية عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أخبره: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ،

٤٦٣ - مسند أحمد ط الرسالة (٤ / ١٤٥) وأخرجه النسائي ٣١٨/٧، وابن حبان (٥٠٤٣)، والحاكم ٢٧/٢-٢٨، والبيهقي

في "الشعب" (١١٢٤٤) و (١١٢٤٥)

٤٦٤ - أخرجه أحمد ٢٣٢-٢٣٣، والبحاري "٤٩٥٦" في التفسير، و"٦٩٨٢" في التعبير، ومسلم "١٦٠" "٢٥٣" في

الإيمان: باب بدء الوحي برسول الله

وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. (٤٦٥)

📌 ثالثاً: النجاة يوم القيامة وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ،
الدعاء...

٤٦٥ - أخرجه البخاري (٢٤٤٢) و (٦٩٥١)، ومسلم (٢٥٨٠)، وأبو داود (٤٨٩٣)، والترمذي (١٤٢٦)



الكرم ومجالاته في الإسلام^(٤٦٦)

الخطبة الأولى

الحمد لله الحكيم الرؤوف الرحيم الذي لا تخيب لديه الآمال، يعلم ما أضمر العبد من السر وما أخفى منه ما لم يخطر ببال، ويسمع همس الأصوات وحس دهرس الخطوات في وعس الرمال، وير حركة الذر في جانب البر وما درج في البحر عند تلاطم الأمواج وتراكم الأهوال، أفلا يستحي العبد الحقير من مبارزة الملك الكبير بقبح الأفعال

وأشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير
وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحببيه
ثم أما بعد:

أمة الإسلام: حديثنا في اليوم عن صفة من صفات الله - تعالى - وعن خلق من أخلاق الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - والأولياء.

إن ذلكم الخلق يؤلف بين أبناء الأمة ويجعل منها جسدا واحدا إذا اشتكى من عضو تداعى له سائر الجسد بالحمل والسهر، إن منبع ذلك الخلق هو إرادة وجه الكريم - جل جلاله - إنه خلق الكرم الذي تفرع وتشعب في جميع شعب الإيمان وفي شتى مناحي الحياة.
فما هو الكرم؟ وما هي فضائله؟ وما هي مجالاته؟ وما هي ثمراته؟
أعبروني القلوب والأسماع:

تعريف الكرم:

إخوة الإسلام: لقد عرف العلماء الكرم بتعريفات متعددة بعضها قاصر لجانب من الجوانب وبعضها عام نذكر لك أجملها وأوضحها:

قال ابن مسكويه: الكرم إنفاق المال الكثير بسهولة من النفس في الأمور الجليلة القدر، الكثيرة النفع.
وقيل: هو التبرع بالمعروف قبل السؤال، والإطعام في المحل، والرأفة بالسائل مع بذل النائل.
وأقول الكرم هو البذل والسخاء بالنفس والوقت والمال والجاه في جميع الأحوال.

فضل الكرم والكرماء:

أيها الموحدون الأطهار: إن للكرم فضل عظيم ومثلة عليية في الشريعة الإسلامية وقد رفع الإسلام قدر الكرم والكرماء.

وهيا لتتعرف على ذلك من خلال الآيات البيّنات والحجج القاطعات والبراهين الساطعات.

﴿الكرم من صفات الله تعالى:﴾

اعلموا عباد الله - زادي الله وإياكم علما وفهم -: أن الكرم صفة ذاتية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة فمن أسمائه تعالى الكريم تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]. وقوله: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر: ١٥]. وقوله: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ٣].

فالله (الكريم: الجواد، الكريم: العزيز، والكريم: الصّفوح. هذه ثلاثة أوجه للكريم في كلام العرب، كلها جائز وصف الله عز وجل بها، فإذا أريد بالكريم الجواد أو الصّفوح؛ تعلق بالمفعول به؛ لأنه لا بدّ من مُتكرم عليه ومصفوح عنه.

وتأملوا كرم الكريم - جل جلاله - قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَنْثِيًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

والكرم من صفات الرب سبحانه وتعالى، "عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ «إِنَّ اللَّهَ حَيُّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ» (٤٦٧) ومن كرمه أن فوقك إلى الطاعة وهداك إلى الصراط المستقيم ويشيك على الحياة الطيبة في الدنيا والجنة في الآخرة

ومن كرمه أن جعل الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وجعل السيئة بواحدة ويعفو سبحانه يا غني يا كريم ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

﴿الكرم من صفات الأنبياء:﴾

٤٦٧ - أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات ٣٥٥٦ - (صحيح) انظر حديث رقم: ١٧٥٧ في صحيح الجامع



والكرم أيها الكرماء صفة من صفات الأنبياء والمرسلين فهم صفوة خلق الله تعالى وقد اتصفوا بمعالي الأمور وإليكم بعض مشاهد الكرم في حياة الأنبياء.

﴿كرم خليل الرحمن إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - :﴾

اعلم أن أول من ضيف الضيفان خليل الرحمن - عليه الصلاة والسلام - وهو الأب الثالث، وعامود العالم، وأبو الآباء، وإمام الحنفاء الذي اتخذ الله خليلاً، وجعل في ذريته النبوة، والكتاب، وهو شيخ الأنبياء كما سماه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك.

هو - صلى الله عليه وسلم - أول من ضيف الضيف، وأول من سمي أبا الضيفان.

قال الغزالي في الإحياء: كان إبراهيم الخليل عليه السلام إذا أراد الأكل خرج ميلاً، أو ميلين يلتمس من يأكل معه فبصدق نيته دامت ضيافته في مشهده إلى يومنا هذا، وهو أول من بنى دار الضيافة، وجعل لها بابين كما أخرجه العسكري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن الله وسع على خليله في المال، والخدم فاتخذ بيتاً للضيافة له بابان؛ يدخل الغريب من أحدهما ويخرج من الآخر وجعل في ذلك البيت كسوة الشتاء والصيف، ومائدة منصوبة عليها طعام فيأكل الضيف ويلبس إن كان عرياناً.

وقد أثنى الله تعالى عليه في كتابه العزيز في إكرام ضيفه من الملائكة حيث يقول سبحانه: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿كرم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :﴾

أحباب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أما عن كرم أكرم الخلق إلى الخالق - صلى الله عليه وسلم - فالحديث يطول ولكننا نأخذ قطر من بحر جوده وكرمه.

عن ابن شهاب، قال: "غَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ الْفَتْحِ، فَتَحَ مَكَّةَ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاقْتَتَلُوا بِحُنَيْنٍ، فَنَصَرَ اللَّهُ دِينَهُ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِائَةَ مِنَ النَّعَمِ ثُمَّ مِائَةَ ثُمَّ مِائَةَ" قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ صَفْوَانَ قَالَ: "وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرَحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ" (٤٦٨).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: أَتَيْتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَقَالَ: «اُنْثُرُوهُ فِي الْمَسْجِدِ» وَكَانَ أَكْثَرَ مَالٍ أَتَيْتُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

٤٦٨ - رواه مسلم رقم (٢٣١٣) في الفضائل، باب ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال: لا، والترمذي رقم (٦٦٣) في الزكاة، باب ما جاء في إعطاء المؤلف قلوبهم.

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الصَّلَاةِ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ جَاءَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ، فَمَا كَانَ يَرَى أَحَدًا إِلَّا أَعْطَاهُ، إِذْ جَاءَهُ الْعَبَّاسُ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَعْطِنِي، فَإِنِّي فَادَيْتُ نَفْسِي وَفَادَيْتُ عَقِيلًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُذْ» فَحَثَا فِي ثَوْبِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ يُقَالُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْمُرْ بَعْضَهُمْ يَرْفَعُهُ إِلَيَّ، قَالَ: «لَا» قَالَ: فَارْفَعُهُ أَنْتَ عَلَيَّ، قَالَ: «لَا» فَنَشَرَ مِنْهُ، ثُمَّ ذَهَبَ يُقَالُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْمُرْ بَعْضَهُمْ يَرْفَعُهُ عَلَيَّ، قَالَ: «لَا» قَالَ: فَارْفَعُهُ أَنْتَ عَلَيَّ، قَالَ: «لَا» فَنَشَرَ مِنْهُ، ثُمَّ احْتَمَلَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى كَاهِلِهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ، فَمَا زَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُتْبِعُهُ بَصَرُهُ حَتَّى خَفِيَ عَلَيْنَا - عَجَبًا مِنْ حِرْصِهِ - فَمَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَمَّ مِنْهَا دِرْهَمٌ (٤٦٩).

قال ابن رجب - رحمه الله -: "كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يعطي عطاءً يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر".

مجالات السخاء:

إخوة الإسلام: اعلّموا أن الكرم والسخاء ليسا مقتصرين على بذل المال فحسب، بل مفهوما أوسع، وصورهما أعم وأشمل، ومن صورهما العديدة ما يلي:

المجال الأول: الكرم بالنفس وبذاتها في سبيل الحق:

أعلى مجالات الكرم أن يجود المسلم بنفسه لله تعالى يقول الله - جل في علاه - ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]. جاء في سبب نزول هذه الآية أن محمداً بن كعب القرظي قال: لما بايعت الأنصار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفساً قال عبدالله بن رواحة يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم. قالوا فإذا فعلنا ذلك فماذا لنا؟ قال: الجنة. قالوا ربح البيع لا نقيلاً ولا نستقيلاً؛ فترلت هذه الآية.

يجود بالنفس إذ ضن البخل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

• ومن أروع صور الكرم والجود بالنفس كرم خليل الرحمن بنفسه لما ألقى في النيران وكرمه لما قدم ولده للذبح امتثالاً لأمر الله.



• وكرم وجود إسماعيل عليه السلام لما أخبره خليل الرحمن بأنه يذبحه ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * لَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصفافات: ١٠٢-١٠٧].

• كرم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنفسه وتمنيه الشهادة في سبيل الله، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اُتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانٌ بِي وَتَصَدِيقٌ بِرُسُلِي، أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، أَوْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَلَوْ لَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوْ دِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُقْتَلُ» (٤٧٠)

يقول عبد الله بن الزبير: "إنا لا نموت حباً أي: تخمة، إنا نموت تحت صقع السيوف وضرب الرماح"

الجمال الثاني: إكرام الضيف

اعلموا - علمني الله وإياكم - أن من مجالات الكرم التي حثنا عليها الإسلام ونبينا - صلى الله عليه وسلم - إكرام الضيف فإن ذلك من علامات الإيمان الإيمان عن أبي شريح الكعبي، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ثَلَاثًا "، قَالُوا: وَمَنْ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " الْجَارُ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بِوَائِقِهِ "، قَالُوا: وَمَا بِوَائِقِهِ، قَالَ: " شَرُّهُ " (٤٧١).

عن أبي هريرة، قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ بَعْضُ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيَّ أُخْرَى فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ: " مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ " فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا، إِلَّا قُوتُ صَبْيَانِي، قَالَ: فَعَلَّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَضِئِي * السِّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ قَوْمِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "لَقَدْ عَجَبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا اللَّيْلَةَ. (٤٧٢)"

٤٧٠ - أخرجه البخاري في: ٢ كتاب الإيمان: ٢٦ باب الجهاد من الإيمان

٤٧١ - أخرجه أحمد ح ٧٨٦٥ و مسلم ح ٤٦ الطبراني في الكبير ح ٨٢٦٦

٤٧٢ - أخرجه البخاري ٣٧٩٨ في مناقب الأنصار: ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾، وأخرجه

مسلم ٢٠٥٤ في الأشربة: باب إكرام الضيف وفضل إثارة،

يروى لحاتم الطائي أنه قال:

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيًا وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شِيَمَةِ الْعَبْدِ

أما مسكين الدارمي فهو يقول:

طَعَامِي طَعَامُ الضَّيْفِ وَالرَّحْلُ رَحْلُهُ وَلَمْ يَلْهِنِي عَنْهُ غَزَالُ مَقْنَعُ

أحدثه إن الحديث من القرى وتعرف نفسي انه سوف يهجع

قال حكيم بن حزام - رضي الله عنه - : «ما أصبحت صباحا قطّ فرأيت بفنائني طالب حاجة قد ضاق بها ذرعا فقضيتها إلّا كانت من النعم الّتي أحمد الله عليها، ولا أصبحت صباحا لم أر بفنائني طالب حاجة، إلّا كان ذلك من المصائب الّتي أسأل الله - عز وجل - الأجر عليها».

المجال الثالث الكرم ببذل المال:

أخي المسلم الكريم: إن الكريم يصل رحمه، ويحسن إلى أهله، ويواسي المسكين، ويبذل المال لمن طلبه في وجوه البر، وهذه من صفات المؤمنين كما أخبر رب العالمين ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿البقرة: ٢٦١ - ٢٦٣﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿البقرة: ٢٧٣، ٢٧٤﴾

كرم الرسول - صلى الله عليه وسلم - :

عَنْ أَنَسٍ، " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُسْأَلُ شَيْئًا عَلَى الْإِسْلَامِ، إِلَّا أَعْطَاهُ "، قَالَ: فَاتَّاهُ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ، " فَأَمَرَ لَهُ بِشَاءٍ كَثِيرٍ بَيْنَ جَبَلَيْنِ مِنْ شَاءِ الصَّدَقَةِ " . قَالَ: فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: يَا قَوْمِ اسْلُمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً مَا يَخْشَى الْفَاقَةَ (٤٧٣).

وَعَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ: ذَبَحْنَا شَاةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا بَقِيَ مِنْهَا؟ "، فَقُلْتُ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا، فَقَالَ: " بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا " (٤٧٤).



ومعناه: تصدقوا بها إلا كتفها، فقال: بقيت لنا في الآخرة إلا كتفها.

قال بكر بن النطاح:

كَرِيمٌ إِذَا مَا جِئْتَ طَالِبَ فَضْلِهِ حَبَاكَ بِمَا تَحْوِي عَلَيْهِ أَنَامِلُهُ
فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ لَجَادَ بِهَا فَلَيَتَّقِيَ اللَّهَ سَائِلُهُ
وَمَا بَعَثَ فِي الْعَالَمِينَ فَضِيلَةً مِنَ الْمَجْدِ إِلَّا مَجْدُهُ وَفَضَائِلُهُ

يقول سيد قطب عن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]:

"فهم ثابتون على البذل، ماضون على المنهج، لا يغيروهم السراء ولا يغيروهم الضراء، السراء لا تبطريهم فتلهيهم، والضراء لا تضجرهم فتنسيهم، إنما هو الشعور بالواجب في كل حال، والتحرر من الشح والحرص، ومراقبة الله وتقواه، وما يدفع النفس الشحيحة بطبعها، المحبة للمال بفطرتها، ما يدفع النفس إلى الإنفاق في كل حال، إلا دافع أقوى من شهوة المال، وربقة الحرص، وثقله الشح.. دافع التقوى، ذلك الشعور اللطيف العميق، الذي تشف به الروح وتخلص، وتنطلق من القيود والأغلال". (٤٧٥)

المجال الرابع إكرام الأهل الزوجة:

إحوة العقيدة في الأرض الحيدة: ومن مجالات الكرم أن يكرم المرء والديه وزوجته فإن هذا من الكرم الذي أوجبه الله تعالى علينا وحثنا عليه قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الدِّينُ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ٢١٥].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ» (٤٧٦).

قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَارَةُ بْنُ ثَوْبَانَ، أَنَّ أَبَا الطُّفَيْلِ أَخْبَرَهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ بِالْجَعْرَانَةِ يَقْسِمُ لَحْمًا، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ أَحْمِلُ عُضْوَ الْبَعِيرِ، قَالَ: فَأَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ بَدَوِيَّةٌ، فَلَمَّا دَنَتْ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ، فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذِهِ؟، قَالُوا: أُمُّهُ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ (٤٧٧).

٤٧٤ - سنن الترمذي ت شاكر (٤ / ٦٤٤) (٢٤٧٠) صحيح

٤٧٥ - في ظلال القرآن (١ / ٤٧٥)

٤٧٦ - (أخرجه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨).

٤٧٧ - أخرجه أبو يعلى (١٩٥/٢)، رقم (٩٠٠)، وابن عساكر (٢٦ / ١١٥).

إكرام الزوجة: ومن وجوه الكرم أن يكرم المسلم زوجته التي هي أمانة عنده فلا يهينها ولا يشتمها ولا يلعنها بل يكون سهلاً لنا فقد أمر الله - تعالى الرجل بمعاشرة زوجته بالمعروف فقال سبحانه: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

فقد قال ابن كثير في تفسيره: أي طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله، كما قال تعالى: ﴿وَلهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾. انتهى.

عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي " (٤٧٨).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اسْتَوْصُوا بالنساء خيراً، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خَلَقَتْ مِنْ ضَلَعٍ، وَإِنْ أَعْوَجَ مَا فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكَتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بالنساء ". (٤٧٩)

فلا لا يكرم الزوجة إلا كريم ولا يهينها إلا لئيم.

أقول قولي وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين... اللهم لك الحمد على نعمة الإسلام والإيمان ولك الحمد أن جعلتنا من أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام....

أما بعد:

أيها المسلمون:

الجمال الخامس: من الكرم قضاء حوائج الناس:

ومن مجالات الكرم أن يسخر الإنسان نفسه لقضاء حوائج المحتاجين والسعي في قضاء حوائج الناس من الشفاعة الحسنة التي أمرنا الله تعالى بها فقال: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾ سورة النساء.

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ، أَوْ طَلَبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ. قَالَ: اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ. (٤٨٠).

٤٧٨ - رواه الترمذي في المناقب باب فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (٣٨٣٠)

٤٧٩ - أخرجه البخاري (٩/ ٢٥٣ : ٥١٨٦)، كتاب النكاح، باب الوصية بالنساء.



عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "عِنْدَ اللَّهِ خَزَائِنُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، مَفَاتِيحُهَا الرِّجَالُ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَهُ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ، وَمِعْلَاقًا لِلشَّرِّ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَهُ مِفْتَاحًا لِلشَّرِّ، وَمِعْلَاقًا لِلْخَيْرِ". (٤٨١)

قال أبو العتاهية:

اقض الحوائج ما استطعت وكن لهم أخيك فارح

فلخير أيام الفتى يوم قضى فيه الحوائج

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". (٤٨٢)

📌الواقع التطبيقي:

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَتْ الصَّلَاةُ تُقَامُ، فَيُكَلِّمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّجُلَ فِي حَاجَةٍ تَكُونُ لَهُ، فَيَقُومُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ، فَمَا يَزَالُ قَائِمًا يُكَلِّمُهُ، فَرُبَّمَا رَأَيْتُ بَعْضَ الْقَوْمِ لَيَنعَسُ مِنْ طُولِ قِيَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ. (٤٨٣).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ أَكْثَرْنَا ظِلًّا يَوْمَئِذٍ الَّذِي يَسْتَتِلُّ بِكِسَاءٍ، فَأَمَّا الَّذِينَ أَفْطَرُوا فَسَقُوا الرِّكَابَ، وَامْتَهَنُوا، وَعَالَجُوا، وَأَمَّا الَّذِينَ صَامُوا فَلَمْ يُعَالَجُوا شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذَهَبَ الْمُفْطَرُونَ بِالْأَجْرِ هَذَا حَدِيثُ إِسْمَاعِيلَ، وَقَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ فِي حَدِيثِهِ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ مِّنَّا الصَّائِمُ وَمِنَّا الْمُفْطَرُ، فَتَزَلْنَا مَنْزِلًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ، أَكْثَرْنَا ظِلًّا صَاحِبُ الْكِسَاءِ، فَمِنَّا مَنْ يَتَّقِي الشَّمْسَ بِيَدِهِ، قَالَ: فَسَقَطَ الصُّوَامُ، وَقَامَ الْمُفْطَرُونَ فَضَرْبُوا الْأَبْنِيَّةَ وَسَقُوا الرِّكَابَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذَهَبَ الْمُفْطَرُونَ الْيَوْمَ بِالْأَجْرِ. «(٤٨٤)

٤٨٠ - مسند أحمد ط الرسالة (٣٢ / ٤٤٣) وعبد بن حميد (٥٥٦)، والبخاري (٤٨١) و (٢٢٦٠) و (٦٠٢٦)، و

(٦٠٢٧)، والنسائي في "المجتبى" ٧٩/٥ - ٨٠، وفي "الكبرى" (٢٣٤١)

٤٨١ - أخرجه الطبراني (١٥٠/٦)، رقم (٥٨١٢). وأخرجه أيضاً: ابن ماجه (٨٧/١)، رقم (٢٣٨)

٤٨٢ - أخرجه أحمد ٢/٢٥٢، ومسلم "٢٦٩٩"

٤٨٣ - مسند أحمد ط الرسالة (٨٧ / ٢٠) مصنف عبد الرزاق (١٩٣١)، ومن طريقه أخرجه عبد بن حميد (١٢٤٩)،

والترمذي (٥١٨). وانظر (١٢٦٣٣).

٤٨٤ - رواية البخاري رقم (١١١٩) ومسلم رقم (٢٧٣)

قال عبد الله بن عثمان - شيخ البخاري - : " ما سألتني أحدٌ حاجة إلا قمت له بنفسي فإن تم وإلا استعنت له بالسلطان".

ثمرات الكرم:

أولا محبة الله للكرماء: عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله كريم يحب الكرم ومعالي الأخلاق ويغض سفسافها" السنن الكبرى للبيهقي.

ثانيا أن الكرم من دلائل الإيمان: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْمُؤْمِنُ غَيْرُ كَرِيمٍ، وَالْفَاجِرُ حَبٌّ لَيْيَمٌ " « (٤٨٥).

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: «سادات الناس في الدنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء». قال سلمان الفارسي - رضي الله عنه -: «إذا مات السخي، قالت الأرض والحفظة: ربّ تجاوز عن عبدك في الدنيا بسخائه، وإذا مات البخيل قالت: اللهم احجب هذا العبد عن الجنة كما حجب عبادك عما جعلت في يديه من الدنيا».

ثالثا بركة في المال: الكرم بركة للمال عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا " (٤٨٦).

الدعاء.....

٤٨٥ - صحيح سنن أبي داود: ٤٧٩٠

٤٨٦ - أخرجه البخاري "١٤٤٣"، ومسلم "١٠١٠"، والبغوي "١٦٧٥"



الإيجابية من منظور إسلامي (٤٨٧)

الخطبة الأولى

الحمد لله الكريم الجواد... خلق الإنسان من نطفة وجعل له السمع والبصر والفؤاد...
أنزل الغيث مباركاً فأحيا به البلاد... وأخرج به نبات كل شيء رزقاً للعباد...
نحمده تبارك وتعالى حمد الطائعين العباد... ونتوكل عليه توكل المخبتين الزهاد... ونعوذ بنور وجهه
الكريم من الوعيد بسوء المهاد... ونرجوه تحقيق الأمل في الوعد والمعاد... ونسأله النصر في الحياة الدنيا
ويوم يقوم الأشهاد...
وأشهد أن لا إله إلا الله المفضل الهاد... المتره الذات عن الأشباه والأنداد... الفعال لما يريد ولا يقع في
ملكه إلا ما أراد... خلق سبع سموات طباقاً بغير عمد... ومن الأرض مثلهن وأرسي الجبال
كالأوتاد... سبقت كلمته أن من أطاعه عز في الأرض وساد... ومن كفر أمهله وهو له بالمرصاد...
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد الأسياد... سيد الأولين والآخرين من حاضر وباد... خير من
دعا وهدى وبالخير العظيم جاد...
... اللهم صل وسلم وبارك عليه حيث الصلاة عليه لنا خير زاد... ما نادى للصلاة مناد... وكلمنا
ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون إلى يوم التناد...
أما بعد:

كل عام أنتم بخير وجعل الله عامكم هذا خير من عامكم المنصرم وعمره الله تعالى بالطاعات والقربات
والنصر في جميع المجالات

حديثنا في هذا اليوم الأغر عن ﴿الإيجابية من منظور إسلامي﴾ فحي هلا عباد الله لتتعرف على معنى
الإيجابية وعن الإيجابية في القرآن الكريم والسنة المطهر
فيا شباب الحق أيها الباحثون عن السر التقدم والرقى:

يا باحثاً عن سر ما ترقى به الأمم ومفتشاً عن ما به يتحقق الحلم
السر في عزماتنا نحن الشباب ولا تخبو العزائم عندما تعلو بها الهمم
نحن المشاعل في طريق المجد تسبقنا أنوارنا ولوهجها تتقهقر الظلم
نحن النجوم لوامع والليل يعرفنا والكون يعجب من تألقنا ويبتسم
في الروح إصرار وفي أعماقنا أمل لا يعتري خطواتنا يأس ولا سئم

وإذا الحياة مصاعب سنخوضها جلدًا وإذا الجبال طريقها فطموحنا القمم
طاقاتنا قد وجهت للخير وانصهرت أطيافنا في وحدة والشمل ملتئم

✍️ العنصر الأول: تعريف الإيجابية

الإيجابية والسلبية كلمتان شاع استعمالهما في الفترة الأخيرة استعمالاً كثيراً على كافة المستويات فما معناهما ؟

الإيجابية حالة في النفس تجعل صاحبها مهووماً بأمر ما، ويرى أنه مسئول عنه تجاه الآخرين، ولا يألو جهداً في العمل له والسعي من أجله.

والإيجابية تحمل معاني التجاوب، والتفاعل، والعطاء، والشخص الإيجابي: هو الفرد، الحي، المتحرك، المتفاعل مع الوسط الذي يعيش فيه، والسلبية: تحمل معاني التقوقع، والانزواء، والبلادة، والانغلاق، والكسل.

والشخص السلبي: هو الفرد البليد، الذي يدور حول نفسه، لا تتجاوز اهتماماته أرنبة أنفه، ولا يمد يده إلى الآخرين، ولا يخطو إلى الأمام.

والمجتمع السلبي الذي يعيش فيه كل فرد لنفسه على حساب الآخرين مجتمع زائل لا محالة، كما أن المجتمع الإيجابي مجتمع راقٍ عالٍ لا شك.

✍️ الفرق بين السلبي والإيجابي:

إنه الفرق بين الليل والنهار.. الجماد والكائن الحي.. الفرق بين الوجود والعدم. والدليل على هذا قوله تعالى "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" (النحل: ٧٦) لقد سمى الله السلبي في هذه الآية "كَلًّا" والإيجابي بـ "يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ".."كل" أصعب من سلمي. لأن سلمي معناها غير فعال أما كل فمعناها الثقيل الكسول وقبل هذا فهو "أبكم" لا يتكلم ولا يرتفع له صوت.

من هنا نُعرِّف الرجل الإيجابي بأنه رجل لا يهدأ له بال، ولا تنطفئ له جذوة، ولا يكل ولا يمل؛ حتى يحقق هدفه الذي يسعى إليه وغايته المنشودة.

قال الشاعر:

أحزان قلبي لا تزول حتى أبشر بالقبول
وأرى كتابي باليمين وتقر عيني بالرسول



العنصر الثاني: القرآن يدعو إلى الإيجابية وينهى عن السلبية:

أمة الإسلام القرآن الكريم جاء ليغرس الفضائل في نفوس المؤمنين ويشحذ الهمم إلى معالي الأمور وينهى عن السلبية وعن سفاسف الأمور ومن أوضح المظاهر ظاهرة الإيجابية وإيكم أيتها الأحاب أحاب رسول الله بعض تلك المظاهر

* إيجابية التعاون على البر والتقوى: قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ﴾ (المائدة: ٢).

فهو يدعو إلى أن يكون المجتمع مجتمعا مثالي يتعاون الجميع في رقية والنهوض به ولا يكون ذلك إلا بالبر والتقوى

* إيجابية التفاعل الاجتماعي وأن يكون المسلم عضوا فعالا في بيئته فهو يتحسس الفقراء والمساكين ويحنو على اليتامى والأرامل

وهو يصلح بين أفراد المجتمع ويزيل الشحناء والبغضاء

وهو يجود بماله ووقته من اجل ان يعيش غيره في سعادة وهناء

قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء/ ١١٤).

والصلح وفقا للمدرسة الإسلامية في التربية، يعد خيرا يقول تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ (الأنفال: ١).

ومن أقوى المشاعر الإيجابية أن المسلم يتربى على الإيمان بأن المسلمين جميعا إخوانه يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: ١٠).

* ومن مظاهر الإيجابية في القرآن ان يعمل المسلم ولا يكون كلا على غيره فالإسلام يدعونا للنشاط والحيوية وحب العمل يقول تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: ١٠) وفي هذا المعنى الكريم يقول رسولنا العظيم: «لأن يأخذ أحدكم أحبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعهها، فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعوه» (رواه البخاري).

* ومن مظاهر الإيجابية: محاربة الفساد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]

و من أروع مظاهر الإيجابية في حياة خير البرية-صلى الله عليه وسلم- تلك الصورة التي تنقلها لنا السيدة خديجة -رضي الله عنها- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: "أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءَ، فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ: وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَتَزَوَّدُهُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجَاءَهُ الْوَحْيُ، وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءَ، وَجَاءَ الْمَلَكُ فِيهِ، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَقُلْتُ: "إِنِّي لَسْتُ بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّانِيَةَ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَعَطَّنِي الثَّالِثَةَ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] حَتَّى بَلَغَ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥] فَرَجَعَ تَرَجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَرَمَلُوهُ، حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ «يَا خَدِيجَةُ مَا لِي؟» وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ وَقَالَ: "قَدْ خَشِيتُ عَلَيَّ قَالَتْ: كَلَّا، أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ". (٤٨٨)

العنصر الثالث: قصص القرآن عن الإيجابية

أيها المسلم الكريم: بعدما تعرفنا على مفهوم الإيجابية ومشاهد الإيجابية في سنة رسول الله هيا لنعرج على بعض القصص القرآني وهو يقص علينا أحسن القصص في الإيجابية

الإيجابية النملة:

النملة رغم أنها كائن ضعيف لا يأبه به الإنسان إلا أن الملك الديان سمى سورة في القرآن الكريم باسمه وأورد إلينا قصة النملة مع نبي الله سليمان عليه السلام- والهدف من القصة أن يتعلم المسلم والمسلمة درسا عظيما ألا وهو الإيجابية والمشاركة الفاعلة في الأمن وسلامة الآخرين قال الله تعالى: "وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ... " (النمل: ١٧-١٩)

٤٨٨ - أخرجه أحمد ٢٣٢/٦-٢٣٣، والبحاري "٤٩٥٦" في التفسير، و"٦٩٨٢" في التعبير، ومسلم "١٦٠" "٢٥٣" في

الإيمان: باب بدء الوحي برسول الله



فها هو سليمان -عليه السلام- ينطلق بجيشه العرمرم الذي يشمل الإنس والجن والطير وهو يسيرون في صفوف منتظمة وفجأة رات النملة هذا الجيش الجرار فلم يكن حالها كما يقول البعض في المثال (إذا جاءك الطوفان ضع ولدك تحت رجلك)

كلا وإنما وقفت ثابتة لم تخش على نفسها وإنما تذكر أبناء جنسها وأرادت لهم النجاة قبلها ولقد كانت هذه النملة على درجة عالية من البلاغة، استمعوا معي لقولها تجدونه يتضمن التالي:

١- يا أيها النمل: نداء.

٢- ادخلوا: أمر.

٣- لا يحطمنكم: نهي.

٤- سليمان: خصصت.

٥- جنوده: عمت.

٦- وهم لا يشعرون: اعتذرت عنهم، أي عن غير قصد منهم؛ فهذه

ليست أخلاق جيش سليمان، فجيش الحق والخير لا يقتل حتى النمل، والمؤمن لا يؤذي حتى النمل. ولهذا تبسم سليمان من قولها؛ لأنه تضمن إيجابية، والاعتذار عن الجيش. ثم شكر الله على أن وهبه القدرة على سماع ذبذبات صوت النمل.

الإيجابية الهدهد:

ويضرب الله تعالى لنا مثالا آخر في إيجابية الكائنات ويذكر إيجابية ذلك الداعية الذي خرج بعيدا بعيدا يتفقد أحوال الأمم وينظر أخبارهم إنه الهدهد طائر ذكي ولكنه خرج بدون علم أو امر من سليمان عليه السلام

ونبي الله سليمان -عليه السلام- يتصف بصفات الحزم والصرامة في مملكته يقول سبحانه وتعالى: " ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ (النمل: ٢٠-٢١)

وجاء الهدهد الإيجابي، وكان من الممكن أن يكون كأى موظف يلتزم بالوقوف في الطابور وكفى، يثبت حضوره، ويثبت انصرافه، مثل الملايين من الموظفين كل منهم يأكل ويشرب، ويحصل على أجره آخر الشهر، ولو كنت أنت هكذا فالهدهد ليس كذلك. وما حدث أن الهدهد سمع بأن قوماً يعبدون الشمس في اليمن، بمملكة سبأ، فجن جنونه وهو في فلسطين، أي على بعد مسافة كبيرة من اليمن، وسيفوته طابور الجيش، لكن هناك أولويات، وهو ليس موظفاً، بل صاحب رسالة، طار إلى اليمن يتفقدهم، حتى أنه ذهب إلى عرش الملكة وعاد بالأخبار، ليصبح سبباً في هداية أمة.

فور عودة الهدهد، أخبرته الطيور بعقاب سيدنا سليمان -عليه السلام-، فمكث غير بعيد عن سليمان؛ لأن الإيجابية تزرع الشجاعة، وثقة بالنفس.

" فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيَّ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ " (النمل: ٢٢-٢٦)

فالهدهد بعدما رأى عرش الملكة وحد الله رب العرش العظيم، وهذا موضع سجدة في القرآن، فانظروا لإيجابيته وهو مجرد هدهد! فعار علينا نحن المسلمين أن نكون سلبيين. كن مركز إيجابية في مؤسستك، في ناديك، في كل مكان، قم بالإصلاح، وإياك والتعلل بالظروف، وأنه لا فائدة، بل استخدم الإمكانيات في قهر المؤثرات.

العنصر الرابع: قصص الإيجابية في تاريخ الأمة الإسلامية

إيجابية عمر عام الرمادة:

جاء لعمر بن الخطاب في عام الرمادة بجنز مفتوت بسمن فدعا رجلاً بدويًا ليأكل معه، فجعل البدوي يتبع باللحمة الودك في جانب الصفحة، فقال له عمر: كأنك مقفر من الودك، فقال البدوي: أجل، ما أكلت سمناً ولا زيتاً، ولا رأيت أكلًا له منذ كذا وكذا إلى اليوم، فحلف عمر لا يذوق لحماً ولا سمناً حتى يحيا الناس، ولقد أجمع الرواة جميعاً أن عمر كان صارماً في الوفاء بهذا القسم، ومن ذلك، أنه لما قدمت إلى السوق عكة سمن ووطب من لبن، فاشتراهما غلام لعمر بأربعين درهماً ثم أتى عمر فقال: يا أمير المؤمنين قد أبر الله يمينك وعظم أجرك، وقدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن ابتعتهما بأربعين درهماً، فقال عمر: أغليت فتصدق بهما، فإني أكره أن أكل إسرافاً.

ثم أردف قائلاً: كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسي ما مسهم. فهذه جملة واحدة في كلمات مضيئة، يوضح فيها الفاروق مبدأ من أروع المبادئ الكبرى التي يمكن أن تعرفها الإنسانية في فن الحكم: كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسي ما مسهم. وقد تأثر عمر في عام الرمادة حتى تغير لونه فعن عياض بن خليفة قال: رأيت عمر عام الرمادة وهو أسود اللون، ولقد كان رجلاً عربياً يأكل السمن واللبن فلما أحل الناس حرمهما، فأكل الزيت حتى غير لونه وجاع فأكثر، وعن أسلم قال: كنا نقول: لو لم يرفع الله تعالى المحل عام الرمادة لظننا أن عمر يموت هماً بأمر المسلمين، وكان يصوم الدهر، فكان عام الرمادة، إذا أمسى أتى بجنز قد ثرد بالزيت إلى أن نحر يوماً من الأيام جزوراً، فأطعمها الناس، وعرفوا له



طبيها، فأتي به، فإذا قدر من سنام ومن كبـد، فقال: أئى هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين من الجزور التي نحرنا اليوم. قال: بخ بخ بئس الوالي أنا إن أكلت طبيها وأطعمت الناس كراديسها، ارفع هذه الصحيفة هات لنا غير هذا الطعام. فأتي بخبز وزيت، فجعل يكسر بيده ويثرد ذلك بالزيت، ثم قال: ويحك يا يرفأ، احمل هذه الجفنة حتى تأتي بها أهل بيت بئمغ -اسم مكان- فإني لم آتكم منذ ثلاثة أيام وأحسبهم مقفرين، فضعها بين أيديهم. (٤٨٩)

الإيجابية مثمرة:

في حقبة الثلاثينات ألتحق طالب جديد بكلية الزراعة في إحدى جامعات مصر، وعندما حان وقت الصلاة بحث عن مكان ليصلي

فيه فأخبروه أنه لا يوجد مكان في الكلية للصلاة فيه؛ غير غرفة صغيرة (في القبو) تحت الأرض..

ذهب الطالب وهو في قمة الذهول والاستغراب من الناس في الكلية لعدم اهتمامهم بموضوع الصلاة..

وتساءل ترى هل هم يصلون أم لا ؟!

المهم دخل الغرفة فوجد فيها حصير قديم وكانت عبارة عن غرفة صغيرة ضيقة وغير مرتبة ولا نظيفة، ووجد فيها عاملا يصلي وحده.

فسأله الطالب: هل تصلي هنا ؟؟

فأجاب العامل: أيوه، محدش بيصلي من الناس اللي فوق ومافيش مكان للصلاة غير هذه الغرفة.

فقال الطالب بكل اعتراض:

أما أنا فلا أصلي في هذا المكان تحت الأرض.

وخرج من القبو إلى الأعلى، وبحث عن أكثر مكان واضح في الكلية وعمل شيء غريب جدا !!! وقف

وأذن للصلاة بأعلى صوته !!

تفاجأ الطلاب بما حدث وأخذوا يضحكون عليه ويشيرون إليه بأيديهم.. ويتهمونه بالدروشة والجنون.

غير أنه لم يبالي بهم، جلس قليلا ثم فحـض وأقام الصلاة وبدأ يصلي وكأنه لا يوجد أحد حوله.

صلي لوحده.. يوم.. يومين.. على نفس الحال من ضحك الطلاب..

ثم بعدها وكأنهم اعتادوا على فعله هذا في كل يوم.. فلم يعد يسمع صوت ضحكاتهم وتندرهم به..

ثم حصل تغيير صغير.. إذ خرج العامل الذي كان يصلي في القبو للصلاة معه جماعة..

ثم أصبحوا أربعة وبعد أسبوع صلي معهم أحد أساتذة الكلية !!

أنتشر الموضوع وكثر الكلام عنه في كل أرجاء الكلية.. حينها أستدعى عميد الكلية هذا الطالب..

وقال له:

لا يجوز هذا الذي يحصل، أنتم تصلون في وسط الكلية!، وبدلاً من ذلك نحن سنبنى لكم مسجد عبارة عن غرفة نظيفة مرتبة يصلي فيها من يشاء في أوقات الصلاة.. وهكذا بني أول مسجد في كلية جامعية. ولم يتوقف الأمر عند ذلك، إذ أن طلاب باقي الكليات أحسوا بالغيرة وقالوا اشمعنا كلية الزراعة عندهم مسجد، فبني مسجد في كل كلية في الجامعة.. ولا يزال هذا الشخص سواء كان حياً أو ميتاً يأخذ إلى اليوم حسنات وثواب كل مسجد بني في جامعات مصر ويذكر فيها اسم الله.. هذا الطالب تصرف بإيجابية في موقف واحد في حياته فكانت النتيجة أعظم من المتوقع.. هذا ما أضافه للحياة..

وهنا يأتي السؤال.. ماذا أضفنا نحن للحياة..؟!

لنكن مؤثرين في أي مكان نتواجد فيه، ولنحاول أن نصحح الأخطاء التي من حولنا.. وأن لا نستحي من الحق.. نرجوا من الله التوفيق والسداد...

العنصر الخامس: أسباب السلبية

أيها الأحاب: لماذا يقع بعض الشباب في السلبية؟ ما هو السبب الذي جرهم إلى ذلك، مع أن المنطلق كان صحيحاً؟ هذا يرجع في الحقيقة إلى عدة أسباب منها:

أولاً: عدم الفهم الصحيح للعقيدة الإسلامية:

كمن يظن أن الإسلام والالتزام هو الانزواء جانباً والجلوس في المساجد وترك العمل وهذا هو الفهم الخاطئ للإسلام فالتدين الصحيح هو الذي يدفع صاحبه للعمل والسعي في الأرض قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة: ٩، ١٠]

ثانياً: اعتقاد الإنسان أن من شروط الإيجابية حصول الكمال:

وهذه شائعة يعلق عليها السلبيون سلبيتهم ويحتجون بأنهم ليسوا من أهل الكمال ليتحركوا ويعملوا وهذا خطأ فتأملوا عباد الله في حال مؤمن آل يس لم يكن نبياً ولا عالماً بل كان شخصاً عادياً وعلى الرغم من ذلك تحرك فخذ الله ذكره في الآخرين قال الله تعالى: " وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ * وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي



فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرَدِّنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونَ * إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ * قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ " (يس: ٢٠-٢٧)

ويأتي رجل ليس بنبي، بل رجل عادي. تخيل معي أخي، لو أن المدينة التي تعيشين فيها بها ثلاثة أنبياء، هل هناك حاجة إليك؟ بالطبع هناك حاجة إليك.

كان من الممكن جدًا ألا يبالي هذا الرجل، ويقول: وما دخلي أنا؟ ولاحظوا أنه جاء من أقصى المدينة، أي ليس من أثرياء البلد، ولا من أصحاب النفوذ، فمن المحتمل أن يقتل ولن يعبئوا به، فلماذا يقدم على دعوة هؤلاء القوم؟

لم يستطع السكوت أو الجلوس في مكانه، بل دعا بكل إصرار وعزيمة، وانظروا معي، من أعلى مقاماً وأعلم وأتقى؟ الرجل أم الأنبياء الثلاثة؟ الأنبياء بالطبع، لكن القرآن ركز على الرجل، لماذا؟ لكي يخبرك بأنك عظيم وغالي عند الله إن كنت إيجابياً، لا تنقص من قدر نفسك أمام الدعاة، بل ادعو إلى الله أنت أيضاً.

ثالثاً: دعوى أن المبادرة، مدعاة للرياء:

هذه حيلة شيطانية، تحول بين الإنسان وبين العمل الصالح. إذا صلحت نيتك الأولى لم يضرك ما قد يقع من ثناء الناس، أو حصول مغنم، بادر في هذا المشروع الطيب، وكن رأساً فيه، فإذا رأيت من هو أولى منك، فكن عوناً له.

قال الفضيل: ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

قال يزيد بن هرون طلبنا العلم لغير الله فأبى إلا أن يكون لله وقد ذكر بعض العلماء: أن من كان يعمل عملاً خفياً، ثم حضر بعض الناس فتركه من أجلهم خشية الرياء، أنه يدخل في الرياء، لأنه يضعف في نفسه أن يخلص النية لله، وفي هذا بعد ومشقة

رابعاً: التربية الرخوة:

ومن أسباب السلبية تربية الجليل على الترهل وعدم الترحل وعلى سلبية فيخرج الولد كلاً لا يستطيع ان يطعم نفسه.

فهو أما نائم أو هائم على وجهه إما شبكات التواصل الاجتماعي فتأملوا كيف كانوا يربون أبنائهم على خشونة العيش ويعدونهم للإيجابية الفعالة

فهذه صفية -رضي الله عنها كانت تضرب الزبير -رضي الله عنه- وهو صغير وتغلظ عليه، فعاتبها نوفل وقال: ما هكذا يضرب الولد، إنك لتضربيينه ضرب مبغضة فرجرت به صفية:

من قال إني أبغضه فقد كذب وإنما أضربه لكي يلب

ويهزم الجيش ويأتي بالسلب ولا يكن لماله خبأ مخب

يأكل في البيت من تمر وحب

يقول - عزَّ شأنه -: **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا**

تَسْلِيمًا [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد الحبيب المصطفى،

والنبي المجتبي، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وارضَ اللهم عن الخلفاء

الأربعة الراشدين: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليٍّ، وعن الصحابة أجمعين، والتابعين ومن تبعهم

بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وجُودك وإحسانك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعزِّ الإسلام والمسلمين، اللهم أعزِّ الإسلام والمسلمين، اللهم أعزِّ الإسلام والمسلمين، وأذِلَّ الشرك

والمشركين، واخذل الطغاة والملاحدة وسائر أعداء الملة والدين.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل اللهم ولايتنا فيمن خافك واتقاك، واتبع

رضاك يا رب العالمين.



الإيثار: الفضيلة الغائبة^(٤٩٠)

الخطبة الأولى

الحمد لله الغفور الذي ستر بستره وأجمل، الشكور الذي عم بيره وأجزل، الرحيم الذي أتم إحسانه على المؤمنين وأكمل، الواحد الأحد القدوس الصمد الأول المنفرد بالعز والكمال فلا ينتقص عزه ولا يتحول، الحي العليم القدير السميع البصير المتكلم بكلام قديم لا يتغير ولا يتبدل، أحمدته على ما أنعم وأكرم وتفضل

وأشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير

وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيب

الذي أوحى إليه الكتاب ونزل، ونهج للمتقين طريق الهداية وسهل

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

ثم أما بعد

أمة الإسلام: نعيش في هذا اليوم الطيب الميمون الأغر مع فضيلة من الفضائل الغائبة عنا في عصر المدينة وفي عصر يسمى بعصر العلم ولكن قد غابت عن سمائه فضيلة من أجل الفضائل التي تكسوا المجتمع بكساء الألفة والمودة والرحمة أتدرون ما هي تلك الفضيلة؟
إنها فضيلة الإيثار.

فمن منا يعرف معنى الإيثار؟

ومن منا يعرف فضله؟ ومن منا يعرف مجالاته؟

هيا أعيروني القلوب والأسماع لنعيش في بستان الإيثار.

العنصر الأول: تعريف الإيثار:

معنى الإيثار اصطلاحاً: (الإيثار أن يقدم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه وهو النهاية في الأخوة). وقال ابن مسكويه: (الإيثار: هو فضيلة للنفس بما يكف الإنسان عن بعض حاجاته التي تخصه حتى يبذله لمن يستحقه)

• وقال بعضهم: الإيثار لا يكون عن اختيار، إنما الإيثار أن تقدم حقوق الخلق أجمع على حقك، ولا تميز في ذلك بين أخ وصاحب ذي معرفة.

العنصر الثاني: فضل الإيثار:

إخوة الإسلام: اعلّموا أن الإيثار خلق إسلامي رفيع دعا إليه ربنا - سبحانه وتعالى - وحث واثني على أهله في غير ما آية من كتابه فقال الله تعالى مادحا أوليائه: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

قال الطبري: يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَهُوَ يَصِفُ الْأَنْصَارَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ. مِنْ قَبْلِ الْمُهَاجِرِينَ: وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ. يَقُولُ: وَيُعْطُونَ الْمُهَاجِرِينَ أَمْوَالَهُمْ إِثَارًا لَهُمْ بِهَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ. يَقُولُ: وَلَوْ كَانَ بِهِمْ حَاجَةٌ وَفَاقَةٌ إِلَى مَا آثَرُوا بِهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ. وقال ابن كثير: أي: يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم، ويدعُونَ بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك.

ويقول ابن تيمية: (وأما الإيثار مع الخصاصة فهو أكمل من مجرد التصدق مع المحبة فإنه ليس كل متصدق محبا مؤثرا ولا كل متصدق يكون به خصاصة بل قد يتصدق بما يجب مع اكتفائه ببعضه مع محبة لا تبلغ به الخصاصة).

أحباب رسول الله ولن تصلوا إلى ذروة الإيمان إلا عن طريق سلم الإيثار قال العزيز الغفار: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢].

يقول السعدي: يعني: (لن تنالوا وتدرکوا البر، الذي هو اسم جامع للخيرات، وهو الطريق الموصل إلى الجنة، حتى تنفقوا مما تحبون، من أطيب أموالكم وأزكاها. فإن النفقة من الطيب المحبوب للنفوس، من أكبر الأدلة على سماحة النفس، واتصافها بمكارم الأخلاق، ورحمتها ورقتها، ومن أدل الدلائل على محبة الله، وتقديم محبته على محبة الأموال، التي جبلت النفوس على قوة التعلق بها، فمن أثر محبة الله على محبة نفسه، فقد بلغ الذروة العليا من الكمال، وكذلك من أنفق الطيبات، وأحسن إلى عباد الله، أحسن الله إليه ووفقه أعمالا وأخلاقا، لا تحصل بدون هذه الحالة).

والله تعالى أعد النعيم المقيم والدرجات العلى لمن اتصف بالإيثار فقال الرحيم الرحمن: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالْغَدْرِ وَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعَمُونَ أَلْطَمًا عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان: ٦ - ٩].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾.



قال الفخر الرازي: (والمعنى وجزاهم بصبرهم على الإيثار وما يؤدي إليه من الجوع والعري بستاناً فيه مأكلاً هنيئاً وحريراً فيه ملبس بهي). (٤٩١)

و لقد رغب نبينا - صلى الله عليه وسلم - في الإيثار وحث أصحابه ومدح أهله فيها هو -بأبي هو وأمي - صلى الله عليه وسلم يمد الأشعرين - عن أبي موسى الأشعري- رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ الأشعريين إذا أرمَلوا في الغزو أو قُلَّ طعامُهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسَّويَّة، فهم مِنِّي، وأنا منهم)). (٤٩٢) يقول الإمام العيني: (فيه منقبة عظيمة للأشعرين من إيثارهم ومواساتهم بشهادة سيدنا رسول الله وأعظم ما شرفوا به كونه أضافهم إليه... وفيه فضيلة الإيثار والمواساة).

وقال أبو العباس القرطبي: (هذا الحديث يدل على أن الغالب على الأشعرين الإيثار، والمواساة عند الحاجة، كما دلَّ الحديث المتقدم على أن الغالب عليهم القراءة والعبادة، فثبت لهم بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنَّهم علماء عاملون، كرماء مؤثرون).

و الإيثار سبيل البركة في الطعام كما خبرنا نبينا الهمام - صلى الله عليه وسلم - عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الْاِثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الْاِثْنَيْنِ يَكْفِي الْارْبَعَةَ، وَطَعَامُ الْارْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ " (٤٩٣)

قال المهلب: والمراد بهذه الأحاديث الحظ على المكارمة في الأكل والمواساة والإيثار على النفس الذي مدح الله به أصحاب نبيه، فقال: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩] (ولا يراد بها معنى التساوي في الأكل والتشاح؛ لأن قوله عليه السلام: (كافي الثلاثة) دليل على الأثرة التي كانوا يمتدحون بها والتقنع بالكفاية، وقد هم عمر بن الخطاب في سنة مجاعة أن يجعل مع كل أهل بيت مثلهم وقال: (لن يهلك أحد عن نصف قوته). (٤٩٤)

و أعظم أنواع الصدقة صدقة الإيثار التي يؤثر بها المرء عن أبي هريرة: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ أَجْرًا؟ قَالَ: " أَمَا وَأَيُّكَ لَتَنْبَأَهُ: أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ

٤٩١ - تفسير الرازي (١٦ / ٢٢٧)

٤٩٢ -

٤٩٣ - أخرجه أحمد ٣/ ٣٠١، ومسلم ٢٠٥٩، والترمذي ١٨٢٠ في الأطعمة: باب ما جاء في طعام الواحد يكفي الاثنين،

٤٩٤ - شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩ / ٤٧١)

صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الْفَقْرَ، وَتَأْمُلُ الْغِنَى، وَلَا تُمَهِّلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ". (٤٩٥)

قال ابن بطال: (فيه أن أعمال البر كلما صعبت كان أجرها أعظم، لأن الصحيح الشحيح إذا خشي الفقر، وأمل الغنى صعبت عليه النفقة، وسول له الشيطان طول العمر، وحلول الفقر به، فمن تصدق في هذه الحال، فهو مؤثر لثواب الله على هوى نفسه، وأما إذا تصدق عند خروج نفسه فيخشى عليه الضرر بميراثه والجوار في فعله). (٤٩٦)

العنصر الثالث: مجالات الإيثار: واعلموا - علمني الله تعالى وإياكم - أن للإيثار مجالين:

المجال الأول: إيثار العزيز الغفار:

وهو أن يؤثر العبد به على نفسه وهواه فيقدم طاعة ربه ومولاه. وهذا من أفضل أنواع الإيثار وأعلاها منزلة، وأرفعها قدرًا، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (والإيثار المتعلق بالخالق أجل من هذا - أي من الإيثار المتعلق بالخلق - وأفضل وهو إيثار رضاه على رضى غيره وإيثار حبه على حب غيره وإيثار خوفه ورجائه على خوف غيره ورجائه وإيثار الذل له والخضوع والاستكانة والضراعة والتملق على بذل ذلك لغيره وكذلك إيثار الطلب منه والسؤال وإنزال الفاقات به على تعلق ذلك بغيره).

ولهذا النوع من الإيثار علامات دالة عليه، وشواهد موضحه له، لا بد أن تظهر على مدعيه، وتتجلى في التحلي به وهي علامتان: إحداها: أن يفعل المرء كل ما يحبه الله تعالى ويأمر به، وإن كان ما يحبه الله مكروهًا إلى نفسه، ثقیلاً عليه.

الثاني: أن يترك ما يكرهه الله تعالى وينهى عنه، وإن كان محببًا إليه، تشتت به نفسه، وترغب فيه.

يقول ابن القيم: فبهذين الأمرين يصح مقام الإيثار.

صعوبة هذا الإيثار على النفس:

جبلت النفس إلى الراحة والدعة والميل إلى الملاذ والمتع، كما جبلت على البعد عن كل ما يشق عليها أو ينغص متعتها أو يحد من ملذاتها، ولما كان هذا النوع من الإيثار يضاد ما جبلت عليه النفس من الراحة والدعة كان صعبًا عليها التلبس به، أو التخلق والتحلي بمعناه.

يقول الإمام ابن القيم مبينًا صعوبة هذا النوع من الإيثار وثقله على النفس:

٤٩٥ - أخرجه أحمد ٢/٢٣١ و ٤١٥، والبخاري "١٤١٩" في الزكاة: باب فضل صدقة الصحيح الشحيح،

٤٩٦ - شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣/ ٤١٧)



ومؤنة هذا الإيثار شديدة لغلبة الأغيار وقوة داعي العادة والطبع فالحنة فيه عظيمة والمؤنة فيه شديدة والنفس عنه ضعيفة ولا يتم فلاح العبد وسعادته إلا به وإنه ليسير على من يسره الله عليه. وإن كان هذا النوع من الإيثار شديد على النفس صعب على الروح إلا أن ثمراته وما يجنيه الشخص منه تفوق ثمرات أي نوع من الأعمال، فنهايته فوز محقق وفلاح محتوم، وملك لا يضاهيه ملك (فحقيق بالعبد أن يسمو إليه وإن صعب المرتقى وأن يشمر إليه وإن عظمت فيه الحنة ويحمل فيه خطرا يسير لملك عظيم وفوز كبير فإن ثمة هذا في العاجل والآجل ليست تشبه ثمة شيء من الأعمال ويسير منه يرقى العبد ما لا يرقى غيره إليه في المدد المتطاولة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء).

المجال الثاني: إيثار يتعلق بالخلق:

وهو أن يؤثر الغير على نفسه وهذا هو موطن الحديث فكم من إنسان فتح الله - تعالى عليه - ويرى الفقراء والاحتاجين ولكنه تظن نفسه ويضعف إيمانه أمام البذل والعطاء فيمنع رفقده، ولكن أصحاب النفوس الطيبة السخية تسخوا أنفسهم وأيديهم وتعلوا همهم فيتشبهون بأخلاق الأنبياء والأولياء وهيا لنقف مع مشاهد رائعة في البذل والإيثار.

العنصر الرابع: الإيثار خلق النبي المختار - صلى الله عليه وسلم -:

النبي - صلى الله عليه وسلم - من وصفه ربه بالكمال والجمال ومن اعتلى قمة الأخلاق حيث قال الله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

فقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من جميع الأخلاق أوفر الحظ والنصيب، فما من خلق إلا وقد تربع المصطفى صلى الله عليه وسلم على عرشه، وعلا ذروة سنامه، ففي خلق الإيثار كان هو سيد المؤثرين وقائدهم، بل وصل الحال به صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن يشبع لا هو ولا أهل بيته بسبب إيثاره صلى الله عليه وسلم، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (والذي يظهر أنه صلى الله عليه وسلم كان يؤثر بما عنده فقد ثبت في الصحيحين أنه كان إذا جاءه ما فتح الله عليه من خير وغيرها من تمر وغيره يدخر قوت أهله سنة ثم يجعل ما بقي عنده عدة في سبيل الله تعالى ثم كان مع ذلك إذا طرأ عليه طارئ أو نزل به ضيف يشير على أهله بإيثارهم فرمما أدى ذلك إلى نفاد ما عندهم أو معظمه). (٤٩٧)

الواقع التطبيقي في حياة الحبيب النبي - صلى الله عليه وسلم -:

لقد كان رسولنا الأسوة والقدوة الحسنة في كل عمل يحث عليه ويدعو إليه وهماك مشهد من مشاهد الإيثار مشهد ينبض الإيثار.

• عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبُرْدَةٍ، فَقَالَ سَهْلٌ لِلْقَوْمِ: أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ فَقَالَ الْقَوْمُ: هِيَ الشَّمْلَةُ، فَقَالَ سَهْلٌ: هِيَ شَمْلَةٌ مَنْسُوجَةٌ فِيهَا حَاشِيَتُهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ يَعْقُوبُ: إِنِّي نَسَجْتُ هَذِهِ بِيَدَيَّ أَكْسُو كَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ.

وَقَالَ أَبُو غَسَّانَ: فَلَبِسَهَا فَرَأَاهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَحْسَنَ هَذِهِ فَاكْسُنِيهَا، فَقَالَ: «نَعَمْ».

قَالَ قُتَيْبَةُ عَنْ يَعْقُوبَ: فَجَلَسَ مَا شَاءَ اللَّهُ فِي الْمَجْلِسِ ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَّأَهَا ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ.

قَالَ أَبُو غَسَّانَ: فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَمِّهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالُوا: مَا أَحْسَنْتَ حِينَ رَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَهَا مُحْتَاجًا إِلَيْهَا ثُمَّ سَأَلْتُهُ إِيَّاهَا، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ شَيْئًا فَيَمْنَعُهُ، فَقَالَ: رَجَوْتُ لِبَرَكَتِهَا حِينَ لَبِسَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَلِّي أَكْفَنُ فِيهَا. زَادَ يَعْقُوبُ: يَوْمَ أَمُوتُ، قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ. (٤٩٨)

المشهد الثاني مشهده - صلى الله عليه وسلم - وقد ألم به التعب والإرهاق وظهر على وجهه - الكريم - علامات الجوع فيذهب جبر - رضي الله عنه ليعده له طعاما له ولكن النبي - صلى الله عليه وسلم - يأبى إلا أن يكل الجميع من ذلك الطعام - وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما " : إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضْتُ كُدِيَّةً شَدِيدَةً، فَجَاءُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدِيَّةٌ عَرَضْتُ فِي الْخَنْدَقِ، فَقَالَ: «أَنَا نَازِلٌ». ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِعْوَلَ فَضْرَبَ، فَعَادَ كَثِيرًا أَهْيَلًا، أَوْ أَهْيَمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَئِذْنُ لِي إِلَى الْبَيْتِ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ، فَعِنْدَكَ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعِنَاقٌ، فَذَبَحَتِ الْعِنَاقَ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ، وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الْأَثَافِي قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ، فَقُلْتُ: طَعِيمٌ لِي، فَقُمِ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ، قَالَ: «كَمْ هُوَ» فَذَكَرْتُ لَهُ، قَالَ: " كَثِيرٌ طَيِّبٌ، قَالَ: قُلْ لَهَا: لَا تَنْزِعِ الْبُرْمَةَ، وَلَا الْخُبْزَ مِنَ التَّنُورِ حَتَّى آتِي، فَقَالَ: قُومُوا " فَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ، وَالْأَنْصَارُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيَحَاكَ جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: هَلْ سَأَلْتُكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «ادْخُلُوا وَلَا تَضَاغُطُوا» فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ

٤٩٨ - أخرجه البخاري في: باب البردة والشملة والحيرة من كتاب اللباس (٥٨١٠)، وفي باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل (٦٠٣٦)، وفي باب النساك من البيوع (٢٠٩٣).



الْبُرْمَةِ وَالتَّنُورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرَّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ، وَيَعْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: «كُلِّي هَذَا وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ». (٤٩٩)

أخرجه البخاري.

أقول قولي هذا، وأسأل الله سبحانه أن يمن علينا بالاستجابة له ولرسوله، وبالثبات على ما يرضيه إلى أن نلقاه تعالى، وأن يغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات، إنه غفور رحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين وصلوات الله وسلامه على خاتم المرسلين أحمدته سبحانه وأتوب إليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحابه إلى يوم الدين.

العنصر الخامس: إيثار الصحابة الأطهار:

الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - جيل فريد تخرج من أعظم جامعة عرفتها الدنيا انه تخرج من الجامعة المحمدية من رباهم النبي - صلى الله عليه وسلم - على عينه فنهلوا من معين أخلاقه وأفعاله - صلى الله عليه وسلم -.

ضرب الصحابة أروع أمثلة الإيثار وأجملها، ومن يتأمل في قصص إيثارهم يحسب ذلك ضرباً من خيال لولا أنه منقول لنا عن طريق الأثبات وبالأسانيد الصحيحة الصريحة.

ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم:

• عن أبي هريرة- رضي الله عنه - ((أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلّا الماء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يضمّ-أو يضيف- هذا؟ فقال رجل من الأنصار: أنا. فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: ما عندنا إلّا قوت صبياني. فقال: هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيات طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأتها فجعلها يريانه أنّهما يأكلان فباتا طاويين فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ضحك الله

٤٩٩ - رواه البخاري ٧ / ٣٠٤ و ٣٠٥ في المغازي، باب غزوة الخندق، وفي الجهاد، باب من تكلم بالفارسية، ومسلم رقم (٢٠٣٩) في الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك.

الليلة- أو عجب من فعالكما- فأنزل الله ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَنَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩]. (٥٠)

إيثار منبعه الإيمان:

المال للرجل الكريم ذرائع يبغى بمن جلائل الأخطار

والناس شتى في الخلال وخيرهم من كان ذا فضلٍ وذا إيثار

أقبل المهاجرون إلى المدينة لا يملكون من أمر الدنيا شيئاً، قد تركوا أموالهم وما يملكون خلف ظهورهم وأقبلوا على ما عند الله عز وجل يرجون رحمته ويخافون عذابه، فاستقبلهم الأنصار الذين تبوءوا الدار، وأكرمهم أيما إكرام ولم ييخلوا عليهم بشيء من حطام الدنيا بل قاسموهم الأموال والزوجات... في صورة يعجز عن وصفها اللسان، ويضعف عن تعبيرها البيان:

• فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((لما قدم المهاجرون المدينة نزلوا على الأنصار في دورهم فقالوا: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم نزلنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أذل في كثير منهم لقد أشركونا في المهناً وكفونا المؤنة ولقد خشينا أن يكونوا ذهبوا بالأجر كله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كلا ما دعوتم الله لهم وأنيتم به عليهم)). (٥١)

• وهذا عبد الرحمن بن عوف ((لما قدم المدينة آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري وعند الأنصاري امرأتان فعرض عليه أن ينصفه أهله وماله، فقال له: بارك الله لك في أهلك ومالك دلوني على السوق...)). (٥٢)

إيثار... حتى عند الموت:

أسد ولكن يؤثرون بزادهم والأسد ليس تدين بالإيثار

يتزين النادي بحسن وجوههم كترين الهالات بالأقمار

أمة الإسلام:

لقد ضرب صحابة النبي - صلى الله عليه وسلم - رضي الله عنهم - أروع الأمثلة في مواطن لا يتخيلها إنسان بل هي أروع من الخيال انه الإيثار عند الموت لتترككم مع المشهد وهو يلهب مشاعرنا.

٥٠ - أخرجه البخاري ٣٧٩٨ في مناقب الأنصار: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾، وأخرجه

مسلم ٢٠٥٤ في الأشربة: باب إكرام الضيف وفضل إثارة،

٥١ - رواه الضياء في ((المختارة)) (٢٩٠/٥) من حديث أنس رضي الله عنه. وصححه سننه البوصيري في ((إتحاف الخيرة))

(٣٢٥/٧).

٥٢ - رواه البخاري (٢٠٤٨) من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.



• يقول حذيفة العدويّ، انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمّ لي ومعني شيء من ماء وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه، فإذا أنا به، فقلت: أسقيك؟ فأشار إليّ أن نعم. فإذا رجل يقول آه. فأشار ابن عمّي إليّ أن انطلق به إليه فجئته فإذا هو هشام بن العاص فقلت: أسقيك؟ فسمع به آخر فقال: آه. فأشار هشام: انطلق به إليه فجئته فإذا هو قد مات. فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمّي فإذا هو قد مات. رحمة الله عليهم أجمعين (٥٠٣)

❦ إيثار أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

لم يكن الإيثار في يوم من الأيام مقصوراً على الرجال وإنما يوجد الإيثار حيث يوجد الإيمان لذا ضربت السيدة عائشة - رضي الله عنها - أروع الأمثلة في الإيثار ولنذكركم بطرف من إيثارها.

❦ إيثارها - رضي الله عنها - عمر - رضي الله عنه - على نفسها:

• لما طعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال لابنه عبدالله: (اذهب إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها - فقل: يقرأ عمر بن الخطاب عليك السلام، ثم سلها أن أدفن مع صاحبي. قالت كنت أريده لنفسه فلوثرتّه اليوم على نفسي. فلما أقبل قال له: ما لديك؟ قال: أذنت لك يا أمير المؤمنين. قال:

ما كان شيء أهمّ إليّ من ذلك المضجع فإذا قبضت فاحملوني، ثم سلّموا ثم قل: يستأذن عمر ابن الخطاب فإن أذنت لي فادفوني، وإلا فردوني إلى مقابر المسلمين). (٥٠٤)

إيثارها الفقير على نفسها - ودخل عليها مسكين فسألها وهي صائمة وليس في بيتها إلّا رغيف، فقالت لمولاة لها: أعطيه إيّاه، فقالت: ليس لك ما تفطرين عليه؟ فقالت: أعطيه إيّاه. قالت: ففعلت. قالت: فلما أمسينا أهدى لنا أهل بيت أو إنسان ما كان يهدي لنا: شاة وكفنها. فدعتني عائشة فقالت: كلي من هذا، فهذا خير من قرصك). (٥٠٥)

❦ من إيثار السلف:

• عن أبي الحسن الأنطاكي: أنّه اجتمع عنده نيّف وثلاثون رجلاً بقرية من قرى الرّيّ، ومعهم أرغفة معدودة لا تشبع جميعهم، فكسروا الرّغفان، وأطفئوا السّراج، وجلسوا للطّعام، فلما رفع فإذا الطّعام بحاله لم يأكل منه أحد شيئاً، إيثاراً لصاحبه على نفسه

٥٠٣ - إحياء علوم الدين للغزالي ج ٣ ص ٢٤٢، ط الدار البيضاء.

٥٠٤ - رواه البخاري (١٣٩٢).

٥٠٥ - رواه مالك في ((الموطأ)) (٩٩٧/٢)، وكفنها: أي ما يغطيها من الرغفان.

• قال عباس بن دهقان ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها إلا بشر بن الحرث فإنه أتاه رجل في مرضه فشكا إليه الحاجة فترع قميصه وأعطاه إياه واستعار ثوبا فمات فيه

التضحية والابتلاء طريق الاجتباء^(٥٠٦)

الخطبة الأولى

الحمد لله الواحد الحد، الفرد الصمد، الحمد لله الكبير المتعال، ذي الجلال والإكرام.
الحمد لله كثير، والله أكبر كبيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا. الله أكبر، ما تحرك متحرك وارتج، وما لبى محرم وعج، وقصد الحرم من كل فج.
الله أكبر ما نحررت بمنى النحائر، وعُظِّمت لله الشعائر، وطاف بالبيت العتيق زائر.
الله أكبر ما ذكر ذاكر، وكبر مكبر، وهلل مهلل.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وأوصي نفسي وإياكم بتقوى الله العظيم وطاعته
الله أكبر خلق الخلق وأبدع الكائنات، الله أكبر شرع الدين وأحكم التشريعات، الله أكبر كلما ارتفعت بطلب رحمته الأصوات، الله أكبر كلما سكب الحجيح العبرات.

فالحمد لله الذي فضلنا على الناس وسقانا من القرآن أروى كاس وجعل نبينا - صلى الله عليه وسلم خير نبي رعى وساس وقال لنا ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠]

١- تعريف الاجتباء: يقال اجتبى الشيء: اصطفاه واختاره لنفسه ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾ قال الراغب الأصفهاني: الاجتباء الجمع على طريق الاصطفاء، واجتباء الله العباد تَخْصِيصُهُ إِيَّاهُمْ بِفَيْضٍ يَتَحَصَّلُ لَهُمْ مِنْهُ أَنْوَاعٌ مِنَ النَّعَمِ بِلَا سَعْيٍ الْعَبْدِ، وَذَلِكَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَبَعْضِ مَنْ يُقَارِبُهُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ.

٢- حقيقة الابتلاء: أمة الإسلام يظن كثير منا أن الابتلاء إنما يكون بالمصائب والأوجاع وهذا خطأ في الاعتقاد لان الابتلاء يكون بالبلاء وبالنعماء قال رب الأرض والسماء ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥]



أي ونختبركم أيها الناس بالمضار الدنيوية من الفقر والآلام وسائر الشدائد، وبنعيم الدنيا من الصحة واللذة والسرور والتمكين من حصول ما تريدون، لنرى أتصبرون في المحن، وتشكرون في المنح؟ فيزداد ثوابكم عند ربكم إذا قمتم بأداء ذلك، والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر، فالمنحة أعظم البلاءين ومن ثم قال عمر رضى الله عنه: بلينا بالضراء فصبرنا، وبلينا بالسراء فلم نصبر، وقال على كرم الله وجهه: من وسّع عليه دنياه فلم يعلم أنه قد مكر به فهو مخدوع عن عقله.

٣- أهل البلاء هم أهل الاجتناب:

عَنْ سَعْدٍ قَالَ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً قَالَ: "الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ يُبْتَلَى النَّاسُ عَلَى قَدَرِ دِينِهِمْ فَمَنْ تَخَنَ دِينُهُ اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ وَمَنْ ضَعُفَ دِينُهُ ضَعُفَ بَلَاؤُهُ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُصِيبُهُ الْبَلَاءُ حَتَّى يَمْشِيَ فِي النَّاسِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ". (٥٠٧)

٤- ابتلاء ادم عليه السلام ثم اجتنبائه

وكان ابتلاء ادم عليه السلام بالسراء والرخاء والهناء فهل بعد الجنة من نعيم وقد قال الله تعالى له ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ [طه: ١١٧ - ١١٩]

فالشقاء بالكد والعمل والشروء والضلال والقلق والحيرة واللهفة والانتظار والألم والفقدان.. كلها تنتظر هناك خارج الجنة وأنت في حمى منها كلها ما دمت في رحاب الفردوس.. «إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى. وأنت لا تظمؤا فيها ولا تصحى»..

فهذا كله مضمون لك ما دمت في رحابها

الاجتناب ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٠ - ١٢٣]

يقول الشيخ محمد أبو زهرة- رحمه الله -وقد اجتنباه ابتداء بأن جعله أول خلقه، واجتنباه ثانيا بأن اختاره للاختبار، وتاب عليه من هذه المعصية التي عصاها، فرجع الله تعالى إليه بالمغفرة؛ إذ تاب هو بالشعور بالخطأ، وعاد الله تعالى عليه بالمغفرة، ثم بالهداية بعد ذلك.

وهذا المعنى يشير إلى أن الخطأ في طبيعة الإنسان، والتوبة خلق المهديين والله تعالى غفور رحيم.

٥٠٧ - مسند أحمد ط الرسالة (٨٧ / ٣) وأخرجه الطيالسي (٢١٥)، وأبو نعيم في "الحلية" ٣٦٨/١، والبيهقي في "السنن"

٣/٣٧٢، وفي "شعب الإيمان" (٩٧٧٥)

٥- ابتلاء يونس - عليه السلام - ثم اجتنباه

اجتنباه أولاً بالرسالة ثم كان ما كان منه فاجتنباه بالتوبة والاصطفاء مرة ثانية ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَاجْتَنِبْهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القلم: ٤٨ - ٥٠]

(فاجتنباه ربه) أي استخلصه واصطفاه لدعائه وعذره واختاره لنبوته، وهذا مبني على أنه وقت هذه الواقعة لم يكن نبياً، وإنما نبى بعدها وهو أحد قولين للمفسرين، والثاني أنه كان نبياً ومعنى اجتنباه أنه رد عليه الوحي بعد أن كان قد انقطع عنه (فجعله من الصالحين) أي من الكاملين في الصلاح وعصمه من الذنب، وقيل رد إليه النبوة وشفعه في نفسه وفي قومه وقبل توبته وأرسله إلى مائة ألف أو يزيدون بسبب صبره كما تقدم.

٦- ابتلاء خليل الرحمن ثم اجتنباه:

ابتلاه الله تعالى في شبابه فقال ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١]

* ابتلاه الله تعالى في والده: فقال ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ تَبَرَأْتَ مِنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤١ - ٤٨]

فهذا الابتلاء وجاء بعده الاجتنباء ﴿فَلَمَّا اعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٩، ٥٠]

ابتلاه الله تعالى في قومه فقال ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ (٥٥) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتَةِ إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَئِي يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَاتَّبِعُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا



أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفَ لَكُمْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ [الأنبياء: ٥٢ - ٧٠]

ابتلاه الله تعالى في زوجته فكانت ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾ [هود: ٧١، ٧٣] ابتلاه الله تعالى في ولده فقال ﴿٧٤﴾ فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴿١٠٣﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٤﴾ وَتَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٥﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٦﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٧﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٩﴾ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١١٠﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١١﴾ [الصافات: ١٠١ - ١١١]

٧٧- ابتلاء يوسف ثم اجتنائه

ابتلاه الله تعالى في إخوته ﴿١﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ أَخِيهِمْ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿يوسف: ٨﴾ فكان منهم ﴿٢﴾ وَأَسْرُوهُ بَضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿يوسف: ٢٠، ١٩﴾ ثم ابتلاه الله بامرأة العزيز ﴿٣﴾ وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿يوسف: ٢٣﴾ ثم ابتلاه بالسجن ﴿٤﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجْنُهُ حَتَّى حِينٍ ﴿يوسف: ٣٥﴾ ثم الاجتناء ﴿٥﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿يوسف: ٩١، ٩٢﴾

٨- اجتباء سيد الأصفياء - صلى الله عليه وسلم

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم إلا على صنم قد هام في صنم
مسيطر الفرس يبغي في رعيته وقبصر الروم من كبر أصم عمي
عَنْ وَائِلَةَ بِنِ الْأَسْقَعِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ بَنِي
إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ".
(٥٠٨)

وروى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((بُعِثْتُ مِنْ
خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ)) (٥٠٩)
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ
قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا،
فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ» (٥١٠).

٩- اجتباء المؤمنين مستمر في هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله

أمة الإسلام: إن الله تعالى ابتلى هذه الأمة بجميع الأمم والملل والنحل فإن هي صبرت وثبتت على منهج
الله تعالى فإن الله يجتبيها كما اجتبي الأمم السلف الصالح ومكن لهم في الأرض
قال الله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ
مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ (الشورى: ١٣).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.
وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ
هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ
فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ (الحج: ٧٧-
٧٨).

٥٠٨ - صحيح ابن حبان - محققا (١٤ / ١٣٥) وأخرجه مسلم (٢٢٧٦)

٥٠٩ - صحيح البخاري: ٣٣٦٤

٥١٠ - مسند أحمد ط الرسالة (٦ / ٨٤) وأخرجه البزار (١٣٠) (زوائد)، والطبراني في "الكبير" (٨٥٨٢)



وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ. ﴾ (آل عمران: ١٧٩).

تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال وكل عام انتم بخير

مقاصد الحج الأخلاقية والتربوية^(٥١)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وفرض علينا حج بيته الحرام، وجعله سبباً لدخول الجنان وتكفير الذنوب والآثام، أحمدده تعالى وأشكره وأستعينه وأستغفره، وأثني عليه الخير كله، وأسأله المزيد من الفضل والإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك القدوس السلام، وأشهد أن نبينا وحبينا محمداً عبد الله ورسوله أفضل من صلى وزكى وحج وصام، صلى الله عليه وعلى آله البررة الكرام، وأصحابه الأئمة الأعلام، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما تعاقب النور والظلام، وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد: -

العنصر الأول أخلاقه مع الله:

اعلم زادك الله علماً: أنه ينبغي على الحاج أن يتأدب مع ربه ومولاه وأن يتصف بكرم الأخلاق مع الكريم جل جلاله حتى يكون حجه مقبولاً وذنبه مغفوراً واليكم اهم الأخلاق التي ينبغي على الحاج أن يحققها مع الله تعالى

الأول: الإخلاص وهو أن يريد الحج بحجه وجه الله تعالى وأن يحذر من الرياء والشهوة والشهرة التي تبطل العمل ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]

وقال (عز وجل) في ثنايا آيات الحج: ((فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ..)) [الحج: ٣٠، ٣١]: وفي التلبية (وهي شعار الحج) جاء إفراد الله بالنسك صريحاً: (ليتك اللهم ليك، ليك لا شريك لك ليك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك)، كما أن الحج يركز على توحيد المتابعة للرسول وعدم الوقوع في شرك الطاعة، إذ لا مجال للتنسك في الشعيرة بالأهواء والعوائد، بل لا بد من التأسي به والأخذ عنه.

ثانياً تجديد التوبة: فالحاج مقبل على مرحلة جديدة من حياته فينبغي عليه أن يبدأ صفحة جديدة مع ربه سبحانه وتعالى فيتحلل من المظالم ويتوب إلى علام الغيوب قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ وَغَفِرَ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحریم: ٨]

فالمبادرة إلى التوبة النصوح من جميع الخطايا والذنوب، والتخلص من حقوق العباد صغيرها وكبيرها، والتحلل من مظالم إخوانه المسلمين، ممن ظلمهم بقول أو فعل أو اعتداء، فإن ذلك أرجى لقبول حجه ورفعته درجاته، ومغفرة ذنوبه ومحو سيئاته، بل وتبديلها بالحسنات، وليحرص المسلم على تخير النفقة الطيبة من المال الحلال، ليُقبل حجه ويُرفع دعاؤه، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.

فيكيف يرجو المغفرة من هو مصرا على التهاون في حقوق الله تعالى وكيف ينال الكمال من قصر في حق الكبير المتعال

ثالثاً تعظيم شعائر الله تعالى: ومن الأخلاق الواجبة بين العبد وبين ربه أن يعظم شعائره فإنها دليل واضح وبرهان ساطع على تقوى القلوب قال تعالى ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]

ثالثاً التذلل والانكسار للعزیز الجبار:

وهو الإخبات: أن لا ترى لك عزاً إلا بهذا التواضع فهذا هو الإخبات. التواضع الذي تتذلل به وتراه عزك ومجدك وتحقيق ذاتك هو الإخبات (فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ) (٣٤) (الحج). إذا تواضعت لله تعالى وعبدته كل العبادات ترى نفسك كأنك لم تفعل شيئاً وأنت ضئيل في حضرته تأمل في أخلاق السلف وكيف كان ذلهم وانكسارهم لله -تعالى-

عن علي بن الفضيل أنه دخل الحرم ليطوف، فرأى سفيان الثوري ساجداً عند الكعبة، فطاف شوطاً وسفيان لم يرفع رأسه، ثم طاف الثاني والثالث... حتى أكمل سبعة أشواط، وسفيان لم يرفع رأسه من سجوده.

* ووقف الفضيل بن عياض -رحمه الله- بعرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الشكلى المحترقة، فلما كادت الشمس تغرب قبض على لحيته، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: واسوءتاه منك وإن عفوت! * وكان مسروق -رحمه الله- إذا حج أكثر العبادة وقيام الليل، حتى قال عنه الإمام أحمد: حج مسروق فما بات إلا ساجداً.



* وحجّ الأسود بن يزيد التّخعي ثمانين ما بين حجة وعمرة، وحج مرة مع علقمة بن قيس، وكان الأسود صاحب عبادة، فصام يوماً حارّاً فترّبّد وجهه وتغيّر، فأتاه علقمة فضرب على فخذه وقال: عَلامَ تعذّب هذا الجسد؟ فقال الأسود: يا أبا شبل، الراحةُ أريدُ له؛ إن الأمر جدٌّ، إن الأمر جدٌّ.

رفعوا الأَكْفَ وأرسلوا الدعواتِ وتجردوا لله في عرفاتِ
شعثاً.. تُجِلِّلُهُمْ سحائبُ رحمةٍ غُبراً.. يفيضُ النورُ في القَسَماتِ
وكأنَّ أجنحةَ الملائكِ عانقت أرواحَهُم بالبرِّ والطاعاتِ
فتزلّت بين الضلوع سَكينةٌ علويّةٌ.. موصولةُ النفحاتِ
وتصاعدتْ أنفاسُهُم مشبوبةٌ وجداً.. يسيل بواكِفِ العَبراتِ
هذي ضيوفُك يا إلهي تبتغي عفواً وترجو سابغَ البركاتِ
غصّت بهم في حلّهم ورَحيلهم رَحْبُ الوهادِ وواسعُ القلواتِ
تركوا وراء ظهورهم دنيا الورى وأتوّك في شوقٍ وفي إخباتِ
وقدّوا إلى أبوابِ جُودِكَ خُشْعاً وتزاحوا في مَهبطِ الرحماتِ
فاقبلْ إلهَ العرشِ كلَ ضِراعةٍ وامحُ الذنوب.. وكفّرِ الزلاّتِ

العنصر الثاني: أخلاق الحاج مع نفسه:

أما أخلاق الحاج مع نفسه فتتمثل في عدة أمور

غرس خلق القناعة والزهد في الدنيا

اعلم عباد الله أن من الأخلاق الحميدة التي يغرسها الحج في نفوس الحاج خلق القناعة والزهد في الدنيا فعندما يتجرد الحاج من ثيابه ويرتدي ملابس الإحرام التي هي كالأكفان لا مخطط فيها ولا جيوب لها أين ماله أين ملياراته وملايينه؟ أين منصبه؟ أين قصوره أين حشمه وخدمه تجرد من كل شيء

نصيبك مما تجمع الدهر كله رداءن تلوى فيهما وحنوط

وقال آخر

هي القناعة فالزمها تعش ملكاً لو لم يكن منها إلا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن

ثانياً الاتصاف بالأخلاق الحميدة:

الحج مدرسة الأخلاق وميدان تربية النفس على معالي الأخلاق، والتباعد والتجافي عن سيء الأخلاق وردئها.

يحدوه في ذلك خلق سيد البشر صلى الله عليه وسلم الذي كان مناراً لكل حائر في ظلمة الأخلاق، مستشعراً تلك النداءات النبوية والوصايا الإيمانية بالتخلق بكرم الأخلاق والاتصاف بجميل الطباع.

، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: " لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا» (٥١٢)

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ (٥١٣)

ومن أهم هذه الصفات والأخلاق التي نستقيها من الحج صفة الصبر والحلم والرحمة والشفقة والإيثار والتعاون وهذه الصفات وغيرها تغرسها كثير من أعمال الحج وتنبذ القبيح والردىء والسيء من الأخلاق كما قال تعالى ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ.. ﴾

ثالثاً: التعود على الانضباط:

فالانضباط من أروع ما يتربى عليه الحاج في جميع الماسك الزمانية والمكانية

فالحج كما قال الله تعالى وبين لنا له زمن محدد لا يجوز للمسلم ان يتعداه قال تعالى ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٩٧]

و هناك الأيام المحدودات ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٠٣]

و هناك مواقيت مكانية لا يجوز للحج أن يتعداها عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَّتَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ذَا الْحُلَيْفَةِ، وَلِأَهْلِ الشَّامِ الْجُحْفَةَ، وَلِأَهْلِ نَجْدٍ قَرْنَ الْمَنَازِلِ، وَلِأَهْلِ الْيَمَنِ يَلْمَمَ، هُنَّ لَهُنَّ، وَلِمَنْ أَتَى عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِهِنَّ مِمَّنْ أَرَادَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ، وَمَنْ كَانَ دُونَ ذَلِكَ، فَمِنْ حَيْثُ أَنْشَأَ حَتَّى أَهْلُ مَكَّةَ مِنْ مَكَّةَ» (٥١٤) [متفق عليه].

٥١٢ - الأحاديث التي اتفق عليها البخاري ومسلم (ص: ٤٥٣) (٣٥٥٩ - ١٢٧٠)

٥١٣ - أخرجه أحمد في "مسنده" (٢٤٣٥٥) و (٤٥٩٥) و (٢٥٥٣٧)

٥١٤ - الأحاديث التي اتفق عليها البخاري ومسلم (ص: ٢٣٦) (١٥٢٤ - ٦٣١)



❦ رابعا تربية الضمير.

فالمسلم لا بد وأن يربي نفسه على مراقبة الله عز وجل وأن يكون له ضمير يردعه ويحجسه عن كثير من الأقوال والأفعال والأشياء التي فيها ضرر وهي ممنوعة ومحرمة شرعاً. ومن الأمثلة التي تربي المسلم على ذلك في أعمال الحج الطواف ففيه اختلاط بين الرجال والنساء فيتربي المسلم على أن يعض بصره ولا يطلق له العنان في رؤية ما حرم الله، كذلك التنقل لأداء شعائر الحج قد تكون هناك فرصة مهيأة للسرقة أو الاعتداء على أمتعة الحجاج ولكن الحج يربي النفس على مراقبة الله في كل وقت وعلى كل حال، وغيرها من الأمثلة التي ترسخ مثل هذه المعاني والمقاصد. حتى يعود الحاج بعد حجه بعيداً كل البعد عن تلك المحرمات التي يكون بها ضرر عليه أو على غيره ليعيش المجتمع المسلم مجتمعاً محافظاً نزيهاً قدوة لغيره من المجتمعات التي وقعت في وحل كثير من المفاسد والشرور.

❦ العنصر الثالث أخلاقه مع الناس:

ومن الأخلاق التي هي من مطالب الحج الأخلاق مع الناس فالدين هو المعاملة والحج مدرسة تخرج الحاج وقد نالوا الرتبة العالية في منزلة الأخلاق السامية واليكم بعض تلك الأخلاق:

❦ غرس مبدأ المساواة:

أحباب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن من أهم الأخلاق التي يرسخها الحج في نفوس الأمة مبدأ المساواة ويتجلى واضحاً في الحج حيث يجتمع المسلمون من كل جنس ولغة ولون ووطن في صعيد واحد لباسهم واحد وعملهم واحد ومكانهم واحد ووقتهم واحد وحدة في المشاعر ووحدة في الشعائر، وحدة في الهدف، ووحدة في العمل، ووحدة في القول.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَسْطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ خُطْبَةَ الْوَدَاعِ، فَقَالَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لَأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟"، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ " (٥١٥)

ومن هنا تنصهر الأمة في بوتقة المساواة ويلتحم الجسد الواحد فهذا مصري وذلك سوداني وآخر يوناني وآخر أمريكي وهذا صيني وهذا تركي هذا فرنسي لكل تجسد في مكان وحدا وتآلفت الأرواح والتقت الأجساد

وهذا غني وذلك فقير وهذا رئيس وذلك مرؤوس ذابت الفوارق وانعدمت الطبقات واجتمع الجمع على طاعة رب الأرض والسماوات

✍ غرس مبدأ (إنما المؤمنون إخوة)

فاذا نظر الحاج إلى الصورة والمشهد السابق الذي انصهر فيه أفراد على الرغم من اختلاف بلدانهم واختلاف أعرافهم واختلاف لغاتهم تولد في نفسية خلق عظيم لا يوجد إلا في ذلك الدين الحنيف انه خلق الأخوة وعندها يحس المصري بآلام السوري ويحس الأمريكي بآلام الصيني فينشأ عن ذلك التواصل والتعاضد والمحبة ولقد قرر الله تعالى ونبيه النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك المبدأ في غير ما موطن من الشريعة الغراء

ولنتأمل قول الله تعالى ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾

ومما يترتب على هذه الأخوة أن يكون الحب والسلام والتعاون والوحدة هي الأصل في الجماعة المسلمة، وأن يكون الخلاف أو القتال هو الاستثناء الذي يجب أن يرد إلى الأصل فور وقوعه وأن يستباح في سبيل تقريره قتال المؤمنين الآخرين للبغاة من إخوانهم ليردوهم إلى الصف، وليزيلوا هذا الخروج على الأصل والقاعدة. وهو إجراء صارم وحازم كذلك.

ولنتذكر وصية الرسول صلى الله عليه وسلم عَنْ أَنَسٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " لَا تَحَاسِدُوا، وَلَا تَبَاغِضُوا، وَلَا تَقَاطَعُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا " . (٥١٦)

أخرجه البخاري

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

٥١٦ - أخرجه البخاري في "الصحيح" (٦٠٦٦)، وفي "الأدب المفرد" (١٢٨٧)، ومسلم (٢٥٦٣) (٢٨)، وأبو داود



أما بعد:

العنصر الرابع الأخلاق مع الكون الذي يعيش فيه

فالمسلم يتربى في الحج على مبدأ السلم والمسالمة مع ما حوله من كائنات قال رب الأرض والسموات " يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم "

قال ابن كثير: " هذا تحريم منه تعالى لقتل الصيد في حال الإحرام، ونهى عن تعاطيه فيه، وهذا إنما يتناول من حيث المعنى المأكول وما تولد منه ومن غيره

وقال عز وجل: ﴿ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرَمًا ﴾ [المائدة: ٩٦].

قال ابن المنذر: " أجمعوا على أن المحرم ممنوع من قتل الصيد "

وقال ابن قدامة: " لا خلاف بين أهل العلم في تحريم قتل الصيد واصطياده على المحرم "

وقال النووي: " أجمعت الأمة على تحريم الصيد في الإحرام "

ولقد رسّخ الإسلام شعائر الحج ورتبها بطريقة تجعل الحاج في سلم شامل، ليس مع الناس فقط، بل مع كل شيء؛ الشجر والحجر والحيوان ومع الكون كله، تسليماً لرب العالمين.

إن الحج تجربة تمثل ورشة مكثفة للتدريب على الشحن الروحي والتعبئة على السلم والتدريب على محاربة نوازع النفس السيئة

كما أنه يعلمنا السعي لتحقيق السلام والسلام المطلق مع المكان والزمان والكائنات، وهو بذلك يذكرنا أننا ينبغي أن نوسع من هذه الورشة والدورة المكثفة وننقلها إلى المستوى الإنساني الأوسع، بتبني الأسلوب السلمي في بقية الأماكن وبقية الأوقات ومع مختلف القضايا.

الدعاء.....

النظافة من الإيمان (٥١٧)

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين المنفرد بالقدم والبقاء والعظمة والكبرياء والعز الذي لا يرام، الصمد الذي لا بصوره العقل ولا يحده الفكر ولا تدركه الأفهام، القدوس الذي تتره عن أوصاف الحدوث فلا يوصف بعوارض الأجسام الغني عن جميع المخلوقات فالكل مفتقر إليه وهو الغني على الدوام، سبق الزمان فلا يقال متى كان، وخلق المكان فلا يقال أين كان فتبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام.

وأشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير

اله عز من اعتز به فلا يضام، وذل من تكبر عن أمره ولقي الآثام

وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيب

صلوا على خير الأنام محمد إن الصلاة عليه نور يعقد

من كان صلى عليه قاعد يغفر له قبل القيام وللمتاب يجدد

وكذلك إن صلى عليه وهو قائم يغفر له قبل القعود ويرشد

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين

ونحن معهم يا أرحم الراحمين

أما بعد:

أمة العقيدة الإسلامية: حديثنا في ذلك اليوم الأغر الميمون، خير يوم طلعت فيه الشمس، عن مظهر من

مظاهر الإيمان، وعن وسمة من سمات أولياء الرحمن، عن مظهر من مظاهر الرقي والحضارة، هو عنوان

أمة الإسلام وهو سبيل اتباع النبي العدنان -صلى الله عليه وسلم- إنه الجمال والنظافة التي انفردت بها

أمة من بين سائر الأمم

فأعيروني القلوب والأسماع لنشف الآذان ببعض ونحيي القلوب بكلام علام الغيوب وبسنة النبي -

المحبيب - صلى الله عليه وسلم-



العنصر الأول: الله جميل يحب الجمال

أيها الآباء الله تعالى عباد الله جميل يحب الجمال، فهو سبحانه له صفات الكمال والجمال والبهاء
عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِي حَسَّانَ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ نَظِيفٌ
يُحِبُّ النَّظَافَةَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ فَتَنَظَّفُوا أَفْنِيَّتَكُمْ وَسَاحَاتِكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ،
يَجْمَعُونَ الْأَكْبَاءَ فِي دُورِهِمْ" (٥١٨)

وجماله سبحانه على أربع مراتب:

* جمال الذات

* جمال الصفات

* جمال الأفعال

* جمال الأسماء،

فأسماءه كلها حسنى، وصفاته كلها صفات كمال، وأفعاله كلها حكمة ومصلحة وعدل ورحمة. وأما
جمال الذات وما هو عليه فأمر لا يدركه سواه ولا يعلمه غيره، وليس عند المخلوقين منه إلا تعريفات
تعرف بها إلى من أكرمه من عباده، فإن ذلك الجمال مصون عن الأغيار محجوب بستر الرداء والإزار
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ: " الْكِبْرِيَاءُ
رِدَائِي، وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ ". (٥١٩)
ولما كانت الكبرياء أعظم وأوسع كانت احق باسم الرداء، فانه سبحانه الكبير المتعال فهو سبحانه العلي
العظيم.

قال ابن عباس : حجب الذات بالصفات وحجب الصفات بالأفعال، فما ظنك بجمال حجب
بأوصاف الكمال وستر بنعوت العظمة والجلال.

ومن هذا المعنى يفهم بعض معاني جمال ذاته، فإن العبد يترقى من معرفة الأفعال إلى معرفة الصفات،
ومن معرفة الصفات إلى معرفة الذات. فإذا شاهد شيئاً من جمال الأفعال استدل به على جمال الصفات
ثم استدل بجمال الصفات على جمال الذات.

٥١٨ - سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ١١٢) (٢٧٩٩) وجامع الأصول ٤/ ٧٦٦ وحسنه وبنحوه الكنى والأسماء للدولابي (٢/ ٦٨٤) (١٢٠٣) والإتحاف ٢/ ٣١١ وعدي ٥/ ٢٩٢ ضعيف وتناقض الألباني فضعه في ضعيف الجامع (١٦١٦) وحسنه
في المشكاة (٤٤٨٧)!!

٥١٩ - أخرجه مسلم (٢٧٠٣) (٤٣)، وابن حبان (٦٢٩)، وابن عدي في "الكامل" ٣/ ١٢١٤، وابن منده في "الإيمان"
(١٠٢٤)

قال ابن القيم:

هُوَ الْجَمِيلُ عَلَى الْحَقِيقَةِ كَيْفَ لَا وَجْهًا سَائِرِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
مِنْ بَعْضِ آثَارِ الْجَمِيلِ فَرُبُّهَا أَوْلَى وَأَجْدَرُ عِنْدَ ذِي الْعِرْفَانِ
فَجَمَالُهُ بِالذَّاتِ وَالْأَوْصَافِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ بِالْبُرْهَانِ
لَا شَيْءَ يُشَبِّهُ ذَاتَهُ وَصِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ عَنْ إِفْكِ ذِي بُهْتَانٍ

وهو سبحانه يحب النظافة وأهلها فهم أهل الطهارة والنقاء قال رب الأرض والسماء وقوله عز وجل ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].
وقوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

ومن فضله ومنه على عباده انزل لهم من السماء ماء طهورا وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨].
. وقوله تعالى ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

العنصر الثاني مجالات النظافة:

والطهارة عباد الله مطلب شرع ومظهر حضاري جاءت الشريعة الغراء لتجعله من أسس الإيمان وسبيل إلى رضى الرحمن والنظافة في الإسلام لها مجالات عدة ترقى بالمسلم والمسلمة ليكون شامة في مجتمعه عنوانا للجمال والكمال وإليك عباد الله مجالاتها:

المجال الأول: نظافة الأبدان:

فما علم لامة من الأمم النظافة فيها شطر الإيمان إلا شريعة الكمال والجمال اسمعوا عباد الله وعن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري -رضي الله عنه -، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم -: ((الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ. كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتَقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا)) (٥٠)

٥٠ - أخرجه مسلم في كتاب الطهارة - باب فضل الوضوء (١/ ٢٠٣ ح ١)



. وقال العلامة القرطبي -رحمه الله تعالى-: وقد اختلف في معنى قوله - صلى الله عليه وسلم -:
"الطهور شطر الإيمان" على أقوال كثيرة:

أولها: أن يقال: إنه أراد بالطهور الطهارة من المستخبثات الظاهرة والباطنة، والشطر النصف، والإيمان هنا هو بالمعنى العام، كما قد دللنا عليه بقوله -صلى الله عليه وسلم -: "الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان"

ولا شك أن هذا الإيمان ذو خصال كثيرة، وأحكام متعددة، غير أنها منحصرة فيما ينبغي التتره والتطهر منه، وهي كل ما نهى الشرع عنه، وفيما ينبغي التلبس، والاتصاف به، وهي كل ما أمر الشرع به، فهذان الصنفان عبّر عن أحدهما بالطهارة على مستعمل اللغة، وهو كما قد روي مرفوعاً: "الإيمان نصفان: نصف شكر، ونصف صبر" وقال السندي -رحمه الله تعالى-: وَذَكَرُوا فِي تَوْجِيهِهِ وَجُوهًا لَا تَنَاسِبُ رَوَايَةَ الْكِتَابِ: مِنْهَا: أَنَّ الْإِيمَانَ يَطْهَرُ نَجَاسَةَ الْبَاطِنِ، وَالْوُضُوءَ يَطْهَرُ نَجَاسَةَ الظَّاهِرِ،

ومن أجل نظافة وطهارة الأبدان شرع الله تعالى سنن الفطرة عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللَّحْيَةِ، وَالسَّوَاكُ، وَالِاسْتِنْشَاقُ بِالْمَاءِ، وَقَصُّ الْأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ، وَتَنْفُ الْإِبْطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَائْتِقَاصُ الْمَاءِ"، يَعْنِي الْإِسْتِنْجَاءَ، قَالَ: زَكَرِيَّا، قَالَ: مُصْعَبٌ، وَنَسِيتُ الْعَاشِرَةَ، «إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْمَضْمُضَةُ» (٥٢١). يعنى الاستنجاء بالماء. قال زكريا قال مصعب: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة. رواه مسلم

ومن النظافة شرع الله تعالى الوضوء خمس مرات في كل يوم وليلة وجعله شرط في صحة الصلاة عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ" (٥٢٢) و قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦]

ومن أجل النظافة شرع غسل الجنابة كما في الآية الكريمة

٥٢١ - ومسلم (٢٦١) (٥٦)، وأبو داود (٥٣)، والترمذي (٥٤٧)، والنسائي في "المجتبى" ٨ / ١٢٦، وفي "الكبرى"

ومن كمال النظافة الاغتسال في الأعياد والمناسبات العامة التي يجتمع فيها المسلمون لتكون النظافة والجمال عنوانا على سمو قدرهم ورفعة منزلتهم بين الأمم

والغسل من الحيض والنفاس ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]

العناية بنظافة الفم والأسنان:

١- المضمضة للوضوء، فقد اهتم الإسلام بنظافة الفم ونقاء عن حُمُرَانِ مَوْلَى عُثْمَانَ، أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ - رضي الله عنه - دَعَا بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ فَعَسَلَ كَفَّيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ مَضَمَضَ وَاسْتَنْثَرَ ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْمِرْفَقِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْكَعْبَيْنِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ غَسَلَ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ، لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (٥٢٣)

٢. المضمضة بعد أكل الطعام: وحث على المضمضة بعد تناول الطعام حرصا على بقاء الفم طيبا فقد اخرج البخاري وعن سُوَيْدِ بْنِ النُّعْمَانِ: "أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ خَيْرٍ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالصَّهْبَاءِ -وهي أدنى خير- نَزَلَ فَصَلَّى الْعَصْرَ ثُمَّ دَعَا بِالْأَزْوَاجِ فَلَمْ يُؤْتِ إِلَّا بِالسَّوِيقِ، فَأَمَرَ بِهِ فُتْرِي، فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَكَلْنَا، ثُمَّ قَامَ إِلَى الْمَغْرِبِ فَمَضَمَضَ وَمَضْمَضْنَا، ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ" (٥٢٤)

وقد بين الإمام العيني العلة التي من أجلها استحبت المضمضة بعد الأكل فقال: "فإن قلت: ما فائدة المضمضة منه ولا دسم له؟ قلت: يحتبس منه شيء في أثناء الأسنان وجوانب الفم فيشغله تتبعه عن أحوال الصلاة"

٥٢٣ - رواه البخاري (١٥٩)، ومسلم (٢٢٦). وانظر "البلوغ" (٣٣).

٥٢٤ - أخرجه البخاري في الصحيح ١/ ٣١٢، كتاب الوضوء (٤)، باب من مضض من السَّوِيقِ ولم يتوضأ (٥١)، الحديث (٢٠٩). وَتُرِّي: أي بل بالماء لما لحقه من اليبس (الحافظ ابن حجر، فتح الباري ١/ ٣١٢). والسويق: ما يُحْرَسُ من الشعير والحنطة.



وروى الشيخان عن ابن عباس أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرِبَ لَبَنًا فَمَضْمَضَ وَقَالَ: إِنَّ لَهُ دَسَمًا" (٥٢٥)

يقول الإمام ابن بطلال-رحمه الله-: " وفيه: أن مضمضة الفم عند أكل الطعام من أدب الأكل".
٣-الأمر باستعمال السواك وتطيب الفم به: واعلموا عباد الله: أن السواك يعد أداة من أدوات تحميل الأسنان والعناية بها، ولذلك حث النبي-صلى الله عليه وسلم أمته على مداومة استعمال السواك في جميع الأوقات.

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : "السَّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ" . (٥٢٦)

عن المقدم بن شريح، عن أبيه قال: سألت عائشة. قلت: بأي شيء كان يبدؤ النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا دخل بيته؟ قالت: بالسواك (٥٢٧)

العناية بنظافة اليدين:

و قد عرفنا أن غسل اليدين من فرائض الوضوء وقد حث الإسلام على نظافة اليدين في مواضع أخر نذكر منها:

أولاً: غسل اليدين ثلاثاً قبل إدخالهما في الإناء، فعن أبي هريرة-رضي الله عنه-، قال: أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: " إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهَا الْإِنَاءَ فَإِنْ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ " (٥٢٨)

ذلك لأن المتوضأ سيأخذ الماء بيديه إلى فمه وانفه ووجهه، فلا يدري تعيين الموضع الذي باتت فيه يده من جسده، أي هل لاقت محلاً طاهراً أم نجساً كبشرة أو جرح أو محل نجو أو غيرها.

ثانياً: **غسل اليدين قبل الطعام وبعده**، فعن سلمان الفارسي-رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: " بَرَكَةُ الطَّعَامِ الْوُضُوءُ قَبْلَهُ وَالْوُضُوءُ بَعْدَهُ. " (٥٢٩)

٥٢٥ - أحمد (٢٢٣/١، ٢٢٧، ٣٢٩، ٣٣٧، ٣٧٣)، البخاري (٨٧/١، ٢١٢٨/٥، ٢٠٨، ٥٢٨٦)، وهو عند مسلم (٢٧٤/١) (٣٥٨)

٥٢٦ - صحيح. البخاري (٤/ ١٥٨ /فتح) معلقاً مجزوماً به. ووصله بسند صحيح أحمد (٦/ ٤٧ و ٦٢ و ١٢٤ و ٢٣٨) والنسائي (١/ ١٠)، والدارمي (١/ ١٧٤)، وابن خزيمة (١٣٥)، وابن حبان (١٠٦٧) وغيرهم. وانظر التعليق السابق.

٥٢٧ - أخرجه مسلم (٢٥٣)، وأبو داود (٥١)، والنسائي (١/ ١٣)، وابن ماجه (٢٩٠).

٥٢٨ - صحيح البخاري: (١/ ٥٢)؛ (فتح- ١/ ٢٦٣ - رقم: ١٦٢).

٥٢٩ - رواه الترمذي رقم (١٨٤٧) في الأطعمة، باب ما جاء في الوضوء قبل الطعام وبعده، وأبو داود رقم (٣٧٦١) في الأطعمة، باب غسل اليد قبل الطعام، وإسناده ضعيف.

، والمقصود بالوضوء: أي غسل اليدين والفم من الزهومة، إطلاقاً لكل على الجزء مجازاً أو بناء على المعنى اللغوي،

وفي الحديث عن أبي هريرة-رضي الله عنه-قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ بَاتَ وَفِي يَدَيْهِ غَمَرٌ، فَعَرَضَ لَهُ عَارِضٌ، فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» (٥٣٠)

والغمر-بفتح الغين المعجمة، والميم-: الدسم والزهومة من اللحم، كالوضر من السمن وإطلاقه يقتضي حصول السنة بمجرد الغسل بالماء، قال ابن رسلان-رحمه الله-: "والأولى غسل اليد منه بالأشنان والصابون وما في معناهما".

والحكمة في غسل اليدين قبل الطعام وبعده، أن الأكل بعد غسل اليدين يكون أهناً وأمرأ، ولأن اليد لا تخلو عن التلوث في تعاطي الأعمال فغسلها أقرب إلى النظافة والترهة

يقول خبراء بريطانيون إنه لو حرص كل شخص على غسل يديه ستتقلص كثيراً إمكانية انتشار عدوى البرد والأنفلونزا وحتى أنفلونزا الطيور، وحذر البروفيسور جون أوكسفورد من كلية طب كوين ماري بلندن من أن الكثيرين لا يقومون بغسل أيديهم ولا يعنون بنظافتهم الشخصية، وأن أفضل طريقة لكسر هذه السلسلة هي غسل الأيدي.

ثالثاً: الاهتمام بتنظيف عقد الأصابع، وقد جاء في حديث سنن الفطرة عن عائشة رضي الله عنها إن النبي صلى الله عليه وسلم قال "عشر من الفطرة - وذكر منهن -" وغسل البراجم". (٥٣١) قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله: "البراجم: هي عقد الأصابع التي في ظهر الكف"، ويقول الإمام النووي-رحمه الله-: "وأما غسل البراجم فسنة مستقلة، ليست مختصة بالوضوء".

رابعاً: الاستنجاء باليد اليسرى: عَنْ أَبِي قَتَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ، فَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الْإِنَاءِ» (٥٣٢)

يقول الإمام شرف الحق آبادي-رحمه الله: "والنهي عن الاستنجاء باليمين على إكرامها وصيانتها عن الأقدار ونحوها، لأن اليمين للأكل والشرب والأخذ والإعطاء ومصونة عن مباشرة الثفل وعن ممارسة

٥٣٠ - أبو داود: (٤ / ١٨٨) (٢١) كتاب الأطعمة (٥٤) باب في غسل اليد من الطعام - رقم (٣٨٥٢).

٥٣١ - ومسلم (٢٦١) (٥٦)، وأبو داود (٥٣)، والترمذي (٥٤٧)، والنسائي في "المختص" ٨ / ١٢٦، وفي "الكبرى" ٩٢٨٦)

٥٣٢ - أخرجه: أحمد ٤ / ٣٨٣، والبخاري ١ / ٥٠ (١٥٣)، ومسلم ١ / ١٥٥ (٢٦٧) (٦٣)، والترمذي (١٨٨٩)، والنسائي ١ / ٤٣، وابن خزيمة (٧٨) بتحقيقي، وابن حبان (٥٣٢٨)، والبيهقي ١ / ١١٢.



الأعضاء التي هي مجاري الأثقال والنجاسات، وخلقت اليسرى لخدمة أسفل البدن لإمالة ما هنالك من القذارات وتنظيف ما يحدث فيها من الدنس وغيره"

خامسا: تقليم الأظفار: ومن النظافة التي حث عليها الإسلام تقليم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "الفِطْرَةُ خمسٌ: الختانُ، والاستحْداءُ، وقصُّ الشَّاربِ، وتقليمُ الأظفارِ، وتنفُّ الإبطِ" (٥٣٣)

لذلك حثَّ الإسلام على قص الأظفار، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ أَنَسٌ وَقَّتَ لَنَا فِي قِصِّ الشَّارِبِ وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ وَتَنْفِ الْإِبْطِ وَحَلْقِ الْعَانَةِ أَنْ لَا تَتْرَكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً (٥٣٤)

المجال الثاني: نظافة الثياب:

ومن الأمور التي اهتم بها الإسلام نظافة الهندام والمظهر الخارجي، فحث على أن يرتدي المسلم ملابس نظيفة جميلة

قال الله سبحانه وتعالى ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]

وها هو صلى الله عليه وسلم - يرى رجلاً وعليه ثياب وسخة عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَائِرًا فِي مَنْزِلِنَا، فَرَأَى رَجُلًا شَعْتًا، فَقَالَ: أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ، وَرَأَى رَجُلًا عَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ، فَقَالَ: أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَا يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ. «(٥٣٥)

التَّجَمُّلُ وإظهار نِعَمِ اللَّهِ هو من الشُّكْرِ الذي أَمَرَنَا اللَّهُ بِهِ، سواء كان ذلك في الملبس أو المطعم أو المركب، فالله يحبُّ أن يرى أثرَ نعمته على عبده عن أبي الأحوص، أن أباه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو أشعث، سيئ الهيئة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما لك مال؟» قال: من كل المال قد آتاني الله عز وجل، قال: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَنْعَمَ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً أَحَبَّ أَنْ تُرَى عَلَيْهِ» (٥٣٦)

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كُلُّوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَابْسُؤُوا فِي غَيْرِ مَخِيلَةٍ وَلَا سَرَفٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُرَى أَثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ". (٥٣٧)

٥٣٣ - (رواه البخاري ٥٨٨٩. ومسلم: ٢٥٧).

٥٣٤ - أخرجه مسلم في المصدر نفسه، الحديث (٢٥٨ / ٥١).

٥٣٥ - الحاكم في مستدركه ج ٤ / ص ٢٠٦ حديث رقم: ٧٣٨٠

٥٣٦ - أخرجه الطبراني في الصغير (٢٩٥ / ١)، رقم (٤٨٩). وأخرجه أيضاً: الطبراني في الأوسط (٧٥ / ٤) رقم (٣٦٥٣)

٥٣٧ - أخرجه أحمد (١٨٢ / ٢)، رقم (٦٧٠٨)، والحاكم (١٥٠ / ٤)، رقم (٧١٨٨)، وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي في شعب

الإيمان (١٣٦ / ٤)، رقم (٤٥٧١)، وتمام (١٠٦ / ٢)، رقم (١٢٦٥).

و نظافة الثياب من الأمور التي يحبها رب الأرباب - جل جلاله - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ، يَعْنِي، مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: إِنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ يَكُونَ ثَوْبِي حَسَنًا، وَنَعْلِي حَسَنَةً؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْجَمَالَ، وَلَكِنَّ الْكِبَرَ مَنْ بَطَرَ الْحَقَّ، وَغَمَصَ النَّاسَ (٥٣٨)

وقد حكم الإسلام بأن طهارة ثياب المصلي كطهارة بدنه شرط في صحة صلاته قال تعالى: ” وثيابك فطهر “سورة المدثر

وحدث على النظافة التامة وحسن الثياب في المناسبات والأعياد يحيى بن سعيد الأنصاري حَدَّثَهُ، أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى بْنَ حَبَّانَ حَدَّثَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَا عَلَى أَحَدِكُمْ أَنْ وَجَدَ، أَوْ مَا عَلَى أَحَدِكُمْ أَنْ وَجَدْتُمْ أَنْ يَتَّخِذَ ثَوْبَيْنِ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ سِوَى ثَوْبَيْ مِهْنَتِهِ ". قَالَ عَمْرُو: وَأَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ سَعْدٍ، عَنْ ابْنِ حَبَّانَ، عَنْ ابْنِ سَلَامٍ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ ذَلِكَ عَلَى الْمَنْبَرِ. (٥٣٩)

وروى ابن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قدم الوفد-أي قدم أناس غرباء لزيارته- لبس أحسن ثيابه وأمر عليه أصحابه بذلك.

وقد امتثل الصحابة - رضوان الله عليهم - ثم السلف الصالح من بعدهم فحج نبيهم - عليه الصلاة والسلام - وتوجيهاته وحسن التأسي به؛ فهذا عمر - رضي الله عنه - يقول: “مروءة الرجل نقاء ثوبه”. (٥٤٠)

وكان ابن مسعود يُعَجِّبُهُ إذا قام إلى الصلاة الرِّيحُ الطيبة والثياب النقيّة. وحينما ذهب ابن عباس - رضي الله عنه - لمُجَادَلَةِ الْخَوَارِجِ لِبَسَ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنْ حُلِّ الْيَمَنِ وَأَتَاهُمْ، فَقَالُوا: مَرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، مَا هَذِهِ الْحُلَّةُ؟ قَالَ: “مَا تَعْيُونُ عَلَيَّ؟ لَقَدْ رَأَيْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنْ حُلِّ”.^{٥٣٨}

وقال الميموني - من أصحاب الإمام أحمد -: “ما رأيتُ أحدًا أنظفَ ثوبًا، ولا أشدَّ تعاهدًا لنفسه في شاربِه ورأسه وشعر بدنه ولا أنقى ثوبًا وأشدَّ بياضًا من أحمد بن حنبل”.^{٥٣٩} وقالت الأدباء: “المروءة الظاهرة في الثياب الطاهرة”.^{٥٤٠}

٥٣٨ - (أخرجه مسلم (٩١)، وأبو داود (٤٠٩١)، والترمذي (١٩٩٨) وابن ماجه (٥٩).

٥٣٩ - أخرجه أبو داود (١٠٧٨)

٥٤٠ - أبو داود (١٠٧٨). وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٩٥٣).



ويقول أبو العالية: "كان المسلمون إذا تراؤروا تَحَمَّلُوا".

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

المجال الثالث: نظافة المسكن:

واعلموا عباد الله أن نظافة المسكن من الأمور التي ركّز عليها الإسلام؛ فالنفس تنشرح عندما ترى مكاناً نظيفاً، وتشمئز عندما ترى مكاناً قذراً، وبيتنا الذي نقيم فيه هو بيت للعبادة والطاعة قبل أن يكون بيتاً للنوم والطعام والشراب أما البيوت فقد قال في حقها صلى الله عليه وسلم: " طهروا أفئيتكم؛ فإن اليهود لا تطهر أفئيتهم "

وفي رواية: " طيبوا ساحاتكم؛ فإن أئتن الساحات ساحات اليهود " (٥٤١)

فلا يليق بعد ذلك قذارة وئتن وعفونة بعض بيوتات المسلمين، بل وينجر الحديث إلى سياراتهم.

المجال الرابع: نظافة الطريق

نظافة الطريق دليل على رقي أهل البلد وتعرف سمات المجتمع الخلقية من نظافة الطريق فهي أبهج للنفس وانقى للنسيم

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا التُّخَاعَةُ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لَا تُدْفَنُ» (٥٤٢).

و أوجب اللعن والطرود من رحمة الله لمن آذى المسلمين في طرقاتهم فالتسبب في اتساخ الطريق وأذى المارة سيئة تنقص من درجة الإيمان الكامل وخاصة التخلي (قضاء الحاجة) في طريق المارة أو ظلهم عَنْ

٥٤١ - الصحيحة (٢٣٦) وصحيح الجامع (٣٩٤١) وت (٢٧٩٩)

٥٤٢ - أخرجه الطيالسي (٤٨٣)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٢٣٠)، ومسلم (٥٥٣)، وأبو عوانة (١٢١١)، وابن حبان (١٦٤١)، والبيهقي ٢/٢٩١، والبغوي (٤٨٩)

أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: اتَّقُوا اللَّعَّانِينَ قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ؟ قَالَ: الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ. (٥٤٣)

العنصر الثالث: العناية بنظافة البيئة من الإسلام:

وإليكم أيها الأحباب حث الإسلام على نظافة البيئة فقد رتب الإسلام الأجر والثواب من الكريم الوهاب لمن حافظ على نظافة البيئة

• تنظيف البيئة وتنقيتها صدقة من الصدقات: ففي الصحيحين وغيرهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ". (٥٤٤)

* تنظيف البيئة وتنقيتها شعبة من شعب الإيمان: ففي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ". (٥٤٥)

* تنظيف البيئة وتنقيتها سبب في مغفرة الذنوب: ففي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ، فَأَخَذَهُ، فَشَكَرَ اللَّهَ لَهُ، فَغُفِرَ لَهُ". (٥٤٦)

* في تنظيف البيئة وتنقيتها خير كثير ومنافع للناس في الدنيا والآخرة: ففي صحيح مسلم عَنْ أَبِي بَرَزَةَ قَالَ: قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؛ عَلَّمَنِي شَيْئًا أَنْتَفِعُ بِهِ؟ قَالَ: "اعْزِلِ الْأَذَى عَنِ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ".

* تنظيف البيئة وتنقيتها سبب في دخول الجنة: ففي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - "مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنٍ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأُنْحِئَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ

٥٤٣ - صحيح مسلم (١/ ٢٢٦) ٦٨ - (٢٦٩)

٥٤٤ - أخرجه أحمد ٣١٦/٢، والبخاري "٢٧٠٧" في الصلح: باب فضل الإصلاح بين الناس، و "٢٨٩١" في الجهاد: باب فضل من حمل متاع صاحبه في السفر، و "٢٩٨٩" باب من أخذ بالركاب ونحوه، ومسلم "١٠٠٩" في الزكاة: باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف

٥٤٥ - والبخاري (٩)، ومسلم (٣٥) (٥٧)، وابن ماجه بإثر (٥٧)، والنسائي ١١٠/٨، وابن حبان (١٦٧) و (١٨١)

٥٤٦ - أخرجه أحمد ٥٣٣/٢، والبخاري "٦٥٢" في الأذان: باب فضل التهجير إلى الظهر، و "٢٤٧٢"



لَا يُؤْذِيهِمْ. فَادْخِلَ الْجَنَّةَ". وفيه أيضا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: "لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَأَنَّهُ تُؤْذِي النَّاسَ".

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، اللهم لا تدع لنا ذنبا إلا غفرته، ولا همّا إلا فرجته، ولا ديناً إلا قضيته... (٥٤٧)

العفة ثرائها ومجالاتها (٥٤٨)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي تفرد بعز كبريائه عن إدراك البصائر، وتقّس بوصف علاه عن الأشباه والنظائر، وتوحد بكمال جبروته فلا العقل في تعظيمه حائر، وتفرد في ملكوته فهو الواحد القهار الأول قبل كل أول الآخر بعد كل آخر، الظاهر بما أبدع فدلّيل وجوده ظاهر، الباطن فلا يخفى عليه ما هجس في الضمائر. وأشهد إن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة أعدّها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدّها وسيلة إلي يوم لقاءه

وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبّيه

اختاره من أطيب العناصر، واصطفاه من أنجب العشائر، واختصه من اشرف الذخائر، وأدار على من عاداه أفضع الدوائر.

يا سيدي يا رسول الله:

رباك ربك جل من ربك ورعاك في كنف الهدى وحماك

سبحانه أعطاك فيض فضائل لم يعطها في العالمين سواك

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

أمة الإسلام، حديثنا في هذا اليوم الطيب الأغر عن خلق رفيع من الأخلاق التي أمرت بها الشريعة الغراء إنها العفة.

فما هي العفة؟

وما هو موقف الإسلام منها؟

وما هي مجالاتها؟

٥٤٧ - أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق، ٤ / ٢٠٢١ رقم ١٢٩).

٥٤٨ - موقع الالوكة وصيد الفوائد

وما هو الواقع التطبيقي لتلك المجالات؟

وما هي ثمراتها؟

أعيروني القلوب والأسماع فإن هذا الأمر من الأهمية بمكان

العنصر الأول تعريف العفة:

أحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقد عرف العلماء العفة بأنها: (ضبط النفس عن الشهوات وقصرها على الاكتفاء بما يقيم أود الجسد ويحفظ صحته فقط، واجتناب السرف في جميع الملمات وقصد الاعتدال).

وقيل هي: (ضبط النفس عن الملاذ الحيوانية، وهي حالة متوسطة من إفراط وهو الشره وتفريط وهو جمود الشهوة).

و أقول العفة هي ضبط جماح النفس عن كل ما يندسها ويبعدها عن القرب من الله تعالى.

العنصر الثاني حث القرآن والسنة على العفة:

الأمر بالعفة في القرآن الكريم: جاء القرآن الكريم ليقوم الأخلاق وليطهرها من كل ما يندسها ويحط من قدرها فدعا إلى العفة وامر بها المؤمنين والمؤمنات فال رب الأرض والسموات: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

وها هو جل جلاله - يأمرنا بالعفة ويعدنا عليها الغنى وقال سبحانه: ﴿وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣].

(أي: ليطلب العفة عن الحرام والزنا الذين لا يجدون ما لا ينكحون به للصدقة والنفقة، حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ أي: يوسع عليهم من رزقه) (٤٩).

• وقال سبحانه: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَغْفِرْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ [النور: ٦٠].

٤٩ - ((معالم التنزيل)) للبغوي (٦ / ٤١).



وبين لنا سبحانه حال أهل العفة الذين يتعففون عن المسألة قال سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

(الجاهل بجاهلهم أغنياء من التعفف أي من تعففهم عن السؤال وقناعتهم يظن من لا يعرف حالهم أنهم أغنياء، والتعفف التفعّل من العفة وهي الترك يقال: عف عن الشيء إذا كف عنه وتعفف إذا تكلف في الإمساك.

تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ السيماء والسيمااء والسمة: العلامة التي يعرف بها الشيء، واختلفوا في معناها هاهنا، فقال مجاهد: هي التخشع والتواضع، وقال السدي: أثر الجهد من الحاجة والفقر، وقال الضحاك: صفة ألوانهم من الجوع والضر وقيل رثاثة ثيابهم، لا يسألون الناس إلحافاً قال عطاء: إذا كان عندهم غداء لا يسألون عشاء، وإذا كان عندهم عشاء لا يسألون غداء، وقيل: معناه لا يسألون الناس إلحافاً أصلاً لأنه قال: من التعفف، والتعفف ترك السؤال (٣). (٥٥٠)

ويأمرنا الله عز وجل بالعفة عن أموال اليتامى تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦].

(أي: من كان في غنية عن مال اليتيم فليستعفف عنه، ولا يأكل منه شيئاً. قال الشعبي: هو عليه كالميتة والدم).

﴿الأمر بالعفة في السنة النبوية: إخوة الإسلام: جاء النبي - صلى الله عليه وسلم - ليتمم مكارم وصالح الأخلاق ومن بين تلك الأخلاق الرفيعة خلق العفة فيها هو صلى الله عليه وسلم - يرسى معالم العفة ويحث النفوس على الاستقبال إليها والصيرورة من أهلها.

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ثلاثة حق على الله عز وجل عونهم: الكاتب الذي يريد الأداء، والنّاكح الذي يريد العفاف، والمجاهد في سبيل الله عز وجل. (٥٥١)

(أي العفة من الزنا. قال الطيبي: إنما أثر هذه الصيغة إيداناً بأن هذه الأمور من الأمور الشاقة التي تفدح الإنسان وتقصم ظهره، لولا أن الله تعالى يعينه عليها لا يقوم بها، وأصعبها العفاف لأنه قمع الشهوة

٥٥٠ - (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (٦/ ٨٤).

٥٥١ - صحيح سنن النسائي: ٣٢١٨

الجبلية المركوزة فيه، وهي مقتضى البهيمية النازلة في أسفل السافلين، فإذا استعف وتداركه عون الله تعالى ترقى إلى منزلة الملائكة وأعلى عليين).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ، قَالَ: " أَقْبِلُوا لِي بِسِتٍّ أَتَقْبَلُ لَكُمْ بِالْحَنَّةِ ". قَالُوا: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: " إِذَا حَدَّثَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَكْذِبْ، وَإِذَا وَعَدَ فَلَا يَخْلِفْ، وَإِذَا أَوْثَمَنَ فَلَا يَخُنْ، غَضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكَفُّوا أَيْدِيَكُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ " (٥٥٢)

العنصر الثالث: مجالات العفة

١ - عفة الفرج

المجال الأول عفة الفرج: وهو أن يصون المسلم والمسلمة نفسه وفرجه عما حرم الله من الوقوع في هوة الرذيلة وقد جاء في القرآن الكريم إشارة إلى هذه العفة في قوله تعالى ﴿وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣].

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ٧].

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ " (٥٥٣)

عَنْ أَبِي بَرزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّمَا أَخَشَى عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْغَيِّ فِي بُطُونِكُمْ، وَفُرُوجِكُمْ وَمُضِلَاتِ الْهَوَى. (٥٥٤)

الواقع التطبيقي: وهذه الآيات والأحاديث لم تكن في يوم من الأيام عبارات تقرأ، بل كانت واقعا تطبيقيا في حياة المسلمين والمسلمات.

عفة نبي الله يوسف عليه السلام:

فهو رمز للعفة والطهارة، والخوف من الله، فلا نجد خيرا منه رمزا ومثلا؛ لما جاء في حديث السبعة الذين يظلمهم الله في ظله «... وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ..» (٥٥٥)

٥٥٢ - أخرجه أحمد ٣٢٣/٥، والسلفي في "المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق" للخرائطي برقم (٢٧٠)

٥٥٣ - أخرجه أحمد (١٩١/١)، رقم (١٦٦١). وأخرجه أيضاً: الطبراني في الأوسط (٣٣٩/٨) رقم (٨٨٠٥)، قال المنذرى

(٣٣/٣)

٥٥٤ - أخرجه أحمد ٤٢٣/١.



فها هي امرأة العزيز تراوده وهي ذات منصب وجمال، كما أنها هيأت له كل السبل التي تحقق لهما الخلوة التامة، ودون أن يكتشف ذلك أحداً، ولكنه يأتى ذلك لاستحضار مراقبة الله له وخوفه من غضبه.. ﴿وَرَأَوْنَاهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٣، ٢٤].

❦ ما لي ولعبيد بن عمير:

يقول ابن الجوزي - رحمه الله - صالح بن أحمد بن عبد الله بن مسلم العجلي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عبد الله، قال: كانت امرأة جميلة بمكة، وكان لها زوج، فنظرت يوماً إلى وجهها في المرآة، فقالت لزوجها: أترى أحداً يرى هذا الوجه لا يفتتن به، قال: نعم، قالت: ومن؟ قال: عبيد بن عمير، قالت: فأذن لي فيه فلافتننه، قال: قد أذنت لك.

قال: فأتته كالمستفتية، فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام. قال: فأسفرت عن وجه مثل فلقة القمر، فقال لها: استتري يا أمة الله، قالت: إني قد فتنت بك فانظر في أمري، قال: إني سائلك عن شيء، فإن أنت صدقت نظرت في أمرك، قالت: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك. قال: أخبريني، لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك كان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

قالت: اللهم لا. قال: صدقت، فلو أدخلت قبرك فأجلست للمساءلة أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

قالت: اللهم لا.

قال: صدقت، فلو أن الناس أعطوا كتبهم فلا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أو بشمالك، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

قالت: اللهم لا.

قال: صدقت، فلو أردت الممر على الصراط فلا تدرين تنجين أم لا تنجين، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

قالت: اللهم لا. قال: صدقت، فلو جيء بالموازين وجيء بك لا تدرين تخفين أم تثقلين، أيسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

قالت: اللهم لا.

قال: صدقت. قال: فلو وقفت بين يدي الله تعالى للمساءلة، كان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟
قالت: اللهم لا، قال: صدقت، فاتق الله يا أمة الله، فقد أنعم الله عليك وأحسن إليك.
قال: فرجعت إلى زوجها، قال: ما صنعت؟ قالت: أنت بطل ونحن بطالون. فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة.
قال: فكان زوجها يقول: مالي ولعبيد بن عمير أفسد علي امرأتي كانت لي في كل ليلة عروساً، فصيرها راهبة.

المجال الثاني: عفة اللسان:

والمجال الثاني من مجالات العفة أن يمسك المسلم لسانه عن كل مالا يحبه الله تعالى من أقوال من غيبة ونميمة واستهزاء وسخرية وطعن في أعراض المسلمين وعن فحش القول وزوه.
فالله تعالى اخبرنا انه سيحاسبنا عن أقوالنا كما سيحاسبنا عن أفعالنا من الله تعالى على عباده بعينين ولسان وشفيتين، وخيرهم بين طريق الخير والشر.
وقال تعالى: ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨]، الواجب على المسلمة أن تنتبه لما يخرج من فمها، فإن الملائكة تحصي كلمات ابن آدم.
قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]، وصَّى الله عز وجل عباده المؤمنين أن يتقوه فيما تنطق به الألسنة، فقال جل وعلا في كتابه المبين آمراً عباده المؤمنين، وواعداً لهم بعظيم ما يكون من الخير في الدنيا والآخرة إذا اتقوا الله في اللسان.
من اتقى الله في لسانه، فإن الله وعده أن يصلح حاله، وأن يحسن عاقبته ومآله، وأنه يفوز فوزاً عظيماً.
وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣]، دعت هذه الآية بعمومها المسلم واليهودي والنصراني وغيرهم. فحتى المشركة عليك أن تحسن خلقك وألفاظك معها.
وقال الله جل ذكره: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون: ١ - ٣]، فليس لك أختي أن تلغي وتتكلمي كما تشائين.
وصف الله أهل الإيمان بقوله: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٢].
، عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟، قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ». (٥٥٦)



عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: «قلتُ يا رسولَ الله ما النَّجاةُ قال أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وِلْيَسْعَكَ بَيْتَكَ، وابكِ على خَطِيئَتِكَ». (٥٥٧)

عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي عَمَلًا يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ. قَالَ: " لَئِنْ كُنْتُ أَقْصَرْتَ الْخُطْبَةَ، لَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمَسْأَلَةَ. أَعْتَقِ النَّسَمَةَ، وَفُكِّ الرَّقَبَةَ " قَالَ: أَوْلَيْسَا وَاحِدًا؟ قَالَ: " لَا عِتْقُ النَّسَمَةِ: أَنْ يَنْفَرَدَ بِعِتْقِهَا، وَفُكُّ الرَّقَبَةِ أَنْ يُعِينَ فِي ثَمَنِهَا، وَالْمِنْحَةُ الْوَكُوفُ - أَظُنُّهُ قَالَ: وَالْفَيْءُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الظَّالِمِ -، فَإِنْ لَمْ تُطِيقْ ذَلِكَ، فَأَطْعِمِ الْجَائِعَ، وَاسْقِ الظَّمْآنَ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِنْ لَمْ تُطِيقْ ذَلِكَ، فَكُفِّ لِسَانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ "». (٥٥٨)

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنك لن تزال سالمًا ما سكتَ، فإذا تكلمت كُتِبَ لك أو عليك». (٥٥٩)

📌الواقع التطبيقي:

جاء رجل إلى وهب فقال له: إن فلانا شتمك، فقال له: أما وجد الشيطان بريدا غيرك؟ وجاء آخر إلى عمرو بن عبيد فقال له: إن الأسواري لم يزل يذكرك ويقول: الضال، قال عمرو: يا هذا والله ما رعيت حق مجالسته إذ نقلت إلينا حديثه، ولا رعيت حقي حين أبلغتني عن أخي ما أكرهه، اعلم أن الموت يعمنا، والبعث يحشرنا، والقيامة تجمعنا والله يحكم بيننا. ورفع إنسان رقعة إلى صاحب بن عباد يحرضه فيها على أخذ مال يتيم - وكان له مال كثير - فكتب على ظهر الرقعة: النميمة قبيحة، وإن كانت صحيحة، والميت رحمه الله، واليتيم جبره الله، والمال ثمرة الله، والساعي لعنه الله.

📌المجال الثالث: العفة عن المسألة: والمجال الثالث من مجالات العفة عن أن يكف المسلم نفسه عن مسألة الناس وأن يكون عزيز مستغنيا بالله تعالى لا ما نراه الآن في الطرقات والمواصلات والأسواق وعلى أبواب المساجد من أناس جعلوا المسألة وسيلة لجمع المال واتخذوا ذلك حرفة ووظيفة. ولقد ضرب الفقراء في عهد سيد الأصفياء - صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة على العفة وصون النفس قال الله - تعالى:- ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣].

٥٥٧ - المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة (١٨/ ٧٦) وسنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٦٠٥) (٢٤٠٦) صحيح لغيره

٥٥٨ - مسند أحمد ط الرسالة (٣٠/ ٦٠٠) وأخرجه عبد الله بن المبارك في "البر والصلة" (٢٧٧)، والطيالسي (٧٣٩)

٥٥٩ - البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ١٣)، رقم (٤٢٢٥)، والطبراني (٢٠/ ١٤٣)، رقم (٢٩٢).

قال ابن عجيبة: ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾، أي: من أجل تعففهم عن السؤال. وقال ابن القيم: "وصفهم بتركهم مسألة الناس، فلا يسألونهم".

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللَّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنَّ الْمِسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطِنُ بِهِ، فَيَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ» (٥٦٠)

وكره رسول الله أن يكون لأحدنا ما يعف به ثم تراه يستشرف ما عند الآخرين. فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: سَرَّحَنِي أُمِّي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- (يعني: لأسأله من حاجة شديدة)، فَاتَّيْتُهُ وَقَعَدْتُ. فَاسْتَقْبَلَنِي وَقَالَ: "مَنْ اسْتَعْنَى أَغْنَاهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَمَنْ اسْتَعْفَّ أَغْفَهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَمَنْ اسْتَكْفَى كَفَاهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَمَنْ سَأَلَ وَلَهُ قِيَمَةٌ أُوقِيَّةٌ فَقَدْ أَلْحَفَ (ألح من غير اضطرار)". فَقُلْتُ: "نَاقَتِي الْيَاقُوتَةُ خَيْرٌ مِنْ أُوقِيَّةٍ، فَارْجَعْتُ وَلَمْ أَسْأَلْهُ" صحيح النسائي. والأوقية أربعون درهما. ولذلك كرهوا لمن له هذا المقدار أن يسأل الناس، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَأَلَ وَلَهُ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا، فَهُوَ الْمُلْحِفُ» (٥٦١)

ومثل ذلك من كانت له استطاعة بدنية على العمل والكسب، ثم يفضل الاتكال على الغير، يستجديهم ويسألهم. يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لَا يَفْتَحُ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ مَسْأَلَةٍ، إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ. يَأْخُذُ الرَّجُلُ حَبْلَهُ، فَيَعِمِدُ إِلَى الْجَبَلِ، فَيَحْتَطِبُ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَأْكُلُ بِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ مُعْطًى أَوْ مَمْنُوعًا" (٥٦٢)

ومطية العفاف الصبر. فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رضي الله عنه - أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ: "مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ" (٥٦٣)

٥٦٠ - أخرجه البخاري "١٤٧٩" في الزكاة: باب قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ (البقرة: من الآية ٢٧٣)،

٥٦١ - النسائي في سننه ج ٥/ ص ٩٨ حديث رقم: ٢٥٩٤لر

٥٦٢ - مسند أحمد ط الرسالة (١٥ / ٢٤٧) وأخرجه ابن حبان (٣٣٨٧) صحيح الجامع: ٣٠٢٤، والصحيحة: ٢٥٤٣

٥٦٣ - أخرجه البخاري (١٤٦٩) في الزكاة: باب الاستعفاف عن المسألة، ومسلم (١٠٥٣) في الزكاة: باب فضل التعفف والصبر، وأبو داود (١٦٤٤)



وهو ما يؤكد قول النبي -صلى الله عليه وسلم- كما في الحديث عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اسْتَغْنُوا عَنِ النَّاسِ وَلَوْ بِشَوْصِ السَّوَاكِ " (٥٦٤)

📌 الواقع التطبيقي: ولذلك كان أحدهم يستعف أن يسخر غيره في أدنى الأمور وعن ثوبان قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: " مَنْ يَضْمَنْ لِي وَاحِدَةً وَأَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ؟ ". قَالَ ثوبان: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: " لَا تَسْأَلِ النَّاسَ شَيْئًا ". فَكَانَ سَوْطُ ثَوْبَانَ يَسْقُطُ وَهُوَ عَلَى بَعِيرِهِ، فَيَنْبِخُ حَتَّى يَأْخُذَهُ، وَمَا يَقُولُ لِأَحَدٍ نَاولِيهِ " (٥٦٥)

ولقد فتح المسلمون مقر كسرى، وبعثوا إلى عمر بن الخطاب - بما وجدوه من نفائس قصره بما في ذلك تاجه - ليوزعها على الفقراء، فبكى عمر وقال لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: " إن قوما أدوا هذه الأمانة كاملةً غير منقوصة لأمناء ". فقال علي - رضي الله عنه -: " يا أمير المؤمنين، عَفَفْتَ فَعَفُوا، وَلَوْ رَتَعْتَ لَرَتَعُوا ".

كنا نرى الأصنام من ذهب فنه دمهـا ونهدم فوقها الكفار
لو كان غير المسلمين لحازها كترًا وصاغ الحلي والدينار

📌العنصر الرابع ثمرات العفة:

١ - أن العفيف من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ حَسَبٍ وَمَنْصِبٍ إِلَى نَفْسِهَا فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَسْجِدِ مُنْذُ يَخْرُجُ مِنْهُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ أَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُهُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ " (٥٦٦)

٢ - العفة سبب للنجاة من الابتلاءات والمضائق:

فقد جاء في قصة أصحاب الغار، الذين انطبقت عليهم الصخرة أن أحدهم توسل إلى الله بقوله: عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ يَتَمَاشَوْنَ، أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَبَيْنَمَا هُمْ فِيهِ حَطَّتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ..... " وَقَالَ الْآخَرُ:

٥٦٤ - أخرجه الطبراني (٤٤٤/١١، رقم ١٢٢٥٧). والبخاري (٤٣٢/١، رقم ٩١٣)، والبيهقي في

شعب الإيمان (٢٧٤/٣، رقم ٣٥٢٧) صحيح الجامع: ٩٤٧، الصحيح: ١٤٥٠

٥٦٥ - مسند الإمام أحمد ج ٥/ ص ٢٧٩ حديث رقم: ٢٢٤٥٨

٥٦٦ - رواه البخاري (٦٢٩)، ومسلم (١٠٣١).

اللَّهُمَّ إِنَّهَا كَانَتْ لِي ابْنَةٌ عَمٌّ فَأَحْبَبْتُهَا حَتَّى كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَأَلْتُهَا نَفْسَهَا فَقَالَتْ: لَا حَتَّى تَأْتِيَنِي بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَأَتَيْتُهَا بِهَا، فَلَمَّا كُنْتُ بَيْنَ رَجُلَيْهَا، قَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ عَنْهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا فُرْجَةً، فَفُرِجَ لَهُمْ فِيهَا فُرْجَةٌ،، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَخَرَجُوا يَتِمَّاشُونَ " (٥٦٧)

٣ - أن العفيف من أول من يدخل الجنة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: شَهِيدٌ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ، وَعَبْدٌ أَحْسَنَ عِبَادَةَ اللَّهِ وَنَصَحَ لِمَوَالِيهِ" (٥٦٨)

فاعلم أيها المتعفف أنك من أوائل من تحتضنهم الجنة. عن عياض بن حمار - رضي الله عنه -، قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، يقول: أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ: مُقْسِطٌ مُصَدِّقٌ، مُوقِنٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ بِكُلِّ ذِي قُرْبَى، وَمُسْلِمٌ، وَرَجُلٌ عَفِيفٌ فَقِيرٌ مُتَصَدِّقٌ " (٥٦٩)

٤ - إعانة الله لمن أراد العفاف: إِنْ اللَّهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى تَكْفُلُ بِمُقْتَضَى وَعَدِهِ إِعَانَةً مَنْ يَرِيدُ النِّكَاحَ حَتَّى يَعْفَ، فَقَدْ رَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ثَلَاثَةٌ حَقُّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَوْنُهُمْ: الْمُكَاتَّبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعِفَافَ، وَالْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. (٥٧٠)

٥٦٧ - صحيح البخاري: ج ٣/ص ١٢٧٨ ح ٣٢٧٨

٥٦٨ - أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٤٢٥، وأخرجه الترمذي في السنن ٤/ ١٧٦، كتاب فضل الجهاد (٢٣)، باب ما جاء في ثواب الشهداء (١٣)، الحديث (١٦٤٢)، واللفظ له، وأخرجه الحاكم في المستدرک ١/ ٣٨٧، كتاب الزكاة، باب أول ثلاثة يدخلون الجنة..

٥٦٩ - أخرجه مسلم (٢٨٦٥) (٦٣)

٥٧٠ - صحيح سنن النسائي: ٣٢١٨



الوفاء بالعهود ومجالاته (٥٧١)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي نور بجميل هدايته قلوب أهل السعادة، وطهر بكريم ولايته أفئدة الصادقين فأسكن فيها وداذه، ودعاها إلى ما سبق لها من عنايته فأقبلت منقاداً، الحميد المجيد الموصوف بالحياة والعلم والقدرة والإرادة، نحمده على ما أولى من فضل وأفاده، ونشكره معترفين بان الشكر منه نعمة مستفاده.

وأشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلى يوم لقاءه

تعطف بفضل منك يا مالك الورى فأنت ملاذي سيدي ومعيني

لئن أبعدتني عن حماك خطيئتي فأنت رجائي شافعي و يقيني

ولست أرى لي حجة أبتغي بها رضاك إن العفو منك يقيني

وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحببيه

الذي أقام به منابر الإيمان ورفع عماده، وأزال به سنان البهتان ودفع عناده

وشفع في خير الخلائق طرأ نبيا لم يزل أبدا حبيا

هو الهادي المشفع في البرايا وكان له رحيم مستجيبا

عليه من المهيمن كل وقت صلاة تملأ الأكوان طيبا

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين

ونحن معهم يا أرحم الراحمين

ثم أما بعد:

وَفَاءُ الْعَهْدِ مِنْ شِيمِ الْكِرَامِ وَنَقْضُ الْعَهْدِ مِنْ شِيمِ اللَّئَامِ

وعندي لا يُعَدُّ مِنَ السَّجَايَا سِوَى حِفْظِ الْمَوَدَّةِ وَالذِّمَامِ

وما حُسْنُ الْبِدَاءِ شَرْطُ حُبٍّ وَلَكِنْ شَرْطُهُ حُسْنُ الْخِتَامِ

وليسَ الْعَهْدُ مَا تَرَعَاهُ يَوْمًا وَلَكِنْ مَا رَعَيْتَ عَلَى الدَّوَامِ

نَقَضْتُمْ يَا كِرَامَ الْحَيِّ عَهْدًا حَسْبَنَاهُ يَدُومُ لِأَلْفِ عَامِ

وَكُنَّا أَمْسَ نَطْمَعُ فِي جَوَارٍ * فصرنا اليوم نقنع بالسَّلامِ

جَرَى عَهْدُ الثَّقَاتِ عَلَى فَعَالٍ *** وعهدُ الغادرينَ على كلامِ

أَنَا الْخَلُّ الْوَفِيُّ وَإِنَّ نَفْسِي *** تَقِي حَقَّ الصَّدِيقِ عَلَى التَّمَامِ
أُرَاعِي حَقَّهُ مَا دَامَ حَيًّا *** وَبَعْدَ وَفَاتِهِ حَقَّ الْعِظَامِ
العنصر الأول: معنى الوفاء بالعهد وفضله:

اعلم علمني الله وإياك: أن العهد عبارة عن تعاقد بين طرفين أساسه وعد كل منهما أن يفيا تجاه صاحبه بأمر من الأمور، ويقول ابن الجوزي رحمه الله: العهد الذي يجب الوفاء به هو الذي يحسن فعله فإذا عاهد العبد عليه وجب الوفاء به والوعد من العهد.

وقال أيضا: - العهد وهو عام فيما بينك وبين الله وفيما بينك وبين الناس (٥٧٢)
وقال الزجاج: كل ما أمر الله به ونهى عنه فهو من العهد (٥٧٣)

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ [المائدة: ١] قال ابن عباس ومجاهد و وغير واحد يعنى العهود، وحكى ابن جرير الإجماع على ذلك..

وقال على ابن طلحة عن عباس في قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ يعنى العهود، ما احل الله وما حرم، وما فرض وما حد في القرآن كله ولا تغدروا ولا تنكسوا ثم شدد في ذلك، فقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥]

وقال الضحاك ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ قال: ما احل الله وحرم وما اخذ الله من الميثاق على من اقر بالإيمان بالنبي والكتاب أن يوفوا بما اخذ الله عليهم من الفرائض من الحلال والحرام
وقال زيد بن اسلم " ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ قال هي سنة الله عهد الله وعقد الحلف وعقد الشركة وعقد البيع، وعقد النكاح وعقد اليمين " (٥٧٤)

اعلم علمني الله وإياك: إن الوفاء خلق من أخلاق الأنبياء والأولياء والصالحين وهو كمال وافر وسلوك نبيل وهمه عالية وشجاعة نادرة، فالوفى عبد صادق مع ربه صادق مع نفسه صادق مع إخوانه لا يعرف الغدر والخيانة ولا نقض العهود.

والوفاء بالعهد صفة من صفات أولى الألباب الذين اختصهم الله بوسع رحمته واعد لهم جنته حيث يقول سبحانه ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ [الرعد: ٢٠]

٥٧٢ - زاد المسير ج ٤ ص ٤٨٤

٥٧٣ - زاد المسير ج ٥ ص ٣٤

٥٧٤ - تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣



فهؤلاء الأوفياء ومن سار على نهجهم اعد الله لهم جنات عدن يقول سبحانه ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢ - ٢٤]

ولقد أمر المولى سبحانه عباده بالوفاء ونهاهم عن الغدر ونقض العهود فقال

سبحانه ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]

وقال سبحانه ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل: ٩١]

وقال ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢]

وقال سبحانه ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [النحل: ٩٥] ومن هنا وجب على كل مسلم ومسلمة الوفاء بالعهود التي أخذها الله علينا وأخذناها على أنفسنا.

العنصر الثالث: مجالات الوفاء بالعهود

المجال الأول: الوفاء بعهد الله

اعلم علمي الله وإياك... أن الله اخذ علينا العهود والمواثيق وامرنا بالوفاء بها ونهانا عن نقضها: وأول هذه العهود الإيمان به وإفراده بالعبودية ولا نشرك به أحد، فقد اخذ الله عليك العهد والميثاق في عالم الذر وقد أقررت بذلك يقول سبحانه ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]

يقول الشنقيطي - رحمه الله -

فمعنى قوله: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ أن إشهدهم على أنفسهم إنما هو بما نصب لهم من الأدلة القاطعة بأنه ربهم المستحق منهم لأن يعبدوه، وحده، وعليه فمعنى قالوا بلى، أي قالوا ذلك: بلسان حالهم لظهور الأدلة عليه ونظيره من إطلاق الشهادة على شهادة لسان الحال قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧] أي بلسان حالهم على القول بذلك، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [العاديات: ٦-٧] أي بلسان حاله أيضاً على القول بأن ذلك هو المراد في الآية أيضاً

وأما السنة: فإنه قد دلت أحاديث كثيرة على أن الله أخرج ذرية آدم في صورة الذر فأخذ عليهم الميثاق كما ذكر هنا، وبعضها صحيح قال القرطبي في تفسير هذه الآية: قال أبو عمر - يعني ابن عبد البر - لكن معنى هذا الحديث قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه ثابتة كثيرة من حديث

عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وأبي هريرة رضي الله عنهم أجمعين وغيرهم.. محل الحاجة منه بلفظه، وهذا الخلاف الذي ذكرنا هل يكتفي في الإلزام بالتوحيد بنصب الأدلة، أو لا بد من بعث الرسل لينذروا؟ هو مبنى الخلاف المشهور عند أهل الأصول في أهل الفترة. هل يدخلون النار بكفرهم؟ وحكى القرافي عليه الإجماع وجزم به النووي في (شرح مسلم)، أو يعذرون بالفترة وهو ظاهر الآيات التي ذكرناها، وإلى هذا الخلاف أشار في (مراقي السعود) بقوله: ذو فترة بالفرع لا يراع... وفي الأصول بينهم نزاع (٥٧٥)

ولما كان من طبيعة الإنسان النسيان فقد بعث الله رسله مبشرين ومنذرين، وبهذا العهد مذكرين، فمن أطاعهم فقد وفي، ومن عصاهم فقد نقض عهد الله من بعد ميثاقه، والله تعالى ينكر على من لا يجيبه من بعد ميثاقه، والله تعالى ينكر على من لا يجيب رسوله ولا يفى بعهدة فيقول ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الحديد: ٨] ويوم القيامة يوبخ الله تعالى الذين نقضوا الميثاق يوبخهم على رؤوس الأشهاد فيقول ﴿وَأَمْتَارُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ (٥٩) أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿[يس: ٥٩ - ٦٤]

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله (ﷺ) " يقول الله تعالى أهون أهل النار عذاباً لو كانت لك الدنيا كلها أكنت مفتدياً بها ؟ فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أيسر من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئاً ولا أدخلك النار وأدخلك الجنة فأبيت إلا الشرك " (٥٧٦)

فمن آمن بالله وعبدته حق عبادته فعلم علم اليقين أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فتوكل واستعان واستغاث ونذر وأحب وأبغض لله فقد أوفى بعهد الله تعالى، ومن أحب غيره أو اعتقده في غيره أنه ينفع ويضر فنذر وخاف واستعان به من الولي أو النبي فقد نقض عهد الله من بعد ميثاقه

٥٧٥ - أضواء البيان ج ٢ ص ١٤٣-١٤٤

٥٧٦ - أخرجه البخاري ومسلم



الواقع التطبيق لهذا المجال

وهيا لنقف مع الأوفياء الذين أوفوا بما عاهدوا الله عليه

أولاً: إبراهيم - عليه السلام - فهو إمام الخنفاء وإمام الأوفياء يقول سبحانه وتعالى ﴿وإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٧]

يقول ابن كثير - رحمه الله - قال سعيد بن جبير - " وفي " أي بلغ جميع ما أمر به، وقال ابن عباس " وفي " لله بالبلاغ، وقال سعيد بن جبير " في " ما أمر به، وقال قتادة " وفي " طاعة الله وأدى رسالته إلى خلقه وهذا القول هو اختيار ابن جرير وهو يشمل الذي قلبه ويشهد له قوله تعالى ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]

فقام بجميع الأوامر وترك جميع النواهي وبلغ الرسالة على التمام والكمال فاستحق بهذا أن يكون للناس إماماً يقتدي به في جميع أحواله وأقواله وأفعاله قال الله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣] (٥٧٧)

ثانياً: وفاء أنس بن النضر - رضي الله عنه -

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ الجنة، ورب الكعبة إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما أصنع، قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف وطعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل ومثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببناؤه قال أنس كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (٥٧٨)

وفاء أعرابي: وهذا أعرابي آمن بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وبايعه على الجهاد في سبيل الله فعن شداد بن الهاد - رضي الله عنه - أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأمن به واتبعه ثم قال: أهاجر معك، فأوصا به النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه فلما كانت غزوة غنم النبي

٥٧٧ - تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٥٧ - ٢٥٨

٥٧٨ - أخرجه البخاري ح ٢٦٥١ ومسلم ح ١٩٠٣

-صلى الله عليه وسلم- سبيًا فقسم، وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي -صلى الله عليه وسلم- فأخذه فجاء به إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: ما هذا؟ قال: "قسمته لك" قال: ما على هذا اتبعتك، ولكنني اتبعتك على أن أرميها هنا -وأشار إلى حلفه- بسهم فأموت فأدخل الجنة فقال "إن تصدق الله يصدقك" فلبثوا قليلًا ثم نفضوا في قتال العدو، فأتي به النبي -صلى الله عليه وسلم- أهو هو؟ قالوا: نعم، قال: صدق الله فصدقه "ثم كفنه النبي -صلى الله عليه وسلم- في جبة النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته "اللهم هذا عبدك خرج مهاجرًا فقتل شهيدًا أنا شهيد على ذلك" (٥٧٩)

المجال الثاني: الوفاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

اعلم علمني الله وإياك: أن العبد إذا نطق بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وجب عليه أن يفي بمضمون تلك الشهادة لأن الشهادة إقرار وتعهد من العبد أن لا إله سوى الله تعالى الذي أخذه علينا في عالم الذر، والآن نقف مع الوفاء بعهد رسوله (صلى الله عليه وسلم) فاعلم زادك الله علمًا: أن الوفاء مع النبي (صلى الله عليه وسلم) إنما يكون بطاعته وإتباعه والتمسك بسنته والعرض عليها بالنواجز فإن طاعته من طاعة الله يقول سبحانه وتعالى مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا بَلْ إِنَّهُ سَبْحَانَهُ جَعَلَ طَاعَتَهُ مِنْ مَوْجِبَاتِ الْهَدَايَةِ فَقَالَ سَبْحَانَهُ ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤]

واعلم أنك لن تحقق الوفاء بعهد الله إلا إذا حققت الوفاء مع نبيه (صلى الله عليه وسلم) لذا قال النبي (صلى الله عليه وسلم) كل أمي يدخلون الجنة إلا من أبي قيل ومن يأبى يا رسول الله؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى" (٥٨٠)

الواقع التطبيقي لهذا المجال

الرابع - رضي الله عنه - وقد قضى نخبه في سبيل إعلاء كلمة الله فعن زيد بن ثابت قال بعثني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم أحد لطلب سعد بن الربيع وقال: إن رأيته فأقرئه مني السلام وقل له: كيف تجدك؟ قال فأتيته وهو في آخر رمق به سبعون ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف، ورميه بسهم، فقلت: إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمرني أنظر في الأحياء أنت أم في الأموات؟ قال إني في الأموات فأبلغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عني السلام وقل إن سعد بن الربيع يقول

٥٧٩ - أخرجه النسائي (٦٠/٤) صححه الألباني في (س) ١٩٥٣، وصحيح الترغيب والترهيب: ١٣٣٦

٥٨٠ - أخرجه البخاري (٢٦٥٥/٦)، رقم (٦٨٥١).



جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته، وقل: إني أجد ريح الجنة وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: لا عذر لكم عند الله تعالى إن خلص إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مكروه وفيكم عين تطرف ثم لم يبرح أن مات ((٥٨١)

المجال الثالث: الوفاء مع الناس

اعلم زادك الله علماً أن الوفاء بعهد الله ورسوله يقتضي الوفاء مع عباد الله ولقد أمرنا سبحانه بذلك في كتابه فقال سبحانه ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٩١) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبُلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ وَلِيَبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿ [النحل: ٩١، ٩٢]

فالله سبحانه أمرنا بالوفاء سواء كانت هذه العهود بين المسلم وربه أو كانت بينه وبين رسوله (صلى الله عليه وسلم) كالتي كانت بين النبي والأنصار، أو كانت بينه وبين أخيه المسلم، أو كانت بينه وبين الكافرين فالآية عامة تشمل جميع تلك العهود والمواثيق وعهد الله: هو العهد الذي يوثق باسمه ويقام تحت سلطانه ونقض العهد ونكثه وعدم الوفاء به، والذي يعاهد قد جعل الله هو الضامن لما كفل من عهد...

والوفاء بالعهود هو الضمان لبقاء عنصر الثقة في التعامل بين الناس وبدون هذه الثقة لا تستقر الحياة ولا يعم الرخاء ولا يسود الأمن والسلام

وإنه لجرم عظيم أن يعطي الإنسان عهداً باسم الله ويتخذ من هذا الاسم الكريم مدخلاً إلى ثقة الناس به واطمئنانهم إليه، ثم يكون منه غدر وخيانة

وتأمل أخي المسلم إلى ذلك المثل الذي ضربه الله للعهود ولمن نقضها، حيث أنه سبحانه شبه الذي ينقض العهود بامرأة خراق إلا عقل لها ولا رأى لها فهي تغزل حتى إذا أتمت غزلها نقضته مرة أخرى فهل يرضى المسلم العاقل أن يكون مثل تلك المرأة الحمقاء؟!

ثم أوضح سبحانه أنه يختبرنا بتلك العهود فقال ﴿ إِنَّمَا يَبُلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ ﴾ قال ابن جرير أي بأمره إياكم بالوفاء بالعهد ﴿ وَلِيَبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [النحل: ٩٢] فيجازي كل عامل بعمله من خير وشر

واسمع إلى تلك الوصية الربانية التي يوصيك الله فيها بالوفاء بالعهد وبنهاك أن تنقض العهد من أجل عرض من الدنيا قليل فيقول سبحانه ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٥) مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٥، ٩٦]

يقول ابن كثير - رحمه الله - أي لا تعتاضوا عن الإيمان بالله عرض الحياة الدنيا وزينتها فإنها قليلة ولو حيزت لابن آدم بخدافيرها لكان ما عند الله هو خير له، أي جزاء الله وثوابه خير لمن رجاه وآمن به وطلبه وحفظ عهده رجاء موعودة، ولهذا قال " إن كنتم تعلمون ما عندكم ينفد " أي يفرغ وينقضي فإنه إلى أجل معدود ومحصور مقدر متناه " وما عند الله باق " أي وثوابه لكم في الجنة باق " انقطاع ولا نفاد له فإنه دائم لا يحول ولا يزول ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦] قسم من الرب تعالى مؤكد باللام أنه يجازي أحسن أعمالهم أي ويتجاوز عن سيئها " (٥٨٢)

فيا أولي الأبواب هذا جزاء من أوفى بالعهد وطلب موعود الله له فهل يليق بمسلم بعد ذلك أن ينقض العهد ؟ وسمع إلى وصف المؤمنين الذين يرثون الفردوس وهم فيها خالدون لقد ذكر الله من خلالهم وصفاتهم أنهم يوفون بعهودهم ويحافظون عليها فقال جل جلاله ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٨ - ١١]

❖ الوفاء للزوجة:

واعلم علمني الله وإياك: أن العهود التي ينبغي لك الوفاء بها مع عباد الله كثيرة منها: الوفاء بعقد الزواج والوفاء بشروطه والوفاء للزوجة وكذا الزوج فإنه من أسمى العقود والعهود وقد سماه سبحانه وتعالى ميثاقاً غليظاً وحث على الوفاء به فقال سبحانه ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا (٢٠) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢٠، ٢١] فليكن الزوج وفياً لزوجته يحسن صحبتها ويعرف حقها فهي وصية النبي - صلى الله عليه وسلم - لجميع الأزواج فقال استوصوا بالنساء خيراً " فكم خدمتك وزوجتك وكم سهرت من أجلك، وكم شقيت معك، وكافحت لتبني حياتك ومستقبلك، فاعرف لها فضلها واحفظ لها جميلها، وكن وفياً لها، لا تغدر بها ولا تخنها ولا تضيعها



الواقع التطبيق لهذا المجال

وفاء النبي - صلى الله عليه وسلم لزوجته - خديجة - رضي الله عنها

واقته بالنبي (صلى الله عليه وسلم) فلقد كان المثل الأعلى في الوفاء لأزواجه تزوج خديجة - رضي الله عنها - فأقام معها خمساً وعشرين سنة لم يتزوج عليها حتى ماتت، وكان بعد موتها يذكرها بالجميل ويثنى عليها ويبر أهلها وخلائلها وفاء لها، حتى غارت عائشة - رضي الله عنها - " ما غرت على أحد من نساء النبي (صلى الله عليه وسلم) - ما غرت على خديجة - رضي الله عنها، وما رأيتها قط، ولكن كان يكثر ذكرها ربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا

خديجة فيقول: إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد (٥٨٣)

ودخلت عليه امرأة فهش لها، وأحسن السؤال عنها فلما خرجت قال: إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان " (٥٨٤)

وفاء الزوجة لزوجها

ولتكن المرأة وفيه لزوجها، فإن فضله عليها عظيم، وحقه عليها كبير، حتى قال النبي (صلى الله عليه وسلم) لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح أن يسجد بشر لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها والذي نفسي بيده لو أنه من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقيح والصدید ثم أقبلت تلحسه ما أدت حقه " (٥٨٥)

فحسب المرأة أن تحاول أن تقترب من الكمال وإن لم تبلغه حسبها أن تجتهد في الوفاء لزوجها وإن لم تف بحقه ولتحفظ المرأة زوجها في نفسها وماله ولتجتهد في تحميل صورها وتحسين هيئتها لذا قال النبي (صلى الله عليه وسلم) " إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها، قيل لها ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة إن شئت " (٥٨٦)

٥٨٣ - أخرجه البخاري ح ٣٦٠٧

٥٨٤ - أخرجه الطبراني في الكبير ح ٢٣

٥٨٥ - أخرجه أحمد ح ١٢٦٣٥ وقال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٧٧٢٥ في صحيح الجامع

٥٨٦ - أخرجه أحمد ح ١٦٦١ وابن حبان ح ٤١٦٣ والطبراني في الأوسط ح ٤٥٩٨ وصححه الألباني في المشكاة ح

الواقع التطبيقي لهذا المجال

ومن أروع أمثلة الوفاء من الزوجة ما حفظه التاريخ لفاطمة بنت عبد الملك بن مروان - رحمها الله - حيث أن زوجها عمر بن عبد العزيز خليفة المسلمين رغبها بالتبر بجليها إلى بيت مال المسلمين فتبرعت به، ثم لم يلبث عمر أن مات، ولم يترك لها ولا لأولادها شيئاً، فجاء مسئول بيت المال، فقال لها: إن حليك ومجوهراتك كلها موجودة احتفظت بمالك لمثل هذا اليوم، ولم أودعها بيت المال وقد جئت استأذنك لآتيك بها فقالت: لقد تبرعت بها لبيت المال طاعة لأمر المؤمنين في حياته، وما كنت لأطيعه حياً واعصيه ميتاً " (٥٨٧)

الوفاء بالدين والوفاء بموعده

فالمسلم يجب عليه أن يتصف بصفة الوفاء مع إخوانه ويحذر من مخالفة الوعد ونقض العهد. لأن الله نمانا عن إخلاف الموعد وعدم الوفاء بما نقول بل جعل ذلك من أعظم الذنوب وأكبر الآثام فقال سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣] فالذي يخلف الوعد فيه صفة من صفات المنافين قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر " (٥٨٨) وفي رواية " وإذا وعد أخلف "

الواقع التطبيقي لهذا المجال

عن أبي هريرة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أنه ذكر أن رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار قال اتنى بالشهود أشهدهم عليك قال: كفى بالله شهيدا قال: فأتني بكفيل قال: كفى بالله كفيلا قال: فدفعها إليه إلى أجل مسمى: فخرج في البحر وقضى حاجته ثم التمس مركبا يقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركبا فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها الدنانير وصحيفة منه إلى صاحبها ثم سد موضعها ثم أتى بها البحر فقال: اللهم إنك تعلم أني تسلفت من فلان ألف دينار وسألني كفيلا فقلت: كفى بالله كفيلا فرضى بك وسألني شهودا فقلت: كفى بالله شهيدا فرضى بك وقد جهدت أن أجدر مركبا أبعث إليه الذي له فلم أجدر مركبا وإني أستودعكها فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يطلب مركبا يخرج إلى بلده فخرج الرجل الذي كان سلفه رجاء أن يكون مركبا قد جاء بماله فإذا هو بالخشبة فأخذها لأهله حطباً فلما كسرهما وجد المال

٥٨٧ - من جوامع الكلم في القرآن ص ٢٤٢-٢٤٣

٥٨٨ - أخرجه البخاري ح ٣٤ ومسلم ح ٥٨



والصحيفة ثم قدم الرجل فأتاه بألف دينار فقال: والله ما زلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذي أتيت فيه فقال: هل كنت بعثت إلى بشيء قال: نعم قال: فإن الله عز وجل قد أدى عنك فانصرف بالألف دينار راشدا. أخرجه البخاري (٥٨٩)

﴿الوفاء بالعهد للأعداء﴾

﴿ومن صور الوفاء التي حث عليها الله وأمر بها الوفاء مع العدو وعد الغدر والخيانة، يقول المولى سبحانه وتعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾﴾ [التوبة: ٤]

ويقول صاحب المنار " والآية تدل على أن الوفاء بالعهد من فرائض الإسلام ما دام العهد معقودا، وعلى أن العهد المؤقت لا يجوز نقضه إلا بانتهاء وقته، وأن شرط وجوب الوفاء به علينا محافظة العدو المعاهد لنا عليه بخدائيرها من نص القول وفحواه والحنه المعبر عنها في هذا العصر بروحه فإن نقض شيئا ما من شروط العهد أو أدخل بغرض ما من أغراضه عدّا ناقضاً له إذ قال ﴿ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾ ولفظ شيء أعم الألفاظ وهو نكرة في سياق النفي فيصدق بأدنى إخلال بالعهد " (٥٩٠)

وهيا لنرى جزاء من غدر وخان ونقض العهد

عن عمرو بن الحمق - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " إذا اطمأن الرجل إلى الرجل ثم قتله بعد ما اطمأن إليه نُصب له يوم القيامة لواء غدر " (٥٩١)

وعن أبي سعيد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " إن الغادر ينصب له يوم القيامة فيقال: ألا هذه غدرة فلان بن فلان " (٥٩٢)

قال المناوي - رحمه الله - ينصب له يوم القيامة لواء غدر أي بعلم يعرف به في ذلك الموقف العظيم تشهيراً له بالغدر على رؤوس الأشهاد، فلما كان إنما يقع مكتوماً أو مستوراً اشتهر صاحبه بكشف ستره لتتم فضيحته وتشيع عقوبته، وذكر في رواية أخرى أن ذلك اللواء ينصب عند إسته مبالغة في غرابة شهرته وقبيح فعلته وعلى هذا فاللواء حقيقي " (٥٩٣)

٥٨٩ - أخرجه أحمد (٣٤٨/٢، رقم ٨٥٧١)، والبخاري (٨٠١/٢) رقم ٢١٦٩

٥٩٠ - تفسير المنار ج ١ ص ١٤٨

٥٩١ - أخرجه الحاكم ج ٨٠٤٠

٥٩٢ - أخرجه البخاري ج ٥٨٢٤ ومسلم ج ١٧٣٥

٥٩٣ - فيض القدير ج ١ ص ٢٨٩

وبوب الإمام البخاري " باباً " إثم من قتل معاهداً بغير جرم وساق حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال " من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً " (٥٩٤)

وعند أبي داود النسائي من حديث أبي بكر بلفظ " من قتل نفساً معاهده بغير حلها حرم الله عليه الجنة "

لأنه عاهده بذمة الله فيحرم عليه أن يخرف ذمة الله تعالى، فعن جويرية بن قدامة التميمي قال: سمعت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قلنا: أوصنا يا أمير المؤمنين، قال أوصيكم بذمة الله، فإنه ذمة نبيكم ورزق عيالكم " (٥٩٥)

📌 الواقع التطبيقي لهذا المجال

ومن صور وفائه (صلى الله عليه وسلم) تلك الصورة المشرفة، لما قدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المدينة أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد بن جارية، وكان ممن حبس بمكة، فلما قدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كتب فيه أزهر بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة والأحنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وبعث رجلاً من بني عمرو بن لؤي ومعه مولى لهم، فقدموا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بكتاب الأزهر والأحنس، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عليه وسلم) أبا بصير أنا قد أعطينا هؤلاء

القوم ما قد علمت ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فانطلق إلى قومك، قال يا رسول الله: أتردني إلى المشركين يفتونني في ديني؟ قال: يا أبا بصير: أنطلق فإن الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً " (٥٩٦)

وهكذا تجلّى وفاء سيد الأوفياء مع أعداء الإسلام فأتم وأوفى ولم لا وهو أمرنا بالوفاء بالعهود وحثنا عليها وحذرنا من نقضها فهو (صلى الله عليه وسلم) الأسوة الحسنة

ومن صور الوفاء مع العدو أيضاً أن معاوية - رضي الله عنه - كان بينه وبين الروم أمد، فأراد أن يدنو منهم فإذا انقضى الأمد غزاهم فإذا شيخ على دابة يقول: " الله أكبر الله أكبر وفاء لا غدر، إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: " من كان بينه وبين قوم عهد عهد فلا يحلن عقدة ولا يشدها حتى ينقضى أمدها أو ينبذ إليهم، عهدهم على سواء "

٥٩٤ - أخرجه البخاري ح ٣١٦٦ و ٦٩١٤

٥٩٥ - أخرجه البخاري ح ٣١٦٢

٥٩٦ - سيرة ابن هشام (٢/ ٣٢٢)



فبلغ ذلك معاوية فإذا الشيخ عمرو بن عبسة " (٥٩٧)

ومن عجائب ما يؤثر إبان فتح الأندلس أن امرءً أسبانياً اعتدى على فتى من العرب وقتله، ثم فر هارباً حتى رأى بستاناً فلجأ إليه فدخله فوجد فيه شيخاً جليلاً فاستجار به ليجيره من شر أعدائه فخبأه الرجل في مكان منفرد، ثم ارتفع الصباح بفناء البستان ودخل نفر من الناس يحملون القتيل فنظره الشيخ فوجده ابنه، واعتقد أن ذلك الشاب الذي التجأ إليه هو الذي قتل ابنه، فأخذ منه الحزن مأخذه، ولكن الشيخ قد أخفى حزنه وانتظر حتى أقبل الليل وهدأت الأصوات ثم قام ودخل على الفتى وأنبأه بنبأ الحادث المؤلم فهلع فؤاد الفتى لهول المصاب، وكاد يموت من الخوف ولكن الرجل رأى من الوفاء أن يؤمن ويهدئ روعه حتى سرى عنه، ثم قال: ما كنت لأخفر ذمتي وأنقض عهدي معك، ولكن لا آمن عليك من قومي أن يقتلوك فخذ مؤونة سفرة وارحل عني والله ولي أمري "

وصدق الله العظيم وهو أصدق القائلين ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أَلْوَا الْأَلْبَابِ ﴾ * الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ﴿ [الرعد ١٩: ٢٠]

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.
أما بعد:

العنصر الرابع ثمرات الوفاء

أحباب رسول الله - (صلى الله عليه وسلم) فإن قلتم ما هي الآثار المترتبة على الالتزام بالعهد والميثاق ؟
اعلموا زادكم الله علماً: أن آثار الوفاء بالعهود متنوعة ومتعددة، فهناك الآثار التي تخص الفرد وأخرى تعم الجماعة، بعضها في الحياة الدنيا، وأخرى يوم القيامة، فمن هذه الآثار:

١- الإيمان: وردت آيات كثيرة تنفي الإيمان عن الناقضين لعهدهم، وتصفهم بالكفر... وفي المقابل وصف الله سبحانه وتعالى الموفين لعهدهم وموآثيقهم بالإيمان، قال تعالى: وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [الحديد: ٨].

٢-التقوى:

التقوى أثر من آثار الوفاء بعهد الله، وثمره من ثمرات الالتزام بميثاقه، قال تعالى: **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** [البقرة: ٦٣].

٣-محبة الله:

أثبت الله محبته للمتقين الموفين بعهدهم، المستقيمين على عهودهم ومواثيقهم حتى مع أعدائهم ما استقاموا هم على تلك العهود، قال تعالى: **فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** [التوبة: ٧].

٤-حصول الأمن في الدنيا، وصيانة الدماء:

لم تقتصر آثار الوفاء بالعهد والميثاق على المسلمين وحدهم، وإنما شمل عدل الله، الكفار الذين لم يدخلوا في دين الإسلام، ولهم عهود مع المسلمين، فجاءت الآيات صريحة بوجوب الوفاء لهم وصيانة دمائهم.

٥ - حصول الأجر العظيم:

فقد وعد الله الموفين بعهدهم بجزاء عظيم، قال تعالى: **﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾** [الأحزاب: ٢٣-٢٤].

وقال: **وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْهُمْ أَجْرًا عَظِيمًا** [الفتح: ١٠].

٦-دخول الجنات:

فقد ورد في أكثر من آية جزاء من وفى بعهد، والتزم بميثاقه، وهو الوعد بدخول الجنة، قال تعالى: **﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾** [البقرة: ٤٠] قال ابن جرير: وعهده إياهم أنهم إذا فعلوا ذلك أدخلهم الجنة



﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ (٥٩٨)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي نور بجميل هدايته قلوب أهل السعادة، وطهر بكريم ولايته أفئدة الصادقين فأسكن فيها وداده، ودعاها إلى ما سبق لها من عنايته فأقبلت منقادة، الحميد المجيد الموصوف بالحياة والعلم والقدرة والإرادة، نحمده على ما أولى من فضل وأفاده، ونشكره معترفين بان الشكر منه نعمة مستفاده.

وأشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة أعددها من أكبر نعمه وعطائه، وأعددها وسيلة إلى يوم لقاءه

تعطف بفضل منك يا مالك الورى فأنت ملاذي سيدي ومعيني

لئن أبعدتني عن حماك خطيئتي فأنت رجائي شافعي ويقىني

ولست أرى لي حجة أبتغي بها رضاك إن العفو منك يقيني

وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحببيه

الذي أقام به منابر الإيمان ورفع عماده، وأزال به سنان البهتان ودفع عناده

وشفع في خير الخلائق طرا نبيا لم يزل أبدا حبيا

هو الهادي المشفع في البرايا وكان له رحيم مستجيبا

عليه من المهيمن كل وقت صلاة تملأ الأكوان طيبا

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين

ونحن معهم يا أرحم الراحمين

ثم أما بعد:

العنصر الأول تعريف الشكر:

قال الكفوي: الشكر كل ما هو جزاء للنعمة عرفا، وقال أيضا: أصل الشكر: تصوّر النعمة وإظهارها،

والشكر من العبد: عرفان الإحسان، ومن الله المجازاة والثناء الجميل (٥٩٩)

٥٩٨ - موقع الالوكة

٥٩٩ - الكليات للكفوي (٥٢٣).

وقال المناوي: الشُّكر: شكران: الأوَّل شكر باللسان وهو الثناء على المنعم، والآخر: شكر بجميع الجوارح، وهو مكافأة النعمة بقدر الاستحقاق، والشُّكور الباذل وسعه في أداء الشُّكر بقلبه ولسانه وجوارحه اعتقاداً واعترافاً (٦٠٠)

وقال ابن القيم: الشُّكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناء واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبةً، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة (٦٠١)

حكم الشكر:

شكر الله تعالى: حكمه واجب شرعاً من حيث الجملة، فلا يجوز تركه بالكلية؛ إذ إن الإكثار منه مستحب؛ وذلك في مواضع، منها: أن تحمد الله عز وجل على الطعام والشراب واللباس والصحة. الشكر يقابل الكفر

أحباب رسول الله - صلى الله عليه وسلم والذي يقرأ القرآن ليرى تلك القاعدة: أن الشكر يقابله الكفر إن الله تعالى جعل للإنسان طريقين: الشكر والكفر، يقول تعالى: (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) [الإنسان: ٣]. وهكذا ندرك أن الشكر فريضة على المسلم، وليس مجرد عادة تهدف لجلب الثرة أو النجاح أو الشهرة!

ولذلك قال تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) [إبراهيم: ٧]. تأملوا معي المترلة التي يحتلها الشكر في الإسلام، إذا لم تشكر الله فإن عذاب الله شديد! ولكن عندما تشكر الله تعالى فإن الله سيرزقك ويزيدك مالاً ونجاحاً وقوة: (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)، أليس هذا ما يؤكده الخبراء من غير المسلمين؟

العنصر الثاني: فضل الشكر وأركانه

إخوة الإيمان بعدما تبين لنا حقيقة الشكر وبيان حكمه لا بد أن نعرف أركانه وفضله فالشكر له أركان يقوم عليها ولا يتم شكر العبد إلا إذا حققها وللشكر أركان ثلاثة:

الركن الأول: الاعتراف بالنعمة باطنًا مع محبة المنعم.

أن تعترف أخي المسلم أن ما أنت فيه من نعم فمن عطاء الله ومن كرمه قال تعالى ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣]

٦٠٠ - التوقيف على مهمات التعاريف (٢٠٦ - ٢٠٧).

٦٠١ - مدارج السالكين (٢ / ٢٤٤) لابن القيم



الركن الثاني: والتحدثُ بها ظاهراً مع الشئاء على الله.

وهذا الركن قل من يقوم به في زمان كثر في الشاكي وتكاثرت فيه الهموم فما إن تسأل أحدا عن حاله إلا شكا لك الفقر والفاقة وقلة المال وهو يرف في نعم الله الظاهرة والباطنة يقول تبارك وتعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]، قال أهل التفسير معناها: انشر ما أنعم به الله عليك بالشكر والثناء، فالتحدث بنعم الله تعالى والاعتراف بها شكر، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، والحكم عام له ولغيره.

قال ابن العربي: إذا أصبت خيراً أو علمت خيراً فحدث به الثقة من إخوانك على سبيل الشكر لا الفخر والتعالي، وفي المسند مرفوعاً: من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بالنعمة شكر وتركها كفر... فهذا هو الأصل أن يتحدث المسلم بنعم الله تعالى عليه إلا إذا كان يخشى حسداً أو أن يترتب على الحديث عنها ضرر، فله أن يخفيها دفعاً للضرر. عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «التحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر، ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله، والجماعة بركة، والفرقة عذاب» (٦٠٢).

قصة: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً، فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قدرني الناس، قال: فمسحه، فذهب عنه قدره، وأعطى لونا حسنا وجلدا حسنا. قال: فأني المال أحب إليك؟ قال: الإبل - أو البقر - شك إسحاق، إلا أن الأبرص أو الأقرع قال أحدهما: الإبل، وقال الآخر: البقر، قال: فأعطي ناقة عشراء، وقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني الذي قدرني الناس قال: فمسحه فذهب عنه، وأعطى شعرا حسنا. فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر، أو الإبل، فأعطى بقرة حاملا قال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري؛ فأبصر به الناس، قال: فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأني المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطى شاة والدا؛ فأنتج هذان ووَلَدَ هذا.

٦٠٢ - أخرجه ابن أبي الدنيا في فضيلة الشكر (٦٢/١)، رقم ٨٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٢/٤)، رقم ٤٤١٩). قال العجلوني (٣٥٤/١)

قال: فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم. قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال، بغيرا أتبلغ به في سفري، فقال: الحقوق كثيرة. فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرک الناس فقيرا، فأعطاك الله عز وجل المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر، فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت. قال: أتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد على هذا، فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري. فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله. فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبك «(٦٠٣)»

الركن الثالث: صرفها في طاعة الله ومرضاته واجتناب معاصيه.

أن يسخر تلك النعم في طاعة المنعم جل جلاله لا أن يتخذها وسيلة للصد عن سبيله ومحاربة أوليائه

ورؤوس النعم ثلاثة:

أولها وأولها: نعمة الإسلام التي لا تتم نعمة على الحقيقة إلا بها.
ونعمة العافية التي لا تستقيم الحياة إلا بها.
ونعمة الرضا التي لا يطيب العيش إلا بها.
يقول أبو الدرداء: "من لم يعرف نعم الله - عز وجل - عليه إلا في مطعمه ومشربه فقد قلّ علمه".
لأن نعم الله دائمة، وآلاءه متتابعة، (وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) [إبراهيم: ٣٤]، وقال - عزّ شأنه -: (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً) [لقمان: ٢٠].

العنصر الثالث: الشكر من صفات الله تعالى

عباد الله: اعلّموا زادكم الله علما- أن الشكر من صفات الله تعالى ومن أسمائه الشكور
يقول تعالى: (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا) [النساء: ١٤٧].
فشكر الله عز وجل يكون من خلال كرمه وفضله ورزقه لنا، وشكرنا لله تعالى يكون من خلال التزامنا



بتعاليمه وطاعة أوامره والانتهاز عما نهي عنه. ولذلك فإن الله جعل الشكر صفة له فقال: (وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا). وكذلك جعل الشكر صفة لأنبيائه عليهم السلام فقال في حق سيدنا إبراهيم: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [النحل: ١٢١].

وقال تعالى عن نفسه: (لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ) [فاطر: ٣٠]. وحتى يوم القيامة فإن المؤمن يحمد الله تعالى وهو في الجنة، ويشكر الله الغفور الشكور على هذه النعم، يقول تعالى: (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) [فاطر: ٣٤]. الشكور من أسماء الله الحسنى وهذا الاسم يحمل إشارة مهمة وهي: أيها الإنسان! أنت لست أفضل من الخالق تبارك وتعالى، فإذا كان الله تعالى هو "الشكور" فماذا عنك أيها الإنسان؟ وسبحان الله، كلما ازداد المؤمن إيمانًا ازداد شكرًا للناس.

العنصر الرابع: الشكر من صفات الأنبياء والصالحين

والشكر من أهم صفات الأنبياء والمرسلين لذا وصف الله تعالى به أنبيائه وأوليائه وأول أنبياء الله نوح عليه السلام -، وصفه ربه بقوله: (إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) [الإسراء: ٣]، عن أبي عثمان، عن سلمان، قال: كان نوح إذا لبس ثوبا أو أكل طعاما حمد الله، فسمي عبدا شكورا. عن سعيد بن مسعود قال: ما لبس نوح جديدا قط، ولا أكل طعاما قط إلا حمد الله فلذلك قال الله (عَبْدًا شَكُورًا).

والخليل إبراهيم صاحب الملة الحنيفية قال فيه ربه: (شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [النحل: ١٢١]

(شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ) يقول: كان يخلص الشكر لله فيما أنعم عليه، ولا يجعل معه في شكره في نعمه عليه شريكا من الآلهة والأنداد وغير ذلك، كما يفعل مشركو قريش (٦٤) ويقول سليمان - عليه السلام - وهو ينظر فيما خصه به ربه من نعمه وسخر له من مخلوقاته: (رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) [النمل: ١٩]، ويقول: (هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) [النمل: ٤٠]. أما نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو الذي قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

فتاملوا حاله مع ربه عز وجل - عن عائشة أن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فقالت عائشة لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً" (٦٠)

العنصر الخامس: ثمرات الشكر في الدنيا والآخرة

يقول ابن القيم رحمه الله- ومثلة الشكر هي من أعلى المنازل وهي فوق مثلة الرضى وزيادة فالرضى مندرج في الشكر إذ يستحيل وجود الشكر بدونه

وهو نصف الإيمان كما تقدم والإيمان نصفان: نصف شكر ونصف صبر وقد أمر الله به ونهى عن ضده وأثنى على أهله ووصف به خواص خلقه وجعله غاية خلقه وأمره ووعد أهله بأحسن جزائه وجعله سبباً للمزيد من فضله وحارساً وحافظاً لنعمته وأخبر أن أهله هم المنتفعون بآياته واشتق لهم اسماً من أسمائه فإنه سبحانه هو الشكور وهو يوصل الشاكر إلى مشكوره بل يعيد الشاكر مشكوراً وهو غاية الرب من عبده وأهله هم القليل من عباده قال الله تعالى: واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون البقرة: (١٧٢) (٦٠٦)

وللشكر ثمرات في الدنيا والآخرة يجدها المرء في حياته اليومية وكذا يجدها في حياته الآخروية وهما بيانها

١- حفظ النعم من الزوال:

إن الشكر قيد للنعم، يقيها ويحفظها من الزوال، وهذا من أعظم آثار الشكر وثماره، فإن الإنسان يجب بقاء النعم التي هو فيها ويكره زوالها.

وقد دلت النصوص على أن الشكر سبب لبقاء النعم، وكفرها سبب في زواله، فقال تعالى: ((وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)) (إبراهيم: ٧).

* ومن مأثور علي - رضي الله عنه - (احذروا نفار النعم، فما كل شارد مردود) (٦٠٧)

* ومن مأثور كلام الحكماء: من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها، ومن شكرها فقد قيدها بعقلها.

* الشكر قيد النعم الموجودة، وصيد النعم المفقودة.

* من جعل الحمد خاتمة للنعمة، جعله الله فاتحة للمزيد. (٦٠٨)

٦٠٥ - أخرجه أحمد (١١٥/٦) والبخاري (١٦٩/٦). ومسلم (١٤١/٨)

٦٠٦ - مدارج السالكين (٢/٢٤٢)

٦٠٧ - ربيع الأبرار (٤/٣١٨)

٦٠٨ - ربيع الأبرار (٤/٣٢٤)



٢-زيادة النعمة:

وهذا أثر عظيم - أيضاً- من آثار الشكر في الدنيا قبل الآخرة، ولا أحبّ للإنسان من بقاء نعمة هو فيها، وما أطعمه في زيادة ينتظرها ويرجوها، وقد دل على ذلك قوله تعالى: ((وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)) (إبراهيم: ٧).

قال ابن كثير- رحمه الله -: (أي آذنكم وأعلمكم بوعده لكم، ويحتمل أن يكون المعنى: وإذ أقسم ربكم وآلى بعزته وجلاله وكبريائه، كما قال تعالى: ((وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ)) (الأعراف: ١٦٧) (٦٠٩)

إن الله تعالى أعلم عباده ووعدهم أنهم إن شكروا نعمته زادهم، وهذا يتضمن بقاء النعم الموجودة، ووعدُ الله صِدْقٌ، وخزائنه ملاء، لكن هذا مرتب على أمر واحد وهو الشكر، الشكر بأركانه الثلاثة: شكر القلب واللسان والجوارح، ولو أن الشكر سبب في بقاء النعم الحاضرة - وما أكثرها وما أعظمها- لكان هذا موجبا للشكر، وداعياً للعبد إليه، فكيف والشكر كفيلاً -أيضاً- بالنعم المستقبلية. فالشكر معه المزيد أبداً بنص القرآن، ومتى لم ترَ حالك في مزيد فاستقبل الشكر، فهو سبب للمزيد من فضل الله، وهو حارس وحافظ لنعم الله. ومن مأثور علي- رضي الله عنه-: (إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر معلق بالمزيد، وهما مقرونان جميعاً، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد). (٦١٠)

٣-الجزاء على الشكر:

ومن أثر الشكر الجزاء الذي قال الله تعالى عنه: ((وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ)) (آل عمران: ١٤٤).

وقال عز من قائل: ((وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ)) (آل عمران: ١٤٥).

قال ابن كثير - رحمه الله - (أي: سنعطيه من فضلنا ورحمتنا في الدنيا والآخرة بحسب شكرهم وعملهم) (٦١١)

والظاهر -والله أعلم- أن هذا الجزاء يكون معجلاً في الدنيا، ومؤجلاً في الآخرة، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ويُجري عليهم أرزاقهم في الدنيا ويزيدهم من فضله، وذلك لأنه

٦٠٩ - تفسير ابن كثير (٤ / ٣٩٨).

٦١٠ - كتاب الشكر ص (١١).

٦١١ - تفسير ابن كثير (٢ / ١١٠).

سبحانه وتعالى لم يذكر جزاءهم إلا ليدل ذلك على كثرتهم وعظمتهم، وليعلم أن الجزاء على قدر الشكر قلة وكثرة وحُسْنًا (٦١٢)

وقد وقف الله سبحانه كثيرًا من الجزاء على المشيئة كقوله تعالى: ((فَسَوْفَ يُعْطِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ)) (التوبة: ٢٨).

وقال في المغفرة: ((وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ)) (المائدة: ٤٠).

وقال في التوبة: ((وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ)) (التوبة: ١٥).

وأطلق جزاء الشاكرين فلم يقيد به بشيء، كقوله تعالى: ((وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ)) (٦١٣)

٤- رضا الله عن الشاكر:

ومن آثار الشكر رضا الله تعالى عن عبده، ومغفرته له، وهو رضا حقيقي يليق بالله تعالى، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها)). (٦١٤)

عن معاذ بن أنس - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: ((مَنْ أَكَلَ طَعَامًا، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) (٦١٥)

والرضا أعظم وأجل من كل نعيم، قال تعالى: ((وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ)) (التوبة: ٧٢).

فمن أراد أن يكون ممن رضي الله عنهم فليحمد الله تعالى ويشكره شكرًا يظهر على جوارحه وتصرفاته، ليحظى بالمزيد من فضل الله وعطائه ومغفرته ورضاه، وهذه سعادة الدنيا والآخرة أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

٦١٢ - تفسير الطبري - تحقيق محمد شاكر (٧ / ٢٣٦)

٦١٣ - مختصر منهاج القاصدين ص (٧٦)

٦١٤ - أخرجه ابن أبي شيبة (١٣٨/٥)، رقم (٢٤٤٩٩)، وأحمد (١٠٠/٣)، رقم (١١٩٩٢)، وهناد في الزهد (٣٩٩/٢)، رقم (٧٧٥)، ومسلم (٢٠٩٥/٤)، رقم (٢٧٣٤)

٦١٥ - أخرجه أحمد (٤٣٩/٣)، رقم (١٥٦٧٠)، وأبو داود (٤٢/٤)، رقم (٤٠٢٣)، والترمذي (٥٠٨/٥)، رقم (٣٤٥٨)



وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

العنصر السادس: مجالات الشكر:

إخوة العقيدة: وللشكر مجالات متعددة ينبغي على المسلم والمسلمة أن يقوم بها وألا يفرط فيها

المجال الأول شكر الله تعالى

الشكر نصف الإيمان، ففي الحديث: (الإيمان نصفان؛ نصف شكر ونصف صبر) فمن زاد شكره زاد إيمانه، ومن نقص شكره نقص إيمانه).

الشكر طريق العبودية لله جل وعلا، يقول سبحانه: ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

الشكر طريق لنيل محبة الله ورضوانه، يقول تعالى: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]. وللشكر مستويات عديدة من أهمها بطبيعة الحال:

أولاً: الشكر اللساني:

إن يشكر الفرد الله جل جلاله باللسان ومن مراتب هذا المستوى التحدث بنعمة الله تعالى بلسان الشكر كما قال تعالى: ((وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى/ ١١]) ((

المستوى الثاني: الشكر الفعلي:

وهو الشكر الظاهر على أفعال الفرد الشاكر قال تعالى: ((اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ))

ومثلاً يرزقه الله علماً فيعلمه للناس وينشره بينهم.

عن محمد بن كعب قوله (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا) قال: الشكر تقوى الله والعمل بطاعته.

قال ابن زيد في قوله: (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا) قال: أعطاكم وعلمكم وسخر لكم ما لم يسخر لغيركم، وعلمكم منطق الطير، اشكروا له يا آل داود قال: الحمد طرف من الشكر.

وقوله (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) يقول تعالى ذكره: وقليل من عبادي المخلصو توحيدى والمفردو طاعتي وشكري على نعمتي عليهم. (٦٦)

المستوى الثالث: الشكر القلبي:

أن تعتقد أن هذه النعمة التي حصلت لك إنما هي من فضل الله عليك، كما قال تعالى: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾. [النحل: ٥٣]

، ومعنى تأذن: يعني أعلم عباده بذلك وأخبرهم أنهم إن شكروا زادهم وإن كفروا فعذابه شديد، ومن عذابه أن يسلبهم النعمة، ويعاجلهم بالعقوبة فيجعل بعد الصحة المرض وبعد الخصب الجذب وبعد الأمن الخوف وبعد الإسلام الكفر بالله عز وجل وبعد الطاعة المعصية.

الواقع التطبيقي لهذا المجال

عن الأوزاعي قال: حدثني بعض الحكماء قال: خرجت وأنا أريد الرباط، حتى إذا كنت بعريش مصر، أو دون عريش مصر، إذا أنا بمظلة وإذا فيها رجل قد ذهب يده ورجلاه وبصره، وإذا هو يقول: اللهم إني أحمدك حمدا يوافي محامد خلقك، كفضلك على سائر خلقك، إذ فضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلا، فقلت: والله لأسأله أعلمه أم أهمه إلهاما؟ قال: فدنوت منه، فسلمت عليه، فرد علي السلام، فقلت: إني سائلك عن شيء أتخبرني به؟ قال: إن كان عندي منه علم أخبرتك به، فقلت: على أي نعمة من نعمه تحمده عليها؟

أم على أي فضيلة من فضائله تشكره عليها؟

قال: أليس ترى ما قد صنع بي؟

قال: قلت: بلى قال: فوالله لو أن الله سبحانه صب علي السماء نارا فأحرقني، وأمر الجبال فدمرتني، وأمر البحار فغرقني، وأمر الأرض فحسفت بي، ما ازددت له إلا حبا، ولا ازددت له إلا شكرا. وإن لي إليك حاجة، بني لي كان يتعاهدني لوقت صلاتي، ويطعمني عند إفطاري، وقد فقدته منذ أمس، انظر هل تحسه لي؟

فقلت: إن في قضاء حاجة هذا العبد لقربة إلى الله. قال: فخرجت في طلبه، حتى إذا كنت بين كثران من رمال، إذا أنا بسبع قد افترس الغلام يأكله قال: قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، كيف آتي هذا العبد الصالح من وجه رفيق فأخبره الخبر لا يموت؟

قال: فأتيته، فسلمت عليه، فرد علي السلام، فقلت: إني سائلك عن شيء أتخبرني به؟

قال: إن كان عندي منه علم أخبرتك به قال: قلت: أنت أكرم على الله منزلة أم أيوب عليه السلام؟ قال: بل أيوب صلى الله عليه وسلم كان أكرم على الله مني، وأعظم منزلة عند الله مني. قال: قلت: أليس ابتلاه الله فصبر، حتى استوحش منه من كان يأنس به وصار غرضا لمرار الطريق؟ قال: بلى. قلت: فإن ابنك الذي أخبرني من قصته ما أخبرني، خرجت في طلبه، حتى إذا كنت بين كثران من رمال، إذا أنا بسبع قد افترس الغلام يأكله.



فقال: الحمد لله الذي لم يجعل في قلبي حسرة من الدنيا ثم شهق شهقة فمات رحمه الله.

قال: قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون من يعينني على غسله وكفنه ودفنه؟

قال: فبينما أنا كذلك، إذا أنا بركب قد بعثوا رواحهم يرويدون الرباط. قال: فأشرت إليهم، فأقبلوا إلي. فقالوا: ما أنت وهذا؟

فأخبرتهم بالذي كان من أمره قال: فثنا أرجلهم، فغسلناه بماء البحر، وكفناه، بأثواب كانت معهم، ووليت الصلاة عليه من بينهم، ودفناه في مظلته تلك ومضى القوم إلى رباطهم، وبت في مظلته تلك الليلة أنسا به فلما مضى من الليل مثل ما بقي منه، إذا أنا بصاحبي في روضة خضراء، عليه ثياب خضر، قائما يتلو الوحي، فقلت: أأنت أنت صاحبي؟

قال: بلى. قلت: فما الذي صيرك إلى ما أرى؟ قال: وردت من الصابرين على درجة لم ينالوها إلا بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء.

قال الأوزاعي: قال لي الحكيم: يا أبا عمرو وما تنكر من هذا الولي؟ والاه، ثم ابتلاه فصبر، وأعطاه فشكر؟ والله لو أن ما حنت عليه أقطار الجبال، وضحكت عنه أصداف البحار، وأتى عليه الليل والنهار، أعطاه الله أدنى خلق من خلقه، ما نقص ذلك من ملكه شيئا قال الوليد: قال لي الأوزاعي: ما زلت أحب أهل البلاء منذ حدثني الحكيم بهذا الحديث (٦١٧)

المجال الثاني شكر الوالدين:

إن شكر الوالدين فريضة من أعظم فرائض الدين، وفرض لازم متعين على جميع المسلمين، وقد أجمع العلماء على أن بر الوالدين وشكرهما من أعظم فرائض الدين، ومن أفضل عبادات المسلمين.

يقول تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) [لقمان: ١٤]. وتأملوا معي هذا الأمر الإلهي: (أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ)، لأن الإنسان عندما لا يقدر قيمة الأبوين ولا يشعر بحنائهما وما بذلاه في تربيته، فلا يمكن أن يشكر الناس ولا يشكر الله تعالى.

الواقع التطبيقي لهذا المجال

قصة:

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب: رضي الله عنه فقال له: إن لي أمًا بلغ بها الكبرُ أمَّا لا تقضي حاجتها إلا وظهري لها مطيئة، وأوضئها وأصرف وجهي عنها، فهل أديت حقها؟، قال: لا، قال: أوليس قد

حملتها على ظهري، وحبست عليها نفسي؟، قال: إنها كانت تصنع بك ذلك وهي ترجو حياتك، وأنت تصنع بها ذلك وتتمنى فراقها (٦١٨).

عبرة:

يحكى أن أحد الصالحين توفي والده فأخذ على عاتقه سد ديون والده، فأنهمرت عليه الناس فدفعت للجميع كل ما ادعوه حتى افتقر وباع منزله، فسافر في البحار هو وزوجته وأولاده فتحطمت السفينة ونزل كل واحد منهم في مكان، ثم سمع الرجل البار هاتفا يقول: إن الله رزقك كثرًا في موضع كذا وكذا برا بوالديك، فأصبح من الأغنياء وجمع حوله الناس في تلك الجزيرة يخدمهم فقصده الناس من كل مكان حتى كان من الذي قصدوه أولاده وزوجته فسبحان من جمعهم وفرقهم ثم جمعهم

المجال الثالث شكر الزوجة لزوجها:

إن معظم المشاكل الزوجية التي تنتهي بالطلاق تكون ذات أسباب تافهة جدًا، ويقول الباحثون إن حياتك الزوجية تكون سعيدة وهائلة بمجرد أن تمارس الشكر لزوجتك وتشعرها بامتنانك له...

وتؤكد دراسة جديدة للبروفسور Todd Kashdan في جامعة George Mason أن النساء اللواتي يشكرن أزواجهن يكنّ أكثر سعادة ويعشن عمرًا أطول!

وتؤكد الدراسة أن النساء أكثر قدرة على التعبير من الرجال، وأكثر قدرة على منح مشاعر الامتنان. وتقول الدراسة التي نشرت في مجلة الشخصية Personality أن المرأة يمكن أن تعيش حياة هائلة ومطمئنة بمجرد أن تقدم الشكر لزوجها.

سبحان الله، رسولنا الكريم لم يترك هذا الأمر جانبًا بل نبّه عليه قبل ١٤٠٠ سنة، فقد اعتبر النبي الكريم أن شكر المرأة لزوجها عبادة لله تعالى، وأن الله لا ينظر للمرأة التي تنكر الجميل، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : " لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى امْرَأَةٍ لَا تَشْكُرُ لِرِزْقِهَا وَهِيَ لَا تَسْتَعِينُ عَنْهُ " (٦١٩)

تصوروا أن كلمات بسيطة تقولها لزوجتك كل يوم تشكرها وتشعرها بقيمة عملها وتقدر لها مجهودها في البيت وفي تربية الأولاد، هذه الكلمات قد تكون سببًا في درء الكثير من المشاكل وجلب الكثير من السعادة... إنها قوة الشكر! (٦٢٠)

الواقع التطبيقي لهذا المجال

٦١٨ - نزهة المجالس: ٢٠٢/١

٦١٩ - أخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٢٧٧١ و ٧٣٣٥ - ٧٣٣٧) والصحيحة برقم (٢٨٩)

٦٢٠ - موقع الدكتور عبد الدائم الكحيل للإعجاز العلمي



كانت ((البرمكية)) جاريه مثلها، تباع وتشتري، فاشتراها المعتمد ابن عباد ملك المغرب فأعتقها وجعلها ملكة، وحين رأت الجواري يلعبن في الطين حنت لماضيها، فاشتتهت أن تلعب في الطين مثلهن فأمر أن يوضع لها طيب لا يحصى على شكل طين، فخاضت فيه ولعبت فكانت اذا غضبت منه قالت: "إني لم أر منك خيراً قط" فبيتسم ويقول لها: ولا يوم الطين؟ !!! فتخجل !! (٦٢١)

المجال الرابع شكر من أسدى إليك معروفًا:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال - صلى الله عليه وسلم -: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله) (٦٢٢)

(من لا يشكر الناس لا يشكر الله) قال القاضي: وهذا إما لأن شكره تعالى إنما يتم بمطاوعته وامتنال أمره وأن مما أمر به شكر الناس الذين هم وسائط في إيصال نعم الله إليه، فمن لم يطاوعه فيه لم يكن مؤديا شكر نعمه، أو لأن من أدخل بشكر من أسدى نعمة من الناس مع ما يرى من حرصه على حب الشاء والشكر على النعماء وتأذيه بالإعراض والكفران كان أولى بأن يتهاون في شكر من يستوي عنده الشكر والكفران. (٦٢٣)

قال بعض العارفين: لو علم الشيطان أن طريقاً توصل إلى الله أفضل من الشكر لوقف فيها ألا تراه قال: [ثم لاثنين من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيماهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين] ولم يقل لا تجد أكثرهم صابرين أو نحوه (٦٢٤)

وقال أبو حاتم: الواجب على من أسدى إليه معروف أن يشكره بأفضل منه أو مثله لأن الإفضال على المعروف في الشكر لا يقوم مقام ابتدائه وإن قل، فمن لم يجد فليشكر عليه فإن الشاء عند العدم يقوم مقام الشكر للمعروف وما استغنى أحد عن شكر الناس

وقال أيضاً: الحر لا يكفر النعمة ولا يتسخط المصيبة، بل عند النعم يشكر وعند المصائب يصبر، ومن لم يكن لقليل المعروف عنده وقع أوشك أن لا يشكر الكثير منه، والنعم لا تستجلب زيادتها ولا تدفع الآفات عنها إلا بالشكر لله جل وعلا ولمن أسداها إليه.

عن الحكم بن عمير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أتى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا فادعوا له " (٦٢٥)

٦٢١ - نفح الطيب (١/ ٤٤٠) موقع الالوكة المجلس العلمي

٦٢٢ - أخرجه الترمذى (٣٣٩/٤) رقم ١٩٥٤ وقال: حسن صحيح. وابن أبي الدنيا في قضاء الخواارج (ص ٦٨، رقم ٧٢).

٦٢٣ - تحفة الأحوذى (٦/ ٧٤)

٦٢٤ - فيض القدير (١/ ٦٧٢)

وعن أنس -رضي الله عنه- قال: قال المهاجرون: يا رسول الله ذهب الأنصار بالأجر كله ما رأينا قوما أحسن بذلا لكثير ولا أحسن مواساة في قليل منهم ولقد كفونا المؤنة، قال -صلى الله عليه وسلم-: (ليس تشنون عليهم به، وتدعون لهم، قالوا بلى قال فذاك بذاك) (٦٢٦)
قال الطيبي رحمه الله: يعني إذ حملوا المشقة والتعب على أنفسهم وأشركونا في الراحة والمهنة فقد أحرزوا المثوبات فكيف نجازيهم ؟ فأجاب لا. أي ليس الأمر كما زعمتم إذا أثبتتم عليهم شكرا لصنيعهم ودمتم عليه فقد جازيتموهم. (٦٢٧)

الواقع التطبيقي لهذا المجال

مر سعيد بن العاص بدار رجل بالمدينة فاستسقى فسقوه، ثم مر بعد ذلك بالدار ومناد ينادي عليها فيمن يزيد قال لمولاه: سل لم تباع هذه؟ فرجع إليه فقال: على صاحبها دين، قال: ارجع إلى الدار فرجع فوجد صاحبها جالسا وغريمه معه، فقال: لم تباع دارك ؟ قال: لهذا على أربعة آلاف دينار، فترل وتحدث معهما وبعث غلامه فأتاه ببذرة فدفع إلى الغريم أربعة آلاف ودفع الباقي إلى صاحب الدار وركب ومضى. (٦٢٨)

- وعن أبي عيسى قال: كان إبراهيم بن أدهم إذا صنع إليه أحد معروفا حرص على أن يكافئه أو يتفضل عليه، قال أبو عيسى: فلقيني وأنا على حمار وأنا أريد بيت المقدس وقد اشترى بأربعة دنانير تفاحا وسفرجلا وخوخا وفاكهة، فقال: يا أبا عيسى أحب أن تحمل هذا، قال وإذا عجوز يهودية في كوخ لها، فقال: أحب أن توصل هذا إليها فإني مررت وأنا ممس فبيتني عندها فأحب أن أكافئها على ذلك. (٦٢٩)

- ومر عمر بن هبيرة لما انصرف في طريقه فسمع امرأة من قيس تقول: لا والذي ينجي عمر بن هبيرة، فقال: يا غلام أعطها ما معك وأعلمها أني قد نجوت. (٦٣٠)

- وعن إبراهيم بن محمد قال: خرجت لأبي جائزته فأمرني أن أكتب خاصته وأهل بيته ففعلت فقال لي: تذكر هل بقي أحد أغفلناه ؟

٦٢٥ - سنن النسائي الكبرى - ترقيم شعيب (٤٣ / ٢) المعجم الكبير (٣ / ٢١٨)

٦٢٦ - مسند البزار (١٣ / ٣٤٩) سنن النسائي الكبرى - ترقيم شعيب (٦ / ٥٣)

٦٢٧ - تحفة الأحوذى؛ المباركفوري، ج (٧)، ص (٢٠٣)

٦٢٨ - روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ٢٦٤)

٦٢٩ - روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ٢٦٦)

٦٣٠ - روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ٢٦٨)



قلت لا، قال بلى رجل لقيني فسلم على سلاما جميلا صفته كذا وكذا اكتب له عشرة دنانير. (٦٣١)

البناء الأخلاقي للاقتصاد الإسلامي (٦٣٢)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي رسم في جميع مصنوعاته على وجوده وكماله دليلا، الحي العليم السميع البصير الملك الكبير لا يدركه الوهم ولا يحده الفكر تمثيلا، تعالى ذو الملك والملكوت، لم يزل ولا يزال عظيما مقتدرا جليلا، تقدس ذو العزة والجبروت، فلا تستطيع الأوهام إليه وصولا.

وأشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلي يوم لقاءه

وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحببيه

فصلوا عليه وسلموا تسلينا

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

ثم أما بعد: فإن من أخطر القضايا التي تُهدد الأمن والاقتصادي، البعد عن الأخلاق الإسلامية في الأسواق والمعاملات الاقتصادية، والتي أخذت صورا شتى منها: السرقات والرشوة والغلول والغش وخيانة الأمانة والاختلاس، وهو استيلاء الموظفين والعاملين في مكان عملهم على ما في أيديهم من أموال نقدية دون سند شرعي والتهرب من سداد القروض وعدم إتقان العمل وإضاعة الوقت والترشح من الوظيفة واستغلال المال العام لأغراض سياسية.

فنحن نمتلك الثروات المالية بأشكالها والثروات البشرية التي ترقى بها الأمم والشعوب وعلى الرغم من ذلك نعيش رقودا اقتصاديا ونعاني من الغلاء وارتفاع الأسعار ومن تراكم الديون الناظر بعين البصر والبصيرة ليرى أن سبب ذلك هو غياب الأخلاق التي هي ساس كل تقدم ورقي

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأثما وعويلا

وفي هذا اللقاء نلقي الضوء على أهم الأخلاق التي تنمّر البناء الاقتصادية وتؤدي إلى الرخاء الاقتصادي

الأساس الأول: أن المال وسيلة للوصول إلى الرضا الله تعالى وليس غاية:

٦٣١ - مكارم الأخلاق؛ لابن أبي الدنيا، ص (٩٠ - ٩١).

٦٣٢ - موقع الألوكة

وهذا من أعظم الأسس التي غابت عن وعي كثير من أرباب الأموال فهو جعلوا المال هو الغاية التي يسعون خلفها لذا كان الحلال ما حل في أيديهم وإن كان حراما محضا والحرام ما ابتعد عن أيديهم وإن كان حلال صرفا

قال الله - تعالى - : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ [آل عمران: ١٤]،

والله تعالى يخبرنا أن المال هو عارية في أيدي الأغنياء ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ٧] عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَأُمِرَ بِشَيْءٍ أَتَيْنَاهُ فَعَلِمْنَاهُ فَجِئْنَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ لَنَا: ” إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَلَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادٍ أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ لَهُ ثَانٍ، وَلَوْ كَانَ لَهُ ثَانٍ أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ لَهُ ثَالِثٌ وَلَا يَمْلَأُ فَمِ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ. (٦٣٣)

قال أعرابي لأخيه: يا أخي إن مالك إن لم يكن لك كنت له، وإن لم تفنه أفناك فكله قبل أن يأكلك وقال لحاتم الطائي:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
ولما أصبح المال غاية رأينا:

من يقطع رحمه ويعق أباه وأمه من أجل المال

رأينا من يسرق ويختلس من أجل المال

رأينا من يظلم ويقتل من أجل المال

لماذا لأنهم أصبحوا عبيدا للمال

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهِمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعَسَّ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ» (٦٣٤)

لما يصبح المال غاية يصبح الناس في غابة

٦٣٣ - أخرجه أحمد (٢١٨ / ٥)، رقم (٢١٩٥٦)، قال الهيثمي (١٤٠ / ٧): رجاله رجال الصحيح، والطبراني (٣ / ٢٤٨)، رقم

(٣٣٠٣)

٦٣٤ - أخرجه البخاري (١٠٥٧ / ٣)، رقم (٢٧٣٠)، وابن ماجه (١٣٨٥ / ٢)، رقم (٤١٣٥)



بواب مصري يسرق كلية زوجته لبيعها لمافيا تجارة الأعضاء من أجل المال بلا رحمة أو شفقة قام بواب مصري في القاهرة بسرقة كلية زوجته لبيعها في مافيا تجارة الأعضاء، فالزوجة البالغة من العمر ٢٩ عاماً، والتي تعيش في مدينة نجع حمادي اهتمته بسرقة كليتها وبيعها بمبلغ ١٨ ألف جنيه مصري، وأكدت مصادر أمنية أن الزوج استدرج زوجته إلى مستشفى حكومية في القاهرة بخداع شيطاني، حيث أقنعها أنه يجري لها عدة فحوصات طبية وأعطائها أدوية مخدرة وقام بسرقة كليتها، ثم اكتشفت الزوجة هذا العمل الإجرامي من خلال ألم شديد في البطن وعندما ذهبت إلى الطبيب أخبرها أنها فقدت كليتها اليسرى.

📌 الأساس الثاني السماح في البيع والشراء:

أمة الإسلام: ومن الأخلاق التي يجب أن يتحلى بها المسلم والمسلمة في الأسواق الاقتصادية عند البيع والشراء السماح والسماحة في البيع: أن يتساهل البائع في الثمن والمشتري في المبيع، والتساهل في المعسر بالثمن فيؤجل إلى وقت يساره، ومما جاء في الحديث: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى» (٦٣٥) فمن يرحو رحمة الله سبحانه وتعالى، فإنه إذا تعامل مع الناس تعامل بحسن الخلق، لا يقال: خلقه حسن - وإن كان من الحسن أن يمدح الإنسان وهو لا يطلب ذلك- وإنما يطلب ما عند الله سبحانه، فإن صاحب الخلق الحسن يكون يوم القيامة في درجة عظيمة جداً بجوار النبي صلوات الله وسلامه عليه بجوار باقي النبيين عليهم السلام.

فالعبادة التي نحن مخلوقون لها ليست هي الصلاة وحدها - وإن كانت الصلاة من أعظم العبادات- ولكن العبادة التي خلقنا من أجلها هي العبادة بمعناها الأعم، فيدخل فيها العبادات والمعاملات وأحوال الإنسان مع أهله وغيرهم.

📌 الواقع التطبيقي لهذا الضابط:

خرَّج الشيخان البخاري ومسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ” اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الْأَرْضَ، وَلَمْ أَبْتَغِ مِنْكَ الذَّهَبَ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الْأَرْضُ: إِنَّمَا بَعْتُكَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا، فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ، فَقَالَ: الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قَالَ

أَحَدُهُمَا: لِي غُلَامٌ، وَقَالَ الْآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ، قَالَ: أَنْكِحُوا الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا (٦٣٦)

لا يدري والله المطلع على هذا الحديث أن يعجب أكثر من البائع، أم من المشتري، أم الحكم؟ فكل واحد منهم أشد عجباً وأعظم ورعاً من الآخر.

ورحم الله التاجر القائل:

يا ليتني أبيع الشيء يكسب فيه المشتري الربح ديناراً بعشرينا

أحبُّ شيء إلى نفسي معاملة كسب العميلُ فنأتيه ويأتينا

وها هم أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم يسرون على هدي الأنبياء فما فعله سليمان كان يفعله الصحابي جرير بن عبد الله رضي الله عنه

قال إبراهيم بن جرير البجلي، عن أبيه، قال: غدا أبو عبد الله إلى الكناسة ليبْتَاعَ منها دابة، وغدا مولى له فوقف في ناحية السوق، فجعلت الدواب تمر عليه، فمر به فرس فأعجبه، فقال: لمولاه انطلق فاشتر ذلك الفرس، فانطلق مولاه، فأعطى صاحبه به ثلاثمائة درهم، فأبى صاحبه أن يبيعه فما كسه، فأبى صاحبه أن يبيعه، فقال: هل لك أن تنطلق إلى صاحب لنا ناحية السوق؟ قال: لا أبالي فانطلقا إليه، فقال له مولاه: أني أعطيت هذا بفرسه ثلاثمائة درهم فأبى، وذكر أنه خير من ذلك، قال صاحب الفرس: صدق أصلحك الله فترى ذلك ثمنا، قال: لا فرسك خير من ذلك تبّيعه بخمسمئة حتى بلغ سبعمائة درهم أو ثمانمئة، فلما أن ذهب الرجل أقبل على مولاه، فقال له: ويحك انطلقت لتبتاع لي دابة، فأعجبتني دابة رجل، فأرسلتك تشتريها، فجئت برجل من المسلمين يقوده وهو يقول: ما ترى ما ترى، وقد «بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم» (٦٣٧)

نحن لا نطمع من إخواننا التجار، والسماسرة، والوسطاء أن يكونوا بهذا الورع، ولكن نطلب منهم فقط تجنب الحرام البين، وتجنب ما نهى عنه صاحب الشريعة في البيع والشراء

❏ الأساس الثالث: الصدق في المعاملة:

و من الأخلاق المفقودة في البيع والشراء الصدق في المعاملة بأن لا يكذب في إخباره عن نوع البضاعة ونفاستها ونحوه، والتاجر الصدوق لا يتاجر بإيمانه وإنما يتاجر مع الله تعالى بصدقة فيبارك الله تعالى له في رزقه

٦٣٦ - أخرجه أحمد (٣١٦/٢، رقم ٨١٧٥)، والبخاري (١٢٨١/٣، رقم ٣٢٨٥)، ومسلم (١٣٤٥/٣، رقم ١٧٢١)

٦٣٧ - المعجم الكبير (٢/ ٣٣٤)



فمن آداب البيع والشراء ودلائل الصدق فيه عدم الإكثار من الحلف؛ بل عدم الحلف مطلقاً؛ لأن في ذلك امتهاً لاسم الله -تعالى-، قال -تعالى-: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]،

قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ «الْحَلْفُ مَنْفَقَةٌ لِلسُّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلْبَرَكَةِ» (٦٣٨)

أما ما نراه في الأسواق من حلف بالباطل وحلف بالزور فانه ليس من أخلاق أهل الإيمان ولا من شيم أهل الإسلام عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُرَكِّبُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ الْمَنَانُ بِمَا أُعْطِيَ وَالْمُسْبِلُ إِزَارَهُ وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتُهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ (٦٣٩)

❏ الأساس الرابع عدم تطيف الكيل والميزان:

و من ومن الأخلاق في الاقتصاد الإسلامي أن يتقي البائع والمشتري ربه ويحذر من تطيف الكيل والميزان يقول الله جل وعلا: (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ* الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ* وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ* أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ* لِيَوْمٍ عَظِيمٍ* يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ*)، وقال عن شعيب أنه قال لقومه: (وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)، فمن المصيبة إخلال بالمكاييل والموازين وتخفيضها من بعض ما هي معروف وخداع الناس بذلك.

وقال ابن عباس لأصحاب المكيال والميزان في السوق: “إنكم قد وليتم أمرين هلكت فيهما الأمم السالفة قبلكم: الكيل، والميزان (٦٤٠)

وكان ابن عمر يمر بالبائع فيقول: “أتق الله، وأوف الكيل والوزن بالقسط، فإن المطففين يوم القيامة يوقفون حتى إن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم

عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم: «خمس بخمس، قيل: يا رسول الله وما خمس بخمس؟ قال: ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما

٦٣٨ - أخرجه: البخاري ٧٨/٣ (٢٠٨٧)، ومسلم ٥٦/٥ (١٦٠٦) (١٣١).

٦٣٩ - أحمد (١٤٨/٥)، رقم ٢١٣٥٦، ومسلم (١٠٢/١)، رقم ١٠٦.

٦٤٠ - الجامع الصحيح للسنن والمسائيد (١١/ ٤٢٩)

أنزل الله إلّا فشا فيهم الموت، ولا منعوا الزّكاة إلّا حبس عنهم القطر، ولا طففوا المكيال إلّا حبس عنهم النّبات، وأخذوا بالسّنين (٦٤)

وإليكم عباد الله أحوال المطففين عند الموت لعل يكون فيه العظة والعبرة:
قال بعضهم: ” دخلت على مريض وقد نزل به الموت، فجعلت ألقه الشهادة ولسانه لا ينطق بها فلما أفاق قلت له: يا أخي، ما لي ألقنك الشهادة ولسانك لا ينطق بها ؟!

قال: يا أخي لسان الميزان على لساني يمنعني من النطق بها!

فقلت له: بالله أكنت ترن ناقصا؟

قال: لا والله، ولكن ما كنت أقف مدة لأختبر صحة ميزاني !

عن “مالك بن دينار” قال: ” دخلت على جار لي، وقد نزل به الموت، وهو يقول: جبليّن من نار، جبليّن من نار

قلت: ما تقول؟

قال: يا أبا يحيى، كان لي مكيالان أكيل بأحدهما وأكتال بالآخر.

قال مالك: فقمّت، فجعلت أضرب أحدهما بالآخر!.

فقال: يا أبا يحيى، كلما ضربت أحدهما بالآخر ازداد الأمر عظما وشدة، فمات في مرضه” !! .

❏ الأساس الخامس: القناعة في الربح:

ومن الأخلاق الإسلامية لبناء اقتصاد القناعة لدى البائع بما يسر الله له فأنت أيها البائع لا بد أن تربح وتسعى في الربح لكن ليكن هذا الربح ربحاً واقعياً لا ربحاً تجاوزياً، إن كثير من المبالغات في السلع التي يفرضها بعض الباعة مخالفة للواقع فتكون السلعة مثلاً بكذا وترى الأرباح فيها أحيانا قد تصل إلى ١٠٠% وأكثر من ذلك فلا بد من قناعة لك أيها المسلم وقناعة بالرزق الذي تحصل عليه وأن يكون ربحك ربحاً طيباً ربحاً مباركاً لا ضرر فيه على الآخرين وفي الحديث: عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه

٦٤١ — أخرجه الطبراني (٤٥/١١)، رقم (١٠٩٩٢) قال المنذري (٣١٠/١) صححه الألباني في الصحيحة: ١٠٧، وصحيح

الترغيب والترهيب: ٢٤١٨



❏ قصص: المجال التطبيقي لذلك الضابط:

عن بعض السلف أنه كان بواسط فجهز سفينة حنطة إلى البصرة وكتب إلى وكيله: مع هذا الطعام في يوم تدخل البصرة فلا تؤخره إلى غد، قال: فوافق السعر فيه سعة، قال له التجار: إن أخرته جمعة ربحت فيه أضعافاً فأخره جمعة فربح فيه أمثاله، وكتب إلى صاحبه بذلك فكتب إليه صاحب الطعام: يا هذا قد كنا قنعنا أن نربح الثلث مع سلامة ديننا وإنك قد خالفت أمرنا وقد جنيت علينا جناية، فإذا أتاك كتابي فخذ المال كله فتصدق به على فقراء أهل البصرة وليتني أنجو من الاحتكار كفافاً لا علي ولا لي.

❏ عن مظفر بن سهل قال: سمعت غيلان الخياط يقول: اشترى سري السقطي كراً لوز بستين ديناراً وكتب في رونامجه ثلاثة دنانير ربحه، فصار اللوز بتسعين ديناراً، فأتاه الدلال فقال له: إن ذلك اللوز أريد، فقال: خذه، فقال: بكم؟ قال: بثلاثة وستين ديناراً، قال له الدلال: إن اللوز قد صار الكراً بسبعين ديناراً، قال له السري: قد عقدت بيني وبين الله عقداً لا أحله لست أبيعه إلا بثلاث وستين ديناراً، قال له الدلال: وأنا قد عقدت بيني وبين الله عقداً لا أحله، أن لا أغش مسلماً، لست آخذ منك إلا بسبعين ديناراً، قال: فلا الدلال اشترى منه ولا سري باعه، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد القهار، العزيز الجبار، مُقَدِّرِ الأقدارِ، الحمد لله لا يَخِيبُ من أمله ورجاه، ولا يُفْلِحُ من قنطٍ من رحمته وما دعاه، والصلاة والسلام على خير خلق الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.
أما بعد:

❏ الأساس السادس: الالتزام بالعهود والعقود والوفاء بها:

الأساس السادس الالتزام بالعهود والعقود والوفاء بها، ومن الأمور والضوابط المرعية التي حثنا عليها رب البرية - جل جلاله - الوفاء بالعهود والمواثيق قال الله - جل وعلا -: (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) [المؤمنون: ٨، المعارج: ٣٢]، وقال: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) [الإسراء: ٣٤]، والبيع والشراء عقد، والله يقول: (وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ) [البقرة: ٢٨٢]، كل ذلك من أجل رفع الحرج، والوفاء بالعقود، وعدم الخيانة والخداع في ذلك. ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَكْثَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبُلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: ٩١، ٩٢].

الواقع التطبيقي لهذا الخلق:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ” ذَكَرَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسَلِّفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: أَتِنِّي بِشَهْدَاءٍ أَشْهَدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، فَقَالَ: أَتِنِّي بِكَفِيلٍ، فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، قَالَ: فَذَفَعَهَا إِلَيَّ أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ التَّمَسَ مَرْكَبًا يَقْدُمُ عَلَيْهِ لِأَجَلِهِ الَّذِي أَجَّلَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا فَأَخَذَ خَشَبَةً فَتَقَرَّهَا فَأَدْخَلَ فِيهَا الدَّنَانِيرَ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهَا ثُمَّ سَدَّ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا الْبَحْرَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي تَسَلَّفْتُ فَلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ فَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، ثُمَّ سَأَلَنِي كَفِيلًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، وَإِنِّي قَدْ جَهِدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ بِالَّذِي لَهُ، فَلَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَطْلُبُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ رَجَاءً أَنْ يَكُونَ قَدْ جَاءَ مَالُهُ فَإِذَا تِلْكَ الْخَشَبَةُ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ وَالصَّحِيفَةُ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطْبًا فَلَمَّا كَسَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ، وَقَدِمَ الَّذِي كَانَ تَسَلَّفَ مِنْهُ، فَأَتَاهُ بِالْأَلْفِ دِينَارٍ، وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِاتِّيكَ بِمَالِكَ فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بُعِثَتْ فِيهِ فِي الْخَشَبَةِ فَانْصَرَفَ بِالْأَلْفِ رَاشِدًا (٦٤٢)

الأساس السابع: أن يتحرى الحلال:

واعلم بارك الله فيك: أن من أسس البناء الأخلاق للاقتصاد الإسلامي أن يتحرى المسلم الحلال ويتبعه عن الحرام فيحذر من البيوع والسلع المحرمة التي حرمها الله تعالى؛ لأن الله يقول لنا: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) [المائدة]

عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ الثُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ عَلَى الْمُنْبَرِ، وَأَهْوَى بِإِصْبَعِهِ إِلَى أُذُنَيْهِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «الْحَلَالُ بَيْنٌ، وَالْحَرَامُ بَيْنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مِلْكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ



فِي الْحَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْحَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْحَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ
(٦٤٣)

ولقد عن أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ
وَمَهْرِ الْبَغِيِّ وَحُلْوَانِ الْكَاهِنِ (٦٤٤)

فنهى عن ثمن الكلب، ونهى عن مهر البغي، وما تُعطى البغي -والعياذ بالله- على استحلال فرجها، ونهى
عن حلوان الكاهن، ما يأخذه الكهنة خداعا وكذبا.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ « إِنَّ اللَّهَ
حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ ». فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ فَإِنَّهُ يُطْلَى بِهَا
السُّفْنُ وَيُذْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ وَيَسْتَصْبَحُ بِهَا النَّاسُ فَقَالَ « لَا هُوَ حَرَامٌ ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله
عليه وسلم- عِنْدَ ذَلِكَ « قَاتِلَ اللَّهِ الْيَهُودَ إِنَّ اللَّهَ لَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا أَجْمَلُوهُ ثُمَّ بَاعُوه فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ
» (٦٤٥).

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين

وصلاةً وسلاماً على أشرف المرسلين

ورضي الله عن الصحابة والتابعين

٦٤٣ - أخرجه أحمد (٢٧٠/٤)، رقم ١٨٣٩٨، والبخاري (٢٨/١)، رقم ٥٢، ومسلم (١٢١٩/٣)، رقم ١٥٩٩

٦٤٤ - أخرجه البخاري في: ٣٤ كتاب البيوع: ١١٣ باب ثمن الكلب

٦٤٥ - أخرجه أحمد (٣٢٤/٣)، رقم ١٤٥١٢، والبخاري (٧٧٩/٢)، رقم ٢١٢١، ومسلم (١٢٠٧/٣)، رقم ١٥٨١

تحذير الشباب والفتيات من بحار الشهوات^(٦٤٦)

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين سبحانه سبحانه الذي في السماء عرشه، سبحانه الذي في الأرض حكمه، سبحانه الذي في القبر قضائه، سبحانه الذي في البحر سبيله، سبحانه في النار سلطانه، سبحانه الذي في الجنة رحمته، سبحانه الذي في القيامة عدله
 واشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة من قال ربّي الله ثم استقام تقرب لعباده برأفته ورحمته، ونور قلوب عباده بمدايته، وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين
 أما بعد:

فيا أحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم—

يا شباب الأمة أنتم أملها المنشود

يا شباب الأمة أنتم مستقبلها المزهري الموعود

يا شباب الأمة أنتم بناء صرحها المشيد

يا شباب الأمة أنتم سواعد القوية

يا شباب الأمة أنتم صمام أمانها

يا إخواني يا شباب الحق همتكم تسمو بكم عن دروب الطيش والصخب

أحبكم يا شباب الحق محتسباً ولن يضيع ربّي أجر محتسبي

أدعو لكم بصلاح الأمر في زمنٍ سواد ظلمته يطغى على الشهب

أقول لا تفتحوا باب العقول لمن يدعو إلى اللهو والتفريط واللعب

لا يجرمنكم شئان من فسقوا على سلوك طريق العنف والشغب

هذه أيها الشباب صيحات تحذير وتنبيه لكل شاب وفتاة إلى كل سائر على الطريق يبتغي السعادة في الدنيا والآخرة

يا شباب إن بحار الشهوات متلاطمة الأمواج من دخل فيها قل أن ينجو من الهلكة والغرق إلا من استعصم بالله



احذروا يا شباب من مركب الشهوات ومركب الفتن

بحره دماء الأبرياء وربانه الصغار والسفهاء

ليله بهيم ونهاره جحيم

ومرساه على شفا جرف هار على شفير جهنم.

هذه الشهوة يا شباب

ليست محصورة في صورة واحدة، من الناس من شهوته في بطنه، ومنهم من شهوته في فرجه، ومنهم من شهوته في نفسه أن يكون ذا منصب ذا مكانة ذا منزلة، ومنهم من يكون في كذا أو في كذا، ألوان وأصناف من الشهوات.

إليكم بيان تلك البحار وكيف النجاة من أهوالها ومن أمواجها

أولاً: شهوة الفرج

يقول الله موضحاً لنا بحار الشهوات في محكم الآيات -: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ (١٤) قُلْ أُوْبُّكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَمِ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ (١٥)﴾ [آل عمران: ١٤، ١٥].

وجاء ترتيب الشهوات في الآية، فبدأ بالنساء؛ لأنهن أشد فتنة من التي تليها؛ كما ثبت في الصحيح: أنه - صلى الله عليه وسلم - قال: ((ما تركتُ بعدي فتنةً أضُرَّ على الرجال من النساء))، حيث إن جميع هذه الشهوات من الشهوات المباحة، ولكنها تتحول إلى معاصٍ وآثام، إذا تغَيَّر المقصود من التمتع بها.

إن شهوة الفرج من أخطر الشهوات التي يتعرض لها الشباب والفتيات في عصر التفلت وفي عصر أصبحت الرذيلة في متناول الجميع بل يستطيع الشاب والفتاة ممارستها عبر الشبكات والهواتف النقالة في عصر أصبحت الرذيلة سلاح فتاك يقضي على المجتمعات ويقضي على الأخلاق

يا شباب الأمة (إننا نحتاج إلى مبشرين بالفضيلة في زمن تفتحت فيه أبواب الشهوات، وتسهلت الطرق إلى المعاصي، وجاءت الفتن من كل جانب، ودخلت على الناس في كل مكان، دعاة على أبواب جهنم، من أجاجهم إليها قذفوه فيها، أفلام وروايات وصور وإعلانات ومواقع في الشبكات، تهييج للغرائز وإثارة للشهوات وإيقاع في المحرمات.

أصبح المؤمن الصابر على دينه كالقابض على الجمر خائفاً يكبح جماح الشهوة وينهى النفس عن الهوى، يقاوم ضعفه الفطري وشهوته الطبيعية ويجاهد نفسه الأمارة بالسوء؛ الشيطان يعده ويمنيه ويسول له ويزين، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن يميلوا به ميلاً عظيماً، فكيف يسلم؟! كيف يسلم من له عدو لا ينام عن معاداته، ونفس أمارة بالسوء، وهوى مردٍ، وشهوة غالبية، وشيطان مزين، وضعف مستولٍ عليه؛ فإن تولاه الله نجا وسلم، وإن تخلى عنه ووكله إلى نفسه اجتمعت عليه هذه القوى فكانت الهلكة (٦٤٧)

علاج نبوي عظيم:

إن من صفات عباد الرحمن أنهم يغضون أبصارهم ويحفظون فروجهم قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠]

وأمر الله أيها الشاب أن تحص أن تغض بصرك وتحصن فرجك ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١]

روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي أمامة قال: إِنَّ فَتَى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزَّيْنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: ” اذْنُهُ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا “. قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: ” أَتُحِبُّهُ لِلْأُمِّكَ؟ ” قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: ” وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِلْمُهَاتِهِمْ “. قَالَ: ” أَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ ” قَالَ: لَا. وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: ” وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِابْنَاتِهِمْ “. قَالَ: ” أَتُحِبُّهُ لِأُخْنِكَ؟ ” قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: ” وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ “. قَالَ: ” أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ ” قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: ” وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ “. قَالَ: ” أَتُحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ؟ ” قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: ” وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ “. قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: ” اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ ” قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ. (٦٤٨)

٦٤٧ - موقع ملتقى الخطباء خطبة خطورة الشهوات الشيخ د. صالح بن محمد آل طالب

٦٤٨ - أخرجه أحمد (٢٥٦/٥، رقم ٢٢٢٦٥)، والطبراني (١٦٢/٨، رقم ٧٦٧٩). قال الهيثمي (١/٢٩١): رجاله رجال الصحيح، الصحيحة: ٣٧٠، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.



ارض للناس جميعا مثلما ترضى لنفسك

إنما الناس جميعا كلهم أبناء جنسك

غير عدل أن توخى وحشة الناس بأنسك

فلهم نفس كنفسك ولهم حس كحسك

﴿شباب ملكو زمام أنفسهم أمام الشهوات: يا شباب انظروا إلى من هو في سنكم تجري الشهوة في عروقه وتعرض لهم المعصية دون جهد أو مراودة كيف كبج جماح شهواته إنه يوسف عليه السلام: شاب أعطي نصف الجمال تشتهييه أي امرأة تراه ولكنه كان يراقب ربه ومولاه

قال الله تعالى ﴿وَرَاوَدْتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَتَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿ [يوسف: ٢٣ - ٢٩]

إن الواقع الذي عاشه يوسف عليه السلام هو في الحقيقة أشد من أي واقع يقابله شاب منا، فلقد تهيأت له كل أسباب الفاحشة ودواعيها:

فالشباب والقوة والشهوة متوفرة؛ فقد كان في عنفوان شبابه، وهو يحتاج لتصريف شهوته وهو عزب، ولا مصرف له حلال، وقد بذلت له ولم يسع إليها..

والمرأة جميلة؛ فهي زوجة العزيز ومثله لا يتزوج إلا بأجمل النساء.

ولا خوف من العقوبة؛ فالمرأة هي الطالبة والراغبة، وقد طلبت وأرادت بل وراودت، فكفته مؤنة التلميح أو التصريح بالرغبة.

وقد أغلقت الأبواب عليهما ليكونا في مأمن، ولترفع عنه حرج الخوف من الفضيحة.

ثم هو غريب في بلد لا يعرفه أحد؛ فلا خوف من أن يفتضح، وهو خادم وهي سيده، فهو تحت سلطانها وقهرها، فيخاف إن لم يجبها أن يطوله أذاها.

وقد عانى عظم الفتنة وشدة الإغراء.. فالمرأة لا شك قد أعدت للأمر عدته وبيته بليل وخططت له، فدخلت وأغلقت الأبواب كل الأبواب، وبدأت في المراودة، ومثل هذه لابد أنها تزينت بكل زينة وجمعت كل فتنة، فما ملك إلا الهرب، وأنقذه هذه المرة وجود سيده لدى الباب رغم أن ردة فعله كانت مخيبة للآمال.

و لكن كيف نجا يوسف من تلك الحنة كيف قاوم ثورة الشهوة والترة وهو من اكمل اهل زمانه رجولة وفحولة ؟

الجواب أيها الشباب في النقاط الآتية أحفظوها واستحضروها دائما وأبدا

أولها: خوف الله ومراقبته: في هذا المشهد المثيرة للشهوة استحضر يوسف عليه السلام عظمة الله ومراقبته له في خطراته استحضر عظمة القيوم جل جلاله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء فردد تلك الكلمات وقال: ﴿ **معاذ الله** ﴾، ﴿ **إنه لا يفلح الظالمون** ﴾ فحقق بذلك مقام الإحسان الذي هو أعلى درجات الإيمان بالرحيم الرحمن فيا شباب ما أجمل الخوف من الجليل وما أجمل الخشية من الكبير المتعال فهي تورث العبد القرب من الله وتجعله ممن يستظل بظل الله يوم لا ظل إلا ظله

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَادِلٌ وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ فِي خَلَاءٍ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ وَرَجُلٌ كَانَ قَلْبُهُ مُعَلِّقًا فِي الْمَسْجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ إِلَى نَفْسِهَا فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ (٦٤٩)

استحضروا يا شباب الأمة دائما أن الله يراكم ويسمع كلامكم ومطلع على ما احتوته نياط قلوبكم ﴿ **وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** ﴾ [يونس: ٦١]

إذا ما خلوت، الدهر، يوماً، فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب



❦ ثانيها: من حفظ الله حفظه الله جلا في علاه:

قوله: (يحفظك) مراده من حفظ حدود الله وراعى حدوده حفظه الله فإن الجزاء من جنس العمل كما قال تعالى: (وأوفوا بعهده)

حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه فيحفظه في حياته من الشبهات ومن الشهوات المحرمة ويحفظ عليه دينه عند موته فيتوفاه على الإيمان ففي الصحيحين عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمره أن يقول عند منامه: (إن قبضت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين). والله يحول بين العبد وبين ما يفسد عليه دينه بأنواع من الحفظ وقد لا يشعر العبد بذلك وقد يكون كارها له كما قال في حق يوسف عليه السلام: **(كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)**

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ نَافِعٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا حَمَاهُ الدُّنْيَا كَمَا يَحْمِي أَحَدُكُمْ مَرِيضَهُ الْمَاءَ لِيُشْفَى» (٦٥٠)

❦ ثالثها: الفرار من مواطن المعصية والبعد عن أسبابها:

هل تأملت يا شباب الأمة في قوله تعالى ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾ [يوسف: ٢٥]

تخيلوا يوسف عليه السلام وهو يهرول نحو الباب وامرأة العزيز في طلبه إنه الفرار يا شباب فلا تجلسوا ولا تترادوا مواطن الشهوات فروا بدينكم من جلسة الشهوات إلى مواطن الطاعات وتسلحوا بذكر رب الأرض والسموات عَنْ التُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمَهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» (٦٥١)

يا شباب الأمة فروا من مشاهدة الأفلام والمسلسلات التي توقد نار الشهوات وتورث المرء الحسرات
يا شباب الأمة فروا من أمام المواقع الإباحية التي تهتك الأستار وتدعوا إلى معصية العزيز الغفار ويكون
نهایتها جهنم وبس القرار

٦٥٠ - أخرجه أبو يعلى (٢٧٨/١٢)، رقم ٦٨٦٥، قال الهيثمي (٢٨٥/١٠): إسناده حسن

٦٥١ - أخرجه أحمد (٢٧٠/٤)، رقم ١٨٣٩٨، والبخارى (٢٨/١)، رقم ٥٢، ومسلم (١٢١٩/٣)، رقم ١٥٩٩

يا شباب الأمة فروا من المنتزهات ومن شواطئ العراة الذين تعرفوا من كل فضيلة وتلبسوا بكل رذيلة
كل الحوادث مبدؤها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة بلغت من قلب صاحبها كميلغ السهم بين القوس والوتر
يسر مقلته ما ضر مهجته لا مرحبا بسرور جاء بالضرر
﴿رابعها: الدعاء والالتجاء إلى الله:

اللجوء إلى الله صمام أمان وركن شديد يأوي إليه العبد في الفتن والأزمات وعند اشتعال نار الشهوات
تخلوا يا شباب الأمة تضرع يوسف عليه السلام إلى الله يطلب من العون والمدد ويطلب منه الحفظ من
كيد الشيطان ومن كيد النساء ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي
كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٣، ٣٤]

فيا شباب الأمة اذا أردتم العصمة فاعتصموا بربكم ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
﴿آل عمران: ١٠١﴾.

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "وأما الاعتصام به: فهو التوكل عليه والامتناع به والاحتماء به
وسؤاله أن يحمي العبد ويمنعه ويعصمه ويدفع عنه فإن ثمره الاعتصام به: هو الدفع عن العبد والله يدافع
عن الذين آمنوا فيدفع عن عبده المؤمن إذا اعتصم به كل سبب يفضي به إلى العطب ويحميه منه فيدفع
عنه الشبهات والشهوات وكيد عدوه الظاهر والباطن وشر نفسه. (٦٥٢)

﴿ثانيا: شهوة مال:

ومن أخطر الفتن التي تهدد الشباب وتسبب الانحراف والانجراف شهوة المال فالمال له شهوة وله بريق
وله زغل في عيون كثير من الشباب قال الله تعالى (زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ
وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا) [سورة آل عمران الآية: ١٤]

فالمال أحد أكبر الشهوات التي أودعها الله فينا، والمال أحد أكبر أسباب التقرب من الله عز وجل.
والحقيقة الكبرى أن شهوة المال هي سبب كل بلاء وأصل كل داء فهل ما نراه من تقاتل الأمم
والشعوب إلا من أجل الثروات
وهل ما نره من اختلاف بين الإخوة والأخوات وقطيعة الأرحام إلا بسبب فتنة المال



وهل ما نراه من إراقة للدماء ومن سطو على بيوت الضعفاء إلا بسبب المال
وهل ما نراه من تهافت كثير من الشباب على تجارة المخدرات وترويج الممنوعات إلا بسبب فتنة المال
يا شباب الأمة احذروا من شهوة المال القاتلة

فكم من شاب خسر مستقبله بسبب الجري وراء الثراء

وكم من شاب قضى حياة خلف القضبان بسبب اللهث وراء المال

وكم من شاب حرم من عروسه وفرحه بسبب البحث عن الغنى من أبواب ممنوعة

عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَامِرِ الْأَنْصَارِيَّةِ، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ
حُلْوَةٌ، وَإِنَّ رِجَالًا سَيُخَوِّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ لَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٦٥٣)

عَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ وَهُوَ حَلِيفُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ وَكَانَ شَهِيدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجَزِيرَتَيْهَا وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ صَالِحُ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضَرَمِيِّ فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَسَمِعَتْ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَوَافُوا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْصَرَفَ فَتَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَأَوْهُمْ ثُمَّ قَالَ أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ قَالُوا أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَبَشِّرُوا وَأَمْلُوا مَا يَسُرُّكُمْ فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسِطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا فَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ» (٦٥٤)

وهذا ما استشرفه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حتى لم يؤثر في بصيرته الفرح بالغنيمة والانشغال بالنصر، فقد أورد ابن حجر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى بمال من المشرق يُقال له نفل كسرى، فأمر به فصبَّ وغطِّي، ثم دعا الناس فاجتمعوا، ثم أمر به فكشِف عنه، فإذا حُلِي كثير وجوهر ومتاع، فبكى عمر، وحمد الله عز وجل، فقالوا له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟! هذه غنائم غنمها الله لنا ونزعها من أهلها، فقال: ”ما فُتِح من هذا على قوم إلا سفكوا دماءهم واستحلوا حرماتهم“.

٦٥٣ - أخرجه مسلم “ص ٢٠٩٨”، وابن ماجه رقم “٤٠٠٠”، وأحمد “٣/ ٢٢”.

٦٥٤ - أخرجه: البخاري ١١٧/٤ (٣١٥٨)، ومسلم ٢١٢/٨ (٢٩٦١) (٦).

قال ابن المبارك:

أرى أناسا بأدنى الدين قد قنعوا ولا أراهم رضوا في العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغن الملوك بدنياهم عن الدين

ثالثا: شهوة الشهرة:

ومن لجج الشهوات لجة الشهرة والشرف، فيا شباب الأمة: لقد رأينا من يتملص من دينه ويطعن في ثوابت الدين ويجرى وراء الشاشات والفضائيات بائعا دينه بأزهد الأثمان يبيع دينه من أجل شهرة وإن خسر دينه وأخراه

فطلب الشهرة مذموم بكل حال، والمؤمن مخبت متواضع، لا يجب أن يشار إليه بالأصابع، ومن أعظم ما يفسد على المرء سعيه إلى ربه: حبه للشهرة، والشرف في الناس، والرئاسة عليهم.

سلوا الفضائيات كم أضلت من عالم

سلوا الفضائيات كم أغرت من داعية

سلوا الفضائيات كم رفعت من جاهل

سلوا الفضائيات كم أعلت من ساقط

سلوا الفضائيات كم لمعت من لاعب

عن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ (٦٥٥))

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

”فَبَيَّنَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْحِرْصَ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ فِي فَسَادِ الدِّينِ لَا يَنْقُصُ عَنْ فَسَادِ الذِّبْنَيْنِ الْجَائِعَيْنِ لِزُرِّيَةِ الْعَنَمِ وَذَلِكَ بَيِّنٌ؛ فَإِنَّ الدِّينَ السَّلِيمَ لَا يَكُونُ فِيهِ هَذَا الْحِرْصُ وَذَلِكَ أَنَّ الْقَلْبَ إِذَا ذَاقَ حَلَاوَةَ عِبُودِيَّتِهِ لِلَّهِ وَمَحَبَّتِهِ لَهُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى يُقَدِّمَهُ عَلَيْهِ وَبِذَلِكَ يُصَرَّفُ عَنْ أَهْلِ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ السُّوءُ وَالْفَحْشَاءُ ” انتهى (من) (٦٥٦)

وهذه المحبة للشرف والشهرة هي من الأمراض الخفية في النفوس، ومهلكات القلب التي لا يكاد يتفطن إليها العبد إلا بعد أن تمضي به شوطا بعيدا، يشق عليه استدراكه، وإصلاح ما أفسدته منه.

٦٥٥ - وأخرجه عبد الله بن المبارك في "الزهد" ١٨١ زيادات نعيم بن حماد، ومن طريقه أحمد ٤٦٠/٣، والترمذي "٢٣٧٦" في الزهد: باب رقم "٤٣"، والطبراني في "الكبير" ١٨٩/١٩، والبعوي "٤٠٤٥" وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (٥٦٢٠).

٦٥٦ - مجموع الفتاوى (٢١٥/١٠)



قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: كَثِيرًا مَا يُخَالِطُ النَّفُوسَ مِنَ الشَّهَوَاتِ الْخَفِيَّةِ مَا يُفْسِدُ عَلَيْهَا تَحْقِيقَ مَحَبَّتِهَا لِلَّهِ وَعُبُودِيَّتِهَا لَهُ وَإِخْلَاصَ دِينِهَا لَهُ كَمَا قَالَ شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ: يَا بَقَايَا الْعَرَبِ إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الرِّيَاءَ وَالشَّهْوَةَ الْخَفِيَّةَ، قِيلَ لِأَبِي دَاوُدَ السَّجِسْتَانِي: وَمَا الشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ؟ قَالَ: حُبُّ الرَّئَاسَةِ (٦٥٧)

عن عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي إِبِلِهِ فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ فَلَمَّا رَأَاهُ سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّأِيبِ، فَنَزَلَ فَقَالَ لَهُ: أَنْزَلْتُ فِي إِبِلِكَ وَغَنَمِكَ وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ؟ فَضَرَبَ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ فَقَالَ: اسْكُتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ) . (٦٥٨)

قال النووي رحمه الله: ” (الْخَفِيُّ) : الْخَامِلُ الْمُنْقَطِعُ إِلَى الْعِبَادَةِ وَالِاشْتِغَالِ بِأُمُورِ نَفْسِهِ ” انتهى .
ولهذا قال إبراهيم بن أدهم: ” ما صدق الله عبد أحب الشهرة ” . انتهى من ” (٦٥٩)
وقال إبراهيم النخعي والحسن البصري: ” كفى فتنة للمرء أن يشار إليه بالأصابع في دين أو دنيا إلا من عصمه الله ” (٦٦٠)

عالم الشهرة الآن يدخل فيه كثير من أهل السوء والباطل كما هو معروف وواضح جدًا .
وهؤلاء الذين يحبون الأضواء والكاميرات ويحبون أن تسلط إليهم الأنظار، كثير منهم تافهون جدًا، إنما يعملون على الإضرار بالمجتمع ويعملون في حقل المعصية وخطوات الشيطان وسبيل إبليس، كثير من المشهورين الآن لاشك ولا يخفى عليكم هذا الحال فيه، وهؤلاء أمرهم واضح، ولا يحتاجون إلى تبين لكن نحن نلتفت الآن إلى مسألة حب الشهرة وحب الصيت عند الأوساط التي يكون فيها شيء من التدين أو الدين والعلم، فلا شك أنه يخترق هذه الأوساط شيء من هذه النوازع، حب الشهرة وحب الصيت) . (٦٦١)

أقول قولي هذا واستغفر الله لي والكم

٦٥٧ - انتهى من ”مجموع الفتاوى“ (١٠ / ٢١٤-٢١٥).

٦٥٨ - العزلة والانفراد ” (ص ١٢٦)

٦٥٩ - العزلة والانفراد ” (ص ١٢٦)

٦٦٠ - انتهى من ”الزهد“ لابن السري (٢ / ٤٤٢). وكذا قال ابن محيريز كما في ”تاريخ دمشق“ (٣٣ / ١٨)

٦٦١ - الشهوة الخفية [حب الرئاسة، حب الشهرة] (للشيخ محمد المنجد)

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على عظم نعمه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وخليفه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، واعلموا أن أجسادكم على النار لا تقوى.

أيها الشباب هيا لتأمل في أحوال وسير سلف الأمة كيف أنهم كانوا يهربون من الشهرة والأضواء وكيف كانوا أخفيا أتقياء؟

سلف الأمة والهروب من عالم الشهرة والأضواء

أويس القرني وإخفاء نفسه:

عن أسير بن عمرو، ويقال: ابن جابر وهو - بضم الهمزة وفتح السين المهملة - قال: كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس - رضي الله عنه -، فقال له: أنت أويس ابن عامر؟ قال: نعم، قال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم. قال: فكان بك برص، فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم. قال: لك والدة؟ قال: نعم. قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، يقول: ((يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد، ثم من قرن كان به برص، فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل)) فاستغفر لي فاستغفر له، فقال له عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة، قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء الناس أحب إلي، فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشrafهم، فوافق عمر، فسأله عن أويس، فقال: تركته رثاً^(٦٦٢) البيت قليل المتاع^(٦٦٣)

ابن المبارك وإخفاء عمله: كان السلف رحمهم الله حريصين على إخفاء أعمالهم، ويكرهون الشهرة، فعن عبدة بن سلمان المروزي، قال: كنا في سرية مع ابن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل - يعني: من المسلمين - فقتله، ثم آخر خرج من الكفار خرج إليه نفس الرجل من المسلمين فقتله، ثم دعا إلى البراز فخرج إليه رجل

٦٦٢ - قال النووي في شرح صحيح مسلم ٢٧٥/٨ (٢٥٤٢): ((أي حقارة المتاع وضيق العيش)).

٦٦٣ - أخرجه: مسلم ١٨٨/٧ (٢٥٤٢) (٢٢٣) و١٨٩ (٢٥٤٢) (٢٢٤) و(٢٢٥)



فطارده ساعة فطعنه فقتله -المسلم قتل ثلاثة- تحدّ أمام الجيشين فازدحم إليه الناس -إلى هذا المسلم- فنظرت فإذا هو عبد الله بن المبارك، وإذا هو يكتم وجهه بكمه -يخفي وجهه بكمه- فأخذت بطرف كمه فممدته فإذا هو ابن المبارك، فقال عبد الله بن المبارك للرجل هذا: وأنت يا أبا عمر ممن يشنع علينا (٦٦٤)

صاحب النقب يخفي عمله: وعن أبي عمر الصفار قال: حاصر مسلمة حصناً فندب الناس إلى نقب منه، من يدخل ليفتح لنا؟ فما دخله أحد، فجاءه رجل من عرض الجيش فدخله ففتح الله عليهم، فنادى مسلمة أين صاحب النقب؟ أين صاحب النقب؟ فما جاءه أحد، فنادى القائد بالجيش: إني قد أمرت الآن بإدخاله ساعة يأتي، فعزمت عليه إلا جاء، فجاء رجل فقال: استأذن لي على الأمير، فقال له: أنت صاحب النقب؟ قال: أنا أخبركم عنه، فأتى مسلمة فأخبره عنه، فأذن له، فقال له: إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثاً: ألا تسود اسمه في صحيفة الخليفة، ولا تأمروا له بشيء -يعني: من المال- ولا تسألوه ممن هو ولا تستخبروا عن اسمه، قال القائد مسلمة: فذلك له، فقال الرجل: أنا هو، هذا الرجل لأن أمر القائد لا بد أن يطاع، القائد قال: عزمت عليه أن يأتي، لا بد أن يطاع، فكان مسلمة لا يصلي بعدها صلاةً إلا قال: اللهم اجعلني مع صاحب النقب (٦٦٥)

الدعاء.....

٦٦٤ - عيون الأخبار (ص: ٧٣)

٦٦٥ - عيون الأخبار (١/١٧٢).

إرشاد الكرام إلى آداب الخصام (٦٦٦)

الخطبة الأولى

الحمد لله المتفرد بالعزة والجبروت والبقاء، أذل أصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء، فإذا هم مردودون في الحافرة، أحمده سبحانه جعل الموت مخلصا للأتقياء، وسوء منقلب للأشقياء، إذا ذكر الموت فإذا قلوبهم نافرة، وأشكره وأثني عليه فله الإنعام بالنعم المتظاهرة، وله الانتقام بالنقم القاهرة، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمد في الأولى والآخرة،

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله، أرسله لإنفاذ أمره، وإنهاء عذره، وتقديم نذره، فأيده بالحجج الباهرة، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

العنصر الأول: الإسلام دين المحبة والألفة: إخوة الإسلام اعلّموا أن الإسلام يدعو أهله إلى الألفة والمحبة والمودة، وتقوية الأواصر، والتفاني من أجل خدمة المسلم لأخيه المسلم إلى إنشاء مجتمع متماسك مترابط يقول الله تعالى ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ آل عمران (١٠٣)،

عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه". (٦٦٧)

و امتن الله على الأمة الإسلامية بمنة الألفة والاتحاد فقال رب العباد ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الأنفال (٦٣)

فبالألف الذي يهبه الله تعالى قلوب المؤمنين من عباده، يتحقق التوافق والتقارب، والتعاطف والتحابب، فيتراحم الناس فيما بينهم، وتتوحد مشاعرهم، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)) (٦٦٨)

٦٦٦ - موقع صيد الفوائد

٦٦٧ - أخرجه البخاري "٢٤٤٦" في المظالم: باب نصر المظلوم، ومسلم "٢٥٨٥"

٦٦٨ - مسند أحمد ط الرسالة (٣٠/٣٢٣) وأخرجه مسلم (٢٥٨٦)



و اعلّموا أنكم لن تصلوا الى حقيقة الإيمان إلا بالألفة ومحبة الخير إلى الآخرين: عن أنس - رضي الله عنه -، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) (٦٦٩) متفق عليه

فإذا أحب المؤمن لنفسه فضيلة أحب أن يكون لغيره نظيرها من غير أن تزول عنه عباد الله: إن محبة الناس هدف يسعى إليه المسلم، ويتحقق له بالإيمان، فيصبح محبوباً بين الناس بحب الله تعالى له، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) مريم: ٩٦. وقد ورد في تفسيرها أن الود هو محبة الناس في الدنيا، فما أقبل عبداً بقلبه على الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه، حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم

وبهذا الحب من الله تعالى للعبد، يجعله محبوباً عند أهل السماء وأهل الأرض، عن نافع قال قال أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ؟ وتابعه أبو عاصم عن ابن جريج قال أخبرني موسى بن عقبة عن نافع عن أبي هريرة عن النبي ؟ قال إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأخبه فيحبه جبريل فينادي في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأخبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض" (٦٧٠)

أي الحب في قلوب الناس ورضاهم عنه فتميل إليه القلوب وترضى عنه قال علي رضي الله عنه: عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة ألا تسمع إلى قول أهل النار " فما لنا من شافعين.

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: والله لو صمت النهار لا أفطره وقمت الليل لا أنامه وأنفقت مالي غلقاً غلقاً في سبيل الله أموت يوم أموت وليس في قلبي حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله ما نفعتني ذلك شيئاً.

وقال ابن السماك عند موته: اللهم إنك تعلم أنني إذا كنت أعصيك كنت أحب من يعطيك فاجعل ذلك قرابة لي إليك.

٦٦٩ - أخرجه البخاري "١٣" في الإيمان، والترمذي "٢٥١٥" في صفة القيامة، والنسائي ١٢٥/٨ باب علامة المؤمن، والدارمي ٣٠٧/٢،

٦٧٠ - أخرجه البخاري (١١٧٥/٣)، رقم ٣٠٣٧، ومسلم (٢٠٣٠/٤)، رقم ٢٦٣٧

العنصر الثاني: التحذير من الخصام:

واعلم علمني الله وإياك ك: أن الخصام والشحناء سبب من أسباب عدم قبول الأعمال
عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ﴿ **تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس
فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: انظروا هذين حتى
يصطلحا** ﴾ (٦٧١)

فهذان عبدان صالحان مؤمنان صائمان مصليان لكن بينهما شحناء فتفتح أبواب الجنة يوم الاثنين
والخميس، وهما اليومان اللذان كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتحين أن يصومهما، فيغفر الله للمؤمنين
وترفع إليه الأعمال فيقبلها إلا رجلين بينهما شحناء، وهذه إحدى المفاصد والأضرار المترتبة على
البغضاء، فيقال: ﴿ **انظروا هذين حتى يصطلحا** ﴾.

الخصام فوق ثلاث يوجب لصاحبه النار:

وليحذر كل مسلم ومسلمة من تلك العقوبة فلا يحل لكم معاشر الموحدين الخصام فوق ثلاث من
خاصم فوق ثلاث فمات دخل النار عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يحلُّ
لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثٍ، فمن هجرَ فوقَ ثلاثٍ فماتَ دخلَ النارَ" (٦٧٢) وهذا من أحاديث
الوعيد.

أن هجر المؤمن سنة كسفك دمه:

اسمعوا عباد الله إلى هذا الوعيد الشديد يا من تخاصم أختك أو أخيك أو جارك أو زميلك في العمل عن
أبي خراش السلمي، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكَ
دَمٍ " (٦٧٣)

والحديث يدل على أنه إذا استمر الهجر سنة، فكأن المهاجر قتل الآخر وسفك دمه، فأبي وعيد أشد من
هذا؟!!

٦٧١ - وأحمد في "مسنده" (١٧٩٣٥)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٤٠٤)، والدولابي في "الكنى" (١٦٤)، والطبراني في
"الكبير" ٢٢ / (٧٧٩)

٦٧٢ - أخرجه أحمد في المسند ٢ / ٣٩٢، وأخرجه أبو داود في السنن ٥ / ٢١٥، كتاب الأدب (٣٥)، باب فيمن يهجر أخاه
المسلم (٥٥)، الحديث (٤٩١٤)

٦٧٣ - البخاري في "الأدب المفرد" (٤٠٤)، والدولابي في "الكنى" ٢٦ / ١، والطبراني ٢٢ / (٧٧٩)، والحاكم ٤ / ١٦٣،
والبيهقي في "الأدب" (٢٨٠)



الإصلاح طريق الصلاح:

أيها الموحدون عباد الله: إن الإصلاح هو طريق الصلاح والفلاح والنجاح عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصَّيَامِ، وَالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقَةِ؟

قالوا: بلى، قال: صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنْ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ». (٦٧٤)

أن الخصام هو داء الأمم السابقة التي أهلكها الله تعالى:

إخوة الإسلام: الخصام أيها الأخوة هو داء مهلك وهو الداء الذي اهلك الأمم السالفة عَنْ مَوْلَى الزُّبَيْرِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِكُمْ، الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنَّهَا تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا بِي حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ: أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ ". (٦٧٥)

أن الخصام طريق البغي والفسوق:

وعلموا عباد الله: أن الخصام طريق البغي والفجر فما أخاصم إنسان ولنم يضبط نفسه بالشرع إلا وبغى عن أبي هريرة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «سَيُصِيبُ أُمَّتِي دَاءُ الْأُمَمِ» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا دَاءُ الْأُمَمِ؟ قَالَ: «الْأَشْرُ وَالْبَطَرُ وَالتَّكَاثُرُ وَالتَّنَاجُشُ فِي الدُّنْيَا وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ حَتَّى يَكُونَ الْبُغْيُ» (٦٧٦)

عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغِضُوا، وَلَا تَقَاطَعُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. «(٦٧٧).

أن الخصام صفة من صفات المنافقين والأشرار:

عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر: ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله قال: فإن شراركم الذي يتزل وحده ويجلد عبده ويمنع رفته قال أفلا أنبئكم بشر من

٦٧٤ - أخرجه أحمد ٤٤٤/٦ - ٤٤٥، وأبو داود ٤٩١٩ في الأدب: باب إصلاح ذات البين والترمذي "٢٥٠٩"

٦٧٥ - الضياء اللامع من صحيح الكتب الستة وصحيح الجامع (ص: ٥٢٥)

٦٧٦ - أخرجه الحاكم (٤/١٨٥، رقم ٧٣١١) وقال: صحيح الإسناد. وأخرجه أيضاً: الطبراني في الأوسط (٩/٢٣)، رقم

(٩٠١٦)

٦٧٧ - أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب البر والصلة - باب تحريم الظن والتجسس - ٤/١٩٨٦، رقم الحديث ٣٠ مكرر)،

وأخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الأدب - باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير - ٥/٢٢٥٣، رقم ٥٧١٧)

ذلكم ؟ قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله قال: من ييغض الناس وييغضونه قال أو أنبئكم بشر من ذلكم ؟ قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله قال: الذين لا يقبلون عثرة ولا يقبلون معذرة ولا يغفرون ذنبا قال أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: من لا يرجي خيره ولا يؤمن شره (٦٧٨)

العنصر الرابع آداب الخصام في الإسلام:

أخي المسلم: اعلم انه اذا وقع الإنسان في خصومة مع غيره فانه ينبغي عليه أن يتحلى بآداب الشريعة الإسلامية وألا يخرج الخصام عن أوامر الله تعالى، وألا يوقعه الخصام في مساخط الله جل جلاله.....

وإليكم أحبتي في الله بعض تلك الآداب

١. مراقبة الله تعالى في الخصومة:

يجب عليك أخي المسلم عند الخصومة أن تتذكر مراقبة الله تعالى لك وأن تعي أنه مطلع عليك ناظر إليك يعلم السر وأخفى ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]

فراقب الله تعالى في عدة أمور

- ١- احذر الظلم والبغي في الخصومة
- ٢- احذر الزور والبهتان في الادعاء
- ٣- احذر الاستخفاف بالدماء والإعراض
- ٢- الاحتكام في الخصومة للشرع:

و ينبغي عليك كمسلم أن تحتكم إلى شرع الله تعالى عند الخصام والخلاف وفي جميع شئون حياتك قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

يقول الجصاص الرازي في تفسير هذه الآية: "في هذه الآية دلالة على أن من ردّ شيئاً من أوامر الله تعالى أو أوامر رسوله صلى الله عليه وسلم فهو خارج من الإسلام، سواء رده من جهة الشك فيه أو من جهة ترك القبول والامتناع من التسليم؛ وذلك يوجب صحة ما ذهب إليه الصحابة في حكمهم بارتداد من

٦٧٨ - المسند ١٤ / ٤١٨ (٨٨٢٢). وفي إسناده البراء بن عبد الله بن يزيد، وربما نسب إلى جدّه، ضعيف - التقريب ١ / ٦٧. وقد حسّنه محققو المسند لغيره، وضعّفوا إسناده. وأخرج الحديث البخاري في الأدب ٢ / ٧٣٧ (١٣١٨) من طريق البراء بن يزيد. وينظر حديث الألباني عنه في الصحيحة ٤ / ٥١٥.



امتنع من أداء الزكاة، وقتلهم وسيي ذراريهم؛ لأن الله تعالى حكم بأن من لم يسلم للنبي صلى الله عليه وسلم قضاءه وحكمه فليس من أهل الإيمان"

عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجَلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ قَالَ قَائِلٌ: كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُودَعٍ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: " عَلَيْكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِمَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، أَلَا وَسِيرَى مَنْ بَقِيَ مِنْكُمْ بَعْدِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، إِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ " (٦٧٩)

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة لثانية

أما بعد:

٣- الاعتدال في الخصومة وعدم الإغراق بها، واترك للصالح موضعاً:

و ينبغي على المسلم عند الخصام ألا يخرج عن حد الاعتدال في خصومته لان المسلم يحكمه شرع يتحكم في أقواله وأفعاله وتأملوا عباد الله ذلك الميزان الحساس الذي وضعه لنا علي - بن أبي طالب- رضي الله عنه- عن علي رضي الله عنه قال: «أحب حبيبك هوئاً ما عسى أن يكون بغضك يوماً ما، وأبغض بغضك هوئاً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما» (٦٨٠).

قال العلامة ابن العربي المالكي رحمه الله : ((معناه أن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن فقد يعود الحبيب بغيضاً وعكسه فإذا أمكنته من نفسك حال الحب ثم عاد بغيضاً كان لمعالم مضارك أجدر لما اطلع منك حال الحب بما أفضيت إليه من الأسرار،

وقال عمر رضي الله عنه: ((لا يكن حبك كلفاً ولا يكن بغضك تلفاً)) [فقلت: كيف ذاك ؟ قال: ((إذا أحببت كلفْتَ كلف الصبي، وإذا أبغضت أحببت لصاحبك التلف))].

وعليه أنشد هدبة بن خشرم:

وَأَبْغَضُ إِذَا أَبْغَضْتَ بَغْضًا مَقَارِبًا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ
وَكُنْ مَعْدِنًا لِلْخَيْرِ وَاصْفَحْ عَنِ الْأَذَى فَإِنَّكَ رَأَى مَا عَمِلْتَ وَسَامِعُ
وَأَحِبُّ إِذَا أَحَبَّتَ حُبًّا مَقَارِبًا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ نَازِعُ

٦٧٩ - مسند أحمد ط الرسالة (٢٨ / ٣٦٨) وأخرجه ابن أبي عاصم في "السنة" (٣٣) و (٤٨) و (٥٦)، والطبراني في "الكبير"

١٨ / (٦١٩)، وفي "مسند الشاميين" (٢٠١٧)

٦٨٠ - رواه الترمذی [٤ / ٣٦٠، رقم ١٩٩٧]

ولهذا قال الحسن البصري رحمه الله : ((أحبوا هوناً وأبغضوا هوناً فقد أفرط قوم في حب قوم فهلكوا، وأفرط قوم في بغض قوم فهلكوا)) (٦٨١)

وقال محمد بن الحنفية - رحمه الله - : ((ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بداً؛ حتى يجعل الله له فرجاً أو مخرجاً)) .

قيل لأبي سفيان رضي الله عنه: ما بلغ بك من الشرف؟

قال: ما خاصمت رجلاً إلا جعلت للصلح موضعاً.

وقال ابن شبرمة (القاضي الفقيه): من بالغ في الخصومة أثم

وقال سيدنا أبو الدرداء: من كثرت خصومته لم يسلم دينه

وقالوا في صفات الأحق أنه كثير الخصومة

وقال الله تعالى في وصف المنافقين [الزخرف: ٥٨] ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾

٤ - لا تأخذ في الخصومة غير حَقِّك، ولو حَكَمَ به مَنْ حَكَم.

أخي الحبيب فاذا تحاكمتم وحكم لك بغير حَقِّك أو بشيء زاد عن حَقِّك سواء كان ذلك أمام القضاء

أو في جلسة شرعية عرفية فاحذر أن تأخذ ذلك الشيء لأنه ما قطه لم إلا قطعة من نار جهنم - والعياذ

بالله - ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ

بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]

قال الإمام ابن كثير: فدللت هذه الآية الكريمة وهذا الحديث على أن حكم الحاكم لا يغير الشيء في

نفس الأمر، فلا يحل في نفس الأمر حراما ولا يحرم حلالا، وإنما هو ملزم في الظاهر، فإن طابق في نفس

الأمر فذاك وإلا فللحاكم أجره وعلى المحتال وزره. ولهذا قال - تعالى - في آخر الآية وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ.

أى تعلمون بطلان ما تدعون وترجونه في كلامكم». (٦٨٢)

وها هو النبي - صلى الله عليه وسلم - بين لنا ذلك رواه أبو داود عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:

جَاءَ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْتَصِمَانِ فِي مَوَارِيثَ بَيْنَهُمَا قَدْ دَرَسَتْ

لَيْسَ بَيْنَهُمَا بَيِّنَةٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ

أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، وَإِنَّمَا أَقْضِي بَيْنَكُمْ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ مِنْكُمْ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ أُخِيهِ

شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ يَأْتِي بِهِ إِسْطَاطًا فِي عُنُقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، قَالَ: فَبَكَى الرَّجُلَانِ

(٦٨١) -فيض القدير (١/ ١٧٦)

(٦٨٢) -تفسير ابن كثير ط العلمية (١/ ٣٨٥)



وَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: حَقِّي لِأَخِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا إِذَا فَعَلْتُمَا هَذَا فَادْهَبَا فَاقْتَسِمَا وَتَوَخَّيَا الْحَقَّ ثُمَّ اسْتَهِمَا ثُمَّ يَتَحَلَّلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا صَاحِبَهُ» (٦٨٣)

قال قتادة: اعلم - يا ابن آدم - أن قضاء القاضي لا يُجَلِّلُ لك حرامًا، ولا يُحَقِّقُ لك باطلاً وإنما يقضي القاضي بنحو ما يرى ويشهد به الشهود، والقاضي بشرٌ يخطئ ويصيب، واعلموا أن من قُضي له ببطل أن خصومته لم تَنْقُضْ حتى يجمع الله بينهما يوم القيامة، فيقضي على المبطل للمحق بأجود مما قضي به للمبطل على المحق في الدنيا.

٥- ضبط اللسان في الخصومة وفق الشرع:

وينبغي على المسلم عند الخصومة أن يضبط لسانه وجوارحه حتى لا يقع في خصلة من خصال المنافقين عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قَالَ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا، وَإِنْ كَانَتْ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ فِيهِ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ) (٦٨٤)

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم: " والثالث: إذا خاصم فجر ويعني بالفجور أن يخرج عن الحق عمداً حتى يصير الحق باطلاً والباطل حقاً، وهذا مما يدعو إليه الكذب، كما قال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ) (٦٨٥) وفي " الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " إِنْ أَبْغَضَ الرَّجَالُ إِلَى اللَّهِ الْأَلْدُ الْخَصِمُ " (٦٨٦)

وإنَّ خِيَارَ النَّاسِ مَنْ كَانَ مُنْصِيفًا صَدُوقًا لِبَيِّبَا صَانَهُ الدِّينِ فَانْزَجَرَ
وإنَّ شِرَارَ النَّاسِ مَنْ كَانَ مَائِلًا * عَنْ الْحَقِّ إِنْ خَاصَمْتَهُ مَرَّةً فَجَرَ

الفاجر في الخصومة - عباد الله - يسبق لسانه عقله وطيشه حلمه وظلمه عدله، لسانه بذيء وقبله دين، يتلذذ بالتهم والتطاول والخروج عن المقصود..

٦٨٣ - أخرجه الحميدي (٢٩٦)، والبخاري (٦٩٦٧)، ومسلم (١٧١٣)، وأبو داود (٣٥٨٣)، والترمذي (١٣٣٩)

٦٨٤ - رواه البخاري [رقم: ٣٤]، ومسلم [رقم: ٥٨].

٦٨٥ - مسند أحمد ط الرسالة (٧/ ١٨٢)، ومسلم (٢٦٠٧) (١٠٥)، وأبو داود (٤٩٨٩)، وأبو نعيم في " الحلية " ٣٧٨/٦ أخرجه أحمد ٥٥/ ٦٣ و ٢٠٥، والبخاري (٢٤٥٧) في المظالم: باب قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾، و (٤٥٢٣) في تفسير سورة البقرة: باب ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾، و (٧١٨٨) في الأحكام: باب الألد الخصم، ومسلم (٢٦٦٨) في العلم: باب في الألد الخصم

الفاجر في الخصومة يزيد على الحق مائة كذبة، وترونه كالذباب لا يقع إلا على المساوي، ينظر بعين عداوة.. لو أنما عين الرضا لاستحسن ما استقبح، لا يعد محاسن الناس إلا ذنوبا، فيالله.. كيف يعتذر من هذا الغر؟! ترونه آكالا للأعراض هماً مشاءً بنميم معتدياً أثيماً، له طبع كطبع الدود.. لا يقع على شيء إلا أفسده أو قذّره.

الفاجر في الخصومة - عباد الله - لا أمان له ولا ستر لديه، فيه طبع اللئام.. فإن اختلفت معه في شيء حقير كشف أسرارك وهتك أستارك وأظهر الماضي والحاضر.. فكم من صديقٍ كشف ستر صاحبه بسبب خلفٍ محتقر، وكم من زوجةٍ لم تُبقِ سرّاً لزوجها ولم تذر بسبب خلفٍ على نقصان ملح في طعام أو كسوة أو نحو ذلك. ولما كان النفاق لؤماً صار الفجور في الخصومة ثلث هذا اللؤم؛ فيجمع دمامة طبع ولؤم لسان، وكذلك اللؤم تتبعه الدمامة..

ليس العيب في مجرد الخصومة؛ إذ هي واقعٌ لا مناص منه في النفوس والعقول والأموال والأعراض والدين.. إذ من ذا الذي سيرضى عنه الناس كلهم؟ ومن ذا الذي إذا رضي عنه كرام الناس لم يغضب عليه لئامهم؟



كيف نستعيد قيمنا وأخلاقنا الجميلة^(٦٨٧)

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المجاهدين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ناشري لواء الدين، وعلى من تبعهم من سلف هذه الأمة وخلفها ممن جاهد وبذل ورافق وناصح في كل وقت وحين.
معشر الإخوة والأخوات والبنين: حياكم الله وأحياكم، وأطال أعماركم، وأحسن أعمالكم، وذخراً للأمة أعدكم، تُعلون صروحها، وتضمدون جروحها، وتداوون قروحها، وللملة تسمنون في سماها، وتحمون حماها، وترمون من رماها.
أما بعد

العنصر الأول: الحكمة العلية من الرسالة المحمدية

أمة الحبيب الأعظم -محمد صلى الله عليه وسلم- إن من أجل الأهداف السامية التي جاءت الشريعة الخالدة لتحقيقها هو إتمام الأخلاق وتهذيبها هذا من اعظم مقاصد الرسالة
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(٦٨٨)
وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"^(٦٨٩)
فقد كانت بعثته صلى الله عليه وسلم في جوهرها لإتمام هذا الجانب التطبيقي المتمثل في إتمام مكارم الأخلاق، قولاً وفعلاً، دعوة وممارسة،

وها هو سبحانه يمتن على البشرية بهذه النعمة نعمة النبوة التي من أسمى أهدافها التزكية والسمو الأخلاقي يقول الله تعالى ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران:

[١٦٤]

^{٦٨٧} - موقع الالوكة وصيد الفوائد

^{٦٨٨} - أخرجه البيهقي (١) (١٩١/١٠)، رقم (٢٠٥٧١) انظر الصحيحة: ٤٥٤٢ -

^{٦٨٩} - (البخاري في الأدب المفرد) (٢٧٣)، (والإمام أحمد) (٨٩٣٩)، (و البيهقي) (٢٠٥٧٢)، صحيح الجامع: ٢٨٣٣،

صحيح الأدب المفرد: ٢٠٧

و الأخلاق شرط كمال الإيمان كذا أخبرنا نبينا العدنان - صلى الله عليه وسلم- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا» (٦٩٠)
عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكمل الناس إيمانا أحسنهم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف" (٦٩١)

العنصر الثاني كيف نسموا بأخلاقنا؟

اعلم علمني الله تعالى وإياك: أن هناك عدة محاور لاكتساب الأخلاق القويمة وتحقيق الأخلاق الفاضلة وإليك بيانها باختصار:

المحور العقدي: فالبناء العقدي للفرد والمجتمع هو السياج الذي يحميه من هوة الرذيلة ومن الانحراف الأخلاقي

فالتعبد لله تعالى بأسمائه وصفاته ينمي ويزكي أخلاق الفرد والمجتمع
فالله هو السميع: إذن فلن أتكلم إلا بما يحب الله تعالى فلا غيبة ولا نسيمة ولا كذب ولا سخرية
فالله هو البصير: إذن لن يراني الله تعالى حيث نهائي ولن يفتقدني حيث أمرني
فالله سبحانه هو العليم الذي يعلم السر وأخفى: إذن فلن أحمل رفي قلبي حقدا ولا حسدا وبغضاء
فالله سبحانه هو الرقيب: إذن كل حركة وسكنة محسوبة بحساب دقيق

إِذَا مَا خَلَوْتَ، الدَّهْرَ، يَوْمًا، فَلَا * * * تَقُلْ خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يَغْفِلُ مَا مَضَى * * * وَلَا أَنْ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ
هُوَنًا، لَعَمْرُ اللَّهِ، حَتَّى تَتَابَعْتَ * * * ذُنُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ ذُنُوبٌ
فَيَا لَيْتَ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ مَا مَضَى * * * وَيَأْذُنُ فِي تَوْبَاتِنَا فَتُتُوبُ

توبة شاب مسرف على نفسه على يد إبراهيم بن أدهم وروى أن رجلا جاء إلى إبراهيم بن أدهم فقال له يا أبا إسحاق إني مسرف على نفسي فاعرض علي ما يكون لها زاجرا ومستنقذا لقلبي قال إن قبلت خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك معصية ولم توبقك لذة قال هات يا أبا إسحاق قال أما الأولى فإذا أردت أن تعصي الله عز وجل فلا تأكل رزقه قال فمن أين أكل وكل ما في الأرض من رزقه قال

٦٩٠ - أخرجه الترمذي (٤٦٦/٣ رقم ١١٦٢) وقال: حسن صحيح. وابن حبان (٤٨٣/٩، رقم ٤١٧٦) والبيهقي في

شعب الإيمان (٦١/١، رقم ٢٧)

٦٩١ - أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٥٦/٤، رقم ٤٤٢٢) قال الهيثمي (٥٨/١): رواه الطبراني في الأوسط صحيح الجامع:

١٢٣١، الصحيحة: ٧٥١



له يا هذا أفيحسن أن تأكل رزقه وتعصيه قال لا هات الثانية قال وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئاً من بلاده قال الرجل هذه أعظم من الأولى يا هذا إذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له فأين أسكن قال يا هذا أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه قال لا هات الثالثة قال إذا أردت أن تعصيه وأنت تحت رزقه وفي بلاده فانظر موضعاً لا يراك فيه مبارزاً له فاعصه فيه قال يا إبراهيم كيف هذا وهو مطلع على ما في السرائر قال يا هذا أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه وهو يراك ويرى ما تجاهره به قال لا هات الرابعة قال إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له أخرجني حتى أتوب توبة نصوحاً وأعمل لله عملاً صالحاً قال لا يقبل مني قال يا هذا فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب وتعلم أنه إذا جاء لم يكن له تأخير فكيف ترجو وجه الخلاص قال هات الخامسة قال إذا جاءتك الزبانية يوم القيامة ليأخذونك إلى النار فلا تذهب معهم قال لا يدعونني ولا يقبلون مني قال فكيف ترجو النجاة إذا قال له يا إبراهيم حسبي حسبي أنا أستغفر الله وأتوب إليه ولزمه في العبادة حتى فرق الموت بينهما (٦٩٢)

المحور الثاني المحور التعبدية: فالله تعالى شرع الشرائع وفرض الفرائض وجعلها سبباً من أسباب تزكية النفوس وتطهير الأخلاق

فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر: يقول تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

عن أبي هريرة: أن رسول -صلى الله عليه وسلم- قال: ((أرايتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟))، قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: ((فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا)). (٦٩٣)

والزكاة تطهر صاحبها من الشح والبخل والأثرة: يقول تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣]

والصوم يُنبت التقوى ويحصن المرء:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((قال الله: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي، وأنا أجزي به، والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن ساءبه أحد أو قاتله، فليقل: إني امرؤ صائم))؛ (٦٩٤) رواه البخاري ومسلم.

٦٩٢ - التواوين (ص: ٢٨٦)

٦٩٣ - أخرجه أحمد (٣٧٩/٢، رقم ٨٩١١)، والبخاري (١٩٧/١، رقم ٥٠٥)، ومسلم (٤٦٢/١، رقم ٦٦٧)

٦٩٤ - أخرجه البخاري (٦٧٠/٢، رقم ١٧٩٥)، ومسلم (٨٠٧/٢، رقم ١١٥١)

والحج تربية وتهذيب وتأديب: يقول تعالى ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: ١٩٧]

الخطبة الثانية

✍ **الخور الثالث: محور المجاهدة:** وهو أن يجاهد نفسه ويدربها على الأخلاق الفاضلة قال الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]

عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم من يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه ثلاث من كن فيه لم يسكن الدرجات العلى ولا أقول الجنة من تكهن أو استقسم أو رده من سفر تطير) (٦٩٥)

يقول الغزالي في الإحياء: الأخلاق على ضربين فمنها ما هو غريزي جبلي، ومنها ما هو اكتسابي يأتي بالدربة والممارسة والريضة والمجاهدة، ولو كانت الأخلاق لا تتغير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات " (٦٩٦)

وهذا المسك يحتاج إلى تكرار ودوام حتى يؤتى أثره. وهذا الدوام يستلزم الصبر فعلى الإنسان الذى يريد التخلق بنوع من الأخلاق الحسنة أن يتحمل بالصبر فإذا صبر ودوام انقادت نفسه وألفت الفعل (٦٩٧)

✍ الخور الرابع محور القدوة:

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]، ثم أمره بأن يقتدي بمن سبقه من الأنبياء، قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ذكر عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- محامد الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين- وفضائلهم ووجوب الاقتداء بأفعالهم الحميدة وأخلاقهم النبيلة فقال: " ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: «من كان مستنًا، فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم -، كانوا أفضل هذه الأمة: أبرها قلوبًا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفًا، اختارهم الله لصحبة نبيه،

٦٩٥ - أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه (١٢٧/٩)، والطبراني في الكبير (٣٩٥/١٩)، وحسنه الألباني في الصحيحة

(٣٤٢) وفي صحيح الجامع (٢٣٢٨/١)

٦٩٦ - إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي (٥٥/٣)

٦٩٧ - أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان ص ١٠٠



ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على أثرهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم». " (٦٩٨)

وكان أبو مسلم الخولاني قد علق سوطاً في مسجد بيته يخوّف به نفسه، وكان يقول لنفسه: قومي فوالله لأزحفن بك زحفاً، حتى يكون الكلل منك لا مني، فإذا دخلت الفترة (الفتور) تناول سوطه وضرب به ساقه، وقال: أنت أولى بالضرب من دابتي، وكان يقول: أيطن أصحاب محمد أ ن يستأثروا به دوننا؟ كلا والله لُنزاحمَنَّهُم عليه زحاماً حتى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجالاً.

فتشبهوا بهم إن لم تكونوا*** مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

نزهة الخاطر بعبادة جبر الخواطر (٦٩٩)

الخطبة الأولى

الحمد لله لم يزل عليّ، ولم يزل في علاه سمياً، قطرة من بحر جوده تملأ الأرض رياً، نظرة من عين رضاه تجعل الكافر ولياً، الجنة لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً والنار لمن عصاه ولو شريفاً قرشياً، أنزل على نبيه ومصطفاه قولاً بهياً ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيّاً﴾ [مریم: ٦٣]

وكم لله من لطف خفي أملٌ تساق به صباحا
وكم يسر أتي من بعد عسر إذا ضاقت بك الأحوال يوما

ونصلي ونسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم- وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثاتها بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.
اللهم لا تعذب جمعاً التقى فيك ولك ولا تعذب ألسناً تخبر عنك ولا تعذب قلوباً تشتاق إلى لذة النظر إلى وجهك الكريم

أما بعد: اعلّموا عباد الله أن تطيب الخواطر عبادة من أجل العبادات المنسية في مجتمعاتنا في زمن كثرة فيه الأنانيات والاهتمام بالذات والاهتمام في الشهوات..... قال سفيان الثوري:
"ما رأيت عبادةً أجل وأعظم من جبر الخواطر

جبر الخواطر ذلك دأب أولي النهي وترى الجهول بكسرها يتمتع
فاجعل لسانك بلسماً فيه الشفا لا مشرطاً يدمي القلوب ويوجع

تعريف جبر الخواطر:

جبر الخواطر معناه: رفع همه الشخص أو تكوين مصيئته والأخذ بيديه حتى يمر بمصيئته، ورفع همه الشخص قد تكون بالنصيحة أو الابتسامة أو الصدقة، وجبر الخواطر من المعاملات الإسلامية التي يجب أن يتحلى بها كل مسلم وكل شخص عموماً بعيد عن ديانته، ومن يعمل علي جبر الخواطر فهو بالتأكيد شخص شهم ومعدنة أصيل.



وقد أجمع اللغويون على أن الخاطر هو القلب، وعدم كسره خلق عظيم، ولو تحققنا فسوف نجد أن أغلب أحكام ديننا قائمة على جبر الخواطر، فنحن نقدم واجب العزاء لجبر خاطر أهل المتوفي، نزور المريض لجبر خاطره، ندفع دية الميت لجبر خاطر أهله حتى السلام والابتسامة.....

ثانياً الله تعالى وجبر خواطر عباده:

و اعلموا عباد الله أن جبر الخواطر من أوصاف الله تعالى فمن أسمائه جلل جلاله الجبار قال الله تعالى ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]

هو “الجبار” وهذا الاسم معناه الرائع يُطمئن القلب ويريح النفس فهو سُبْحَانَهُ “الذي يَجْبِرُ الْفَقْرَ بِالْعَنَى، وَالْمَرَضَ بِالصِّحَّةِ، وَالْحَيَّةَ وَالْفَشَلَ بِالتَّوْفِيقِ وَالْأَمَلَ، وَالْخَوْفَ وَالْحَزْنَ بِالْأَمْنِ وَالْاطْمِئْنَانَ، فَهُوَ جَبَّارٌ مُتَصِفٌ بِكَثْرَةِ جَبْرِهِ حَوَائِجَ الْخَلَائِقِ”. (٧٠٠)
يقول ابن القيم رحمه الله:

كذلك الجبار من أوصافه والجبر في أوصافه نوعان

جبر الضعيف وكل قلب قد غدا ذا كسرة فالجبر منه دان

والثاني جبر القهر بالقهر الذي لا ينبغي لسواه من إنسان

معاصر الأحاب: وفي القرآن الكريم صوراً عديدة لجبره جل جلاله للخواطر نذكر منها على سبيل المثال:

جبر خاطر يوسف عليه السلام: إخوة الإسلام: لما اجتمع إخوة يوسف عليه السلام على رميه في الحب وأدرك يوسف عليه السلام تلك المؤامرة أراد الله تعالى أن يجبر خاطره فاعلمه سبحانه أنه سيلتقي بهم ويخبرهم بفعلتهم قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهُمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥]

جبر خاطر أم موسى عليه السلام:

لما أمر الله تعالى أم موسى عليه السلام بإلقائه في اليم وهذا أمر غريب وعصيب ومؤلم على قلب الأم جبر الله تعالى خاطرها وأخبرها أنه سيرده عليها وأنه سيجعله من صفوة خلقه المرسلين قال الله تعالى ﴿

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ [القصص: ٧]

﴿جبر خاطر النبي صلى الله عليه وسلم:﴾

أحبابي الكرام: و من صور جبر الخواطر الربانية لخير البرية صلى الله عليه وسلم عندما أخرجه قومه من مكة حزن النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره أنه سبحانه سيرده إليها مرة ثانية فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْنَا مَعَدٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [القصص: ٨٥] رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أحب مكة التي ولد فيها ونشأ أخرج منها ظلماً، فاحتاج في هذا الموقف الصعب وهذا الفراق الأليم إلى شيء من المواساة والصبر، فأنزل الله تعالى له قرآن مؤكداً بقسم؛ أن الذي فرض عليك القرآن وأرسلك رسولا وأمرك بتبليغ شرعه سيردك إلى موطنك مكة عزيزاً منتصراً وهذا ما حصل.

﴿جبر خاطر النبي صلى الله عليه وسلم في أمته:﴾

ولقد جبر الله تعالى خاطر النبي صلى الله عليه وسلم في أمته فوعده جل جلاله أنه لن يسوئه في أمته ومثله أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥]، وانظر لروعة العطاء المستمر في هذه الآية حتى يصل بالمسلم لحالة الرضا، فهذه الآية رسالة إلى كل مهموم ومغموم، وتسليية لصاحب الحاجة، وفرج لكل من وقع بلاء وفتنة؛ أن الله يجبر كل قلب لجأ إليه بصدق عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن النبي صلى الله عليه وسلم: تَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم: ٣٦] الآية، وَقَالَ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِن تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي»، وَبَكَى، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يَا جَبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلِّمْهُ مَا يُنْكِيكَ؟» فَاتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللَّهُ: " يَا جَبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنَرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوءُكَ " (٧١).

﴿جبر خواطر غير الورثة:﴾

ومن صور جبر الخواطر الربانية في الآيات القرآنية أن جبر خواطر غير الورثة فأمر بالصدقة عليهم اذا حضروا القسمة فقال سبحانه ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٨]



﴿وجبر خواطر النساء في غير ما آية من كتابه ومن ذلك:

* قدم ذكر الإناث على الذكور فقال سبحانه ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠]

قال ابن القيم رحمه الله: وتأمل كيف نكر الله الإناث فقال (إناثا) وعرف الذكور فجبر نقص الأنوثة بالتقديم وجبر نقص التأخير للذكور بالتعريف (٧٠٢)

﴿ومن ذلك إيجاب المتعة للمطلقة:

و من جبر خواطر المرأة المطلقة أن أوجب لها المتعة فقال سبحانه ﴿وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١] وقال سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩] والحكمة من إيجاب المتعة للمطلقة جبر قسوة الطلاق وتطبيب قلوب المطلقات استبقاء للمودة

﴿ثالثا النبي صلى الله عليه وسلم وجبر الخواطر: ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم من احرص الناس على جبر خواطر أمته ولناخذ على ذلك أمثله:

﴿جبر خواطر الفقراء:

أحباب الحبيب صلى الله عليه وسلم: عندما جاء فقراء المهاجرين مكسوري الخاطر بسبب فقرهم وان الأغنياء سبقوهم الى الله تعالى بفضل أموالهم فما كان من النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن جبر خواطرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الْأَمْوَالِ بِالْذَّرَجَاتِ الْعُلَا، وَالتَّعِيمِ الْمُقِيمِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحْجُونَ بِهَا، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، قَالَ: «أَلَا أُحَدِّثُكُمْ إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ»، فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا، فَقَالَ بَعْضُنَا: نُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَنَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَارْجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: تَقُولُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلُّهُنَّ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ» " (٧٠٣).

٧٠٢ - التفسير القيم ص ٤٦٩

٧٠٣ - أخرج البخاري (٨٤٣) و (٦٣٢٩)، ومسلم (٥٩٥)

جبر خواطر عمرو بن تغلب ومن معه ممن منعهم العطاء:

إخوة الإسلام: ومن جبر النبي صلى الله عليه وسلم للخواطر أنه كان يعطي أقواما ويترك أقواما لما علم من قلوبهم من صدق وقوة إيمان عمرو بن تغلب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه شيء فأعطاه ناسًا وترك ناسًا وقال جرير أعطى رجلاً وترك رجلاً قال فبلغه عن الذين ترك أنهم عتبوا وقالوا قال فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إني أعطي ناسًا وأدع ناسًا وأعطي رجلاً وأدع رجلاً قال عفان قال ذي وذو والذي أدع أحب إلي من الذي أعطي أعطي أناسًا لما في قلوبهم من الجزع والهلع وأكل قومًا إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير منهم عمرو بن تغلب قال وكنت جالسًا تلقاء وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أحب أن لي بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حُمر النعم «(٧٠٤)»

جبر خاطر جابر رضي الله عنه - لما استشهد والده رضي الله عنهما:

معاشر الموحدين: استشهد والد جابر رضي الله عنه وترك جابرا ولم يترك له مال بل تركه مدينا وترك له أخوات فاجتمع على جابر رضي الله عنه هم فراق والده وهم الدين وهم الأخوات وشاهده النبي صلى الله عليه وسلم فوجده حزينا فجبر خاطره كما في حديثنا طلحة بن خراش، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: لما قتل عبد الله بن عمرو بن حرام، يوم أحد، لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا جابر، ما لي أراك منكسرا؟ قال: قلت: يا رسول الله، استشهد أبي وترك عيالا ودينا، قال: أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟ قال: بلى، يا رسول الله، قال: ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب، وكلم أباك كفاحا، فقال: يا عبدي، تمن علي أعطك، قال: يا رب، تُحييني فأقتل فيك ثانية، فقال الربُّ سبحانه: إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال: يا رب، فأبلغ من ورأي، قال: فأنزَل الله، تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ). أخرجه ابن ماجه (٧٠٥).

جبر النبي صلى الله عليه وسلم لخواطرننا ولم يرنا:

معاشر الموحدين: ها هو الرحمة المهداة عليه الصلاة والسلام جبر بخواطرننا نحن الذين نحبه ونشتاق إليه ونتمنى لو كنا إلى جانبه ندود عنه وننافح عن دعوته، فعن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة فقال: "السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لأحقون ووددت أنا قد

٧٠٤ - «مسند أحمد» (٣٤ / ٢٧٥ ط الرسالة): «وأخرجه البخاري (٩٢٣) و (٣١٤٥) و (٧٥٣٥)، والبيهقي ١٨/٧ من»

٧٠٥ - «سنن ابن ماجه ت الأرئوط» (١ / ١٣١): «وأخرجه الترمذي (٣٢٥٦)» (صحيح) انظر حديث رقم: ٧٩٠٥ في



رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا ” قَالُوا: أَوْلَسْنَا إِخْوَانُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ” بَلْ أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ “، فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ” أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَانِي خَيْلٌ دُهُمٌ بِهِمْ، أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟ ” فَقَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ” فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ “ (٧٠٦)

الخطبة الثانية

رابعاً: جزاء جابروا الخواطر في الدنيا والآخرة:

معاشر الموحدين: إن لجبر الخواطر ثواباً عظيماً عن الله تعالى فمن سار بين الناس جابراً للخواطر.... أدركه الله في جوف المخاطر

- تطيب الخواطر من مكارم الأخلاق، وهي صفة من صفات الأنبياء والصديقين والصالحين.
 - تطيب خواطر أهل البلاء من أعظم أسباب الألفة والمحبة بين المسلمين.
 - تطيب النفوس المنكسرة عبادة جلية، وقد عده بعض العلماء في أبواب الاعتقاد.
- الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه

أيها الإخوة من سار بين الناس جبراً للخواطر أدركه الله في جوف المخاطر، عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: (صاحب المعروف لا يقع؛ فإن وقع وجد متكأً) وصاحب ومعية الله ليست الجائزة الوحيدة التي تنتظر العابد الجابر للخواطر بل أن رحمة الله سبحانه وتعالى تنتظر كذلك عباده المحسنين الذين يجبرون الخواطر، حيث يتجاوز الرحمن عن عشرات جابر خواطر عباده المُعْسرين، فالله سبحانه وتعالى لا يضيع أجرَ من أحسن عملاً، فمن كان متسامحاً مع الآخرين رحيماً بهم جابراً خواطرهم يُقدَّر ظروفهم المعيشية، كان الله سبحانه وتعالى رحيماً به متجاوزاً عنه يوم القيامة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِراً، فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا ". قَالَ: " فَلَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ " (٧٠٧).

خامساً: أبواب جبر الخواطر:

أيها الأحباب الحياة مليئة بما يجبر خواطر الآخرين أبواب جبر الخواطر عديدة نذكر منها على سبيل الإجمال

- المواساة عند فقد الأحبة.

٧٠٦ - أخرجه مسلم (٢٤٩)

٧٠٧ - مسلم (١١٩٦/٣) رقم (١٥٦٢)، البخاري (٤/ ٣٠٨ - ٣٠٩ رقم ٢٠٧٨)، وانظر (٣٤٨٠)

- الاعتذار للآخرين، وقبول اعتذار المعتذرين.
 - تبادل الهدايا.
 - الابتسامة.
 - قضاء حوائج الناس.
 - زرع مريضاً وادع له تبعث في نفسه الأمل وتكون عليه رحلة الابتلاء.
 - فهم النفسيات.
 - إخفاء الفضل والمنة عند جبر الخواطر.
 - مد يد العون والمساعدة لإنسان في موقف صعب أو في مشكلة معضلة
 - إذا رأيت بائعاً متجولاً في وجه الحر على قدميه يطلب الرزق الحلال فاجبر خاطره واشتري منه
 - اجبر خاطر اليتامى امسح على رؤوسهم تفقد أحوالهم تكن مع النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى " وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا قَلِيلًا (٧٠٨)
 - وأخيراً إياكم وكسر الخواطر فإنها ليست عظاماً تجر بل هي أرواح تقهر
- الدعاء.....

٧٠٨ - «مسند أحمد» (٣٧ / ٤٧٦ ط الرسالة): «وأخرجه البخاري في "الصحيح" (٥٣٠٤) و (٦٠٠٥)»



القول الجميل في الاعتراف بالفضل والجميل (٧٠٩)

الخطبة الأولى

الحمد لله المحيب لكل سائل، التائب على العباد فليس بينه وبين العباد حائل.

جعل ما على الأرض زينة لها، وكل نعيم لامحالة زائل.

حذر الناس من الشيطان وللشيطان منافذ وحبائل.

فمن أسلم وجهه لله فذاك الكيس العاقل، ومن استسلم لهواه فذاك الضال الغافل.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تتره عن الشريك وعن الشبيه وعن المشاكل.

من للعباد غيره؟ ومن يدبر الأمر؟ ومن يعدل المائل؟ من يشفي المريض؟ من يرعى الجنين

في بطن الحوامل؟

من يجيب المضطر إذا دعاه؟ ومن استعصت على قدرته المسائل؟

من لنا إذا انقضى الشباب وتقطعت بنا الأسباب والوسائل؟

ونصلي ونسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) [آل عمران/١٠٢]



﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا

كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) [النساء/١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا

(٦٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) [الأحزاب/٦٩-٧١]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها،

وكل محدثاتها بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد: إخوة العقيدة حديثنا في هذا اليوم الطيب الميمون الأغر عن القول الجميل في الاعتراف بالفضل

والجميل وهذا من الأخلاق المحمودة التي حثنا عليها الإسلام ودعانا إليها رب الأنام وحبينا الهمام صلى

الله عليه وسلم

ومن يسدّ معروفاً إليك فكن له شكوراً يكن معروفاً غير ضائع
ولا تبخلن بالشكر والقرض فاجزه تكن خير مصنوع إليه وصانع
فأعيرون القلوب والأسماع أيها الكرام.....

الإسلام ودعوته لحفظ والاعتراف بالجميل:

إخوة الإسلام: إن رب الأنام جل جلاله أمرنا في كتابه أن نعترف بالجميل لمن أسداه إلينا وذلك من
شيم الكرام من الأنبياء والأولياء والأصفياء.....أمرنا الله أن نحسن إلى عباده كما احسنوا إلينا
فأجزاء من جنس العمل قال الله تعالى: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ القصص ٧٧١، وقال تعالى:
﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ الرحمن ٦٠. وقال: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا
الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (٩١) سورة النحل.

وها هو صلى الله عليه وسلم يخبرنا أن نشكر من قدما لنا معروفاً وأن نجزل له الشاء وعن أبي هريرة،
قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ. (٧١)
وعن ابن عمر قال قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ
فَأَعْطُوهُ وَمَنْ اسْتَجَارَ بِاللَّهِ فَأَجِيرُوهُ وَمَنْ آتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافَتْوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ حَتَّى
تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ كَفَأْتُمُوهُ. - وفي رواية: مَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ وَمَنْ أَهْدَى لَكُمْ
فَكَافَتْوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافَتْوهُ فَادْعُوا لَهُ. (٧١)

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر يتعلق بالمزيد، وهما
مقرونان، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد)
وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: "عليكم بملازمة الشكر على النعم، فقلّ نعمة زالت عن قوم فعادت
إليهم".

الاعتراف بالجميل للجميل جل جلاله:

أيها الكرام إن الله سبحانه هو صاحب الفضل والإفضال والإنعام علينا وهو وصاحب كل معروف
على عباده في الدنيا والآخرة فهو الجميل جل جلاله وهو الذي أخرجنا من الظلمات إلى النور وهو

٧١٠ - أخرجه أحمد ٢/٢٥٨ (٧٤٩٥) و"البخاري" في "الأدب المفرد" ٢١٨ و"أبو داود" ٤٨١١ و"الترمذي"

١٩٥٤ و"ابن حبان" ٣٤٠٧.

٧١١ - أخرجه أحمد ٢/٦٨ (٥٣٦٥) و"البخاري" في (الأدب المفرد) ٢١٦. و"أبو داود" ١٦٧٢ و"النسائي"

٨٢/٥ و"الكبرى" ٢٣٥٩.



سبحانه من هداانا إلى الصراط المستقيم وهو الذي ربانا بنعمه التي لا تعد ولا تحصى لذا فواجب علينا أن نشكره آن الليل واطراف النهار وأن نعترف له بالفضل والمنة

﴿اعتراف الأنبياء بفضل رب الأرض والسماء:﴾

اعتراف إبراهيم عليه السلام لربه بفضلله وإنعامه عليه:

إخوة الإسلام ها هو خليل الجليل جل جلاله يعترف بفضل الله عليه وعطائه له ويثني عليه فيقول ﴿

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ ﴿ [إبراهيم: ٣٩]

والحمد هو الثناء باللسان على من صدرت منه النعمة، وأل فيه للاستغراق أى: جميع أجناس الحمد ثابتة لله رب العالمين، لأن كل ما يستحق أن يقابل بالثناء والحمد فهو صادر عنه-سبحانه-إذ هو الخالق لكل شيء.

وإنما ذكر قوله «على الكبر لأن المنة بجهة الولد في هذا السن أعظم، من حيث إن هذا الزمان زمان وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة في وقت اليأس من أعظم النعم، ولأن الولادة في هذه السن المتقدمة كانت آية لإبراهيم» ﴿٧١٢﴾.

﴿اعتراف يوسف عليه السلام بجميل الجميل جل جلاله:﴾

ومن صور الاعتراف بالفضل والجميل اعتراف نبي الله يوسف عليه السلام بعد أن أتم الله عليه النعمة ورد عليه أباه وإخوته يقول الله تعالى حاكيا عن يوسف عليه السلام ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿ [يوسف: ١٠١]

يقول السعدي رحمه الله " لما أتم الله ليوسف ما أتم من التمكين في الأرض والملك، وأقر عينه بأبويه وإخوته، وبعد العلم العظيم الذي أعطاه الله إياه، قال مقرا بنعمة الله شاكرها لها داعيا بالثبات على الإسلام:

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ وذلك أنه كان على خزائن الأرض وتديرها ووزيرا كبيرا للملك ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ أي: من تأويل أحاديث الكتب المتولة وتأويل الرؤيا وغير ذلك من العلم ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ أي: أدم عليّ

الإسلام وثبتني عليه حتى توفياني عليه، ولم يكن هذا دعاء باستعجال الموت، ﴿وَأَلْحِنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ من الأنبياء الأبرار والأصفياء الأخيار. (٧٣)

اعتراف سليمان عليه السلام بجميل رب الأنعام تبارك وتعالى ومن جميل الاعتراف بالجميل ما ورد على لسان نبي الله سليمان عليه السلام الذي وسخر الله تعالى له الجن والإنس والطير فهم يوزعون وعلمه منطق الطير فلم يأخذه الغرور ولا الكبر حال كثير من الأغنياء والملوك بل اعترف بفضل ربه ومولاه جل في علاه قال الله تعالى ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩)﴾ [النمل: ١٨-١٩]

" يغتر، ولم يفخر، ولم يفاخر، بل عرف حق النعمة واتجه إلى شكرها، ودعا ربه ثلاثا. أولا: ضرع إلى ربه أن يدفعه، فقال أوزعني أي ادفعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت بها علي، وعلى والدي، فإن هذه نعمة تحتاج إلى الالتجاء إليك لأتمكن من شكرها، وهي علي، وعلى والدي فقد كان نبيا آتيته ما آتيت ولده سليمان، فكان ما أنا فيه نعمة علي وعليه. ثانيا: دعا ربه أن يوفقه للخير فقال: (وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ)، أي أن أعمل عملا هو صالح في ذاته وأن ترضاه بأن يكون خاليا من كل غرض غير رضاك سبحانه، إنك أنت المعطي، والمانع. ثالثا: أن يكون في ضمن عباد الله الصالحين، فقال: (وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ)، أي أن الدخول في الصالحين من عباده سبحانه هو برحمته سبحانه، لا بعمل قدمه، فكل عمل هو من فضله، وكل جزاء هو من رحمته. (٧٤)

اعتراف المؤمنون بجميل الجليل جل جلاله:

أيها الإخوة الكرام ومن صور الاعتراف بالفضل والجميل اعتراف الإنسان عندما يتم الله عليه نعمه ويبلغ يسن الأربعين هنا يتهل إلى ربه ويعترف بفضل الله تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥]

٧٣ - تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٠٦)

٧٤ - زهرة التفاسير (١٠ / ٥٤٤٥)



(حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ) أي: استحکم قوته وعقله وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَي: ألهمني أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ أَي: بالهداية للتوحيد، والعمل بطاعتك، وغير ذلك. وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي أَي: واجعل الصلاح ساريا في ذريتي، راسخا فيهم إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ أَي: من ذنوبي التي سلفت مني وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَي: المستسلمين لأمرك ونهيك، المنقادين لحكمك.

و من صور الاعتراف بالنعمة للمنعم جل جلاله اعتراف اهل الجنة بان الفضل والمنة لله الواحد الأحد قال الله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٢-٣٥]

وقال تعالى ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تَلَكُمُ الْجَنَّةُ أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]

الاعتراف بالجميل للوالدين

ومن مجالات الاعتراف بالجميل الاعتراف للوالدين وأن يرد عليهم ذلك الجميل مردا جميلا قال الله تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

❖ - نموذج في الوفاء وحفظ الجميل للوالدين (برهما وعدم عقوقهما، والدعاء لهما في حياتهما وبعد مماتهما): كان ابن عمر يمشي في الصحراء على دابته فقابله أعرابي فتوقف ابن عمر ونزل، ووقف معه، وقال: أأنت فلان بن فلان؟ قال: بلى، ثم ألبسه عمامة كانت عليه، وقال له: أشدد به رأسك، ثم أعطاه دابته وقال: اركب هذا، فتعجب أصحاب ابن عمر، وقالوا له: إن هذا من الأعراب، وهم يرضون بالقليل، فقال: إن أبا هذا كان وِدًّا لعمر، وإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَهُ وَدَّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُؤَلِّيَ) (رواه مسلم).

يتحاکمان من الذي يقوم برعاية أمه:

ما سأحدث عنه هو بكاء حيزان، حيزان رجل مسن من الأسياح (قرية تبعد عن بريدة ٩٠ كم). بكى في المحكمة حتى ابتلت لحيته، فما الذي أبكاه؟

هل هو عقوق أبنائه أم خسارته في قضية أرض متنازع عليها أم هي زوجة رفعت عليه قضية خلع؟
في الواقع ليس هذا ولا ذاك، ما أبكى حيزان هو خسارته قضية غريبة من نوعها
فقد خسر القضية أمام أخيه، لرعاية أمة العجوز التي لا تملك سوى خاتم من نحاس.
فقد كانت الأم المسنة في رعاية ابنها الأكبر حيزان، الذي يعيش وحيدا. وعندما تقدمت به السن جاء
أخوه من مدينة أخرى ليأخذ والدته لتعيش مع أسرته، لكن حيزان رفض محتجا بقدرته على رعايتها.
وكان أن وصل بهما النزاع إلى المحكمة ليحكم القاضي بينهما، لكن الخلاف احتدم وتكررت الجلسات
وكلا الأخوين مصر على أحقيته برعاية والدته، وعندها طلب القاضي حضور الأم المسنة لسؤالها،
أحضرها الأخوان يتناوبان حملها.. وبسؤالها عن تفضل العيش معه، قالت وهي مدركة لما تقول: هذا
عيني مشيرة إلى حيزان وهذا عيني الأخرى مشيرة إلى أخيه. وعندها اضطر القاضي أن يحكم بما يراه
مناسبا، وهو أن تعيش مع أسرة الأخ الأصغر فهو الأقدر على رعايتها، وهذا ما أبكى حيزان.
الاعتراف بالجميل للمعلم ومن مجالات الاعتراف بالفضل ورد الجميل أن يعترف الطالب بفضل الله أولا
ثم بفضل معلميه الذين بذلوا الجهد من اجل تعليمة

ويكون ذلك باحترامهم وتقديرهم والدعاء لهم، والحذر من الإساءة إليهم)
قال أبو حنيفة -رحمه الله-: "ما صليتُ منذ مات شيخى حماد، إلا استغفرتُ له مع والدي، وإني
لأستغفر لمن تعلّمتُ منه علما أو علّمته علما!".
وقال أبو يوسف -رحمه الله-: "إني لأدعو لأبي حنيفة قبل أبي!".
وقال الإمام أحمد -رحمه الله-: "ما بتُّ منذ ثلاثين سنةً إلا وأنا أدعو للشافعي وأستغفر له!".
وقال الشافعي -رحمه الله-: "الحر من راعي وداد لحظة، وانتفى لمن أفاده لفظة".

❦ الاعتراف بالفضل والجميل بين الزوجين:

الحياة الزوجية مبنية على السكن والمودة والمحبة وأن يعترف ويقر كلا الزوجين للأخر بفضلله وجزيل
عطائه:

ولقد ضرب لنا النبي صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في ذلك المجال
فعن عائشة، قالت: مَا غَرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا،
قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ، فَيَقُولُ: «أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ»،
قَالَتْ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا».
(٧١٥)

٧١٥ - صحيح مسلم؛ برقم: [٢٤٣٥].



وعنها أيضاً: (قَالَتْ: اسْتَأْذَنْتُ هَالَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَحَلَ لِذَلِكَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَالَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ»، فَعَرِثْتُ فَقُلْتُ: وَمَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ، حَمَرَاءِ الشُّدْقَيْنِ، هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ فَأَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا). (٧١٦)

الاعتراف بالفضل والجميل للأصحاب:

أيها الكرام ومن مجالات الاعتراف بالفضل ورد الجميل ألا ينسى المرء من مد له يد المعونة ووقف معه أيام الشدائد والحن وحبيكم صلى الله عليه وسلم لم ينس المعروف لاحد من أصحابه ولم ينكره بل كان يتحدث بذلك ويثني عليه فيها هو يثني على أبي بكر رضي الله عنه وقد كان أبو بكر هو أول من أسلم من الرجال، وسارع في تصديق النبي صلى الله عليه وسلم بلا تلوؤ أو تردد، كما كان أكثر الناس مساعدة للنبي في دعوته، سواء ببذنه أو ماله؛ لذلك حفظ له النبي جميله، فقال مثنيًا عليه ومظهرًا فضله: (إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةَ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتَهُ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ، إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ) [٦]. (٧١٧)

وقال أيضاً مظهرًا فضله: «مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَيْنَاهُ مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِئُهُ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا نَفَعَنِي مَالٌ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنْ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ». (٧١٨)

وها هو يوصي من بعده بأصحابه خيرا ويعترف بفضلهم عليه وعلى دعوته صلى الله عليه وسلم وذلك لجهادهم الطويل معه في سبيل دعوته، وكفاحهم المتواصل في سبيل نصرته دينه، هذا الدين الذي ما قام إلا على أكتافهم، وما توطدت أركانه إلا بسبب تضحياتهم وتحملهم العناء الكبير والتعب المتواصل في سبيل رفع رايته، ونشر لوائه، لذلك نهانا عن سبهم حفظًا لجميلهم، وإقرارًا بفضلهم، فقال: (لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَتَفَقَّ مِثْلَ أَحَدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ) (٧١٩)

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: اجْتَمَعَ نَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالُوا: يُؤْثِرُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا غَيْرَنَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَطَبَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ تَكُونُوا أَذِلَّةً فَأَعَزَّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟»، قَالُوا: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: «أَلَمْ تَكُونُوا ضُلَّالًا، فَهَدَاكُمْ اللَّهُ؟»، قَالُوا: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: «أَلَمْ تَكُونُوا فَقَرَاءَ فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟»، قَالُوا: صَدَقَ اللَّهُ

٧١٦ - صحيح مسلم؛ برقم: [٢٤٣٧].

٧١٧ - البخاري (٤٦٦)

٧١٨ - الترمذي (٣٦٦١) وصححه الألباني.

٧١٩ - البخاري (٣٦٧٣).

وَرَسُولُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُجِيبُونِي؟ أَلَا تَقُولُوا: أَتَيْنَا طَرِيدًا فَأَوْيَيْنَاكَ، وَأَتَيْنَا خَائِفًا فَأَمَتْنَاكَ، أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَدْخُلُونَ بِهِ دُورَكُمْ، لَوْ أَنَّكُمْ سَلَكَتُمْ وَادِيًا - أَوْ شِعْبًا - وَالنَّاسُ وَادِيًا - أَوْ شِعْبًا - لَسَلَكَتُمْ وَادِيَكُمْ - أَوْ شِعْبَكُمْ - وَلَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي» ((٧٢٠))

الخطبة الثانية

أما بعد: أيها الإخوة الكرام:

الرد الجميل للكفار:

إخوة الإسلام: لم ينس نبينا صلى الله عليه وسلم من أسدى إليه معروفًا حتى ولو كان كافرًا بدعوته ورسالته صلى الله عليه وسلم

لم ينس نبع الوفاء صلى الله عليه وسلم مواقف عمه أبي طالب الذي واساه ورباه، ودافع عنه حتى آخر رمق في حياته، فشفع له عند الله تعالى أن يخفف عنه العذاب؛ عن العباس، قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "ما أغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحْوَطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قال: ((هو في ضَحَضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ)) ((٧٢١))

وفاء النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي البختری بن هشام:

ومن مواقف الوفاء مع الكفار وفاء النبي صلى الله عليه وسلم لأبي البختری بن هشام الذي وقف في وجه قريش، وعمل على نقض الصحيفة، ودافع عن النبي وأصحابه فلم ينس النبي صلى الله عليه وسلم هذا الموقف، وأراد أن يرد إليه الجميل في غزوة بدر، فقال لأصحابه كما في حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: ((إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهًا، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي أحدًا من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البختری بن هشام فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبدالمطلب فلا يقتله؛ فإنه إنما أخرج مستكرهًا)) ((٧٢٢)).

الدعاء.....

٧٢٠ - «صحيح مسلم» (٢/ ٧٣٨):

٧٢١ - أخرجه البخاري في: ٦٣، كتاب: مناقب الأنصار: ٤٠ باب: قصة أبي طالب.

٧٢٢ - تاريخ الطبري؛ تاريخ الأمم والملوك (٢: ٣٤)، السيرة النبوية؛ لابن هشام (٣/ ١٧٧)



كف الأذى عن الناس صدقة (٧٢٣)

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العلمين إله الأولين والآخرين وقيوم السماوات والأرضين، سبحانه
سبحانه بمرت عظمته قلوب العارفين، وأظهرت بدائعه لنواظر المتأملين، نصب الجبال فأرساها، وأرسل
الرياح فأجرها، ورفع السماء فأعلاها وبسط الأرض فدحاها، الملائكة من خشيته مشفقون، والرسل
من هيئته خائفون، والجبابة لعظمته خاضعون، ﴿لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ

[الروم: ٢٦]

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد الأحد، القيوم الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، لا مغيب غير الله، ولا مجير غير الله، ولا معين غير الله، ولا ناصر غير الله،
وأشهد أن محمد عبده ورسوله النبي المصطفى والرسول المجتبي الرحمة المهداة والنعمة المسداة، صاحب
المقام المحمود والحوض المورد الشفاعة العظمى، سيد الأولين والآخرين على الله ولا فخر
اللهم صل عليه وسلم على آله وأصحابه

الطيبين الأبرار الذين كانوا فيما بينهم رحماء فرضى عنه رب الأرض والسماوات وعن التابعين وتابعين
يا إحسان إلي يوم الدين قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
مُسْلِمُونَ (١٠٢) [آل عمران/ ١٠٢] ﴿

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا
كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) [النساء/ ١] ﴿
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا
(٦٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) [الأحزاب/ ٦٩-٧١] ﴿

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها،
وكل محدثاتها بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد: فحديثنا في هذا اليوم الطيب الميمون الأغر عن كف الأذى عن الناس صدقة وبيان خطورة أذية
الناس وبيان عقوبة من يؤذيهم في الدنيا والآخرة.....

ثم نطوف معكم على صور من الأذية المحرمة التي يقع فيها بعض الناس..... ثم نادى ونقول
لمن نالهم الأذى لا تقابلوا السيئة بالسيئة ولكن اعفوا واصفحوا..... أعيروني القلوب
والأسماع أيها الأحباب

❦ الوعيد الشديد لمن يؤذي المؤمنين:

أيها الإخوة الكرام إن أذية المؤمنين والمؤمنات من كبائر الذنوب التي حذرنا منها علام الغيوب فقال -
تعالى:- **(وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا)**
[الأحزاب: ٥٨].

في هذه الآية تحريم أذى المسلم، إلا بوجه شرعيّ. كالمعاقبة على ذنب. ويدخل في الآية كل ما حرم
للإيذاء. كالبيع على بيع غيره، والسوم على سومه، والخطبة على خطبته. وقد نص الشافعيّ على تحريم
أكل الإنسان مما يلي غيره، إذا اشتمل على إيذاء.

في هذه الآية تحريم أذى المسلم، إلا بوجه شرعيّ. كالمعاقبة على ذنب. ويدخل في الآية كل ما حرم
للإيذاء. كالبيع على بيع غيره، والسوم على سومه، والخطبة على خطبته. وقد نص الشافعيّ على تحريم
أكل الإنسان مما يلي غيره، إذا اشتمل على إيذاء.

عن الفضيل قال: لا يحل لك أن تؤذي كلبا أو خنزيرا بغير حق، فكيف؟
(أي: فكيف إيذاء المؤمنين والمؤمنات.)

❦ وعلموا أن كف الأذى صدقة مقبولة عند الله تعالى:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ» قَالَ:
قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَنْفُسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا» قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: «تُعِينُ
صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقٍ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قَالَ: «تَكْفُفُ
شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ» (٧٢٤) متفق عليه.

يقول يحيى بن معاذ: "ليكن حظ المؤمن منك ثلاثة: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تُفرحْه فلا تُغمه، وإن
لم تمدحه فلا تدمه".

٧٢٤ -رواه البخاري ١٠٥ / ٥ في العتق، باب أي الرقاب أفضل، ومسلم رقم (٨٤) في الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله
تعالى أفضل الأعمال



❦ كَفَ الْأَذَى سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ

و اعلموا عباد الله: أن كَفَ الْأَذَى عن المسلمين وعن طرقاتهم موجب من موجبات دخول الجنة عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم -: ((مَرَّ رَجُلٌ بِغَصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأُنَحِّينَ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ، فَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ)) (٧٢٥)

وعن أبي ברزة الأسلمي -رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله! ذُلِّي على عملٍ يُدْخِلُنِي الجنة، قال: ((اعزِلِ الْأَذَى عن طريق المسلمين)) (٧٢٦).

❦ كَفَ الْأَذَى عِلَامَةً مِنْ عِلَامَاتِ الْإِسْلَامِ الصَّادِقِ

عن أبي ذر - رضي الله عنه - ولَمَّا سُئِلَ النَّبِيُّ - صَلَّى الله عليه وسلّم -: "أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ؟" قال: ((مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ)) [٧٢٧)،

قال الإمام ابن حجر -رحمه الله -: "فَيَقْتَضِي حَصْرَ الْمُسْلِمِ فِيْمَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ الْمُسْلِمَ الْكَامِلَ الْإِسْلَامِ الْوَاجِبُ؛ إِذْ سَلَامَةُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ لِسَانِ الْعَبْدِ وَيَدِهِ وَاجِبَةٌ، وَأَذَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ بِاللِّسَانِ وَالْيَدِ" (٧٢٨)

قال الإمام البغوي - رحمه الله تعالى -:

"أَفْضَلُ الْمُسْلِمِينَ: مَنْ جَمَعَ إِلَى أَدَاءِ حَقُوقِ اللَّهِ - تعالى - أَدَاءَ حَقُوقِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْكَفَّ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ". (٧٢٩)

❦ واعلموا أن من أذى مؤمناً فإن الله تعالى توعده بالمحاربة

و من منا عباد الله يتحمل أن يحاربه الله تعالى؟

عن أبي هُرَيْرَةَ، قال: قال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم -: ((إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ)) (٧٣٠)

فمن المخذول الذي يتصدى لحرب الله، وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨]؟

٧٢٥ - البخاري ٢/٢٧٩ وأخرجه مسلم رقم (١٩١٤)

٧٢٦ - مسند أحمد ط الرسالة (٣٣/٣٥) وأخرجه مسلم (٤٦١)، وابن خزيمة (٥٣٠)

٧٢٧ - البخاري ١/٥٠، ٥١ في الإيمان: باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. ومسلم رقم (٤٠)

٧٢٨ - فتح الباري لابن رجب (١/٣٧)

٧٢٩ - شرح البخاري للسفيري = المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية (١/٣٧٠)

٧٣٠ - - أخرجه البخاري ١٣/١٤٢ -الفتح، كتاب الرقاق: باب التواضع، حديث

الأذية المؤمن سبب من أسباب الإفلاس يوم القيامة

و احذروا عباد الله من الوقوع في الأذية فإنها سبب من أسباب الإفلاس يوم القيامة عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((أتدرون ما المفلس؟)) قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: ((إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فُتت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم، فطُرحت عليه، ثم طرح في النار)) [٧٣١]

أشكال صور من الأذية المحرمة

من صور الأذى التحسس وتتبع عورات المسلمين، عن نافع، عن ابن عمر -رضي الله عنهم- قال: صعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المنبر، فنادى بصوت رفيع، فقال: "يا معشر من أسلم بلسانه ولم يُفَضِّص الإيمان إلى قلبه: لا تُؤذوا المسلمين، ولا تُغيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله". [٧٣٢]

بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة، ونفعني وإياكم بما فيهما من البينات والحكمة، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه...

أما بعد أيها المسلمون:

ومن صور الأذى أذية الجيران والجارات: إن إيذاء المسلمين سبب لدخول النار، وكف الأذى عنهم من أسباب دخول الجنة، عن أبي هريرة، قال: قال رجل: يا رسول الله إن فلانة يُذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقها غير أنها تُؤذي جيرانها بلسانها قال: هي في النار قال: يا رسول الله فإن فلانة يُذكر من قلة صيامها وصدقها وصلاتها وإنها تصدق بالأنوار من الأقطر ولا تُؤذي جيرانها بلسانها قال: هي في الجنة. [٧٣٣]

٧٣١ - رواه مسلم رقم (٢٥٨١) في البر، باب تحريم الظلم، والترمذي رقم (٢٤٢٠) في صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص.

٧٣٢ - أخرجه الترمذي (٢٠٣٢) وقال الألباني في ((صحيح الترمذي)) (١٦٥٥): حسن صحيح.

٧٣٣ - أحمد ٢ / ٤٤٠، والبخاري كما في ((كشف الأستار)) ٢ / ٣٨٢ (١٩٠٢)، وقال الهيثمي ٨ / ١٦٩: رجاله ثقات، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٦٠).



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ» (٧٣٤)،

ومن صور الأذى وضع القاذورات والأحجار وتضييق الطرقات على المسلمين والمسلمات

ومن صور الأذى: التخلّي في طرق الناس وأفنيثهم، وقضاء الحاجة في أماكن تترهّبهم، وجلوسهم، وتنجيسها، وتقذيرها بالأنجاس والمهملات؛ ومن ذلك أيضا في تسريب مياه الصّرف الصحي فيها، فيتأذى الناس بالرائحة، إضافة إلى تنجيسهم، وتأذي الناس بذلك أعظم من تأذّيهم بقضاء الحاجة في الطريق

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "اتقوا اللعائين"، قالوا: وما اللعائان يا رسول الله؟ قال: "الذي يتخلّى في طريق الناس، وظلّهم" (٧٣٥) وعن حذيفة بن أسيدٍ أنّ النبيّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: " «مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طُرُقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ» " (٧٣٦).

أذية أهل الكتاب بغير حق

ومن الأذى المحرم أذية أهل الكتاب بغير حق فعن صفوان بن سليم عن عددٍ من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((أَلَا مَنْ ظَلَمَ معاهداً، أو انتقصه، أو كلّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس، فأنا حجيجه (٧٣٧) يوم القيامة))؛ (٧٣٨)

الصبر على أذى الغير

أيها الأحباب إن من مكارم الأخلاق والصبر على أذى الغير فإن الصبر على أذى الخلق من علامات قوة الإيمان، وصفة من صفات الرجال، فقد قال تعالى: {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [الشورى: ٤٣]،

٧٣٤ - رواه البخاري ١٠ / ٣٧٣ في الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، وباب إكرام الضيف، وفي النكاح، باب الوصاة بالنساء، وفي الرقاق، باب حفظ اللسان، ومسلم رقم (٤٧) في الإيمان، باب الحث على إكرام الجار، وأبو داود رقم (٥١٥٤)

٧٣٥ - أخرجه أحمد ٣٧٢/٢ (٨٨٤٠). و ((مسلم)) [١٥٦/١]

٧٣٦ - أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير ١٨٢/٣ رقم ٣٠٥٠»، قال الهيثمي: وإسناده حسن. مجمع الزوائد ٢٠٤/١.

٧٣٧ - حجيجه: الحجيج فعيل من الحاجة: المغالبة وإظهار الحجة.

٧٣٨ - أخرجه أبو داود (١٧٠/٣، رقم ٣٠٥٢)، والبيهقي (٢٠٥/٩، رقم ١٨٥١١)

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا صَبَرْتُمْ لَهْوَ خَيْرٍ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]

وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠].

عَنْ يَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ أَفْضَلُ مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ». (٧٣٩)

عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " مَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْتَصِرَ دَعَاهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ، حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي حُورِ الْعَيْنِ أَيْتَهُنَّ شَاءَ، وَمَنْ تَرَكَ أَنْ يَلْبَسَ صَالِحَ الثِّيَابِ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ تَوَاضَعًا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، دَعَاهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي حُلْلِ الْإِيمَانِ، أَيْتَهُنَّ شَاءَ " (٧٤٠).

١٤٠ صور من عفو النبي - صلى الله عليه وسلم - عن أذاه

فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب، كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى.

ضرب أنبياء الله - صلوات الله عليهم - أروع الأمثلة في الصبر وتحمل الأذى من أجل الدعوة إلى الله، وقد تحمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المشاق في سبيل نشر الإسلام، وكان أهل قريش يرفضون دعوته للإسلام ويسبونونه، ولا يستجيبون له، وكان جيرانه من المشركين يؤذونه ويلقون الأذى أمام بيته، فلا يقابل ذلك إلا بالصبر الجميل. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، ضَرْبَهُ قَوْمُهُ فَأَذْمُوهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» (٧٤١)

١٤١ موقفه صلى الله عليه وسلم مع أهل مكة:

لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دخل البيت، فصلى بين الساريتين، ثم وضع يديه على عضادتي (٧٤٢) الباب، فقال: لا إله إلا الله وحده ماذا تقولون، وماذا تظنون؟ قالوا: نقول خيراً، ونظن

٧٣٩ - مسند أحمد ط الرسالة (٣٨ / ١٨٨) إسناده صحيح، وسلف في مسند ابن عمر برقم (٥٠٢٢)

٧٤٠ - مسند أحمد ط الرسالة (٢٤ / ٣٨٤) وأخرجه الطبراني في "الكبير" ٢٠ / (٤١٥)، وأبو نعيم في "الحلية" ٤٨/٨

٧٤١ - صحيح البخاري (٤ / ١٧٥)

٧٤٢ - عضادتا الباب هما خشبتاه من جانبيه. انظر: ((شرح مسلم)) للنووي (٣ / ٧٠).



خيرًا: أخ كريم، وابن أخ، وقد قدرت، قال: فإني أقول لكم كما قال أخي يوسف صلى الله عليه وسلم: **لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** [يوسف: ٩٢]) (٧٤٣).

اعفوا بي بكر - رضي الله عنه عن أذاه:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: ((أن رجلاً شتم أبا بكر والنبي صلى الله عليه وسلم جالس، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعجب، ويتبسم، فلما أكثر ردَّ عليه بعض قوله؛ فغضب النبي صلى الله عليه وسلم، وقام فلحقه أبو بكر، فقال: يا رسول الله، كان يشتمني وأنت جالس، فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت، قال: إنه كان معك ملك يردُّ عنك، فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان؛ فلم أكن لأقعد مع الشيطان. ثم قال: يا أبا بكر، ثلاث كلهنَّ حقُّ: ما من عبد ظلم بمظلمة، فيغضي عنها لله عزَّ وجلَّ إلا أعزَّ الله بها نصره، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله عزَّ وجلَّ بها قلة)) (٧٤٤).

اعفو مصعب بن الزبير رضي الله عنه:

ومن جميل العفو عفو مصعب رضي الله عنه عن قتل أباه - عن مصعب بن الزبير أنه لما ولي العراق، جلس يوماً لعطاء الجند، وأمر مناديه فنادى، أين عمرو بن جرموز؟ وهو الذي قتل أباه الزبير، فقيل له: (أيها الأمير، إنه قد تباعد في الأرض. فقال: أو يظن الجاهل أني أقيده (٧٤٥) بأي عبد الله؟ فليظهر آمناً ليأخذ عطاءه موفراً) (٧٤٦)

فليكن الحلم والصبر على أذى الناس شعارنا ولنغفو ونصفح عن أساء إلينا بكلمة أو قول ولنقابل السيئة بالحسنة ونكن كمن قال الله عنهم: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]

ولنتذكر أثناء تعاملنا مع الناس قول الله تعالى ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا

٧٤٣ - رواه الأزرق في ((أخبار مكة)) (١٢١/٢)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٥٣/٧٣)، وابن زنجويه في ((الأموال)) (٢٩٣/١) من حديث عطاء والحسن وطاوس رحمهم الله.

٧٤٤ - رواه أحمد (٤٣٦/٢)، والبيهقي في ((السنن الكبرى)) (٤٠٠/١٠) (٢١٠٩٦): قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١٩٢/٨): رجاله رجال الصحيح. وقال البوصيري في ((تحف الخيرة المهرة)) (٤٧٨/٥): رواه ثقات. وجوّد إسناده الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (٢٧١/٥).

٧٤٥ - القود: قتل النفس بالنفس. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٣٧٢/٣).

٧٤٦ - (أدب الدنيا والدين) للماوردي (٣١١).

السَّيْلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلُمُونَ النَّاسَ وَيَعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿ [الشورى: ٤٠، ٤٣]

الدعاء.....

الآداب العشر للأسواق في الإسلام^(٧٤٧)

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين سبحانه سبحانه الذي في السماء عرشه، سبحان الذي في الأرض حكمه، سبحان الذي في القبر قضائه، سبحان الذي في البحر سبيله، سبحانه في النار سلطانه، سبحان الذي في الجنة رحمته، سبحان الذي في القيامة عدله

وأشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة من قال ربى الله ثم استقام تقرب لعباده برأفته ورحمته، ونور قلوب عباده بمدايته، وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحببيه وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بمديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

أما بعد: فالإسلام أيها الإخوة الكرم ليس بمنأى عن ميادين الحياة بل جاء الإسلام لينظم ويضبط الأمور الدنيوية بنظام الشرع الحكيم الذي يحفظ على الناس دينهم ودنياهم، معاشهم ومعادهم، ومن ذلك الأسواق، فقد أولى الإسلام الحياة الاقتصادية عناية كبيرة وسنن لها السنن وشرع لها الآداب واليوم نقف مع عشرة آداب لا على سبيل الحصر وإنما على سبيل التذكير وإلا فهناك آداب أخرى غير التي ذكرتها يجدها المسلم في مظانها فأعيروني القلوب والأسماع

١- ذكر الله تعالى: إخوة الإسلام أول هذه الآداب أن يكثر المسلم من ذكر الله تعالى وألا يلهيه السوق عن ذكر ربه ومولاه فالأسواق مظنة الغفلة والاشتغال عن ذكر الكبير المتعال.....وقد اثنى الله على عباده المؤمنين بذلك في محكم التنزيل فقال جل جلاله: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۚ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧]، وذمَّ الله - تبارك وتعالى - آخرين بقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١].



قَالَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- -فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ-: ((لَا تَكُونَنَّ إِنْ اسْتَطَعْتَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ، وَلَا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ، وَفِيهَا يَنْصِبُ رَأْيَتَهُ)). (٧٤٨)

المعركة موضع القتال. لمعاركة الأبطال بعضهم بعضاً فيها، ومُصارعتهم. فشبه السوق وفعل الشيطان بأهله، ونيله منهم، بالمعركة لكثرة ما يقع فيها من أنواع الباطل: كالغش والخداع والأيمان الخائنة والعقود الفاسدة والنحش والبيع على بيع أخيه والشراء على شرائه والسوم على سومه وبخس المكيال والميزان. والسوق تؤنث وتذكر. سميت بذلك لقيام

و تأملوا عباد الله في فضل الذكر في الأسواق عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة». (٧٤٩)

٢- طَلَبُ الرِّزْقِ الْحَلَالِ؛ من الآداب التي ينبغي عليك أن تحرص عليها أن تبغى الرزق الحلال وأن تباعد عما حرم الله من البيوع المحرمة ومن الربا وغير ذلك **قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** [المائدة: ١٠٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨].

واعلم بارك الله فيك أن رزقك مكتوب ولن تموت حتى تستكمل رزقك فلا يغرينك الشيطان فتطلبه بما حرام الله تعالى عن أبي أمامة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- -وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ وَلَهُ شَوَاهِدٌ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا وَأَجَلَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ)). (٧٥٠).

٣- غَضُّ الْبَصَرِ عَنِ الْحَرَمِ، إخوة الإسلام: الأسواق مظنة الاختلاط بين الرجال والنساء لذا ينبغي وعلى المسلم إذا دخل السوق وكذلك المسلمة أن يعضوا أبصارهم لأمر الله تعالى حيث قال وهو أصدق القائلين قال الله: ((قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ)) [النور: ٣٠].

٧٤٨ - أخرجه مسلم (٧/ ١٤٤).

(٧٤٩) روى الترمذي في «جامعه» () وأحمد في «مسنده» () وغيرهما ()

٧٥٠ - «سنن ابن ماجه ت الأرئوط» (٣/ ٢٧٦): «وأخرجه ابن أبي عاصم في "السنة" (٤٢٠)»

يقول تعالى ذكره لنبهه -صلى الله عليه وسلم- ((قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ)) بالله وبك يا محمد ((يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)) يكفوا من نظرهم إلى ما يشتهون النظر إليه، مما قد فُهم الله عن النظر إليه ((وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ)) أن يراها من لا يحلّ له رؤيتها، بلبس ما يسترها عن أبصارهم ((ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ)) يقول فإن غضها من النظر عما لا يحلّ النظر إليه، وحفظ الفرج عن أن يظهر لأبصار الناظرين؛ أظهر لهم عند الله وأفضل ((إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ)) إن الله ذو خبرة بما تصنعون أيها الناس فيما أمركم به من غض أبصاركم عما أمركم بالغض عنه، وحفظ فروجكم عن إظهارها لمن فُهم عن إظهارها له (٦). والمرأة المسلمة، مأمورة بذلك أيضا، قال الله: ((وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ)) [النور: ٣١]،

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزَّنا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَرِئَا الْعَيْنِ النَّظْرُ، وَزِئَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ، وَالتَّنَفُّسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ)) (٧٠١).

٤- عدم رفع الأصوات في الأسواق:

أحبائي الكرام: إن من أخلاقيات وآداب الأسواق أيضا أن يتعد المسلم والمسلمة عن الصخب ورفع الأصوات في الأسواق وعن السب والقدح فليس ذلك من أخلاق المسلمين فمن أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة أنه صلى الله عليه وسلم ليس بصخاب في الأسواق عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- وَقَدْ سُئِلَ عَنْ وَصْفِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّورَةِ، فَقَالَ: ((أَجَلْ؛ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّورَةِ بِصِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِرْزًا لِلْمُؤْمِنِينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَا فَطْرٌ وَلَا غَلِيظٌ وَلَا صَخَابٌ فِي الْأَسْوَاقِ -وَأَيْضًا بِالسَّيِّئِ عَلَى الْمُعَاقَبَةِ بَيْنَ السَّيِّئِ وَالصَّادِ، وَهُمَا بِمَعْنَى- وَلَا صَخَابٌ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَغْفِرُ وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعُوجَاءَ؛ بَأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَفْتَحُ بِهِ أَعْيُنًا عُمِيًّا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا)). (٧٠٢)

٥- البعد عن الإضرار بأهل السوق من التجار:

أمة الحبيب الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم -: ومن أخلاقيات وآداب الأسواق أن يتعد المسلم عن الإضرار بغيره من التجار بألا يبيع بأرخص منهم بقصد الإضرار بهم وإحداث الكساد لتجارهم، وقد وقد نهي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عن ذلك السلوك، فقد روي عن سعيد بن المسيب:

٧٠١ - أخرجه أحمد (٣٧٩/٢، رقم ٨٩١٩)، والبخاري (٢٤٣٨/٦، رقم ٦٢٣٨)، ومسلم (٢٠٤٦/٤، رقم ٢٦٥٧)

٧٠٢ - صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كراهية السخب في السوق، رقم (٢١٢٥)، ٣/ ٦٦



«أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر على حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه وهو يبيع زبيبا له في السوق، فقال له عمر: إما أن تزيد في السعر وإما أن ترفع من سوقنا» (٧٥٣)،

وما روي عن عمرو بن شعيب قال: «وجد عمر بن الخطاب حاطب بن أبي بلتعة يبيع الزبيب بالمدينة، فقال: كيف تباع يا حاطب؟، فقال: مُدَّين، فقال له عمر: تبتاعون بأبوابنا وأفئتنا وأسواقنا، وتقطعون في رقابنا، ثم تبيعون كيف شئتم، بع صاعاً وإلا فلا تبع في سوقنا، وإلا فسيروا في الأرض واجلبوا ثم يبعوا كيف شئتم» (٧٥٤)،

وهكذا وضع عمر رضي الله عنه نظاما للبيع والشراء فإما أن يبيع كما يبيع التجار وإما أن يتجول في مكان آخر حتى لا يضر بغيره وبنظام السوق.....

٦-السماحة في البيع والشراء:

أمة الإسلام: لقد دعاكم الإسلام إلى السماحة في البيع والشراء في الأخذ والعطاء وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن اتصف بالسماحة بالرحمة.

عن جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى)). (٧٥٥)

قال ابن بطال: (فيه الحُضُّ على السَّماحة، وحسن المعاملة، واستعمال معالي الأخلاق ومكارمها، وترك المشاحة والركة في البيع، وذلك سبب إلى وجود البركة فيه؛ لأن النبي عليه السلام لا يحض أمته إلا على ما فيه النفع لهم، في الدنيا والآخرة).. (٧٥٦)

خرَّج الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما، وهما أصح كتابين بعد كتاب الله، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اشترى رجلٌ من رجل عقاراً، فوجد الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب، فقال الذي اشترى العقار للبائع: خذ ذهبك، أنا اشتريت منك الأرض، ولم أشتِ الذهب؛ وقال الذي باع له الأرض: إنما بعْتُك الأرض وما فيها؛ فتحاكما إلى رجل، فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما: نعم؛ وقال الآخر: لي جارية - أي بنت؛ قال: أنكح الغلام الجارية، وأنفقا على أنفسهما منه؛ فانصرفا". (٧٥٧)

٧٥٣ - أخرجه مالك (٦٥١/٢)، رقم (١٣٢٨)، وعبد الرزاق (٢٠٧/٨)، رقم (١٤٩٠٥)، والبيهقي (٢٩/٦)، رقم (١٠٩٢٩)

٧٥٤ - «مصنف عبد الرزاق» (٨/ ٣٧ ط التأصيل الثانية)

٧٥٥ - رواه البخاري (٢٠٧٦).

٧٥٦ - ((شرح صحيح البخاري)) (٦/ ٢١٠).

٧٥٧ - أخرجه: البخاري ٤/ ٢١٢ (٣٤٧٢)، ومسلم ٥/ ١٣٣ (١٧٢١) (٢١).

يا لله العجب ممن نعجب عباد الله من ورع وتقوى المشتري أم من سماحة وكرم البائع عباد الله؟

٧-الصدق وعدم الحلف:

معاشر الموحدين: ومن آداب البيع والشراء التي حثنا عليها إمام الأصفياء صلى الله عليه وسلم-الصدق في القول وعدم الحلف فعن حَكِيمِ بْنِ حَزَامٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ((الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا)).(٧٥٨).

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فِيمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: ((الْحَلْفُ مُنْفَقَةٌ لِلْسَّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْبَرَكَةِ)).

وَوَرَدَ فِي بَعْضِ الرُّوَايَاتِ: ((الْحَلْفُ الْكَاذِبُ..)).

وَمَعْنَى: ((مُنْفَقَةٌ))؛ أَي: يَكْثُرُ الْمُشْتَرُونَ وَيَرْغَبُونَ فِي سِلْعَتِهِ بِسَبَبِ حَلْفِهِ، ((مَمْحَقَةٌ)): مِنْ الْمَحْقِ وَهُوَ النِّقْصُ وَالْإِعْطَالُ.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ))، قَالَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا.. مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: ((الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتُهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ)) (٧٥٩)

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

أما بعد:

٨-عدم الغش في البيع والشراء:

من آداب البيع أيضا عدم الغش وإظهار ما في البيع من عيوب فعن أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ

رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ مِنْ طَعَامٍ -مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى كَوْمَةٍ

مِنْ طَعَامٍ-، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَتَأَلَّتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟!»

قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ؟! مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي» (٧٦٠).

٧٥٨ - أخرجه البخاري (١١/٢، ١٢، ١٢، ١٨، ١٩) ومسلم (١٠/٥)

٧٥٩ - أخرجه البخاري (فتح ٥/ ٤٤٠ - ٤٤١ و ٦/ ٢١٢ و ١٦/ ٣٢٧ - ٣٢٨)



قَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: ((لَا يَحِلُّ لِأَمْرٍ يَبِيعُ سِلْعَةً يَعْلَمُ أَنَّ بِهَا دَاءً إِلَّا أَخْبَرَهُ))؛ أَيُّ: إِلَّا أَخْبَرَ الْمُشْتَرِي.

٩- مِنْ آدَابِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ: الْإِكْتَارُ مِنَ الصَّدَقَاتِ. لِمَاذَا؟!!

أحباب الحبيب صلى الله عليه وسلم-: ومن آداب البيع والشراء الصدقة لأن البيع يحضره الشيطان كما أخبرنا بذلك النبي العدنان صلى الله عليه وسلم
فعن قَيْسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَنَحْنُ نُسَمِّي السَّمَاوَةَ، فَمَرَّ بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَسَمَّانَا بِاسْمٍ هُوَ أَحْسَنُ، قَالَ: ((يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ! إِنَّ الشَّيْطَانَ وَالْإِثْمَ يَحْضُرَانِ الْبَيْعَ؛ فَشُوبُوا بِبَيْعِكُمْ بِالْصَّدَقَةِ)). (٧٦١)

١٠- العدل وعدم تطفيف الكيل والميزان:

إخوة الإسلام: ومن آداب البيع والشراء التي حثنا عليها رب الأرض والسماء العدل وإيفاء الكيل والميزان فقد امرنا الله تعالى ألا نطغى في الميزان فقال الرحيم الرحمن ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ (٧) ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿[الرحمن: ٧-٩].
و أنزل الله تعالى سورة في القرآن الكريم في ذلك الشأن ألا وهي سورة المطففين فقال في مطلعها -: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَّا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿[المطففين: ١-٦].

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- يَمُرُّ بِالْبَائِعِ فَيَقُولُ: «اتَّقِ اللَّهَ، وَأَوْفِ الْكَيْلَ وَالْوَزْنَ، فَإِنَّ الْمُطَفِّفِينَ يُوقَفُونَ، حَتَّى إِنَّ الْعَرَقَ لَيُلْجِمُهُمْ إِلَى أَنْصَافِ آذَانِهِمْ».
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- لِأَصْحَابِ الْكَيْلِ وَالْوَزَنِ: «إِنَّكُمْ قَدْ وُلِّيتُمْ أَمْرًا فِيهِ هَلَكَتِ الْأُمَمُ السَّابِقَةُ قَبْلَكُمْ».

قَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ: «وَيْلٌ ثُمَّ وََيْلٌ لِمَنْ يَبِيعُ بِحَبَّةٍ يَنْقُصُهَا حَنَّةً عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ؛ وَيَشْتَرِي بِحَبَّةٍ يَزِيدُهَا وَاِدِيًّا فِي جَهَنَّمَ يُذِيبُ جِبَالَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».

٧٦٠ - أخرجه مسلم (٦٩/١)

٧٦١ - الترمذي رقم (١٢٠٨) في البيوع، باب ما جاء في التجار، وأبو داود رقم (٣٣٢٦) و (٣٣٢٧) في البيوع، باب في التجارة يخالطها الخلف، والنسائي ١٥/٧ في الإيمان، باب في اللغو والكذب، وإسناده صحيح.

وَعَنِ ابْنِ عُمرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: «وَكَمْ يُنْقِصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمُتَوَنَّةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ».

الدعاء.....

النبي القدوة في الرد على من أساء إليه (٧٦٢)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي نور بحمिल هدايته قلوب أهل السعادة، وطهر بكرم ولايته أفئدة الصادقين فأسكن فيها وداده، ودعاها إلى ما سبق لها من عنايته فأقبلت منقاداً، الحميد المجيد الموصوف بالحياة والعلم والقدرة والإرادة، نحمده على ما أولى من فضل وأفاده، ونشكره معترفين بان الشكر منه نعمة مستفاده.

واشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدّها وسيلة إلى يوم لقاءه

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه الذي أقام به منابر الإيمان ورفع عماده، وأزال به سنان البهتان ودفع عناده

وشفع في خير الخلائق طراً نبيا لم يزل أبداً حبيباً

هو الهادي المشفع في البرايا وكان له رحيماً مستجيباً

عليه من المهيمن كل وقت صلاة تملأ الأكوان طيباً

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بمديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

أما بعد: اصطفى الله عز وجل نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم، وفضّله على العالمين، وفطره على صفات وأخلاق عظيمة، ظهرت على معاملاته الطيبة مع الصديق والعدو، والموافق والمخالف، وكان من أثر ذلك أن القلوب فاضت بحبه، بما لا تعرف الدنيا لرجل غيره، فالذين عاشروه أحبه، لما رأوا من كمال خلقه، فقد أدبه ربه فأحسن تأديبه، حتى خاطبه مثنياً عليه، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤). ومن جميل وعظيم أخلاقه صلى الله عليه وسلم أن حلمه مع من أساء إليه وجهل عليه اتسع حتى جاوز العدل إلى الفضل،



سب الأنبياء والمصلحين سنة الكافرين:

أيها الإخوة الأعزاء ما بين الفينة والفينة نرى أقزاما تتناول على سيد الرجال صلى الله عليه وسلم ويكيلون له ولدعوته التهم والشتائم في الأندية وفي الأسواق وتلك هي سنة الكافرين كما أخبرنا رب العالمين في غير ما آية من كتابه الكريم قال الله سبحانه: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٢-٥٣].

﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾؟ أي: هل أوصى بعضهم بعضاً بهذه الكلمات، فيردها الأولون والآخرين؟

هل أوصى بعضهم بعضاً بهذه الكلمات المكررة التي يردها الجميع وجاءت على لسان الكل؟ الجواب لا قطعاً؛ لأنهم متباعدون في الفترة والمكان، وخاصة في الأزمنة المتقدمة حيث لا توجد لديهم وسائل اتصالات حديثة حتى يُعلم بعضهم بعضاً هذه التهم أو يسمعها هؤلاء من هؤلاء، وليس من المعقول أن يعلم الذين في المشرق ما قاله إخوانهم في المغرب لرسولهم فيعيدون له ما قال أولئك.

إذن فما السر؟

وكيف توارثت أجيال الكفر والنفاق أساليب السخرية دون أن يكون بينها وصايا مخطوطة أو مسموعة؟

اسمعوا الإجابة: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾.

وهيا لتعرف على هدي خير العباد مع أهل الكفر والعناد:

الموقف الأول عن عائشة قالت: بينما أنا عند النبي -صلى الله عليه وسلم-، إذ استأذن رجلٌ من اليهود فأذن له، فقال: السام عليك.

فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: وعليك. قالت: فهَمَمْتُ أنا أتكلّم. قالت ثم دخل الثانية فقال مثل ذلك، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: وعليك. قالت: ثم دخل الثالثة فقال: السام عليك. قالت: قلت: بل السام عليكم وغَضِبُ الله، إخوان القردة والخنازير، أتحيون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بما لم يحيه به الله. قالت: فنظر إليّ فقال: "مه، إن الله لا يحبُّ الفحش ولا التفحّش. قالوا قولاً فردّذناه عليهم، فلم يضرّنا شيئاً، ولزمهم إلى يوم القيامة، إنهم لا يحسدوننا على شيءٍ كما يحسدوننا على الجمعة التي هداها الله لها وضلّوا عنها، وعلى القبلة التي هداها الله لها وضلّوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام: آمين". «(٧٦٣)

(فقالوا السام) هو الموت. وقيل الموت العاجل. وجاءت الرواية في الجواب بالواو وحذفها. والحذف لرد قولهم عليهم. لأن مرادهم الدعاء على المؤمنين. فينبغي للمؤمن رد ذلك الدعاء عليهم. وأما الواو فإنما ذكرت تشبيها بالجواب. والمقصود هو الرد.]

الموقف الثاني: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ نَجْرَانِي غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَذْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبَذَةً شَدِيدَةً، نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عُنُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَثَرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبَذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ. (٦٤)

لقد جذب الأعرابي النبي صلى الله عليه وسلم بردائه جبذة شديدة، أثرت في عاتقه، ولم يتلطف في طلب مسأله بل قال: "يا محمد! مُر لي من مال الله الذي عندك"، فناداه باسمه، وفي هذا جفاء وغلظة وسوء أدب مع النبي صلى الله عليه وسلم، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ (النور: ٦٣)، روى ابن كثير عن ابن عباس، قال: كانوا يقولون: يا محمد! يا أبا القاسم! فنهاهم الله عز وجل، عن ذلك، إعظاماً لنبيه صلوات الله وسلامه عليه. قال: فقالوا: يا رسول الله! يا نبي الله. وقال مقاتل بن حيان في قوله: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ يقول: لا تسموه إذا دعوتهم: يا محمد! ولا تقولوا: يا ابن عبد الله! ولكن شرفوه، فقولوا: يا نبي الله! يا رسول الله!.

ومع ما فعله الأعرابي من الغلظة والإساءة باليد واللسان إليه صلى الله عليه وسلم، فقد التفت إليه مبتسماً، وأمر له بعطاء، قال النووي: "فيه احتمال الجاهلين، والإعراض عن مقابلتهم، ودفع السيئة بالحسنة، وإعطاء من يتألف قلبه، والعفو عن مرتكب كبيرة لا حد فيها بجهله، وإباحة الضحك عند الأمور التي يُتعجب منها في العادة، وفيه كمال خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلمه وصفحه".

الموقف الثالث: اختبار اليهودي زيد بن سَعَةَ للرسول: حيث كان زيد يريد أن يسلم، ولكن قبل إسلامه أراد أن يختبر الرسول الكريم في عدة صفات، فقال: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتُها في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه، إلا اثنتين لم أخبرهما منه (أي لم أحتره ولم أكشفهما فيه): "يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلَا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا، فَكُنْتُ أَلْطِفُ لَهُ لِأَنَّهُ أُخَالِطُهُ فَأَعْرِفُ حِلْمَهُ مِنْ جَهْلِهِ".



فاتفق زيد مع النبي على صفقة مادية على أن يأخذ زيد حقه في أجل معلوم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا أَرَادَ هَدْيَ زَيْدِ بْنِ سَعْنَةَ، قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ: مَا مِنْ عِلَامَاتِ النَّبُوَّةِ شَيْءٍ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا شَيْئَيْنِ لَمْ أَخْبِرْهُمَا مِنْهُ هَلْ يَسْبِقُ «حِلْمُهُ جَهْلُهُ، وَلَا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا»، فَكُنْتُ أَلْطَفُ بِهِ لَيْنٍ أُخَالِطُهُ فَأَعْرِفُ حِلْمَهُ مِنْ جَهْلِهِ، قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا مِنَ الْحُجُرَاتِ، وَمَعَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَتَاهُ رَجُلٌ عَلَى رَاِحِلَتِهِ كَالْبَدَوِيِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ بُصِرَى قَرْيَةُ بَنِي فُلَانٍ قَدْ أَسْلَمُوا وَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ، وَكُنْتُ حَدَّثْتُهُمْ إِنْ أَسْلَمُوا آتَاهُمْ الرِّزْقُ رَغَدًا وَقَدْ أَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ وَشِدَّةٌ وَقُحُوطٌ مِنَ الْعَيْثِ، فَأَنَا أَخْشَى يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ الْإِسْلَامِ طَمَعًا كَمَا دَخَلُوا فِيهِ طَمَعًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيْهِمْ بِشَيْءٍ تُعِينُهُمْ بِهِ فَعَلْتُ فَنَظَرُ إِلَيَّ رَجُلٌ وَإِلَى جَانِبِهِ أُرَاهُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بَقِيَ مِنْهُ شَيْءٌ، قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ: فَذَنُوتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ لَكَ أَنْ تَبْعِنِي تَمْرًا مَعْلُومًا مِنْ حَائِطِ بَنِي فُلَانٍ إِلَى أَجَلٍ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: «لَا يَا يَهُودِيَّ، وَلَكِنْ أَبِيعُكَ تَمْرًا مَعْلُومًا إِلَى أَجَلٍ كَذَا وَكَذَا، وَلَا أُسَمِّيَ حَائِطَ بَنِي فُلَانٍ» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَبَايَعَنِي فَأَطْلَقْتُ هِمَيَانِي فَأَعْطَيْتُهُ ثَمَانِينَ مِثْقَالًا مِنْ ذَهَبٍ فِي تَمْرٍ مَعْلُومٍ إِلَى أَجَلٍ كَذَا وَكَذَا فَأَعْطَاهَا الرَّجُلُ، فَقَالَ: اعْدِلْ عَلَيْهِمْ وَأَعْنِهِمْ بِهَا، فَقَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ: فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ مَحَلِّ الْأَجَلِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ أَتَيْتُهُ فَأَخَذْتُ بِمَحَامِيعِ قَمِيصِهِ وَرِدَائِهِ وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بَوَجْهِ غَلِيظٍ فَقُلْتُ لَهُ: أَلَا تَقْضِينِي يَا مُحَمَّدُ حَقِّي فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُمْ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ سَيِّئَ الْقَضَاءِ مَطْلٌ، وَلَقَدْ كَانَ لِي بِمُخَالَطَتِكُمْ عِلْمٌ وَنَظَرْتُ إِلَى عُمَرَ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَدُورَانِ فِي وَجْهِهِ كَالْفَلَكَ الْمُسْتَدِيرِ، ثُمَّ رَمَانِي بِبَصَرِهِ، فَقَالَ: يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَسْمَعُ وَتَصْنَعُ بِهِ مَا أَرَى فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَوْلَا مَا أُحَاذِرُ قُوَّتَهُ لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي رَأْسَكَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْظُرُ إِلَى عُمَرَ فِي سُكُونٍ وَتَوَدَّةٍ وَتَبَسُّمٍ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُمَرُ أَنَا وَهُوَ كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الْأَدَاءِ، وَتَأْمُرُهُ بِحُسْنِ التَّبَاعَةِ اذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ فَأَعْطِهِ حَقَّهُ، وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ» فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ يَا عُمَرُ، قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَنْ أَزِيدَكَ مَكَانَ مَا نَقِمْتُكَ» قُلْتُ: أَتَعْرِفُنِي يَا عُمَرُ؟ قَالَ: لَا، مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ، قَالَ: الْحَبْرُ، قُلْتُ: الْحَبْرُ، قَالَ: فَمَا دَعَاكَ أَنْ فَعَلْتَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا فَعَلْتَ، وَقُلْتَ لَهُ مَا قُلْتَ؟ قُلْتُ لَهُ: يَا عُمَرُ، لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ عِلَامَاتِ النَّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُهُ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اثْنَيْنِ لَمْ أَخْبِرْهُمَا مِنْهُ: «هَلْ يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلُهُ، وَلَا تَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا» فَقَدْ اخْتَبَرْتُهُمَا فَأَشْهَدُكَ يَا عُمَرُ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا وَأَشْهَدُكَ أَنْ شَطَرَ مَالِي - فَإِنِّي أَكْثَرُهُمْ مَالًا - صَدَقَةً عَلَى أُمِّهِ مُحَمَّدٍ

صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ، فَإِنَّكَ لَا تَسَعَهُمْ قُلْتُ: أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ، فَرَجَعَ زَيْدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ زَيْدٌ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَمَّنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ وَبَايَعَهُ وَشَهِدَ مَعَهُ مَشَاهِدَ كَثِيرَةً، ثُمَّ تُوفِّيَ زَيْدٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ وَرَحِمَ اللَّهُ زَيْدًا (٧٦٥).

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا مزيدًا.

أيها المسلمون: عاقبة المستهزئين:

و إليكم أيها الإخوة الأحباب عاقبة من استهزاء برسول رب الأرباب - ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

و قال تعالى ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزِئَءَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾

و قال سبحانه وتعالى ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهِذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْنُوا بِحَدِيثِ مَثَلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾

كلب يغار على من سب النبي المختار:

ومن جنود الرحمن التي دافعت عن سيد ولد عدنان - صلى الله عليه وسلم - ذلك الكلب الذي سطر التاريخ ذكره كما سطر الله تعالى ذكر كلب أصحاب الكهف في سورة الكهف، و صدق الله العظيم إذ يقول ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (٣١) [المدر/٣١، ٣٢]﴾

يقول ابن حجر - رحمه الله - ذكر عن جمال الدين إبراهيم بن محمد الطيبي أن بعض أمراء المغول تنصر فحضر عنده جماعة من كبار النصارى والمغول فجعل واحد منهم ينتقص النبي صلى الله عليه وسلم وهناك كلب صيد مربوط فلما أكثر من ذلك وثب عليه الكلب فخمشه فخلصوه منه وقال بعض من

٧٦٥ - أخرجه الطبراني (٢٢٢/٥ رقم ٥١٤٧) قال الهيثمي (٢٤٠/٨): رجاله ثقات. والحاكم (٧٠٠/٣)، رقم ٦٥٤٧ وقال: صحيح الإسناد.



حضر هذا بكلامك في محمد صلى الله عليه وسلم فقال كلا بل هذا الكلب عزيز النفس رأيي أشير بيدي فظن أني أريد أن أضربه ثم عاد إلى ما كان فيه فأطال فوثب الكلب مرة أخرى فقبض على زردمته فقلعها فمات من حينه فأسلم بسبب ذلك نحو أربعين ألفا من المغول(٧٦٦)

شمولية القدوة في حياة نبي الأسوة-صلى الله عليه وسلم - (٧٦٧)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي تفرد بعز كبريائه عن إدراك البصائر، وتقدس بوصف علاه عن الأشباه والنظائر، وتوحد بكمال جبروته فلا العقل في تعظيمه حائر، وتفرد في ملكوته فهو الواحد القهار الأول قبل كل أول الآخر بعد كل آخر، الظاهر بما أبدع فدليل وجوده ظاهر، الباطن فلا يخفى عليه ما هجس في الضمائر. وأشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلي يوم لقاءه
يا حبيب القلب ما لي سواك = فارحم اليوم مذنبا أتاك
وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحببيه
اختاره من أطيب العناصر، واصطفاه من أنجب العشائر، واختصه من اشرف الذخائر، وأدار على من عاده أفضع الدوائر.

أما بعد:

إخوة الإسلام إن الأمة الإسلامية تعيش مرحلة عصيبة تفتقد فيها القدوات التي تعمل على بناء جيل النصر المنشود الذي يعيد للأمة مكانتها وريادتها بين سائر الأمم وأصحبت الأضواء تسلط على التافهين والتافهات ممن لا خلاق لهم من الممثلين والمهرجين واللاعبين وجعلهم قدوات لأبناء الأمة مما انتج جيلا مسخا إمعة ومع ذلك تم تشويه صور المصلحين والدعاة حتى رأينا من يسخر من الصحابة والتابعين والدعاة، وحالنا وحالهم كما قال الشاعر

إِذَا عَيَّرَ الطَّائِيَّ بِالْبُخْلِ مَادِرٌ وَعَيَّرَ قَشًّا بِالْفَهَاهَةِ بِاقِلُ
وَقَالَ السُّهَّا لِلشَّمْسِ أَنْتِ كَسِيفَةٌ وَقَالَ الدُّجَى لِلْبَدْرِ وَجْهُكَ حَائِلُ
فَيَا مَوْتَ زُرْ إِنْ الْحَيَاةَ ذَمِيمَةٌ وَيَا نَفْسُ جِدِّي إِنْ دَهْرَكَ هَازِلُ

واجوب الاقتداء بإمام الأنبياء:

اعلم علمني الله وإياك: أنه يجب على كل مسلم ومسلمة الاقتداء والتأسي برسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ فالأقتداء أساس الاهتداء، قال تعالى: **"لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا"** [الأحزاب: ٢١] قال ابن كثير: "هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي - صلى الله عليه وسلم - يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه - عز وجل -" (٧٦٨).

اعلموا أن الله أمرنا بطاعته ومتابعته والاقتداء به، ووعد على ذلك محبته وجنته ورضوانه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١] وحذرنا الله تعالى من مخالفة أمره فقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. فإن بيان المشروع من العبادات والأعمال لا يعرف إلا من طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي أمره الله أن يبين للناس ما نزل إليهم من ربه، فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]

شمولية القدوة بالنبي صلى الله عليه وسلم:

والنبي الأمين صلى الله عليه وسلم - هو الإنسان الكامل في إيمانه، الكامل في خلقه، الكامل في معاملته، الكامل في قيادته، لذا جعله الله تعالى لنا أسوة شاملة كاملة فقال الله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] فلم يتهم النبي - صلى الله عليه وسلم - بجانب من جوانب الحياة ويهمل الجانب الآخر ولم يهتم بقضية من القضايا ويهمل القضايا الأخرى، بل كان صلى الله عليه وسلم - متوازنا مع جميع مناحي الحياة ففي العادة هو إمام العابدين وفي الحياة الزوجية هو أسوة للأزواج أجمعين وفي الأبوة تجده الأب الحنون الرحيم وفي القيادة تجده القائد الأعظم الذي جمع بين الحزم واللين بين الشدة والرفق الرفق بين العدل والعفو.....



قال ابن حزم: مَنْ أَرَادَ خَيْرَ الآخِرَةِ، وَحِكْمَةَ الدُّنْيَا، وَعَدَلَ السَّيْرَةَ، وَالِاحْتِوَءَ عَلَى مُحَاسَنِ الْأَخْلَاقِ كُلِّهَا، وَاسْتِحْقَاقِ الْفَضَائِلِ بِأَسْرَها، فَلْيَقْتَدِ بِمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلْيَسْتَعْمَلْ أَخْلَاقَهُ، وَسِيرَهُ مَا أَمَكَنَهُ، أَعَانَنَا اللَّهُ عَلَى الْإِتْسَاءِ بِهِ بِمَنْنِهِ، آمِينَ.

وإليكم عباد الله صورا من مجالات الأسوة في حياته صلى الله عليه وسلم-

الرسول صلى الله عليه وسلم - القدوة به عبادا:

إخوة الإسلام: نبينا الهمام - صلى الله عليه وسلم - هو عبد الخلق للخالق سبحانه وتعالى - وأحشاهم وأتقاهم لذا كانت عبادته وطاعته صلى الله عليه وسلم - دستورا للسالكين وسراجا للعارفين فهو يقوم وينام ويصوم ويفطر وذلك لأنه أسوة لأمته في الطاعة والعبادة

عَنِ الْمُغِيرَةِ بِنِ شُعْبَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي حَتَّى تَرْمَ قَدَمَاهُ فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا. (٧٦٩)

كان الحبيب صلى الله عليه وسلم يبكي حتى يبل الثرى:

عَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ، عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ لِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ: قَدْ آتَاكَ لَكَ أَنْ تَزُورَنَا، فَقَالَ: أَقُولُ يَا أُمُّهُ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ: زُرْ غَيْبًا تَزِدُّ حُبًّا، قَالَ: فَقَالَتْ: دَعُونَا مِنْ رَطَانَتِكُمْ هَذِهِ، قَالَ ابْنُ عُمَيْرٍ: أَخْبَرَنَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ: «يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعْبُدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي» قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ حِجْرُهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ لِحْيَتِهِ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ الْأَرْضَ، فَجَاءَ بَلَالٌ يُؤَذِّنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَأَاهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةُ آيَةً، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾»

وَالْآيَةُ كُلُّهَا [آل عمران: ١٩٠]. (٧٧٠)

وكان صلى الله عليه وسلم يصوم ويفطر ويقوم ويرقد قدوة لأمته ولاتباعه صلى الله عليه وسلم-

٧٦٩ - أخرجه: البخاري ١٦٩/٦ (٤٨٣٧)، ومسلم ١٤١/٨ - ١٤٢ (٢٨٢٠) (٨١) عن عائشة. وأخرجه: البخاري

١٦٩/٦ (٤٨٣٦)، ومسلم ١٤١/٨ (٢٨١٩) (٧٩) (٨٠) عن المغيرة.

٧٧٠ - صحيح ابن حبان - مخرجا (٣٨٧/٢) «السلسلة الصحيحة» (٦٨)، «التعليق الرغيب» (٢/٢٢٠).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ صَلَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَوْمِهِ تَطَوُّعًا، قَالَ: (كَانَ يَصُومُ مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى نَقُولَ مَا يُرِيدُ أَنْ يُفْطِرَ مِنْهُ شَيْئًا، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ مَا يُرِيدُ أَنْ يَصُومَ مِنْهُ شَيْئًا، وَمَا كُنَّا نَشَاءُ أَنْ نَرَاهُ مِنَ اللَّيْلِ مُصَلِّيًّا إِلَّا رَأَيْنَاهُ، وَلَا نَرَاهُ نَائِمًا إِلَّا رَأَيْنَاهُ) (٧٧١)

❦ **وكان -صلى الله عليه وسلم- يضحك حتى تبدو نواجذه صلى الله عليه وسلم:-**

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا وآخر أهل الجنة دخولًا إلى أن قال فيقول الله تعالى اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشر أمثالها فيقول أفسخر بي وأنت الملك) قال فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه (٧٧٢)

قال ابن القيم: "وكان جلّ ضحكه صلى الله عليه وسلم التبسم، بل كله تبسم، فكان نهاية ضحكه أن تبدو نواجذه، وكان يضحك مما يضحك منه، وهو مما يتعجب من مثله، ويُستغرب وقوعه ويستندر" (٧٧٣)

يا من له الأخلاق ما تقوى العُلا منها وما يتعشقُ الكُبراءُ

زانتك في الخلق العظيم شمائلُ يُغري بهن ويولعُ الكرماءُ

❦ **الرسول صلى الله عليه وسلم زاهدًا:**

ومن صور حياته - صلى الله عليه وسلم - التي ترسم لنا معاني الرضا والقناعة زهده - صلى الله عليه وسلم - وهو من هو أكرم الخلق وحبیب الحق صلى الله عليه وسلم كان النبي صلى الله عليه وسلم قنوعًا زاهدًا، فكان من أبعد الناس عن ملذات الدنيا، وأرغبهم إلى الآخرة، وقد خيره ربه جلّ وعلا بين الدنيا، وأن يعيش فيها ما شاء، وبين الآخرة، فاختار الآخرة وما عند الله، وخيره أن يكون ملكًا نبياً أو عبدًا نبياً، فاختار أن يكون عبدًا نبياً.

٧٧١ - مسند أحمد ط الرسالة (٢١ / ١٣١) إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأخرجه البيهقي ١٧/٣ من طريق أبي حاتم

الرازي، عن محمد بن عبد الله الأنصاري، بهذا الإسناد. وانظر (١٢٠١٢).

٧٧٢ - البخاري (٢٤٠٢/٥)، رقم (٦٢٠٢)، ومسلم (١٧٤/١)، رقم (١٨٦)

٧٧٣ - زاد المعاد (١٨٢/١)



﴿كان يدعو الله أن يجعل عيشه كفافا:﴾

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو: «اللَّهُمَّ قَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي، وَبَارِكْ لِي فِيهِ، وَاخْلُفْ عَلَيَّ كُلَّ غَائِبَةٍ لِي بِهِ خَيْرٍ» (٧٧٤)

عن عمر رضي الله عنه - قال: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ، فَجَلَسْتُ، فَأَدْنَى إِلَيَّ إِزَارَهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَنَظَرْتُ بِبَصَرِي فِي خِزَانَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرِ نَحْوِ الصَّاعِ، وَمِثْلَهَا قَرَطًا فِي نَاحِيَةِ الْعُرْفَةِ، وَإِذَا أَفِيقٌ مُعَلَّقٌ، قَالَ: فَابْتَدَرْتُ عَيْنَايَ، قَالَ: «مَا يُنْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَمَا لِي لَا أَبْكِي وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لَا أَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى، وَذَاكَ قَيْصَرٌ وَكَيْسَرٌ فِي الثَّمَارِ وَالْأَنْهَارِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَفْوَتُهُ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ، فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا؟»، قُلْتُ: بَلَى، (٧٧٥)

وعن عروة عن عائشة رضي الله عنهما قالت: "ما أكل آل محمد صلى الله عليه وسلم أكلتين في يوم إلا إحداهما تمر" (٧٧٦)

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز شعير، يومين متتابعين، حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم" (٧٧٧)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام بُرٍ ثلاث ليالٍ تباعًا حتى قُبِضَ" (٧٧٨)

من ألبس الدنيا السعادة حلّة فضفاضة لبس القميص مرّقاً
وهو الذي لو شار نالت كفه كل الذي فوق البسيطة أجمعاً
مسك به اختتم المهيمن رسله وأبان أمر الدين والدنيا معا

٧٧٤ - رواه ابن خزيمة: [٢١٧/٤] [٢٧٢٨]، والحاكم: [٦٢٦/١]. قال الحاكم: "صحيح الإسناد" ولم يخرجاه، وحسنه ابن حجر في الفتوحات الربانية: [٣٨٣/٤].

٧٧٥ - أخرجه مسلم (١١٠٥/٢)، وأبو يعلى (١٤٩/١)، رقم (١٦٤).

٧٧٦ - رواه البخاري: [٦٤٥٥].

٧٧٧ - رواه مسلم: [٢٩٧٠].

٧٧٨ - رواه البخاري: [٥٤١٦]، ومسلم: [٢٩٧٠].

الرسول -صلى الله عليه وسلم- القدوة به زوجا:

النبى صلى الله عليه وسلم كان قدوة في بيته مع نساءه صلى الله عليه وسلم فوضع لنا أسس التعامل مع المرأة وكيف تكون الحياة الزوجية حياة طيبة سعيدة

عن عائشة، قالت: مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ خَادِمًا قَطُّ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا شَيْئًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا اتَّقَمَ لِنَفْسِهِ مِنْ شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ، حَتَّى تُنْتَهَكَ مَحَارِمُ اللَّهِ فَيَكُونَ هُوَ يَنْتَقِمُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا خَيْرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، حَتَّى يَكُونَ إِثْمًا، فَإِذَا كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ الْإِثْمِ. (٧٧٩)

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم- أنه كان يخدم أهله:

لم يكن النبي -صلى الله عليه وسلم- ككثير من الأزواج الذين يتكبرون ويأنفون عن مساعدة زوجاتهم ويعاملونهم بمبدأ السيد والأمة نكلا بل كان النبي - صلى الله عليه وسلم عطوفا رحيما متواضعا في بيته عن الأسود، قال: سَأَلْتُ عَائِشَةَ كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةٍ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ فَصَلَّى. (٧٨٠)

الرسول -صلى الله عليه وسلم- القدوة به أبا:

أيها الآباء: نحن الآن نفتقد الأسوة والقدوة لدى كثير من الآباء والأمهات يقول أحد الدعاة جاءني ذات مرة رجل يشتكي من شرب أبنائه للدخان وأنه أعيته الحيل في منعهم عن ذلك، فقالت له: وأنت هل تدخن؟ قال: نعم. قلت: إذا كيف تريد أن ينتهوا وأنت تنهاهم بلسانك وتحثهم على الدخان بفعلك؟!

فالوالد يدخن أو يدمن المخدرات والأم متبرجة والبيت لا ترى فيه من يصلي أو يقرأ القرآن فلا بد أن يكون المنتج الذي ينتج عن تلك الأسرة رديئا وغير سوي يهدم ولا يبني يخرب ولا يعمر يفرق ولا يؤلف.....

أيها الآباء هيا لنرى الوالد الأسوة والقدوة كيف ربي أبنائه على الصلاح والفلاح إنه حبيب الله-صلى الله عليه وسلم-

دعوته لمن للإسلام بالحسن، رحمة بمن:

٧٧٩ - أخرجه عبد الرزاق (٤٤٢/٩)، وأحمد (٢٨١/٦)، رقم (٢٦٤٤٨)، وعبد بن حميد (ص ٤٣٠، رقم ١٤٨١)، وابن عساكر (

٧٨٠ - مسند أحمد ط الرسالة (٤١/٤٢٣) إسناده صحيح على شرط الشيخين



يامن لا تامر أبنائك بالصلاة وتراهم يجاهرون بالإفطار في شهر رمضان أنت مسؤول أمام الله تعالى عن ذلك وأريدك أن تتأمل حال النبي صلى الله عليه وسلم مع بناته الطاهرات - رضي الله عنهن أجمعين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قَالَ: (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتَ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا). (٧٨١)

قال ابن إسحاق: وأما بناته: فكلهن أدركن الإسلام، فأسلمن، وهاجرن معه صلى الله عليه وسلم.

❦ عناية الله صلى الله عليه وسلم بهن في مرضهن حتى في أشد الأوقات:

فلما أراد النبي صلى الله عليه وسلم الخروج لبدر أمر عثمان بن عفان رضي الله عنه أن يبقى عند زوجته رقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم لأنها كانت مريضة. فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: وَأَمَّا تَعْيِيهِ - أي: عثمان بن عفان - عَنْ بَدْرٍ، فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتُهُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهي: رقية - وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمُهُ) (٧٨٢)

❦ السرور وحسن الاستقبال لبناته - صلى الله عليه وسلم -:

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: إِنَّا كُنَّا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهُ جَمِيعًا لَمْ تُعَادَرْ مِنَّا وَاحِدَةٌ، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامَ تَمْشِي، لَا وَاللَّهِ مَا تَخْفَى مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَأَاهَا رَحَّبَ قَالَ: (مَرْحَبًا بِابْنَتِي) ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَّهَا، فَكَتَّ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى حُزْنَهَا: سَارَّهَا الثَّانِيَةَ، فَإِذَا هِيَ تَضْحَكُ، فَقُلْتُ لَهَا أَنَا مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ: خَصَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسَّرِّ مِنْ بَيْنِنَا، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلْتُهَا عَمَّا سَارَّكَ، قَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِرَّهُ، فَلَمَّا تُوفِّي قُلْتُ لَهَا: عَزَمْتُ عَلَيْكَ بِمَا لِي عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ لَمَّا أَخْبَرْتَنِي قَالَتْ: أَمَّا الْآنَ فَنَعَمْ، فَأَخْبَرْتَنِي قَالَتْ: أَمَّا حِينَ سَارَّني فِي الْأَمْرِ الْأَوَّلِ فَإِنَّهُ أَخْبَرَنِي أَنَّ (جَبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ قَدْ عَارَضَنِي بِهِ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ وَلَا أَرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدْ اقْتَرَبَ فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي فَإِنِّي نَعَمَ السَّلَفُ

٧٨١ - "رواه البخاري (٢٦٠٢) ومسلم (٢٠٦) ..

٧٨٢ - أخرجه البخاري (١١٣٩/٣)، رقم (٢٩٦٢) وأخرجه أيضاً: الترمذي (٦٢٩/٥)، رقم (٣٧٠٦) وقال: حسن صحيح.

أَنَا لَكَ) قَالَتْ: فَكَيِّتْ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى جَزْعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ، قَالَ: (يَا فَاطِمَةُ أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ) (٧٨٣)

أمرهن بالحجاب والستر في اللباس:

ومن صور الأبوة الرحيمة التي تخاف على بناتها من عذاب الله تعالى ومن فتنة الدنيا أمرهن صلى الله عليه وسلم بناته بالحجاب وذلك استجابة لأمر الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) الأحزاب / ٥٩.

فاين الآباء والأمهات من أحوال ومن لباس بناتهن حيث تخرج الفتيات سافرات متبرجات فيحدث مالا يحمد عقباه من تحرش جنسي بمن أو اختطاف واغتصاب والسبب الرئيس في ذلك هو غفلة الآباء والأمهات عن فريضة الحجاب التي تحصن البنات من الذئاب البشرية

الرسول -صلى الله عليه وسلم- الأسوة قائدًا:

إخوة الإسلام: نبينا الهمام عليه الصلاة والسلام- في مجال القيادة يتصدر البشرية جمعاء لان الذي علمه هو رب الأرض والسماء فضرب أروع الأمثلة في فن القيادة للبشرية وهاكم بيان ذلك بحول الله وطوله

قائد متواضع رقيق -صلى الله عليه وسلم-:

مع كونه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أول الناس وأولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإنه كان شديد التواضع لأدنى الناس منزلة قبل أعلاهم؛ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ فَصَافَحَهُ لَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ الَّذِي يَنْزِعُ، وَلَا يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْ وَجْهِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُهُ وَلَمْ يَرِ مُقَدِّمًا رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ. " (٧٨٤)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «إِنْ كَانَتْ الْأُمَّةُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهَا حَتَّى تَذْهَبَ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ، فِي حَاجَتِهَا» (٧٨٥)

فأين الحكام والولاة من ذلك الخلق الرفيع

أين الذين يتكبرون ويتعالون على رعاياهم وربما قدهم ذلك الى سفك دمائهم ؟

قائد عادل يراعي الضعيف قبل القوي والبعيد قبل القريب -صلى الله عليه وسلم-:

٧٨٣ - أخرجه: البخاري ٧٩/٨ (٦٢٨٥) و(٦٥٨٦)، ومسلم ١٤٢/٧ (٢٤٥٠) (٩٨). (٠).

٧٨٤ - (أخرجه الترمذي، في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، باب تواضعه من جلسه ٥٦٤/٤ (٢٤٩٠)).

٧٨٥ - رواه البخاري ٢٤/٨ (٦٠٧٢) معلقا.



و كان الناس عنده سواسية لا يحابي في الحق ولدًا ولا بنتًا، ولا حميمًا ولا قريبًا، ولا كبيرًا ولا عظيمًا، بل الأمة كلها عنده سواء، ولا يعطي أعزَّ أهله قبل أن يعطي عموم الأمة من العطاء عن الفضل بن حسن الزمري أن ابن أم الحكم أو ضباعة ابنتي الزبير حدثته عن إحداهما أنها قالت أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - سبيًا فذهبت أنا وأختي وفاطمة بنت النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فشكونا إليه ما نحن فيه وسألناه أن يأمر لنا بشيء من السبي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - « سَبَقَكُنَّ يَتَامَى بَدْرٍ ». ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّةَ التَّسْبِيحِ قَالَ عَلَى أَثَرِ كُلِّ صَلَاةٍ لَمْ يَذْكُرِ التَّوَمَ. (٧٨٦)

أقول قولي، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، اللهم لك الحمد على نعمة الإسلام والإيمان، ولك الحمد أن جعلتنا من أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، أما بعد:

قائد صبور يتغافل عن الأخطاء - صلى الله عليه وسلم -:

يأتيه أحد الناس يسيئون الأدب معه، فيلقاه بالسماحة والرفق، ويصبر على إساءته، ويدع معاقبته؛ أبا سعيد الخدري، قال: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا، أَنَا ذُو الْخَوِصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اعْدِلْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خَبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، انْظُرْ لِي فِيهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُهُ.....» (٧٨٧)

وحين يصل إليه أن أحد رعيته قد أساء القول فيه، والناقل له من أخص أصحابه الثقات، يذكر نفسه بما أصاب إخوانه من الأنبياء ويصبر، قال عبد الله: قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسْمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ لِقِسْمَةٌ مَا أُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، فَاتَّيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَاحْمَرَّ

٧٨٦ - (أخرجه البخاري في آخر كتاب: الأنبياء ٦/ ٥١٣ (٣٤٧٥) وغيره، ومسلم في كتاب: الحدود، باب: قطع السارق الشريف وغيره ٣/ ١٣١٥ (١٦٨٨)).

٧٨٧ - صحيح: أخرجه البخاري (٣٦١٠) في المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، ومسلم (١٠٦٤) في الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، من حديث أبي سعيد الخدري - رضى الله عنه -، وقد ذكر البخاري ومسلم تنمة كلام أبي سعيد عقب حديثه السابق.

وَجْهَهُ قَالَ شُعْبَةُ: وَأُظْهِرُهُ قَالَ: وَغَضِبَ حَتَّى وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أُخْبِرُهُ، قَالَ شُعْبَةُ: أَحْسَبُهُ قَالَ: «يَرْحَمُنَا اللَّهُ وَمُوسَى» شَكَ شُعْبَةُ فِي: يَرْحَمُنَا اللَّهُ وَمُوسَى؛ قَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ " (٧٨٨)

أين الذين يظلمون رعاياهم

أين الذين يشقون على من ولاهم الله تعالى أمورهم

هؤلاء هم شر الرعاة كما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في حديث أعائذ بن عمرو رضي الله عنه وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَقَالَ لَهُ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ شَرَّ الرُّعَاةِ الْحُطَمَةُ»، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ (٧٨٩) (٧٩٠)

قائد يأسف لإنزال العقوبة بأحد من الرعية صلى الله عليه وسلم :-

ومن رحمة النبي صلى الله عليه وسلم أنه يأسف ويظهر على وجهه الغضب عند إيقاع العقوبة على من ارتكب حدا ويعرف ذلك أصحابه رضوان الله عليهم - بل ربما بكى صلى الله عليه وسلم عبد الله، قَالَ: إِنِّي لَأَذْكُرُ أَوَّلَ رَجُلٍ قَطَعَهُ، أُتِيَ بِسَارِقٍ، فَأَمَرَ بِقَطْعِهِ، وَكَأَنَّمَا أُسِفَّ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّكَ كَرِهْتَ قَطْعَهُ؟ قَالَ: " وَمَا يَمْنَعُنِي، لَا تَكُونُوا عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَحَدِكُمْ، إِنَّهُ يَنْبَغِي لِلْإِمَامِ إِذَا انْتَهَى إِلَيْهِ حَدٌّ أَنْ يُقِيمَهُ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَفُوٌّ يُحِبُّ الْعَفْوَ: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢] " (٧٩١) وروى أبو يعلى عن علي-رضي الله تعالى عنه-قال: «أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل قد سرق فأمر بقطعه، ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل: يا رسول الله، تبكي فقال: «وكيف لا أبكي وأمتي تقطع بين أظهركم»؟ قالوا: يا رسول الله، ألا عفوت عنه، قال: ذلك سلطان سوء الذي يعفو عن الحدود، ولكن تعافوا بينكم (٧٩٢)

قائد ينصف ويدعو إلى القصاص من نفسه صلى الله عليه وسلم :-

٧٨٨ - (أخرجه البخاري في كتاب الأدب: باب من أخبر صاحبه بما يقال فيه ١٠ / ٤٧٥ (٦٠٥٩)).

٧٨٩ - الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم (٢ / ٣٢٨)

٧٩٠ - السمات العشر للرسول القائد. للدكتور / عبد الرحمن البر.

٧٩١ - (أخرجه أحمد (٤١٦٨)، ٤١٩ (٣٩٧٧)، وصححه الحاكم ٤ / ٤٢٤ (٨١٥٥))،

٧٩٢ - مجمع الزوائد (٦ / ٢٦٢) وعزاه لأبي يعلى انظر فتح الباري ١٢ / ٨٧.



وها هو صلى الله عليه وسلم -و هو من أقام العدل ومحى الله تعالى به الظلم يعرض نفسه إلى الاقتصاص منه إذا حصل شيء يوجب القصاص منه، عَنْ أَبِي فِرَاسٍ أَنَّ عُمَرَ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَصُّ مِنْ نَفْسِهِ (٧٩٣)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَنَّ رَجُلًا مِمَّنْ شَهِدَ حِينًا قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسِيرُ إِلَى جَنْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَاقَةٍ لِي وَفِي رِجْلِي نَعْلٌ غَلِيظَةٌ إِذْ زَحَمَتْ نَاقَتِي نَاقَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَقَعُ حَرْفُ نَعْلِي عَلَى سَاقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَوْجَعَهُ، فَقَرَعَ قَدَمِي بِالسَّوْطِ وَقَالَ: "أَوْجَعْتَنِي فَتَأَخَّرَ عَنِّي" فَأَنْصَرَفْتُ فَلَمَّا كَانَ الْعَدِ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْتَمِسُنِي قَالَ: قُلْتُ: هَذَا وَاللَّهِ لِمَا كُنْتُ أَصَبْتُ مِنْ رَجُلٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَمْسِ.

قَالَ: فَجِئْتُهُ وَأَنَا أَتَوَقَّعُ، فَقَالَ: "إِنَّكَ أَصَبْتَ رِجْلِي بِالْأَمْسِ فَأَوْجَعْتَنِي فَقَرَعْتُ قَدَمَكَ بِالسَّوْطِ فَدَعَوْتُكَ لِعَوْضِكَ مِنْهَا" فَأَعْطَانِي ثَمَانِينَ نَعْجَةً بِالضَّرْبَةِ الَّتِي ضَرَبَنِي (٧٩٤)

وهكذا، فإن الحضيف من الناس يطلب السلامة في آخرته، فيتحلل من المظالم أو يردها، خشية أن يحاسب عليها يوم القيامة، وأسوته في ذلك محمد -صلى الله عليه وسلم- القائل: «من كان لأخيه عنده مظلمة من مال أو عرض فليتحلله اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إلا الحسنات والسيئات» (٧٩٥).

الدعاء.....

الصيام ودورة المراقبة (٧٩٦)

الخطبة الأولى

الحمد لله الحي العليم السميع البصير القادر، المتكلم بكلام قديم أزلي هو به ناه وأمر، زين قلوب العارفين بنور هدايته فأضاء منها السرائر ن من رضي بدونه فهو الخائن الغادر، الشقي من حرمه، والسعيد من رحمه، والطريد من حجه، والقريب من جذبه، والنادم من أهانه، والسالم من أعانه، وقد علم الولي والعدو والرايح والخاسر.

٧٩٣ - (أخرجه النسائي في كتاب القسامة، باب: القصاص من السلاطين ٣٤/٨).

٧٩٤ - البداية والنهاية لابن كثير ٣١٨ / ٣.

٧٩٥ - أخرجه البخاري ح (٢٤٢٩).

٧٩٦ - رابط الموضوع: <https://www.alukah.net/spotlight/0/116998/>

واشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير
سبحانه أوضح الدلالة وبين، وحب الإيمان إلى المؤمنين وزين، وطبع على قلوب الجاحدين فهم يجادلون
في الحق بعد ما تبين.

أنا خاطئ أنا مذنب أنا عاصي هو راحم هو غافر هو كافي
قابلتهن ثلاثة بثلاثة ولتغلبن أوصافه أوصافي

وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحببيه

أولاً: تعريف المراقبة:

إخوة الإسلام، المراقبة معناها: دوام علمك بأن الله لا يخفى عليه شيء من أمرك؛ قال ابن المبارك
لرجل: راقب الله تعالى، فسأله عن تفسيرها، فقال: كن أبداً كأنك ترى الله عز وجل (٧٩٧).

يصور الله تعالى لنا المراقبة الكاشفة لجميع الأحوال والأعمال في آية من كتابه العزيز، فيقول جل شأنه:
﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ
فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي
كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

وسئل الحارث المحاسبي عن المراقبة، فقال: علم القلب بقرب الله تعالى (٧٩٨).

ثانياً: الصيام دورة للمراقبة:

الصيام هو دورة مكثفة لتحقيق منزلة المراقبة، فالصوم يُعلم الصائم كيف يكون مراقباً لله تعالى في جميع
أحواله وأفعاله، فهو يغرس المراقبة ويُنمّيها في نفس الصائم، وإذا أردنا أن ننظر إلى ذلك عن كثب،
فتأملوا عباد الله:

الامتناع عن الطعام والشراب الذي به قوام البدن: كيف جعل الصوم الصائم يمتنع عنه وهو
يستطيع أن يتناوله، فلو دخل الصائم حجرته وأغلق عليه بابه، ثم أكل وشرب، ثم خرج للناس يتزياً
بزي الصوّام، ما كذّبه أحد، ولا شك في صيامه أحد، بل إنه ربما يكون وحده، فينسى فيشرب أو
يأكل، فتجده يتألم من ذلك، ويأتي المشايخ والعلماء؛ ليسألهم عن صحة صيامه، وهل عليه قضاء ذلك
اليوم أم لا؟! ما الذي جعله يتألم ويتحرّج من ذلك؟ إنها مراقبة الله تعالى في السرّ والعلانية.

٧٩٧ - إحياء علوم الدين؛ للغزالي (٤/ ٣٩٧).

٧٩٨ - إحياء علوم الدين؛ للغزالي (٤/ ٣٩٧).



🔸 **الامتناع عن الشهوة:** ربما يكون الصائم في فراشه بجوار زوجته الحسناء في أبهى صور الجمال، وعلى الرغم من تزيين الأمر له، وإثارة شهوته، فإنه يعتصم بالله ويضبط شهوته! ما الذي جعله يمتنع عن شهوته؟ إنها المراقبة!

🔸 **حفظ اللسان وسائر الأعضاء عن الذنوب والمعاصي؛ أي: صيام الجوارح:** من كان يقع في الغيبة أمسك لسانه، ومن كان يشاهد المحرمات غضَّ طَرَفَهُ، ومن كان يستمع إلى الغناء والمكاء، صان سمعه.

🔸 **ما الذي جعل منه إنساناً تقيّاً؟ إنها المراقبة!** انظر إلى الفتيات وإلى النساء عامة، من كانت متبرجة غطَّت مفاتنها وكفَّت نفسها، ولم تخرج إلا وهي على قدم الحياء، ما الذي جعلها تتحوَّل إلى ذلك؟ إنها المراقبة!

حقاً إن رمضان دورة مكثفة لتحقيق المراقبة لله تعالى، حتى أصبح الصائم يعبد الله تعالى كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه، وتلك قمة الإحسان التي خبَّر بها النبيُّ العدنان صلى الله عليه وسلم. الموظف والعامل الذي كان يتعامل بالرشوة والمحسوبية، تراه في نهار رمضان قد خاف ربّه ونزّه يديه عن تلك المحرمات.

ما الذي جعله يكفُّ عن عاداته؟ إنها المراقبة!

فالصوم هو دورة مكثفة؛ ليتخرج المسلم والمسلمة بعدها وقد حقَّق الإسلام والإيمان والإحسان.

فكم من تائب قد كان ميلاده في رمضان! وكم من عاصٍ كانت بداية طاعته في رمضان!

وكم من مُفرِّط في الفرائض كانت بداية مواظبته عليها في رمضان!

🔸 **ثالثاً: فضائل المراقبة:** واعلموا - عباد الله - أن للمراقبة ثمراتٍ وخيرات؛ فهي رافعة للدرجات، ماحية للسيئات، مُقرِّبة من ربِّ الأرض والسماوات، عاصمة من لُجَّة المعاصي والشهوات، وإليكم بيان ذلك:

١- **تُبعد العبد عن المعاصي، وتُقربُه من ظل عرش الله تعالى:** وهذه من أعظم الفضائل والثمرات؛ حيث إن المراقبة ما هي إلا جَنَّة تحمي صاحبها من الوقوع في معصية الله، وهي حصن يُلوذ به المسلم من عدوه، فتكون النتيجة العصمة الربانية والمظلة الرحمانية؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ

وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ ذَاتُ حَسَبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ (٧٩٩) ..

فالباعث لهؤلاء السبعة هو الخوف والخشية من الله تعالى.

قال حميد الطويل لسليمان بن علي: عِظْنِي، فقال: لئن كنت إذا عصيت خاليًا، ظننت أنه يراك، لقد اجترأت على أمر عظيم، ولئن كنت تظن أنه لا يراك، فلقد كفرت (٨٠٠) ..

وقال ابن القيم رحمه الله: وأرباب الطريق مُجمِعون على أن مراقبة الله تعالى في الخواطر، سبب لحفظها في حركات الظواهر، فمن راقب الله في سرّه، حَفِظَهُ اللهُ في حركاته في سرّه وعلا نيته (٨٠١).

وقيل لبعضهم: متى يَهْشُرُ الراعي غنمه بعصاه عن مَرَاتِعِ الهَلَكَةِ؟ فقال: إذا عَلِمَ أن عليه رَقِيًّا (٨٠٢) ..

وإذا خلوتَ بريةً في ظلمةٍ والنفسُ داعيةٌ إلى الطغيانِ
فاستحي من نظرِ الإلهِ وقل لها: إن الذي خلقَ الظلامَ يراني
وقال آخر:

إذا ما خلوتَ الدهرَ يوماً فلا تُقِلْ خلوتُ ولكن قلْ عليّ رقيبٌ
ولا تحسبنَّ اللهَ يغفلُ ساعةً ولا أنَّ ما تُخفيه عنه يغيبُ
ألم ترَ أنَّ اليومَ أسرعُ ذاهبٍ وأنَّ غداً للناظرين قريبُ
إن شأباً وقع أسيراً لشهوته، رأى فتاة فراودها عن نفسها، وقال لها: لا يرانا أحد؛ ومَن يرانا في ظلام كهذا غير الكواكب؟! فقالت: وأين مُكوكِبُها؟ فقام وتركها.

قال رجل للجنيد: بِمَ أَسْتَعِينُ عَلَى غَضِّ الْبَصْرِ؟ فقال: بِعِلْمِكَ أَنَّ نَظَرَ النَّاظِرِ إِلَيْكَ أَسْبَقُ مِنْ نَظْرِكَ إِلَى الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ (٨٠٣) ..

وقال رجل لوهيب بن الورد رحمه الله: عِظْنِي! قال: اتَّقِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَهْوَنَ النَّاظِرِينَ إِلَيْكَ (٨٠٤) ..

٧٩٩ - البخاري (٦٢٠)، ومسلم (١٠٣١)، واللفظ له.

٨٠٠ - إحياء علوم الدين؛ للغزالي (٣٩٨ / ٤).

٨٠١ - مدارج السالكين (٦٦ / ٢).

٨٠٢ - شعب الإيمان (٢٦٦ / ٢).

٨٠٣ - إحياء علوم الدين؛ للغزالي (٣٩٧ / ٤).

٨٠٤ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٤٢ / ٨).



أتى رجل إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه، فقال: يا أبا إسحاق، إني مُسرف على نفسي، فاعرض عليّ ما يكون لها زاجراً ومُستنقذاً، فقال إبراهيم: إن قبلت خمس خصال، وقدرت عليها، لم تُضرْك المعصية، قال: هات يا أبا إسحاق، قال: أما الأولى: فإذا أردت أن تعصي الله تعالى فلا تأكل من رزقه! قال: فمن أين آكل وكلُّ ما في الأرض رزقه؟ قال: يا هذا، أفيحسُن بك أن تأكل رزقه وتُعصيه؟! قال: لا، هات الثانية، قال: وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئاً من بلاده! قال: هذه أعظم! فأين أسكن؟! قال: يا هذا، أفيحسُن بك أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتُعصيه؟! قال: لا، هات الثالثة، قال: وإذا أردت أن تعصيه وأنت تأكل رزقه وتسكن بلاده، فانظر موضعاً لا يراك فيه، فاعصه فيه! قال: يا إبراهيم، ما هذا وهو يطَّلِع على ما في السرائر؟! قال: يا هذا، أفيحسُن بك أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتُعصيه، وهو يراك ويعلم ما تُجاهر به وما تُكتمه؟! قال: لا، هات الرابعة، قال: فإذا جاءك ملك الموت ليَقْبِضَ رُوحَكَ، فقل له: أَخَّرني حتى أتوب توبة نصوحاً، وأعمل لله صالحاً، قال: لا يقبل مني! قال: يا هذا، فأنت إذا لم تُقدِّر أن تدفع عنك الموت لتتوب، وتعلم أنه إذا جاءك لم يكن له تأخير، فكيف ترجو وجه الخلاص؟! قال: هات الخامسة، قال: إذا جاءك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار، فلا تذهب معهم! قال: إنهم لا يدعونني ولا يقبلون مني، قال: فكيف ترجو النجاة إذا؟! قال: يا إبراهيم، حسبي، حسبي، أنا أستغفر الله وأتوب إليه!

عن الأصمعي قال: كنت أطوف بالبيت، فرأيت أعرابياً يطوف، فذكر قصة أعرابية، قال: قلت: فينك وبين من تهوى شيء؟ قال: لا، إلا ليلة فإني رُمْتُ منها شيئاً، فقالت: أما تستحيي؟!

قلت: ومن أستحيي فلا يرانا إلا الكواكب؟!

قالت: فأين مكو كُبهَا؟ (٨٠٥) ..

٢-تحسين العبادة وأداؤها على أكمل وجه: ومن فضائل المراقبة تحسين الطاعة لله تعالى؛ لعلم العبد بعظم الربِّ، وأن العظيم سبحانه جميل لا يقبل إلا الجمال، ومن العمل إلا ما له وصِفُ الكمال والجمال، وهذا ما نراه في مدرسة رمضان، فقد زَيَّنوا الصيام بحفظ الجوارح، وزينوا الصيام بقراءة القرآن؛ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك))؛ متفق عليه (٨٠٦).

٨٠٥ - المورد العذب المعين من آثار أعلام التابعين (١/ ٤٤)، وبلاغات النساء؛ لأبي الفضل (ص ١٤١).

٨٠٦ - أخرجه أحمد (١/ ٥١، رقم ٣٦٧)، ومسلم (١/ ٣٦، رقم ٨).

فالمرتبة الأولى عبادة شوق وطلب، فإن تعذّر عبادت خوف وهرب، فالحديث صريح في أن مراقبة الله تدعو إلى تحسين العبادة؛ قال ابن منظور رحمه الله: "مَنْ رَاقَبَ اللَّهَ أَحْسَنَ عَمَلَهُ." (٨٠٧).

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)) (٨٠٨) ..

عن معاذ رضي الله عنه قال: يا رسول الله، أوصني، قال: ((اعبد الله كأنك تراه، واعدد نفسك في الموتى، وإن شئت أنبأتك بما هو أملك بك من هذا كله))، قال: ما هو يا رسول الله؟ قال: ((هذا))، وأشار بيده إلى لسانه؛ رواه ابن أبي الدنيا.

٣- سبيل إلى جنة عالية: من أعظم ثمرات المراقبة الجنة وما فيها من نعيم مقيم، فالله تعالى وصف لنا سكنها، فقال جل جلاله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢]. وقال الله تعالى في وصف حال أهل الجنة: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٥ - ٢٨].

وأعدّ لهم جنتين، فقال سبحانه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦، ٤٧].

٤- إجابة الدعاء: لأننا بحاجة إلى الله، وليس منا أحد يستغني عن الله لحظة واحدة، فحاجتنا إلى الله دائمة، ومن ثم فنحن نحتاج إلى إجابة الدعاء، وقضاء الحاجة، ونحتاج إلى المدد من الله، وإجابة الدعوات لا تكون إلا لمن راقب ربه مراقبة صادقة، ولا أدل على إجابة الدعاء من قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت أول المطر إلى الغار، دخلوا الغار وانحدرت صخرة بأمر الله، فسدت عليهم الغار، فأصبحوا داخل صخرة مُصلّية، توسلوا إلى الله بمراقبتهم له.

• الأول: راقب الله في والديه، فانفرج ثلثها.

• الثاني: راقب الله في عرض بنت عمه، فانفرج ثلثها الثاني.

• الثالث: راقب الله في الأمانة فحفظها ونمّاها، فانفرج ثلثها الثالث.

٨٠٧ - لسان العرب (١٣/ ١١٥ - ١١٧).

٨٠٨ - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٣٤، رقم ٥٣١٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.



ففرّج الله عنهم كربهم بمراقبتهم له، راقبوه حال الرخاء، فأجاب دعاءهم حال الشدة.

رابعاً: عقوبات من لم يراقب رب الأرض والسموات:

١- **الجُرأة وعدم المراقبة صفة من صفات المنافقين:** قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٧، ١٠٨].

والمعنى: يستترون من الناس خوفاً من اطلاعهم على أعمالهم السيئة، ولا يستترون من الله تعالى ولا يستحيون منه، وهو عزّ شأنه معهم بعلمه، مطلع عليهم حين يُدبرون ليلاً ما لا يرضى من القول، وكان الله تعالى محيطاً بجميع أقوالهم وأفعالهم، لا يخفى عليه منها شيء. (٨٠٩).

٢- **الإفلاس يوم القيامة:** اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَأْسِكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِيهِ رُسُلَكَ، أَنَّهُ قَالَ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَثُورًا»، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَّا إِنْهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا» (٨١٠) ..

٣- **الانتكاس عن الطاعة:** لَخَّصَ أحد علماء السلف رحمهم الله نتيجة ذنوب الخلوات في جملة وكأها معادلة حسابية، فقال رحمه الله: (ذنوب الخلوات انتكاسات، وطاعات الخلوات ثبات، فلو رأيت أحداً ممن كان مشهوراً بالالتزام، معروفاً عند أهل الخير والإقدام، لو رأيت على حال أخرى، لو رأيت وقد تبدّل حاله وانتكس، فاعلم أن الأمر لم يكن صدفة، ولم يأت بَعْتَةً، فإنه بارز الله بالمعاصي في الخلوات، حتى تكاثرت على قلبه، فظهرت في العلن).

وكان السلف رحمهم الله يعرفون صاحب معصية الخلوة، فإن لها شؤماً يظهر في الوجه، ويظهر في ضعف إقباله على الطاعات؛ قال أبو الدرداء لسالم بن أبي الجعد: ليحذر امرؤ أن تُبغضه قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر، قال: أتدري ما هذا؟! قلت: لا، قال: العبد يخلو بمعاصي الله عز وجل، فيُلقي الله بُغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر! (٨١١) ..

٨٠٩ - التفسير الميسر (١/ ٩٦).

٨١٠ - أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤١٨، رقم ٤٢٤٥).

٨١١ - الزهد؛ لأبي داود (١/ ٢٣٦).

خامساً: الطريق إلى المراقبة : أخي المسلم، فإن سألت عن الطريق الموصل إلى مراقبة الله تعالى، وكيف يكون العبد من أهلها؟ فإليك الطريق الذي سار عليه العارفون فوصلوا إلى قمة المراقبة والخوف من الله تعالى:

١- تعرّف على الله تعالى بأسمائه وصفاته : فالإيمان بأسماء الله تعالى: الرقيب، والحفيظ، والعليم، والسميع، والبصير، والتعبد لله تعالى بمقتضاها يورث مراقبة الله تعالى، فالرقيب الذي يرصد أعمال عباده، والحفيظ الذي يحفظ عباده المؤمنين، ويحصى أعمال العباد، والعليم الذي لا تخفى عليه خافية من أمور عباده، والسميع المدرك للأصوات، والبصير الذي يرى كل شيء؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، وقال: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ [هود: ٥٧]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، وقال: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

والإيمان بأن الله تعالى سميع - يمنع من أن يصدر عن المسلم كلامٌ يُسخط الله؛ إن عاثشة رضي الله عنها لما جاءت المجادلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في غرفتها تشكو زوجها، غاب عن سمعها كثيرٌ من كلامها، فلما نزلت السورة قالت: "الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات"، لقد جاءت المجادلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تُكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١] (٨١٢)..

قال ابن الجوزي رحمه الله: (الحق عز وجل أقرب إلى عبده من حبل الوريد، لكنه عامل العبد معاملة الغائب عنه البعيد منه، فأمر بقصد بيته، ورفع اليدين إليه، والسؤال له، فقلوب الجهّال تستشعر البعد؛ ولذلك تقع منهم المعاصي؛ إذ لو تحققت مراقبتهم للحاضر الناظر لكفوا الأكف عن الخطايا، والمتيقظون علموا قُربه، فحضرهم المراقبة، وكفّتهم عن الانبساط) (٨١٣)..

٢- شهادة الجوارح يوم الفضايح: قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ

٨١٢ - صحيح، أخرجه أحمد (٦ / ٤٦).

٨١٣ - صيد الخاطر (٢٣٦).



بِرَبِّكُمْ أَرَدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿فصلت: ٢٠ - ٢٤﴾.

وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

أنا من خوف الوعيد في قيام وقعودي
كيف لا أزداد خوفاً وعلى النار ورودي
كيف جحدي ما تجرأت وأعضائي شهودي
كيف إنكاري ذنوبي أم ترى كيف جحودي
وعلي القول يحصى بريقب وعتيدي
وقال آخر:

العمر ينقص والذنوب تزيد وتقال عشرات الفتى فيعود
هل يستطيع جحود ذنب واحد رجل جوارحه عليه شهود

٣- شهادة الأرض: تذكر أخي - إذا دعيتك نفسك إلى معصية الله تعالى - أن الأرض التي أنت عليها رقية شهيدة عليك، ستشهد عليك يوم القيامة؛ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر؛ يقول الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ [الزلزلة: ١ - ٥].

عن أبي هريرة، قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤]، قال: «أتدرون ما أخبأها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن أخبأها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا في يوم كذا وكذا، فهذه أخبأها». (٨١٤)

٤- ذكر أنك مراقب من قبل ملائكة كرام يكتبون كل صغيرة وكبيرة: يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَا تُوسَّوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٦ - ١٨].

يقول الإمام القرطبي رحمه الله: "في الرقيب ثلاثة أوجه: أحدها: أنه المتبّع للأمر، الثاني: أنه الحافظ؛ قاله السُّدي، الثالث: أنه الشاهد؛ قاله الضَّحَّاك، وفي العتيد وجهان: أحدهما: أنه الحاضر الذي لا يَغيب، الثاني: أنه الحافظ المُعد؛ إما للحفظ، وإما للشهادة"؛ انتهى (٨١٥) ..

ويقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: "﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ [ق: ١٧]؛ يعني: الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان، ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧]؛ أي: مترصد، ﴿مَا يَلْفِظُ﴾ [ق: ١٨]؛ أي: ابن آدم ﴿مِنْ قَوْلٍ﴾ [ق: ١٨]؛ أي: ما يتكلّم بكلمة، ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]؛ أي: إلّا ولها مَنْ يُراقبها مُعتد لذلك يكتبها، لا يترك كلمة ولا حركة، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]؛ انتهى (٨١٦).

ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "﴿رَقِيبٌ﴾ [ق: ١٨]: مراقب ليلاً ونهاراً، لا يَنفكُ عن الإنسان، ﴿عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]: حاضر، لا يمكن أن يَغيب ويُوكلُ غيره، فهو قاعد مراقب حاضر، لا يفوته شيء"؛ انتهى (٨١٧) ..

ويقول جل شأنه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].
اللهم ارزقنا البصيرة في آياتك، وزدنا بك علماً، ولك حباً، ومنك خشيةً، فالله نسأل أن يزيدنا إيماناً مع إيماننا، وأن يجعلنا من المعتبرين بمواطن العبر.

اللهم اجعل ما أنزلت علينا من الخير عطاءً بركةً ونعمة، لا عطاءً استدراجٍ ونقمة.

اللهم اجعله عوناً لنا على طاعتك، واجعلنا ممن إذا أُعطي شكر، وإذا أذنب استغفر، وإذا ابتلي صبر.

^{٨١٥} - الجامع لأحكام القرآن (١٧ / ١١).

^{٨١٦} - تفسير القرآن العظيم (٧ / ٣٩٨).

^{٨١٧} - تفسير القرآن للعثيمين (٨ / ١٧).



الفتح المبين في بيان أخلاق الصائمين (٨١٨)

الخطبة الأولى

الحمد لله الغفور الودود، الكريم المقصود، الملك المعبود قديم الوجود، المتعالي عن الأمثال والأشكال والجهات والحدود، لا يخفى عليه ديبب النملة السوداء في الليالي السود، ويسمع حس الدود في خلال العود، وتردد الأنفاس في الهبوط والصعود، القادر فما سواه فهو بقدرته الوجود، وبمشيئته تصارييف الأقدار.

وأشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة أدخرها عنده ليوم اللقاء

يا من يرى ما في الفؤاد ويسمع أنت الرقيب لكل لما يتوقع
سبحانك اللهم أنت الواحد كل الوجود على وجودك شاهد
يا حي يا قيوم أنت المرتجى والى علا الجبين الساجد

وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحببيه
خاتم الرسل والأنبياء، وسيد النجباء والأولياء والأصفياء، المتصف بالصدق والوفاء.
يا سيدي يا رسول الله:

أرسلت داعية إلى الرحمن ودعوت فاهتز لك الثقلان
أخرجت قومك من ضلالات الهوى وهديتنا للواحد الديان
وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين
ونحن معهم يا أرحم الراحمين

أيها الإخوة في الله: قد استقبل المسلمون ضيفاً كريماً، وغائباً عزيزاً، طالما انتظروه بقلوب مفعمة بالشوق حينما يستقبلونه، وبالحن والأسى والندم حينما يودعونه، ضيفٌ إذا جاء أقبل معه الخير، وجاءت معه البركات من كل جانب، شهرٌ عظيم ينادي منادٍ في أول ليلة من لياليه (يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر) ^(٨١٩) تفتح فيه أبواب الجنة فلا يغلق منها باب، مفتوحة على مصاريعها، إنها فرصة عظيمة لمن يريد أن يعود إلى الله، وتغلق فيه أبواب النيران فلا يفتح منها باب، وتغل فيه مرده الشياطين فلا يخلصون إلى شيء مما كانوا يخلصون إليه في غير رمضان.

^{٨١٨} موقع الألوكة <https://www.alukah.net/spotlight/0/104224>

^{٨١٩} - «سنن ابن ماجه ت الأرئوط» (٢/ ٥٥٩): «وأخرجه الترمذي (٦٨٢) عن أبي كريب، بهذا الإسناد. وهو في "صحيح ابن حبان" (٣٤٣٥).»

يا أيها الشهر الكريم ومن به تسمو النفوس ويخشع الوجدان
فالصوم تزكية النفوس وطهرها ولكبح كل زرية ميزان
والصوم تربية الضمير فمن سما فيه الضمير تألق الإيمان
كم صائم والصوم منه مبرؤ. وبرجسه يتفاخر الشيطان
صوم الجوارح أن تكف عن الأذى لا صوم في صوم به أضغان
والصوم صدق وانطلاق عزيزة في الله يكبو دونها الكسلان

أيها الآباء: حديثنا في أول خطبة من الشهر الفضيل عن ﴿أخلاق الصائمين﴾ ﴿فرمضان مدرسة تربية
وجامعة أخلاقية ودستور إيماني ومنهجها رباني يهدي الحيارى ويأخذ بأيدي السكارى إنه شهر الرفعة
والسمو الأخلاقي فأعيروني القلوب والأسماع:

العنصر الأول: مكانة الأخلاق في شرعية الخلاق:

لقد عُني الإسلام بالأخلاق منذ بزوغ فجره وإشراقه شمس، فالقرآن في عهده المكي والمدني على السواء
اعتنى اعتناء كامل بجانب الأخلاق؛ مما جعلها تتبوأ مكانة رفيعة بين تعاليمه وتشريعاته، حتى إن المتأمل
في القرآن الكريم يستطيع وصفه بأنه كتاب خلق عظيم،

عباد الله: إن الأخلاق من أهم مقاصد بعثة النبي محمد-صلى الله عليه وسلم- للناس:

قال تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ) (الجمعة: ٢)، فيمتن
الله على المؤمنين بأنه أرسل رسوله لتعليمهم القرآن وتزكيتهم، والتزكية بمعنى تطهير القلب من الشرك
والأخلاق الرديئة كالغل والحسد وتطهير الأقوال والأفعال من الأخلاق والعادات السيئة، وقد قال عليه
الصلاة والسلام بكل وضوح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه
وسلم-: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ». (٨٢٠)

فأحد أهم أسباب البعثة هو الرقي والسمو بأخلاق الفرد والمجتمع.

٨٢٠ -أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٢٧٣، (وأحمد في مسنده) ٨٩٣٩، صحيح الجامع: ٢٨٣٣، صحيح الأدب المفرد:



﴿أن الأخلاق جزء وثيق من الإيمان والاعتقاد:

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ قَالَ: «كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَتْ عَلَيَّ رُعُوسِنَا الطَّيْرِ، مَا يَتَكَلَّمُ مِنَّا مُتَكَلِّمٌ، إِذْ جَاءَهُ نَاسٌ فَقَالُوا: مَنْ أَحَبُّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيَّ اللَّهُ تَعَالَى؟ قَالَ: أَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا» (٨٢١).

وقد سَمَى الله الإيمان برًّا، فقال تعالى: (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُؤُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ) (البقرة: ١٧٧)، والبر اسم جامع لأنواع الخير من الأخلاق والأقوال والأفعال، عن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟ قَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ» (٨٢٢).

ويظهر الأمر بجلاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَذْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» (٨٢٣).

﴿العنصر الثاني: الأخلاق ثمرة الطاعات:

أمة الإسلام: والعبادات الإسلامية الكبرى ذات أهداف أخلاقية واضحة، فالصلاة وهي العبادة اليومية الأولى في حياة المسلم، لها وظيفة مرموقة في تكوين الوازع الذاتي، وتربية الضمير الديني: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

والصلاة كذلك مدد أخلاقي للمسلم يستعين به في مواجهة متاعب الحياة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ١٥٣].

والزكاة وهي العبادة التي قرنها القرآن بالصلاة -ليست مجرد ضريبة مالية، تؤخذ من الأغنياء، لترد على الفقراء-إنها وسيلة تطهير وتركيز في عالم الأخلاق، كما أنها وسيلة تحصيل وتنمية في عالم الأموال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

والصيام في الإسلام، إنما يقصد به تدريب النفس على الكف عن شهواتها، والثورة على مألوفاتها، وبعبارة أخرى: إنه يهيئ النفس للتقوى وهي جماع الأخلاق الإسلامية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

٨٢١ - «جمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٨ / ٢٤)

٨٢٢ - أخرجه: مسلم ٧ / ٨ (٢٥٥٣) (١٥).

٨٢٣ - أخرجه: البخاري ١ / ٩ (٩)، ومسلم ٤٦ / ١ (٣٥) (٥٨).

والحج في الإسلام تدريب للمسلم على التطهر والتجرد والترفع عن زخارف الحياة وترفها، وخضامها وصراعها؛ ولذا يفرض في الإسلام الإحرام ليدخل المسلم حياة قوامها البساطة والتواضع والسلام والجدية والزهد في مظاهر الحياة الدنيا: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وحين تفقد هذه العبادات الإسلامية هذه المعاني ولا تحقق هذه الأهداف، تفقد بذلك معناها وجوهر مهمتها، وتصبح جثة بلا روح. ولا غرو أن جاءت الأحاديث النبوية الشريفة تؤكد ذلك بأسلوب بليغ واضح.

فتقول عن الصلاة: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء، فلا صلاة له، كم من قائم (أي الليل بالتهجد) ليس له من قيامه إلا السهر، وعن الصيام: من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه، كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش.

🔗 **العنصر الثالث أخلاق الصائمين:** هيا اخوه الإيمان لتتعرف على أخلاق الصائمين وكيف يحقق المسلم الغاية المنشودة من الصيام

قال ابن قيم الجوزية-رحمه الله- في كتابه (زاد المعاد): وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة والقوة الباطنة وحمايتها عن التخليط الجالب لها المفسد التي إذا استولت عليها أفسدتها واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها؛ فالصوم يحفظ على الجوارح صحتها ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى؛ كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

للإمام أبي حامد الغزالي -رحمة الله عليه- رحمه الله- رأي في حقيقة الصوم أورده في كتابه «إحياء علوم الدين» إذ قسم الصوم إلى ثلاث درجات صوم العموم. وصوم الخصوص. وصوم خصوص الخصوص، وقال عن صوم العموم: إنه كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة.

وقال عن صوم الخصوص: إنه كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن ارتكاب الآثام.

وقال عن صوم خصوص الخصوص: إنه صوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية

وإليك عباد الله أثر الصوم على الجوارح والأعضاء وكيف لو حقق المسلم العبودية والصوم في كل جارحة لأصبح المجمع مجتمع يحمي الفضيلة وينئى عن الرزيلة



١- صيام القلب:

وصيام القلب من أرقى أنواع الصيام، وقد سَمَّاهُ الغزالي -رحمه الله- في الإحياء: بصيام خصوص الخصوص، وهو عبارة عن صوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية، وكفه عما سوى الله بالكلية، فهو إقبال بكل المهمة على الله - عز وجل - وانصراف عن غير الله سبحانه. والقلب هو محل السعادة والشقاء، والإيمان والكفر، واليقين والشك، وإنما فرض الصيام لأسرار وحكم لا يدركها مَنْ كان أكبر همه أن يمتلئ بطنه بعد طول فراغ، وأن يطفئ حرارة الجوع، وشدة العطش عند مغيب الشمس، وذلك آخر عهده بالصوم.

إنما فُرِضَ الصوم ليسلَّ من الصدور سخائها، وليدفع عن القلوب أوضارها، وليؤتِ النفوس تقواها. وبالصوم تنسد مسالك الأكل والشرب، ويفرغ القلب للتذكر والتدبر، والنظر والتأمل، فيرى حقيقة الدنيا وحقارتها، وقلة شأنها وهوانها، وأنها مهما عظمت فهي حقيرة، ومهما طالت فهي قصيرة. كيف يصوم مَنْ أفطر قلبه على سيء الأعمال، وكرهه الأخلاق، وانطوى صدره على الغش لإخوانه، وإلقاء العداوة بينهم، وإذكاء نيران الفرقة في صفوفهم؟

فصيام القلب يكون بتفريغه من هذه المواد الفاسدة سواء أكانت شركيات مهلكة أو اعتقادات باطلة، ومن وساوس سيئة، ومن نوايا خبيثة، ومن خطرات موحشة.

ويصوم قلب المؤمن كذلك عن الكبر والعجب والرياء والحسد، فإذا صام القلب عن هذا كله؛ فإنه يصبح قلباً طاهراً عامراً بحب الله، ويكون صاحبه من أفضل الناس.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ. قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: هُوَ التَّقِيُّ النَّتْقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ (٨٢٤).

مخموم القلب: طاهر القلب نظيفة، كما جاء في الحديث.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبْعَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ: لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - -- (٨٢٥)

٨٢٤ - ابن ماجه (٤٢١٦) باب الورع والتقوى، انظر صحيح الجامع: ٣٢٩١، الصَّحِيحَةُ: ٩٤٨، وصحيح الترغيب

والترهيب: ٢٩٣١

٨٢٥ - أخرجه: مسلم ١٠ / ٨ (٢٥٦٤) (٣٢)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: (أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلَاثٍ: صَوْمِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَالْوُثْرَ قَبْلَ النَّوْمِ، وَالْعُسْلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ) (٨٢٦)

وحر الصدر: أي حقه وحسده.

أهل الخصوص من الصوم صومهم صون اللسان عن البهتان والكذب
والعارفون وأهل الأنس صومهم صون القلوب عن الأغيار والحجب

صورة مشرقة لصوم القلب:

عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: كُنَّا يَوْمًا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ مِنْ هَذَا الْفَجِّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، قَالَ: فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْأَنْصَارِ تَنْطِفُ لِحِيَّتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ عَلِقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ فَسَلَّمَ، فَلَمَّا كَانَ الْعَدُو، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأَوَّلِ، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ: إِنِّي لَأَحْيَتُ أَبِي، فَأَقْسَمْتُ أَلَّا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ الثَّلَاثُ فَعَلْتَ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ أَنَسُ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ انْقَلَبَ عَلَى فِرَاشِهِ، وَذَكَرَ اللَّهَ وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعُهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ، وَكَدْتُ أَحْتَقِرُ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ وَالِدِي هِجْرَةٌ وَلَا غَضَبٌ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: «يَطْلُعُ الْآنَ عَلَيْكُمُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَطَلَعَتْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لَأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ، فَأَقْتَدَيْ بِكَ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَبِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ قَالَ: فَأَنْصَرَفْتُ عَنْهُ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُهُ عَلَى مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ بِكَ هِيَ الَّتِي لَا تُطِيقُ. (٨٢٧)

٨٢٦ - أخرجه: البخاري ٣/ ٥٢ (١٩٧٩)، ومسلم ٣/ ١٦٤ (١١٥٩) (١٨٧).

٨٢٧ - أخرجه أحمد ٣/ ١٦٦ (١٢٧٢٧)



٢- صيام اللسان:

وصيام اللسان يكون بالإمساك عن فضول الكلام والخوض في الباطل والمرء، والخصومة والكذب والنميمة والفحشاء والجفاء، واللعن والسخرية والاستهزاء.

وإذا كان صوم اللسان يكون على الدوام، إلا أنه يتأكد عند الصيام، كما جاءت بذلك الأخبار عن الحبيب المختار - صلى الله عليه وسلم -.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرُفْثُ، وَلَا يَجْهَلُ فَإِنْ جَهِلَ عَلَيْهِ أَحَدٌ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ) (٨٢٨)
* الرفث: الكلام الفاحش كما قال الحافظ

* ولا يجهل: أي لا يفعل شيئاً من أفعال أهل الجهل، كالصياح والسفه... ونحو ذلك.

وعند البخاري في كتاب "الصيام" -رضى الله عنه -باب حفظ اللسان للصائم وفضل الصيام) من حديث أبي هريرة -رضى الله عنه -أن النبي -صلى الله عليه وسلم - قال: "قال الله: كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنةٌ، وإن كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإنه ساءبه أحدٌ أو قاتله، فليقل: إني امرؤ صائم"، الصخب: الخصام والصياح، وأخرج الحاكم عن أبي هريرة -رضى الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "ليس الصيام من الطعام والشراب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن ساءبك أحدٌ، أو جهل عليك، فقل: إني صائم إني صائم" (٨٢٩) وفي رواية عند ابن خزيمة: "لا تسابَّ وأنت صائم، فإن ساءبك أحدٌ، فقل: إني صائم، وإن كنت قائماً فاجلس". (٨٣٠)

وأخرج البخاري عن أبي هريرة، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ، وَالْعَمَلَ بِهِ، وَالْجَهْلَ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَلَا شَرَابَهُ» (٨٣١).

٨٢٨ - أخرجه مالك (٣١٠/١)، رقم (٦٨٢)، والبخاري (٦٧٣/٢)، رقم (١٨٠٥)، ومسلم (٨٠٦/٢)،

رقم (١١٥١)

٨٢٩ - أخرجه ابن أبي شيبة (٢٧٢/٢)، رقم (٨٨٨٢).

٨٣٠ - صحيح ابن حبان ج ٥ ص ١٩٩ في كتاب (الصوم) باب: آداب الصوم -ذكر الخبر الدال على أن قول الصائم لمن جهل عليه:- إني صائم، برقم ٣٤٧٤

٨٣١ - أخرجه أحمد ٤٥٢/٢ - ٤٥٣ و ٥٠٥، والبخاري "١٩٠٣" في الصوم: باب مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فِي الصَّوْمِ، و "٦٠٥٧" في الأدب: باب قول الله تعالى: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (الحج: من الآية ٣٠)

٣-صوم العين:

واعلموا عباد الله أن للعين صوم وهو عدم إطلاقها فيما حرم الله: قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴿[النور: ٣٠-٣١].

يقول أبو الأديان: كنت مع أستاذي أبي بكر الدقاق، فمرَّ حدث (ولدٌ أَمَرَدٌ) فنظرت إليه، فرآني أستاذي وأنا أنظر إليه فقال: يا بني لتجدن غبها ولو بعد حين، فبقيت عشرين سنة وأنا أراعي الغب، فنمتُ ليلة وأنا متفكر فيه، فأصبحت وقد نسيت القرآن كله.

٤- صوم الأذن

يكون بالبُعد عن سماع الحرام، وعن كل ما يغضب الرحمن، سواء كان في رمضان أو في غيره؛ لأننا سنحاسب على كل ما نسمعه بإرادتنا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

فقد أخرج الإمام أحمد عن نافع مولى ابن عمر -رضي الله عنها- قال: "كنت أسير مع ابن عمر، فلما سمع زمارة راعٍ، فوضع أصبعيه في أذنيه، وعدل راحلته إلى الطريق، وهو يقول: يا نافع أسمع، فأقول: نعم. فيمضي، حتى قلت: لا. فرفع يده وعدل راحلته إلى الطريق، وقال: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سمع زمارة راعٍ فوضع أصبعيه في أذنيه كما فعلت" وفي رواية: "فصنع مثل هذا".^(٨٣٢)

قال القرطبي: وهذا في غناء هذا الزمان، عندما كان يخرج عن حد الاعتدال فكيف بغناء زماننا. يا الله، القرطبي يقول هذا وهو من القرن السادس من الهجرة، فكيف لو رأيت يا قرطبي زماننا؟ ورأى عمر بن عتبة مولاه مع رجل وهو يغتاب آخر، فقال عتبة لمولاه: "ويلك نَزّه سمعك عن استماع الحنا -الفحش من القول- كما تُثَرّه نفسك عن القول به، فالمستمع شريك القائل، إنما نظر إلى شر ما في وعائه فأفرغه في وعائك، ولو ردت كلمة سفيه في فيه؛ لسعد بها رادها كما شقي بها قائلها".

٥- صوم البطن: وصيام البطن عن طريق اجتناب الحرام، وهذا لم يفهمه البعض، فتراه في رمضان يصوم عن الحلال من الطعام وشراب، ولكنه منغمس في الحرام؛ فتراه يتعامل بالربا، أو يأكل أموال اليتامى ظلماً، أو يأخذ الرشوة، أو يحتال على الناس بالسرقة... وغير ذلك من ألوان أكل الحرام.

٨٣٢ - مسند أحمد ط الرسالة (٨/ ١٣٣) واخرجه أبو داود (٤٩٢٤)، وابن حبان (٦٩٣)



وصدق الحبيب النبي -صلى الله عليه وسلم- حيث قال: كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه،
عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يُيَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ، أَمِنَ الْحَلَالِ أَمْ
مِنَ الْحَرَامِ». (٨٣٣)

فصوم البطن لا يكون إلا بالتزُّهُ عن ذلك كله.

فصوم البطن عن أكل أموال اليتامى، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء:

١٠] وكذلك تصوم البطن عن أكل الربا، وهذه علامة على صحة الإيمان، قال الواحد الديان: ﴿يَا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨]

وفي الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْظَلَةَ غَسِيلَ الْمَلَائِكَةِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دِرْهَمٌ
رَبًّا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ، أَشَدُّ مِنْ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ زَنِيَةً (٨٣٤)

وكان يوسف بن أسباط -رحمه الله- يقول: إن الشاب إذا تعبد قال الشيطان لأعوانه: انظروا من أين
مطعمه؟ فإن كان مطعم سوء قال: دعوه يتعب ويجهتد فقد كفاكم نفسه، إن اجتهداه مع أكل الحرام
لا ينفعه. (٨٣٥)

وقال وهب بن الورد -رحمه الله-: لو قمت قيام السارية ما نفعك؛ حتى تنظر ما يدخل بطنك أحلال
أم حرام؟. (٨٣٦)

٦- صوم اليد: وليلد صوم وهو كفُّها عن البطش والقتل والسرقة وأخذ الرشوة... وغير ذلك من ألوان
المعاصي والذنوب.

فعلى الإنسان منا ألا ييسط يده إلا في الخير، كما علمنا النبي -صلى الله عليه وسلم-:
عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ حَبِيبٍ، حَدَّثَنِي أَسْوَدُ بْنُ أَصْرَمَ الْمُحَارِبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: أَوْصِنِي يَا رَسُولَ
اللَّهِ، قَالَ: «أَتَمْلِكُ يَدَكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: فَمَا أَمْلِكُ إِذَا لَمْ أَمْلِكْ يَدِي؟ قَالَ: «أَتَمْلِكُ لِسَانَكَ؟» قَالَ: فَمَا
أَمْلِكُ إِذَا لَمْ أَمْلِكْ لِسَانِي؟ قَالَ: «فَلَا تَبْسُطُ يَدَكَ إِلَّا إِلَى خَيْرٍ، وَلَا تَقُلْ بِلِسَانِكَ إِلَّا مَعْرُوفًا». (٨٣٧)

٨٣٣ - البخاري (٢٠٥٩).

٨٣٤ - أحمد (٢١٨٥٤)، تعليق الألباني "صحيح"، صحيح الجامع (٣٣٧٥)، الترغيب والترهيب (١٨٥٥).

٨٣٥ - «الزهد الكبير للبيهقي» (ص ٣٤٣):

٨٣٦ - «الكبائر للذهبي» (ص ١٢٠)

٨٣٧ - المنذري في الترغيب والترهيب (٣ / ٥٣٠) وقال: رواه ابن أبي الدنيا. والطبراني بإسناد حسن والبيهقي.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الصَّيَّامُ جُنَّةٌ فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا، فَلَا يَرُفُثُ. وَلَا يَجْهَلُ. فَإِنْ أَمْرٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ إِنِّي صَائِمٌ». (٨٣٨)

صوم الرجل: وصوم القدمين هو كفهما عن السعي إلى الحرام:

وعلينا جميعاً أن نعلم أن هذه الخطوات التي نمشيها إما إلى خير وإما إلى شر مسطورة مكتوبة. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُخْبِرُهَا أَخْبَارُهَا﴾ [الزلزلة: ٤]، قَالَ: «تَتَذَرُونَ مَا أَخْبَرُهَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنْ أَخْبَرَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ وَأَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهَرِهَا، أَنْ تَقُولَ: عَمِلَ كَذَا وَكَذَا فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا، فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا». (٨٣٩)

وإذا أردت أخي الحبيب... أن تسعى بقدمك إلى معصية فابحث عن أرض لا تشهد عليك!!
فَاتَّقِ اللَّهَ فِي هَذِهِ الْقَدَمِ وَالَّتِي سَتَشْهَدُ عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]
عن عامر بن صالح عن هشام بن عروة قال: خرج أبي (عروة بن الزبير - رضى الله عنه -) إلى الوليد بن عبد الملك حتى إذا كان بوادي القرى وجد في رحله شيئاً فظهرت به قرحة، ثم ترقى به الوجع، فلما قدم على الوليد، قال: يا أبا عبد الله أقطعها، قال: دونك. فدعا له الطبيب، وقال له: أشرب المُرَقْدَ فلم يفعل، فقطعها من نصف الساق، فما زاد على قوله: حَسَّ حَسَّ، فقال الوليد: ما رأيت شيئاً أصبر من هذا، ولما رأى عروة القدم بأيديهم دعا بها، فقلَّبها في يده، ثم قال: أما والذي حمليني عليك إنه ليعلم أني ما مشيت بك إلى حرام - أو قال: معصية - (٨٤٠)

وأخيراً عباد الله جملة القول في حقيقة الصوم: ذكر الإمام ابن رجب رحمه الله أن بعض السلف قال: أهون الصيام ترك الشراب والطعام، قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: «إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ، وَبَصْرُكَ، وَلِسَانُكَ عَنِ الْكَذِبِ وَالْمَحَارِمِ، وَدَعْ أَذَى الْخَادِمِ، وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ يَوْمَ صِيَامِكَ، وَلَا تَجْعَلْ يَوْمَ فِطْرِكَ وَصَوْمِكَ سَوَاءً» (٨٤١)

٨٣٨ - أخرجه الشافعي في "السنن المأثورة" (٢٩٥)، والحميدي (١٠١٤)، ومسلم (١١٥١) (١٦٠)

٨٣٩ - أخرجه أحمد ٣٧٤/٢، والترمذي ٣٣٥٣ ط في تفسير القرآن: باب ومن سورة: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾،

٨٤٠ - «المرض والكفارات لابن أبي الدنيا» (ص ١١٦):

٨٤١ - «الزهد والرقائق - ابن المبارك - ت الأعظمي» (١/ ٤٦١):



يقول الإمام ابن رجب (فصيامنا هذا يحتاج إلى استغفار نافع، وعمل صالح له شافع، كم نخرق صيامنا بسهام الكلام، ثم نرقعه، وقد اتسع الخرق على الراقع، والمقصود أن من أراد الصوم الحقيقي فليحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، ويذكر الموت والبلى، ويريد الآخرة فيترك زينة الدنيا فهذا عيد فطره يوم لقاء ربه وفرحه برؤيته

قال ابن القيم-رحمه الله-: «جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين تقوى الله وحسن الخلق، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه. فتقوى الله توجب له محبة الله وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته»^(٨٤٢)

قال الماوردي- رحمه الله-: «إذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه، وقلّ معادوه، فتسهلت عليه الأمور الصّعب، ولانت له القلوب الغضاب»^(٨٤٣)

إذا لم يكن في السمع مني تصاون وفي بصري غضٌّ وفي منطقي صمت
فحظّي إذا من صومي الجوع والظما فإن قلت: إني صمت يومي فما صمت
الدعاء.....

^{٨٤٢} - «الفوائد لابن القيم» (ص ٥٤):

^{٨٤٣} - أدب الدنيا والدين، للماوردي ٢٣٧.

العزة ثمرة من ثمرات الإيمان بالله^(٨٤٤)

الخطبة الأولى

الحمد لله الغفور الودود، الكريم المقصود، الملك المعبود قديم الوجود، المتعالي عن الأمثال والأشكال والجهات والحدود، لا يخفى عليه ديب النملة السوداء في الليالي السود، ويسمع حس الدود في خلال العود، وتردد الأنفاس في الهبوط والصعود، القادر فما سواه فهو بقدرته الوجود، وبمشيئته تصارييف الأقدار.

وأشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة أذخرها عنده ليوم اللقاء

يا من يرى ما في الفؤاد ويسمع أنت الرقيب لكل لما يتوقع
سبحانك اللهم أنت الواحد كل الوجود على وجودك شاهد
يا حي يا قيوم أنت المرتجى والى علاك الجبين الساجد

وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحببيه
خاتم الرسل والأنبياء، وسيد النجباء والأولياء والأصفياء، المتصف بالصدق والوفاء.
يا سيدي يا رسول الله:

أرسلت داعية إلى الرحمن ودعوت فاهتز لك الثقلان

أخرجت قومك من ضلالات الهوى وهديتنا للواحد الديان

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين
ونحن معهم يا أرحم الراحمين
أما بعد:

إخوة الإيمان والإسلام حديثنا في هذا اليوم الطيب الميمون الأغر عن ثمرة من ثمار الإيمان بالرحيم الرحمن
إنها من أعظم الثمار التي جناها المسلمون الأوائل والتي افتقدها المسلمون الأواخر إنها العزة وما أدراك ما
العزة؟

نحن بالإسلام صرنا خير مَعَشَرٍ وَحَكَمْنَا بِاسْمِهِ كِسْرَى وَقِصْرُ
وَزَرَعْنَا الْعَدْلَ فِي الدُّنْيَا فَائِثَمَرٌ وَنَشَرْنَا فِي الْوَرَى اللَّهُ أَكْبَرُ
نحن بالإيمان أَحْيَيْنَا الْقُلُوبَ نحن بالإسلام حررنا الشُّعُوبَ



نحن بالقرآن قَوْمَنَا الْعُيُوبَ وانطلقنا في شمال وجنوب

نحن بالأخلاق نورنا الحياة نحن بالتروحيد أعلينا الجباه

نحن بالفرقان علمنا الرعاة نحن بالتكبير زلزلنا الطغاة

أولاً: تعريف العزة: والعِزَّةُ أيها الإخوة: هي حالة مانعة للإنسان من أن يغلب، من قولهم: أرضٌ

عَزَازٌ، أي: صُلْبَةٌ. قال تعالى: ﴿أَيَّتَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩].

وَالْعَزِيزُ: الذي يَقْهَرُ ولا يُقْهَرُ. قال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦] (٨٤٥).

إن العزة ليست عنادًا جامحًا يستكبر على الحق، ويتشامخ بالباطل.

وليست طغيانًا فاجرًا يضرب في عتو وتجبر وإصرار.

وليست اندفاعًا باغيًا يخضع للتروة، ويدل للشهوة.

وليست قوة عمياء تبطش بلا حق ولا عدل ولا صلاح.

كلا.. إنما العزة التي يتحلى بها المسلم هي:

استعلاء على شهوات النفس.. واستعلاء على القيد والذل..

واستعلاء على الخضوع الخانع لغير الله.. ثم هي خضوع لله وخشوع.. وخشية لله وتقوى.. ومراقبة الله

في السراء والضراء.

ومن هذا الخضوع ترتفع الجباه، ومن هذه الخشية تصمد لكل ما يأباه، ومن هذه المراقبة لا تعني إلا

برضاه.

هذه هي العزة وذاك طريقها: والعزیز من العباد من يحتاج إليه الناس في أهم أمورهم، وهي الحياة

الأخروية والسيادة الأبدية، وهذه رتبة الأنبياء والرسل، ويشاركونهم في العز من ينفرد بالقرب من

درجتهم كالخلفاء والعلماء، وعزة كل واحد منهم بقدر علو مرتبته في الاستقامة، وبقدر عنائه في إرشاد

الخلق (٨٤٦)

ثانياً: الإيمان بالله العزيز يورث العبد العزة والرفعة: أيها الإخوة الأحباب: لقد سمي الله تعالى نفسه

العزيز في آيات كثيرة من كتابه الكريم، ومعناه القوي الغالب الذي يَغْلِبُ ولا يُغْلَبُ، وَيَقْهَرُ ولا يُقْهَرُ.

كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ

عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]

٨٤٥ - الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن ٥٦٣/١.

٨٤٦ - موسوعة فقه القلوب (٣/ ٢٦٦٨)

وقال تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٧]
وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ﴾ [فاطر: ١٠]

فإن الله هو سبحانه يذل من يشاء، ويعز من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير؛ يقول الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]. فإن الله سبحانه هو المعز الحقيقي لمن يشاء إعزازه من البشر، بما يقيض له من الأسباب الموجبة للعز، كالقوة، وحماية الذمار، ونصرة الحق، وكثرة الأعوان، ونفاذ الكلمة، وغير ذلك من الصفات التي تجعل الحاصل عليها عزيزا.

ثالثا: العقيدة تورث العزة والكرامة: العقيدة أيها الأحباب تورث صاحبها العزة والأنفة والكرامة فلا يستكين لأحد ولا يهين نفسه لمخلوق بل تراه دائما وابدأ شامخ النفس بإيمانه... فلا سبيل إليها إلا بالإيمان قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُلِيتُغُونَ عَنْهُمْ الْعِزَّةُ﴾ [النساء: ١٣٩] الهمة للاستفهام تحمل معنى التعجب والإنكار والتوبيخ (أُلِيتُغُونَ عَنْهُمْ الْعِزَّةُ) وهذا الحاصل: فإن كثيرا من الناس ومن الحكام يوالون أهل الكفر من اليهود والنصارى، ويتقربون إليهم طلبا للعز بهم وللتحصن بهم.

قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩] أي: من كان يطلب العزة فليطلبها من الله، وليطلبها بطاعة الله سبحانه وتعالى وامتنال أوامره، أما الكفار فليس عندهم إلا الذلة، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

فإذا ركنت إلى أهل الظلم والجور والكفر طلبا للعزة منهم فقد خاب ظنك وضل سعيك، فإن الله قال: ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، وقال تعالى: ﴿تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].

فالآية محذرة لكل من سولت له نفسه أن يوالي الكفار ويطلب العزة من عندهم، فإنه إن فعل فقد عصى ربه، ومن عصى ربه استحق أن يذل، فتعكس عليه الغاية وهو لا يشعر.

﴿أُلِيتُغُونَ عَنْهُمْ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩] أي: إن كنت تريد العزة لنفسك فاعلم أن العزة لله جميعا، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -،



قَالَ: ((قَالَ اللَّهُ - عز وجل - : العِزُّ إِزَارِي، والكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، فَمَنْ يُنَازِعُنِي فِي وَاحِدٍ مِنْهُمَا فَقَدْ عَذَّبْتُهُ)) (٨٤٧) لكن إن كانت العزة بمعنى التقوي بالله، وكان طلبها طلباً للتعزز على أهل الكفر والتقوي عليهم؛ فهذا باب آخر يجوز للشخص أن يطلبه، فإن الله تعالى قال: ﴿ تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ﴾ [آل عمران: ٢٦] وذكر أنه سبحانه يعز من يشاء.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: كنت خلف النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - يوماً، فَقَالَ: ((يَا غُلَامُ، إِنِّي أَعَلَّمْتُكَ كَلِمَاتٍ: أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ: أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ)) (٨٤٨)

رابعاً: صور مشرقة من العزة:

عزة الرسول صلى الله عليه وسلم في قتال المشركين:

ففي غزوة أحد عصا الرماة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانقلبت الدائرة على المسلمين، وصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق جبل أحد، وأشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا تجيبوه». فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: «لا تجيبوه». فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا. فلم يملك عمر نفسه، فقال: كذبت يا عدو الله، أبقى الله عليك ما يخزيك. قال أبو سفيان: أعلُّ هُبْل. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أجيبوه». قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا لله أعلى وأجل». قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أجيبوه». قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا لله مولانا ولا مولى لكم». قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، وتجدون مثلاً لم أمر بها ولم تسؤني (٨٤٩).

عزة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالإسلام: وما أدراك ما عمر رضي الله عنه من فرق الله به بين الحق والباطل من اعز الله به الإسلام فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: (ما زلنا أعزّة منذ أسلم عمر).

٨٤٧ - أخرجه: مسلم ٣٥/٨ (٢٦٢٠) (١٣٦)

٨٤٨ - - صحيح. رواه الترمذي (٢٥١٦)

٨٤٩ - البخاري: صحيح البخاري، باب غزوة أحد (٣٨١٧).

فعن طارق بن شهاب، قال: خرج عمر بن الخطاب إلى الشام ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فأتوا على مخاضة وعمر على ناقه له فتزل عنها وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا، تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك، وتخوض بها المخاضة؟ ما يسرني أن أهل البلد استشفوك، فقال عمر: «أوه لم يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله» (٨٥٠).

**أيا عمر الفاروق هل لك عودة فإن جيوش الروم تنهى وتأمروا
رفاقتك في الأغوار شدوا سروجهم وجيشك في حطين صلوا وكبروا**

أسامة بن زيد رضي الله عنه: ومن صور العزة: العزة بالإسلام والانتساب إليه فلا فخر لنا إلا به ولا عزلنا إلا بالسير تحت لوائه والعمل بشريعته

وما زادني فخرا وتيها وكدت بأخصي أطا الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن سيرت أحمد لي نبيا

عَنْ عِرَاكِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حَزَامٍ قَالَ: كَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبَّ رَجُلٍ مِنَ النَّاسِ إِلَيَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا نَبَّئَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ شَهِدَ حَكِيمُ الْمُؤَسِّمَ وَهُوَ كَافِرٌ، فَوَجَدَ حُلَّةً لِدِي زَيْنَ تَبَاعٍ، فَاشْتَرَاهَا لِيُهِدِيَهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدِمَ بِهَا عَلَيْهِ الْمَدِينَةَ، فَأَرَادَهُ عَلَى قَبْضِهَا هَدِيَّةً فَأَبَى، فَقَالَ: إِنَّا لَا نَقْبَلُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَيْئًا، وَلَكِنْ إِنْ شِئْتَ أَخَذْتُهَا مِنْكَ بِالْثَمَنِ، فَأَعْطَيْتُهُ إِيَّاهَا حِينَ أَبِي عَلَى الْهَدِيَّةِ فَلَبِسَهَا، فَرَأَيْتُهَا عَلَيْهِ عَلَى الْمَنْبَرِ، فَلَمْ أَرِ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ فِيهَا، ثُمَّ أَعْطَاهَا أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَرَأَاهَا حَكِيمٌ عَلَى أُسَامَةَ، فَقَالَ: يَا أُسَامَةُ، أَنْتَ تَلْبَسُ حُلَّةَ ذِي زَيْنَ؟، فَقَالَ: نَعَمْ، وَاللَّهِ لَأَنَا خَيْرٌ مِنْ ذِي زَيْنَ، وَلَأَبِي خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ، قَالَ حَكِيمٌ: فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ أُعْجِبُهُمْ بِقَوْلِ أُسَامَةَ. (٨٥١)

عزة خالد بن الوليد رضي الله عنه: ومن صور العزة عزة سيف الله المسلول أرسل خالد بن الوليد رضي الله عنه رسالةً إلى كسرى، وقال: أَسْلِمَ تَسْلَمَ، وإلا جئتكَ برجال يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة.

٨٥٠ - أخرجه الحاكم (٦١/١) وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي

٨٥١ - الطبراني في معجمه الكبير ج ٣/ ص ٢٠٢ حديث رقم: ٣١٢٥



فلما قرأ كسرى الرسالة أرسل إلى ملك الصين، يطلب المدد والنجدة، فرد عليه ملك الصين قائلاً: يا كسرى، لا قوة لي بقوم لو أرادوا خلع الجبال من أماكنها لخلعوها^(٨٥٢).

من ذا الذي رفع السيوف ليرفع اسمك فوق هامات النجوم منارا

كنا جبلاً في الجبال وربما صرنا على موج البحار بحارا

كنا نرى الأصنام من ذهب فنهدمها ونهدم فوقها الكفارا

لو كان غير المسلمين لحازها كترًا وصاغ الحلي والدينارا

عزة هارون الرشيد: ومن روائع العزة في زمان العزة تلك الرسالة التي أرسلها هارون الرشيد-رحمه الله- إلى نقفور كلب الروم والتي تدل على عزة وإباء الأمة في هذه الفترة

فقد ذكر المؤرخون عن ملكة الروم (إيريني)، أنها كانت تؤدي الجزية لهارون الرشيد، فعزلها الروم وتولّى مكانها نقفور، فوجد في مملكته قوة لتحدي المسلمين، وأرسل إلى هارون الرشيد رسالة جاء فيها: من نقفور ملك الروم، إلى هارون ملك العرب، أما بعد، فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام الرخ، وأقامت نفسها مقام البيدق، فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أمثالها إليها، لكن ذاك ضعف النساء وحققهن، فإذا قرأت كتابي فاردّد ما حصل قبلك من أموالها، وافتد نفسك بما يقع به المصادرة لك، وإلا فالسيوف بيننا وبينك..

فكتب هارون الرشيد على ظهر الكتاب ما يلي: بسم الله الرحمن الرحيم، من هارون الرشيد أمير المؤمنين، إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا بن الكافرة، والجواب ما تراه دون أن تسمعه، والسلام

فجمع جيشاً كبيراً توجه نحو أرض الروم وقصد هرقله، فحاصرها ثلاثين يوماً، ثم فتحها وسبى أهلها وأخربها، والتقى مع نقفور بمعركة قرب أنقرة، وكانت حامية الوطيس، انتصر فيها الخليفة على نقفور الذي هرب، ثم أرسل في طلب الصلح لما رأى عساكر المسلمين تجوس بلاده من كل اتجاه، ووافق الرشيد على الصلح بعد أن دفع نقفور أضعاف ما كانت تدفعه الملكة.

وكان الرشيد يلبس قلنسوة مكتوباً عليها غاز حاج، وفي هذا يقول الشاعر:

فَمَنْ يَطْلُبُ لِقَاءَكَ أَوْ يُرِدُّهُ فَبِالْحَرَمِينَ أَوْ أَقْصَى الشُّغُورِ (٨٥٣)

الخطبة الثانية

﴿السييل إلى العزة والتمكين: أيها الإخوة: إن السيل إلى العزة والتمكين أوضحه رب العالمين في القرآن الكريم في غير ما آية من كتابه فقال سبحانه ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

قال الله تبارك وتعالى ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]. في هذه الآية الكريمة أدب قرآني عظيم، وتوجيه رباني كبير للثلة المؤمنة المجاهدة والصَّابرة، يحثهم فيه على عدم الهوان الذي ينافي العِزَّة ويضادها، وينهيها ويقضي عليها. فهو أمرٌ للمؤمنين بالثبات على عزِّهم، حتى في الأوقات العصيبة؛ لتبقى العِزَّة ملازمة لهم، لا تنفك عنهم في الضراء والسرَّاء، في الفرح والحزن، في الحرب والسُّلم، في النَّصر والهزيمة. يقول الفخر الرازي: (كأنه قال: إذا بحثتم عن أحوال القرون الماضية، علمتم أن أهل الباطل، وإن اتَّفقت لهم الصَّولة، لكن كان مآل الأمر إلى الضَّعف والفُتور، وصارت دولة أهل الحقَّ عالية، وصولة أهل الباطل مُندَرِسة، فلا ينبغي أن تصير صولة الكفار عليكم -يوم أحد- سبباً لضعف قلبكم ولجبنكم وعجزكم، بل يجب أن يقوى قلبكم، فإن الاستعلاء سيحصل لكم، والقوَّة والدَّولة راجعة إليكم) (٨٥٤).

- قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

في هذه الآية الكريمة يُبين الله -تبارك وتعالى- أنَّ العِزَّة على أهل الكفر، هي صفة من صفات جيل التَّمكين، الذين أحبَّهم الله وأحبُّوه، وارتضاهم بديلاً عمَّن يرتد عن دينه، وبالمقابل فهم أذلة في تعاملهم مع إخوانهم من أهل الإيمان، يخفُّضون لهم الجناح تواضعاً، ويلينون لهم القول.

الدعاء.....



العشر الأخلاقية من هجرة خير البرية صلى الله عليه وسلم^(٨٥٥)

الخطبة الأولى

أما بعد: فحياكم الله أيها الأخوة الأفاضل وطبتم وطاب ممشاكم وتبوأتم جميعاً من الجنة منزلاً، وأسأل الله الحليم الكريم جل وعلا الذي جمعني مع حضراتكم في هذا البيت الطيب المبارك على طاعته، أن يجمعنا في الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى في جنته ودار مقامته، إنه ولي ذلك والقادر عليه..

عباد الله: إن الهجرة النبوية المشرفة دستور يستضاء به في كل زمان ومكان، لم تكن حدثاً كأي حدث، وإنما كانت حدثاً غير مجرى البشرية، وأرسى معالم إيمانية، و تربوية، وأخلاقية لسائر البشرية، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..... ونقف اليوم مع الأخلاق العشر المستفادة من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم..... فأعيروني القلوب والأسماع

﴿أولاً-الصبر على الأذى:﴾

إخوة الإسلام إن من الأخلاق التي نحن بحاجة إليها الصبر في طريق الدعوة إلى الله تعالى فقد أودى النبي صلى الله عليه وسلم اشد الإيذاء من مشركي مكة ومن أقرب الناس إليه فما وهن وما استكان بل صبر على ذلك الأذى والابتلاء.....

كانت السمة المميزة لجميع الصحابة: الصبر على الأذى وتحمل الاضطهاد في سبيل الله، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمر المسلمين أن يردوا عن أنفسهم ذلك الأمر؛ للأمر الصريح من الله عز وجل: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦]، وكان المشركون يعذبون ويشردون ويذبحون والمسلمون صابرون، بل أمروا ألا يردوا إيذاء، ولا يحملوا سلاحاً، ولا يرفعوا ضيماً، ولا يكسروا صنماً، ولا يسبوا مشركاً، ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، قتل ياسر وقتلت سمية والرسول صلى الله عليه وسلم يمر من أمامهم وهم يقتلون فيكتفي بقوله: (صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة)، ولم يمسك بيد أبي جهل ولم يجمع الصحابة ليقوموا بثورة أبداً.

﴿ثانياً: الثقة بالله تعالى وبوعده:﴾

فقد كان النبي على يقين بأن الله سينصره لا محالة، فخرج للهجرة لا يهاب أحداً ولا يخشى ضرراً، حتى وصل المدينة منتصراً على غرور الكفار ومكرهم..... وفي قصة نجا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في

حادثة الهجرة من مطاردة كفار قريش له ما يؤذي نفس المعنى. فسررد لنا القرآن الكريم القصتين لتعلم منها دروساً عملية للثقة بالله والتوكل عليه.

فهذا نبينا الكريم يحيط به المشركون من كل جانب وهو مع صاحبه في كهف صغير فيدرك الحزن صاحبه أبا بكر رضي الله عنه خوفاً على نبي الله، ويروي لنا القرآن القصة 'إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ'

وقصة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هنا شبيهة بقصة موسى عليه السلام التي وردت في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُوكَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (٦٤) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٦]

١٤ ثالثاً-التضحية الفداء في سبيل تبليغ الدعوة

عباد الله: وقد ظهرت تضحية أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم- واضحة جليلة في مواقفهم وفي انشراح صدورهم لتلك التضحيات فيها لترى كيف كانت تضحياتهم:

١٥ أولاً: التضحية بالنفس:

تأملوا عباد الله في تضحية علي -رضي الله عنه- في ليلة الهجرة وكيف بذل نفسه فداءً لنبيه ولدينه وهو يعرف خطورة الإقدام على المبيت في فراش -سيد البشر -صلى الله عليه وسلم- لقد استل المشركون سيافهم بعدما قرروا أن ينقضوا على الرسول -صلى الله عليه وسلم- ليضربوه ضربة رجل واحد لقد كان علي -رضي الله عنه- يعي ذلك جيداً

قال ابن اسحق: فأتى جبريل عليه السلام، رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه. قال: فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيشون عليه، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم، قال لعلي رضي الله عنه - «نَمْ عَلَى فِرَاشِي وَتَسَجَّ بِرُذِي هَذَا الْحَضْرَمِي الْأَخْضَرِ، فَنَمَ فِيهِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ» (٨٥٦).

٨٥٦ - «سيرة ابن هشام ت طه عبد الرؤوف سعد» (٢/ ٩١)



❦ثانيا: التضحية بالزوجة والولد:

فولد الرجل وزوجته أغلى ما يملك في هذه الحياة ومن أجلها يقدم المرء على المهالك وإن كان فيها حتفه، وعلى الرغم من ذلك من أجل بناء صرح وتأسيس المدينة الفاضلة يهون كل شيء قال ابن هشام: «فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ قُرَيْشٍ، مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ: أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ بْنِ هِلَالِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ، وَاسْمُهُ: عَبْدُ اللَّهِ، هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ قَبْلَ بَيْعَةِ أَصْحَابِ الْعَقَبَةِ بِسَنَةٍ، وَكَانَ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مَكَّةَ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَلَمَّا آذَنَهُ قُرَيْشٌ، وَبَلَغَهُ إِسْلَامُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْأَنْصَارِ، خَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ مُهَاجِرًا» (٨٥٧).

ولنترك لأم سلمة رضي الله عنها، المتخصصة في رواية أحاديث الهجرة، تقص علينا وقائع هذه الملحمة الخالدة، قالت:

«عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ابْنِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ جَدَّتِهِ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ:

لَمَّا أَجْمَعَ أَبُو سَلَمَةَ الْخُرُوجَ إِلَى الْمَدِينَةِ رَحَلَ لِي بِعِيرِهِ ثُمَّ حَمَلَنِي عَلَيْهِ، وَحَمَلَ مَعِيَ ابْنِي سَلَمَةَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ فِي حِجْرِي، ثُمَّ خَرَجَ بِي يَقُودُ بِي بِعِيرِهِ، فَلَمَّا رَأَى رِجَالُ بَنِي الْمُغِيرَةِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنَ مَخْزُومٍ قَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالُوا هَذِهِ نَفْسُكَ غَلَبَتْنَا عَلَيْهَا، أَرَأَيْتَ صَاحِبَتَكَ هَذِهِ؟ عَلَامَ نَتْرُكَكَ تَسِيرُ بِهَا فِي الْبِلَادِ؟ قَالَتْ: فَتَزَعُوا خِطَامَ الْبَعِيرِ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذُونِي مِنْهُ. قَالَتْ: وَغَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ، رَهَطُ أَبِي سَلَمَةَ، فَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ، لَا نَتْرُكُ ابْنَتَنَا عِنْدَهَا إِذْ نَزَعْتُمُوهَا مِنْ صَاحِبِنَا.

قَالَتْ: فَتَجَادَبُوا بَنِي سَلَمَةَ بَيْنَهُمْ حَتَّى خَلَعُوا يَدَهُ، وَأَنْطَلَقَ بِهِ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ، وَحَبَسَنِي بَنُو الْمُغِيرَةِ عِنْدَهُمْ، وَأَنْطَلَقَ زَوْجِي أَبُو سَلَمَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ. قَالَتْ: فَفَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ زَوْجِي وَبَيْنَ ابْنِي. قَالَتْ: فَكُنْتُ أَخْرُجُ كُلَّ غَدَاةٍ فَأَجْلِسُ بِالْأَبْطَحِ، فَمَا أَزَالُ أَبْكِي، حَتَّى أَمْسَى سَنَةً أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا حَتَّى مَرَّ بِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمِّي، أَحَدُ بَنِي الْمُغِيرَةِ، فَرَأَى مَا بِي فَرَحِمَنِي فَقَالَ لِبَنِي الْمُغِيرَةِ: أَلَا تُخْرِجُونَ [١] هَذِهِ الْمُسْكِينَةَ، فَرَّقْتُمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا وَبَيْنَ وَلَدِهَا! قَالَتْ: فَقَالُوا لِي: الْحَقِّي بِزَوْجِكَ إِنْ شِئْتَ. قَالَتْ: وَرَدَّ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ إِلَيَّ عِنْدَ ذَلِكَ ابْنِي. قَالَتْ: فَارْتَحَلْتُ بِعِيرِي ثُمَّ أَخَذْتُ ابْنِي فَوَضَعْتُهُ فِي حِجْرِي، ثُمَّ خَرَجْتُ أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ. قَالَتْ: وَمَا مَعِيَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ. قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَتَبْلُغُ بِمَنْ لَقِيتُ حَتَّى أَقْدَمَ عَلَيَّ زَوْجِي، حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِالتَّنْعِيمِ [٢] لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ بْنَ أَبِي طَلْحَةَ، أَخَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ فَقَالَ لِي: إِلَى أَيْنَ يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ؟ قَالَتْ: فَقُلْتُ: أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ. قَالَ:

أَوْ مَا مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَتْ: فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ، إِلَّا اللَّهُ وَبُنَيَّ هَذَا. قَالَ: وَاللَّهِ مَا لَكَ مِنْ مَتْرَكٍ، فَأَخَذَ بِخِطَامِ الْبَعِيرِ، فَانْطَلَقَ مَعِيَ يَهْوِي بِي، فَوَاللَّهِ مَا صَحَبْتُ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ قَطُّ، أَرَى أَنَّهُ كَانَ أَكْرَمَ مِنْهُ، كَانَ إِذَا بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَنَاخَ بِي، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا نَزَلْتُ اسْتَأْخَرَ بِيَعِيرِي، فَحَطَّ عَنْهُ، ثُمَّ قَيَّدَهُ فِي الشَّجَرَةِ، ثُمَّ تَنَحَّى، عَنِّي إِلَى شَجَرَةٍ، فَاضْطَجَعَ تَحْتَهَا، فَإِذَا دَنَا الرُّوْحُ، قَامَ إِلَى بَعِيرِي فَقَدَّمَهُ فَرَحَلَهُ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي، وَقَالَ: ارْكَبِي. فَإِذَا رَكِبْتُ وَاسْتَوَيْتُ عَلَى بَعِيرِي أَتَى فَأَخَذَ بِخِطَامِهِ، فَقَادَهُ، حَتَّى يَنْزِلَ بِي. فَلَمْ يَزَلْ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِي حَتَّى أَقْدَمَنِي الْمَدِينَةَ، فَلَمَّا نَظَرُ إِلَى قَرْيَةِ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بَقَاءً، قَالَ: زَوْجُكَ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ - وَكَانَ أَبُو سَلَمَةَ بِهَا نَازِلًا - فَادْخُلِيهَا عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ. قَالَ: فَكَانَتْ تَقُولُ: وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْتٍ فِي الْإِسْلَامِ أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَ آلَ أَبِي سَلَمَةَ، وَمَا رَأَيْتُ صَاحِبًا قَطُّ كَانَ أَكْرَمَ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ (٨٥٨)

رابعاً - أداء الأمانة:

من الأخلاق السامية التي نستلهمها من الهجرة النبوية أداء الأمانات إلى أهلها رغم أنهم كانوا من أشد الناس أذية له ولأصحابه ولم لا وهو القائل: ((أدِّ الأمانة لمن ائتمنك، ولا تخن من خانك))، فترك علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في فراشه، وهو أمرٌ عجيب، هؤلاء الناس استباحوا دمه، وأرادوا قتله، بل أدموه وآذوه وطرده، لكنَّه لم يشأ قتلهم، ولم يستبج أموالهم، ولو كلفه ذلك بالمخاطرة بآبائه وعمه، وصدق الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

خامساً - الإخلاص:

إخوة الإسلام: و من أروع صور الإخلاص إخلاص أبي بكر الصديق رضي الله عنه في محبته لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة وفي طريقهما إلى المدينة من الذي له الشأن الأعلى والقدح الأعلى في هجرة رسول الله إلا أبا بكر، يعرض الرسول صلى الله عليه وسلم الهجرة فيبكي فرحاً، يا لله أيكى لأنه سيسير في موكب مهيب؟! لا وربى، بل موكب مطارد مهدر دمه، ولكنها الصحبة والحب، يدخل الغار قبله ويمشي عن يمينه وشماله، فداءً وتضحية، وإقداماً بلا إحجام، فاللهم ارض عنه وجازه عن الإسلام خير الجزاء، واحشرنا معه، وأقر أعيننا برؤياه في جنات النعيم.

سادساً: اليقين بأن العاقبة للتقوى وللمتقين:



و من الأخلاق التي نستلهما من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم اليقين أن الله تعالى ناصر دينه ومعلي كلمته ويظهر ذلك من موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرقة وهو يتبعه ثم يري الله تعالى الآيات والمعجزات على صدق سيد الكائنات صلى الله عليه وسلم فيسلم ويعده النبي بوعد عجيب غريب في ذلك الموقف الرهيب انه يعه سواري كسر عن أبي موسى عن الحسن، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسراقة بن مالك: «كيف بك إذا لبست سواري كسرى؟» قال: فلما أتى عمر بسواري كسرى ومنطقته وتاجه، دعا سراقة بن مالك فألبسه إياها،

وفي وعد الرسول صلى الله عليه وسلم لسراقة بسواري كسرى معجزة أخرى، فالإنسان الذي يبدو هاربا من وجه قومه لا يؤمل في فتح الفرس والاستيلاء على كنوز كسرى، إلا أن يكون نبيا مرسلا، ولقد تحقق وعد الرسول صلى الله عليه وسلم له، وطالب كسرى عمر بن الخطاب بإنفاذ وعد الرسول صلى الله عليه وسلم له حين رأى سواري كسرى في الغنائم، فألبسهما عمر سراقة على ملاء من الصحابة، وقال: «الحمد لله الذي سلب كسرى سواريه وألبسهما سراقة بن جعشم

📖 - سابعا: خلق التفاؤل:

وفي هجرة النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التفاؤل حتى في أصعب الأمور أخطرها قال إِيَّاسُ بْنُ مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ الْأَسْلَمِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ مَرُّوا بِإِبِلٍ لَنَا بِالْجُحْفَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِمَنْ هَذِهِ الْإِبِلُ؟ فَقَالُوا: لِرَجُلٍ مِنْ أَسْلَمَ.

فَالْتَفَتَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: سَلِمْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.
فَقَالَ: مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: مَسْعُودٌ.

فَالْتَفَتَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: سَعِدْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فالذي ينظر في الهجرة بادئ الرأي يظن أن الدعوة إلى زوال واضمحلال.

إذا اشتملت على اليأس القلوب وضاق لما به الصدر الرحيب

ولم تر لانكشاف الضر وجهها ولا أغنى بحيلته الأريب

أتاك على قنوط منك غوث يمن به اللطيف المستجيب

وكل الحادثات وإن تناهت فموصول بها الفرج القريب

📖 ثامنا - التوكل على الله

عباد الله: إن من الأخلاق التي علمتنا إياه هجرة النبي صل الله عليه وسلم التوكل على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب فيها هو إمام المتوكلين يعلمنا كيف التوكل لا التواكل

ولقد كان صلى الله عليه وسلم في رحلة الهجرة الشريفة متوكلاً على ربه واثقاً بنصره يعلم أن الله كافيه وحسبه، ومع هذا كله لم يكن صلى الله عليه وسلم بالمتهاون المتواكل الذي يأتي الأمور على غير وجهها. بل إنه أعد خطة محكمة ثم قام بتنفيذها بكل سرية وإتقان. فالقائد: محمد، والمساعد: أبو بكر، والفدائي: علي، والتموين: أسماء، والاستخبارات: عبد الله، والتغطية وتعمية العدو: عامر، ودليل الرحلة: عبد الله بن أريقط، والمكان المؤقت: غار ثور، وموعد الانطلاق: بعد ثلاثة أيام، وخط السير: الطريق الساحلي. وهذا كله شاهد على عبقريته وحكمته صلى الله عليه وسلم، وفيه دعوة للأمة إلى أن تحذو حذوه في حسن التخطيط والتدبير وإتقان العمل واتخاذ أفضل الأسباب مع الاعتماد على الله مسبب الأسباب أولاً وأخراً. (٨٥٩)

٩-تاسعا: الثبات

إخوة الإيمان: يتجلى خلق الثبات في هجرة النبي صلى الله عليه وسلم عند خروجه من بين جحافل المتربصين به فقد وقفوا على الباب شهروا السيوف ينظرون اللحظة الفارقة التي يقضون فيها على الدعوة والداعية.....

لقد نزل الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطمئنه، ويأمره بالخروج وسط المشركين دون خوف ولا وجل، فسوف يأخذ الله عز وجل بأبصارهم، وخرج الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة المباركة وهو يقرأ صدر سورة يس، من أولها إلى قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩].

وإمعاناً في السخرية من المشركين، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنة من التراب، ووضع جزءاً منها على رأس كل مشرك يحاصر بيته، وهم لا يشعرون، ثم انطلق إلى بيت الصديق رضي الله عنه لاستكمال تنفيذ الخطة، فهي بحمد الله إلى الآن تسير على ما يرام.

كان من الممكن أن يخرج الرسول صلى الله عليه وسلم من البيت قبل قدوم المشركين، لكن الله عز وجل أراد ذلك لإثبات أن الأمر كله بيد الله عز وجل، وأنه دون توفيق الله عز وجل لا يتم أمر من الأمور، وأيضاً ظهرت المعجزة الظاهرة في نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

و لكن يخرج النبي في ثبات تزلزله الجبال وترهبه حجم الباطل وهو هو يقرأ يات من القرآن الكريم ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩].



ثبات النبي صلى الله عليه وسلم حين تقترب الأقدام من ثور قال أبو بكر: والله يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى موقع قدمه لأبصرنا.

فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم مطمئناً له: ﴿ مَا ظَنُّكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ تَاللَّهِ مَا ظَنُّكَ بَاثِنِينَ ﴾.

فهذا مثل الثبات،

عاشرا: الإيثار:

أحبتي في الله: ويتجلى ذلك الخلق الكريم في هجرة النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم عليه فقد استقبله الأنصار وفتحوا له الديار واثروه هو وأصحابه على أنفسهم فقد كانت الأخوة بين المهاجرين والأنصار بلغت ذروتها، وتميزت بالإيثار والتعفف، كان الأنصاري يخبر أخاه من المهاجرين أن يأخذ من أمواله ما يشاء، وكان المهاجري يتعفف أن يطلب بملع وجشع! وصف القرآن الكريم خليقة المهاجرين بقوله: (يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ) وقال في حق الأنصار: (يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ).

- فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((لما قدم المهاجرون المدينة نزلوا على الأنصار في دورهم، فقالوا: يا رسول الله، ما رأينا مثل قوم نزلنا عليهم أحسن مواساة في قليل، ولا أبذل في كثير منهم، لقد أشركونا في المهنة^{٨٦٠}) وكفونا المؤنة، ولقد خشينا أن يكونوا ذهبوا بالأجر كله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كلاً ما دعوتم الله لهم وأتيتهم به عليهم)).^(٨٦١)

- وهذا عبد الرحمن بن عوف ((لما قدم المدينة آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، وعند الأنصاري امرأتان، فعرض عليه أن ينصفه أهله وماله، فقال له: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق...)).^(٨٦٢)

الدعاء.....

^{٨٦٠} - المهنة: ما أتاك بلا مشقة. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١/١٨٤).

^{٨٦١} - رواه الضياء في ((المختارة)) (٢٩٠/٥) من حديث أنس رضي الله عنه. وصححه سننه البوصيري في ((إتحاف الخيرة)) (٣٢٥/٧).

^{٨٦٢} - رواه البخاري (٢٠٤٨) من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

أخلاقيات التعليق على الفيس بوك (٨٦٣)

الخطبة الأولى

الحمد لله المحيب لكل سائل، التائب على العباد فليس بينه وبين العباد حائل.
جعل ما على الأرض زينة لها، وكل نعيم لامحالة زائل.
حذر الناس من الشيطان وللشيطان منافذ وحبائل.
فمن أسلم وجهه لله فذاك الكيس العاقل، ومن استسلم لهواه فذاك الضال الغافل.
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تتره عن الشريك وعن الشبيه وعن المشاكل.
من للعباد غيره؟ ومن يدبر الأمر؟ ومن يعدل المائل؟ من يشفي المريض؟ من يرعى الجنين
في بطن الحوامل؟

من يجيب المضطر إذا دعاه؟ ومن استعصت على قدرته المسائل؟
من لنا إذا انقضى الشباب وتقطعت بنا الأسباب والوسائل؟
لَبَسْتُ ثَوْبَ الرَّجَا وَالنَّاسُ قَدْ رَقَدُوا وَقُمْتُ أَشْكُو إِلَى مَوْلَايَ مَا أَجِدُ!
وَقُلْتُ: يَا عُدَّتِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ وَمَنْ عَلَيْهِ لِكَشْفِ الضَّرِّ اعْتَمِدُ!
أَشْكُو إِلَيْكَ أُمُورًا أَنْتَ تَعْلَمُهَا مَا لِي عَلَى حِمْلِهَا صَبْرٌ وَلَا جَلْدُ!
وَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي بِالضَّرِّ مُبْتَهِلًا إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ مَدَّتْ إِلَيْهِ يَدُ!
فَلَا تُرُدِّتْهَا يَا رَبِّ! خَائِبَةٌ فَبَحْرُ جُودِكَ يَرَوِي كُلَّ مَنْ يَرُدُّ!
ونصلي ونسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلهي لا تعذبني فإني مقر بالذي قد كان مني
ومالي حيلة إلا رجائي وعفوك إن عفوت وحسن ظني
فكم منزلة لي في البرايا وأنت علي ذو فضل ومن
إذا فكرت في ندمي عليها عضضت أناملني وقرعت سني
يظن الناس بي خيرًا وإني لشر الناس إن لم تعف عني

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران/١٠٢]
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا
كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء/١]



﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾
(٦٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿[الأحزاب/٦٩-٧١]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثاتها بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اعلم علمي الله وإياك: أن مواقع التواصل الاجتماعي وخاصة الفيس بوك من أكثر المواقع انتشارا ومن أكثر المرادين مجالسة

والواقع المر أن كثيرا من الرواد وغيرهم لا يلتزمون بروح الإسلام وخاصة عند التعليق على خبر ما ولا يلتزمون بأخلاق الإسلام عند المجادلة أو التعليق لذا رأيت أن ضع عدة نقاط لتكون دستورا للتعليق على الصفحات والمنشورات

أولاً: الالتزام بروح الإسلام عند التعليق وذلك بعدة نقاط

١- حسن الظن وعدم اتهام النيات

أن يحسن المسلم الظن بصاحب المنشور وألا يتدخل في نيته فالنوايا لا يعرفها إلا رب البرايا، قال تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ سورة الحجرات.

قال ابن كثير: يقول تعالى ناهياً عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو التهمة، والتخون للأهل، والأقارب، والناس، في غير محله؛ لأن بعض ذلك يكون إثماً محضاً، فليجتنب كثيراً منه احتياطاً. وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً، وأنت تجد لها في الخير محملاً. (٨٦٤)

وقال سفيان الثوري: الظن ظنّان: أحدهم إثم، وهو أن تظن وتتكلم به، والآخر ليس بإثم، وهو أن تظن ولا تتكلم.

قال الحافظ: المراد ترك تحقيق الظن الذي يضر بالمظنون به، وكذا ما يقع في القلب من غير دليل (٨٦٥)
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. (٨٦٦)

(٨٦٤) - تفسير ابن كثير - ط دار طيبة (٣٧٧ / ٧) رواه أحمد في الزهد كما في الدر المنثور (٥٦٥/٧)

(٨٦٥) - فتح الباري - ابن حجر (٤٨١ / ١٠)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ.

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: لَا أَدْرِي أَهْلَكُهُمْ بِالتَّصْبِ، أَوْ أَهْلَكُهُمْ بِالرَّفْعِ. (٨٦٧)

قال ابن الجوزي رحمه الله: لأنه إنما قال ذلك لأحد معنيين إما للإزراء عليهم والإحتقار لهم وتفضيل نفسه أو للقطع عليهم باستحقاق العقوبة فكأنه يقنطهم من رحمة الله والوجه الثاني بفتح الكاف على معنى هو الذي يحكم عليهم بالهلاك برأيه لا بدليل من أدلة الشرع والأول أظهر وأشهر (٨٦٨)

٢- التجرد وعدم الحزبية:

أن يتجرد المسلم من الحزبية المقتية والعصبية العمياء فبعض المعلقين لا يرى إلا أنفه ولا يسمع إلا نفسه لذا تراه دائماً متحاملاً على الآخرين فهو لا يرى إلا جماعته ولا يرى إلا حزه لذا تراه يتخبط خبط عشواء

قد جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي في غزاة، فكسع رجل من المهاجرين -أي ضرب -رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال رسول الله: «ما بال دعوى الجاهلية؟» قالوا: يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: «دعوها فإنها منتنة». (٨٦٩) (٧)

٣- أن تعلم أن الله تعالى يراك وأن الملائكة تخط ما خطت يداك:

عندما تعلق على منشور ماء لا بد أن تستحضر معية الله تعالى وتعلم أن الله يراك وإنك محاسب عما تخطه يداك فإن ربنا سبحانه وتعالى معنا بعلمه أينما كنا قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَزِلُّ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ سورة الحديد: ٤

رقيب علينا، شهيد على أعمالنا أينما كنا في بر، أو بحر، أو جو، أو ليل، أو نهار، أو حضر، أو سفر، أو بيت، أو قفر، ﴿يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ سورة الأنعام: ٣، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي

(٨٦٦) - أخرجه مالك (٩٠٧/٢)، وأحمد (٢٨٧/٢)، وأحمد (٧٨٤٥)، والبخاري (١٩٧٦/٥)، رقم (٤٨٤٩)، ومسلم (١٩٨٥/٤)، رقم (٢٥٦٣)

(٨٦٧) - أخرجه مالك (٩٨٤/٢) رقم (١٧٧٨) وأحمد (٤٦٥/٢) رقم (١٠٠٠٦) والبخاري في الأدب المفرد (٢٦٧/١) رقم (٧٥٩)، ومسلم (٢٠٢٤/٤)، رقم (٢٦٢٣)

(٨٦٨) - كشف المشكل من حديث الصحيحين (ص: ١٠٢٧)

(٨٦٩) - أخرجه مسلم "١١٣" (١٨٠) وصحيح ابن حبان (٣٣٠ / ١٣)



الصُّدُورُ ﴿سورة غافر: ١٩﴾ سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ
وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ ﴿سورة الرعد: ١٠﴾ هذه معية الله العامة.

اعلم أنك مسؤول عما كتبت أمام الله تعالى
الخط يبقى زماناً بعد كاتبه *** وكاتب الخط تحت الأرض مدفوناً
والذكر يبقى زماناً بعد صانعه *** وخالد الذكر بالإحسان مقروناً
وقال آخر

كتبت وقد أيقنت وقت كتابتي. *** بأن تفنى ويبقى كتابي
فإن كتبت خيراً سأجزى بمثله *** وإن كتبت شراً سألقى حسابي
و قال آخر:

وما من كاتب إلا سيفنى. *** ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء *** يسرك يوم القيامة أن تراه
ثانياً الالتزام بأخلاق الإسلام ويكون ذلك بعدة نقاط:

١- إذا قدم لك معلومة فلا تبخل عليه بالشكر وقولك (جزاك الله خيراً)

إذا أفادك الناشر بمعلومة أو بقصة طريفة فلا تبخل عليه بالشكر والثناء عن أبي هريرة - رضي الله عنه
- قال - صلى الله عليه وسلم - : ((مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ، لَا يَشْكُرُ اللَّهَ)) (٨٧٠)
قال القاضي: "وهذا إما لأن شكره تعالى، إنما يتم بمطاوعته وامتناله أمره وأن مما أمر به شكر الناس
الذين هم وسائط في إيصال نعم الله إليه، فمن لم يطاوعه فيه، لم يكن مؤدياً شكر نعمه، أو لأن من
أخل بشكر من أسدى نعمة من الناس، مع ما يرى من حرصه على حب الثناء والشكر على النعماء،
وتأذيه بالإعراض والكفران - كان أولى بأن يتهاون في شكر من يستوي عنده الشكر والكفران
قال بعض العارفين: "لو علم الشيطان أن طريقاً توصل إلى الله أفضل من الشكر، لوقف فيها، ألا تراه
قال: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ
شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]، ولم يقل: لا تجد أكثرهم صابرين، أو نحوه (٨٧١)
وقال ذو النون المصري - أبو الفيض - : "الشكر لمن فوقك بالطاعة، ولنظيرك بالمكافأة، ولمن دونك
بالإحسان والإفضال" (٨٧٢)

(٨٧٠) - أخرجه أحمد (٢/٢٩٥، رقم ٧٩٢٦)، والطيالسي (ص ٣٢٦، رقم ٢٤٩١)، وأبو داود

(٨٧١) - فيض القدير (١/٦٧٢)

(٨٧٢) - الجامع لأحكام القرآن (١/٣٩٨)

عن ابن عمر أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: « من استعاذكم بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن أتى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فأتوا عليه حتى تعلموا أن قد كافأتموه ». (٨٧٣)

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.
أما بعد:

٢- عدم الانتحال وهو عند نقل المشاركة نسبتها إلى قائلها

وهذا ما نره كثيرا ما ترى أن البعض ينقل الكلام وينسبه إلى نفسه وهذا نوع من السرقة الخفية ان يسرق الانسان جهد غيره وعلمه ثم ينسبه الى نفسه
" السرقة العلمية بمعناها المتعارف عليه ليست مخلة بالآداب فحسب، بل إنها لا تجوز شرعا، لاشتمالها على محظورين:

الأول: الاعتداء على الحقوق المادية والمعنوية للغير، فإن حقوق التأليف والاختراع أو الابتكار مصنوعة شرعا، ولأصحابها حق التصرف فيها، ولا يجوز الاعتداء عليها، كما قرر مجمع الفقه الإسلامي في دورة مؤتمره الخامس ٥١٤٠٩ - ١٩٨٨م

الثاني: الغش والتدليس، وقد قال صلى الله عليه وسلم: من غشنا فليس منا (٨٧٤)
وقال أيضا صلى الله عليه وسلم: المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور. (٨٧٥)(٨٧٦)

(٨٧٣) - السنن الكبرى للبيهقي (٤/ ٣٣٤)

(٨٧٤) - أخرجه الدارمي (٢/ ٣٢٣)، رقم (٢٥٤١)، والقضاعي في الشهاب (١/ ٢٢٨)، رقم (٣٥١)، وابن عدى

(٢٠٧/٧)، وأحمد (٢/ ٥٠)، رقم (٥١١٣)،

(٨٧٥) - أخرجه: البخاري ٤٤/٧ (٥٢١٩)، ومسلم ١٦٩/٦ (٢١٣٠) (١٢٧).

(٨٧٦) - موقع اسلام ويب مركز الفتوى



٣-عدم السب أو الشتم أو التجريح:

عباد الله: ومما هو شائع حتى من بعض الأخيار السب والشتم واللعن أما لصاحب الموضوع وأما تعليقا على الموضوع

وهذا مما لا يليق بك كمسلم لأنه يدخل صاحبه دائرة الفسق

عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ^(٨٧٧) (١٦) ومن لعن مسلماً فكأنما قتله عن ثابت بن الضحاك، وكان من أصحاب الشجرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من حلف على ملة غير الإسلام فهو كما قال، وليس على ابن آدم نذر فيما لا يملك، ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة، ومن لعن مؤمناً فهو كقتله، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله" ^(٨٧٨)

وقد اشتملت سورة الحجرات على آيات كثيرة محذرة من هذا: منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات: ١١)

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن: من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم». ^(٨٧٩)
لم يكن من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم السب والشتم، فعن أنس، قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا، وَلَا لَعَانًا، وَلَا سَبًّا، كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْمَعْتَبَةِ: «مَا لَهُ تَرَبَّ جَبِينُهُ» ^(٨٨٠)
قال زهير:

وَمَنْ يَجْعَلَ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ *** يَفْرَهُ، وَمَنْ لَا يَتَّقِي الشَّتْمَ يُشْتَمَ
وَقَالَ مَالِكُ بْنُ الرَّيْبِ:

وَقَدْ كُنْتُ مُحْمُودًا لَدَى الزَّادِ وَالْقَرَى *** وَعَنْ شَتْمِ ابْنِ الْعَمِّ وَالْجَارِ وَإِنِّيَا

(٨٧٧) - أخرجه أحمد (٣٨٥/١، رقم ٣٦٤٧)، والبخاري (٢٧/١، رقم ٤٨)، ومسلم (٨١/١، رقم ٦٤)

(٨٧٨) - أخرجه أحمد (٣٣/٤، رقم ١٦٤٣٢)، والبخاري (٢٢٤٧/٥، رقم ٥٧٠٠)، ومسلم (١٠٤/١، رقم ١١٠)

(٨٧٩) - أخرجه أحمد (٣٧٩/٢، رقم ٨٩١٨)، والترمذي (١٧/٥، رقم ٢٦٢٧) وقال: حسن صحيح. والنسائي في

الكبرى (٥٣٠/٦، رقم ١١٧٢٦)، والحاكم (٥٤/١، رقم ٢٢)، وابن حبان (٤٠٦/١، رقم ١٨٠)

(٨٨٠) - أخرجه أحمد (١٢٦/٣، رقم ١٢٢٩٦)، والبخاري (٢٢٤٧/٥، رقم ٥٦٩٩).

٤- التماس العذر للنشار

التماس الأعذار للآخرين: كان الحسن البصري يقول: إذا بلغك عن أخيك ما تكره فابحث عن عذر، فإن لم تجد له عذراً فقل: لعل له عذراً. " (٨٨١)
قال أحدهم:

سَامِحْ أَخَاكَ إِذَا وَافَاكَ بِالْغَلَطِ * * * وَاتْرُكْ هَوَى الْقَلْبِ لَا يُدْهِيكَ بِالشَّطَطِ
فَكَمْ صَدِيقٍ وَفِي مُخْلِصٍ لَبِقٍ * * * أَضْحَى عَدُوًّا بِمَا لَقَاهُ مِنْ فُرْطٍ
فَلَيْسَ فِي النَّاسِ مَعْصُومٌ سِوَى رُسُلٍ * * * حَمَاهُمُ اللَّهُ مِنْ دَوَامَةِ السَّقَطِ
أَلَسْتَ تَرْجُو مِنَ الرَّحْمَنِ مَغْفِرَةً * * * يَوْمَ الرَّحَامِ فَسَامِحْ تَنْجُ مِنْ سَخَطِ
٥- التثبت مما ينشر من الأخبار:

و هذا من اخطر الأمور أن ينقل المرء المنشور والخبر دون أن يتثبت من صحة أو كذبه والله تعالى قال ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

فجعل صفة الذي ينقل بلا تثبت جعله فاسقا، وهذا مما جعل هذا الفعل يكرهه كل من في قلبه إيمان لأنه آمن ليخرج من الفسوق، ولهذا سبيل الخلاص من ذلك أن تنقل ما يحتاج في نقله شرعا، وما لا يحتاج إليه فاكتمه، ومن حدث بكل ما سمع فهو أحد الكاذبين أو أحد الكاذبين «وكفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع»



تطهير البلاد من أدران وبؤر الفساد

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي نور بجميل هدايته قلوب أهل السعادة، وطهر بكريم ولايته أفئدة الصادقين فأسكن فيها وداذه، ودعاها إلى ما سبق لها من عنايته فأقبلت منقادة، الحميد المجيد الموصوف بالحياة والعلم والقدرة والإرادة، نحمده على ما أولى من فضل وأفاده، ونشكره معترفين بان الشكر منه نعمة مستفاده.

وأشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلى يوم لقاءه

تعطف بفضل منك يا مالك الورى فأنت ملاذي سيدي ومعيني

لئن أبعدتني عن حماك خطيئتي فأنت رجائي شافعي و يقيني

ولست أرى لي حجة أبتغي بها رضاك إن العفو منك يقيني

وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحببيه

الذي أقام به منابر الإيمان ورفع عماده، وأزال به سنان البهتان ودفع عناده

وشفع في خير الخلائق طرا نبيا لم يزل أبدا حبيا

هو الهادي المشفع في البرايا وكان له رحيم مستجيبا

عليه من المهيمن كل وقت صلاة تملأ الأكوان طيبا

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين

ونحن معهم يا أرحم الراحمين

ثم أما بعد:

أمة الإسلام: نعيش في ذلك اليوم الطيب الميمون مع قضية القضايا التي تشغل بال كثير من الناس إنها

قضية الفساد والإفساد التي أزكمت الأنوف وأفسدت على كثير من الأخيار حياتهم

فسد الزمان وعاثت الأشرار سلم هديت بذا جرت أقدارُ

صبراً على هذا الزمان وأهله إن جار نحوك بالبالأ أو جاروا

واعلم هديت بأننا في آخر من دار دنيا عيشها أكدارُ

طمت حوادثها وعم بلاؤها وإلى مماتٍ ليس عنها فرارُ

فما هو الفساد؟

وما هي أنواعه؟

وما هي صفات المفسدين في القرآن الكريم؟

وما هي نهاية المفسدين؟

الجواب بحول الملك الوهاب:

✍ **العنصر الأول: تعريف الفساد:** إخوة العقيدة: الفساد في أدق عبارة وارق إشارة هو: خروج الشيء

عما كان عليه من الاعتدال والسلامة، قليلا كان الخروج أو كثيرا. والمذموم في القرآن يشمل كل ما يخالف الصلاح ويتعارض مع الشرع من قول أو فعل أو اعتقاد.

قال شيخ الإسلام: ((كل قول أو عمل يبغضه الله فهو من الفساد))

✍ **العنصر الثاني: أنواع الفساد:** واعلموا علمني الله تعالى إياكم ان الفساد ينقسم إلى نوعين و: حسي

ومعنوي، فالحسي كفساد اللحم واللبن والطعام ونحو ذلك، قال عبد الرؤوف المناوي: ((واعلم أن الفساد في الحيوان أسرع منه إلى النبات، وإلى النبات أسرع منه إلى الجماد؛ لأن الرطوبة في الحيوان أكثر)). وكان يقال: الفضائل العلمية تشبه النخل؛ بطيء الثمرة، بعيد الفساد.

✍ **والفساد المعنوي أشد خطرا، وأنتكى ضررا وهو أنواع كثيرة، منها:**

١- فساد في العقيدة والفكر والتصور والإدراك. ٢- فساد في العبادة والعمل.

٣- فساد في السلوك والأخلاق. ٤- فساد في العلوم والمعارف.

٥- فساد في المعاملة والعقود والعلاقات مع الغير. ٦- فساد في النظام والحكم والإدارة.

✍ **العنصر الثالث: ذم الفساد وأهله**

أمة الحبيب الأعظم محمد -صلى الله عليه وسلم- جاء القرآن الكريم ليصلح ما أفسدته الطبائع البشرية وغيرته التروات الشيطانية فالقرآن الكريم كتاب إصلاح فهو يصلح لكل زمان ومكان

لذا نرى القرآن الكريم حارب الفساد والمفسدين قال الله تعالى: **﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾**

[الأعراف: ٥٦، ٨٥]، أي لا تخربوا الدنيا بمعاصيكم، بعد أن أصلحها الله للطاعات وأصلحها الصالحون بها؛ فإن المعاصي تفسد الأرض وما عليها، وتفسد الأعمال والأرزاق، كما أن الطاعات تصلح بها أحوال الدنيا والآخرة.

قال ابن عطية في شرح الآية: ((ألفاظ عامة، تتضمن كل إفساد قل أو أكثر، بعد إصلاح قل أو أكثر، والقصد بالنهي هو على العموم، وتخصيص شيء دون شيء في هذا تحكّم إلا أن يقال على وجهه المثال

((٨٨٢)) (١)



(٨٨٥) - صفة الصفوة" لابن الجوزي ٧٨/٤

فهؤلاء المنافقون أفسدوا أنفسهم بأعظم الفساد، وهو الكفر والنفاق، وأفسدوا الناس بالتعويق عن الإيمان والتشيط عن الحق وتشويش أفكارهم بقلب الحقائق، وأفسدوا المجتمع بنشر العداوات وتسعير الفتن، وسعوا في الأرض الفساد حيث تولوا الكفار وأظهروا لهم أسرار المؤمنين وأغروهم بقتالهم. ثم زعموا أن إفسادهم هذا إصلاح، بل زعموا أنهم وحدهم هم المصلحون، فجمعوا بين فعل الفساد واعتقاده حقا والدعوة إليه، ولذلك أكد الله على أنهم هم المفسدون بأبلغ أسلوب وأوثق تأكيد، فليس بعد فسادهم فساد، ولكن من حمقهم لا يستشعرون ولا يستحيون من الله.

قال الإمام ابن القيم: ((نفى علمهم بسفهم وشعورهم بفسادهم، وهذا أبلغ ما يكون من الذم والتجهيل: أن يكون الرجل مفسدا ولا شعور له بفساده ألبته، مع أن أثر فساد مشهور في الخارج مرئي لعباد الله، وهو لا يشعر به، وهذا يدل على استحكام الفساد في مداركه وطرق علمه، ... فإذا كان بهذه المترلة وهو لا يعلم بحاله كان من أشقى النوع الإنساني، ... ونفي الشعور عنه بالفساد الواقع منه متضمن لفساد آلات إدراكه، فتضمنت الآيتان الإسجال عليهم بالجهل وفساد آلات الإدراك، بحيث يعتقدون الفساد صلاحا والشر خيرا)) (٨٨٦)

❦ ذم الفساد أهله على لسان مصلح الثقلين محمد - صلى الله عليه وسلم -:

أما إذا انتقلنا إلى السنة المطهرة فهي قرينة القران وهدفها الأسمى إصلاح البلاد والعباد لذا: عباد الله حارب النبي الفساد والمفسدين وشنع عليه في غير ما موطن من سنته المطهرة تنوعت دلالات سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - على ذم الفساد والتحذير منه ومن أهله، ومن ذلك: عن أبي هريرة: عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بمثله نحو حديث الثوري عن كعب بن مالك قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا ذُبَّانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ) (٨٨٧)

قال ابن رجب الحنبلي: ((فهذا مثل عظيم جدا، ضربه النبي - صلى الله عليه وسلم - لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا، وأن فساد الدين بذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين ضاريين يأتيان في الغنم، وقد غاب عنها رعاؤها ليلا، فهما يأكلان في الغنم ويفترسان فيها. ومعلوم أنه

(٨٨٦) - بدائع الفوائد ١٥٤١/٤

٨٨٧ - وأخرجه عبد الله بن المبارك في "الزهد" ١٨١ "زيادات نعيم بن حماد، ومن طريقه أحمد ٤٦٠/٣، والترمذي "٢٣٧٦" في الزهد: باب رقم "٤٣"، والطبراني في "الكبير" ١٨٩/١٩، والبغوي "٤٠٤٥" وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (٥٦٢٠).



لا ينحو من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين والحالة هذه إلا قليل، فأخبر النبي -صلى الله عليه وسلم - أن حرص المرء على المال والشرف إفساد لدينه، ليس بأقل من إفساد الذئبين لهذا الغنم ((

و لقد بين لنا الحبيب - صلى الله عليه وسلم ان مدار سعادة المرء في الدنيا والآخرة مبناه على صلاح القلب عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - : قال سمعتُ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: وأهوى النعمان بإصبعيه إلى أذنيه: « ألا وإنَّ في الجسد مضغة، إذا صلحت صلحَ الجسدُ كله، وإذا فسدت فسدَ الجسدُ كله، ألا وهي القلبُ». أخرجه البخاري ومسلم

فعلم عباد الله: أن فساد أعمال الجوارح تابع لفساد القلب، وفساده باستيلاء الهوى والشهوة أو الشك والشبهة عليه، وبحسب فساده تفسد الأعمال وتنبعث الجوارح للفساد؛ لأن القلب ملك الأعضاء، وفساد الملك تفسد الرعية. فمعنى الحديث أن فساد الظاهر أو صلاحه تابع لفساد الباطن أو صلاحه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((إن العقول إذا فسدت لم يبق لضالها حد معقول))" (٨٨٨)

وقال ابن القيم: ((أما الفساد المعنوي فهو تابع لفساد القلب؛ فإن القلب إذا فسد فسدت العين والأذن واللسان)) (٨٨٩)

و ها هو المعصوم - صلى الله عليه وسلم- بين لنا أهمية صلاح النيات وأبو عبد ربّه، قال: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: "الْأَعْمَالُ كَالْوِعَاءِ، إِذَا طَابَ أَعْلَاهُ طَابَ أَسْفَلُهُ، وَإِذَا فَسَدَ أَعْلَاهُ فَسَدَ أَسْفَلُهُ" (٨٩٠)

و علموا عباد الله ان الله تعالى لما شرع الجهاد في سبيله لم يشرعه للفساد والتدمير وإنما شرعه ليكون أداة إصلاح لما أفسدته الطوائع البشرية فاذا تخطى الجهاد الغاية التي من أجلها شرع كان إفسادا وفسادا عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْعَزْوَ غَزْوَانِ، فَأَمَّا مَنْ ابْتَغَى وَجْهَ اللَّهِ، وَأَطَاعَ الْإِمَامَ، وَأَتَّقَى الْكَرِيمَةَ، وَيَأْسَرَ الشَّرِيكَ، وَاجْتَنَبَ الْفَسَادَ، فَإِنَّ نَوْمَهُ وَنُبْهَهُ أَجْرٌ كُلُّهُ، وَأَمَّا مَنْ غَرَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَسُمْعَةً، وَعَصَى الْإِمَامَ، وَأَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرْجَعْ بِالْكَفَافِ». (٨٩١)

(٨٨٨) - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية " ٣٥٧/٢.

(٨٨٩) - الداء والدواء لابن القيم ص ٤٩٥.

(٨٩٠) - صحيح ابن حبان - محققا (٢/ ٥١) وأخرجه ابن ماجه "٤١٩٩"

(٨٩١) - أخرجه أبو داود (٢٥١٥)، والطبراني في "الكبير" ٢٠ / (١٧٦)، وفي "الشاميين" (١١٥٩)، والحاكم ٨٥/٢،

والبيهقي ١٦٨/٩ صحيح الجامع: ٤١٧٤، الصحيح: ١٩٩٠

﴿العنصر الرابع: صفات المفسدين في القرآن الكريم: لقد عدد القرآن الكريم صفات المفسدين في

الأرض وحذر منها لأن فيها إفسادا للأرض بعد صلاحها نذكر منها

أيها الآباء وأيها الإخوة والأعزاء في هذا اللقاء طرفا منها

﴿الصفة الأولى: سفك الدماء: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ

فِيهَا مَنْ يَفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَتُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿

[البقرة: ٣٠]

و سفك الدماء والاستهتار بأرواح الأبرياء صفة من صفات الفراعنة الذين اقتصروا في الأرض فسادا

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُمْ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَتَّبِعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ

إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً

وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿[القصص: ٤، ٥]

و سفك الدماء صفة من صفات اليهود قتلت الأنبياء والأبرياء قال رب الأرض والسماء ﴿وَقَالَتِ

الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ

كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿

[المائدة: ٦٤]

﴿الصفة الثانية: الاعتداء على المال العام: فتلك من صفات المفسدين يعتدون على المال العام إما

بالسرقة أو النهب أو التزوير أو المحاباة وكلها من صور الفساد التي تضر العباد والبلاد ﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا

عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ (٧١) قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢)

قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿[يوسف: ٧١ - ٧٣]

﴿الصفة الثالثة: ترويع الآمنين وزعزعت أمن البلاد والعباد: ومن أخطر تلك الصفات التي عمت

وطمت ترويع الآمنين وزعزعت امن البلاد والعباد ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا

وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ

فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ

بَالْعِبَادِ (٢٠٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ



مُيِّنَ (٢٠٨) فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٩﴾

لذا شرع الله تعالى محابة هؤلاء المفسدين فقال رب العالمين: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣، ٣٤]

فحرّم المصطفى - صلى الله عليه وسلم - تخويف المسلم وترويعه، ونهى عن إدخال الرعب عليه بأي وسيلة، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يسيرون مرة مع النبي في سفر، فاستراحوا ونام رجل منهم، فقام بعضهم إلى حبل معه فأخذه، وأمره على جسد أخيه النائم ففزع، فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى حدثنا أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - أنهم كانوا يسيرون مع النبي - صلى الله عليه وسلم -، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه، ففزع، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "لا يحل لمسلم أن يروّع مسلماً" (٨٩٢)

ونهى عن الإشارة بالسلاح فعن ابن سيرين، سمعت أبا هريرة، يقول: قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى يَدْعُهُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ» (٨٩٣) فهذا تحذير من الإشارة بأي آلة مؤذية قد تؤدي الإشارة بها إلى القتل، كالسكين والآلات الأخرى الحادة، حتى لو كانت الإشارة مجرد مزاح، وفي هذا تأكيد على حرمة المسلم،

الصفة الرابعة: قطيعة الأرحام:

و من الفساد الاجتماعي الذي يذر المجتمع ممزقاً متحاسداً متباغضاً قطيعة الأرحام التي أمر رب الأنام بصلتها قال الله تعالى وهو يصف المفسدين ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧]

فالقطيعة سبب الخسران في الدنيا والآخرة، و هي أيضا سبب اللعن والطرود من رحمة الله ودخول جهنم والعياذ بالله قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥]

(٨٩٢) - سنن أبي داود ت الأرئوط (٧ / ٣٥٢) "مسند الشهاب" (٨٧٨)، والبيهقي في "السنن" ١٠ / ٢٤٩، وفي "الآداب"

(٤١١)

(٨٩٣) - أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب البر والصلة والآداب - باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم - ٤ / ٢٠٢٠ رقم

(١٢٥)

الصفة الخامسة: الغدر والخيانة

ومن أحسن صفاتهم عباد الله: أنهم أهل غدر وخيانة يتلونون كما تتلون الحرباء ويلبسون للناس جلود الضأن وقلوبهم قلوب ذئاب فكم جر هؤلاء على الأمة من الويلات والتراعات من أجل نزواتهم قال الله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٧]

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

الصفة السادسة: الصد عن سبيل الله: ومن صفات المفسدين أنهم لا يسعون للخير ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر وإنما دأبهم الصد ومحابة الفضيلة ونشر الرذيلة قال الله تعالى ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُوهَا عِوَجًا وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٨٦]

إلا أن هؤلاء المفسدين لا يتبعون غير هذا السبيل، ولا يحرصون إلا عليه، وما أقبح فعلهم الذي فاق كل مخالفة: ﴿وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفِّرَ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

ولئن اختلف أهل الباطل فيما بينهم إلا أنهم تتوحد همهم على المؤمنين في هذا المضمار، ويتجمع شتاتهم عليهم؛ صدا لهم عن سبيل الله الذي أمرهم بلزومه، فها هم أهل الكتاب من يهود ونصارى على اختلاف بينهم يتفقون على بغض أهل الإيمان إلا أن يدخلوا في دينهم: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا



النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَكِنَّ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ [البقرة: ١٢٠]، وهم يريدون أن يحرفوا المؤمنين عن عقيدتهم - لا سيما الداخلين حديثاً في دين الله الراغبين فيما عنده سبحانه - فيقول فيهم الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٩].

وللمرء أن يعجب كيف يصرون على هذا الصد وهم يعلمون الحق واضحاً جلياً - لا سيما كبارهم -: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

و من صور الصد عن سبيل الله - الإعراض عن أحكام الشرع، والاعتراض عليها، والتشكيك فيها، أو السعي لعلمنتها، وتحريفها عن معانيها.

إذا دُعُوا إِلَى التَّحَاكُمِ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالتَّسْلِيمِ لَهَا، والانقياد إليها، فروا وصدُّوا ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١] وإذا كان لهم مصلحة في الأخذ بالكتاب والسُّنة، رأيتَ المواعظ الثعلبية، والاستشهاد بالآيات القرآنية؛ ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور: ٤٨، ٤٩]

هؤلاء الذين لم يدخلوا في السُّلم كافة، ولم يستسلموا لأحكام الله عامّة، يصدُّون عن السبيل!!! متى؟ ترى الواحد من هؤلاء لا يُعرَف بالعلم، وليس هو من أهل الاختصاص فيه، والتضلع في فنونه، ومع ذلك يقتحم ميدان الشرع بلا علم، ويجعل لنفسه حقَّ الاجتهاد، والنظر في المسائل الشرعية، ثم يُردّد على المعارضين بمواعظ، من أمثال: لا رهبانية في الإسلام، وليس الدين حِكراً على أحد، وهم رجال ونحن رجال.

يبحثون في التراث عن القول الشاذ؛ لحاجة في صدورهم، فإذا وجدوه أبرزوه وأظهروه، ورفعوا من شأنه، وأقنعوا بعدها الآخرين أن منطلقاتهم شرعية، وأنهم لا يخالفون الكتاب والسُّنة، وأن لهم سلفاً في قولهم؛ فيغتر بهم بعد ذلك من يغتر، ويُترك القول الصحيح، ويقلُّ العمل به، وهل هذا إلا صدٌّ عن سبيل الله؟!

🔷 **الصفة السابعة: تشويه صورة الحق وأهله:** هذا الفعل له ما بعده من الأفعال؛ من جرأة السفهاء، وتسافل الجهلاء على أهل العلم، ودُّعاة الحق، وإحداث البلبل داخل المجتمع بعد ذلك.

وهذا أسلوب عرفناه من قُدماء المنافقين، لقد حضرَ المنافقون مشاهدَ الجهاد، ولكن لم يكن حضورُهم لرفعِ راية الدين؛ وإنَّما لزراعة صفوف المؤمنين، وخلخلتها من داخلها؛ قال - سبحانه - عن المنافقين: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧].

ونحن اليوم نرى بعض مَرْضَى القلوب يحضرون مجالس العلم، أو يسمعون ندواتهم، لا للاستفادة منها، أو نشر الخير الذي فيها؛ وإنَّما لتصيد كلمة حَمَّالة، أو بتر عبارة من سياقها؛ ليزاد عليها بعد ذلك، ثم تُبَث وتُنشَر على أنَّها من قول هذا العالم أو الداعية؛ كل ذلك لتشويه صورته وتجهيله وتقزيمه. ويزداد الأمر سفالةً حين يستخدم هؤلاء أسلوب التحريض، ولغة الوشاية ضدَّ أهل العلم والاحتساب. لقد عرفنا قديمًا غمزاتِ المنافقين ولمزاتهم ضدَّ أهل العلم من الصحابة، حين قالوا: ما رأينا مثل قرأنا هؤلاء، أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء. وها نحن اليوم نرى صوت النفاق يسلق بحدَّةِ أهل العلم، ويصفهم بالتشدد والرجعية، والتزمت والظلامية. إن الغمزَ واللمز في العلماء ليس طعنًا في ذواتهم، بل هو طعنٌ للعلم الذي أخذوه وورثوه من نبيهم - صلى الله عليه وسلم. فتشويه صورتهم، وإسقاط كلمتهم، إنَّما هو في الحقيقة إسقاط للحق الذي معهم ويقولون به.

تحذير الأجيال من خطورة الإهمال (٨٩٤)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي نور بحمिल هدايته قلوب أهل السعادة، وطهر بكريم ولايته أفئدة الصادقين فأسكن فيها وداده، ودعاها إلى ما سبق لها من عنايته فأقبلت منقادة، الحميد المجيد الموصوف بالحياة والعلم والقدرة والإرادة، نحمده على ما أولى من فضل وأفاده، ونشكره معترفين بان الشكر منه نعمة مستفاده. واشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلى يوم لقاءه
تعطف بفضل منك يا مالك الورى فأنت ملاذي سيدي ومعيني
لئن أبعدتني عن حماك خطيئي فأنت رجائي شافعي ويقيني



ولست أرى لي حجة أبغي بها رضاك إن العفو منك يقيني

وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحببيه

الذي أقام به منابر الإيمان ورفع عماده، وأزال به سنان البهتان ودفع عناده

وشفع في خير الخلائق طرا نبيا لم يزل أبدا حبيا

هو الهادي المشفع في البرايا وكان له رحيم مستجيبا

عليه من المهيمن كل وقت صلاة تملأ الأكوان طيبا

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين

ونحن معهم يا أرحم الراحمين

ثم أما بعد:

أمة الحبيب الأعظم ماذا أقول والفواجع مؤلمة والمصائب جمة؟

ماذا يخطط بناني ؟

و ماذا يقول لساني ؟

في أقل من ثلاثة أيام مُني الشعب المصري بعدة حوادث الحادث الأول حادث سوهاج حيث ماتت

فتيات في سن الظهور في حادث سير مؤلم ولم تمض عليه إلا ساعات وحدث حادث البحيرة المريع

الذي يدمي القلوب ويدمع العيون أبناء وبنات كانوا عماد ظهور آبائهم وأمهاتهم كانوا قرة اعين لهم

كان الآباء والأمهات والأبناء والبنات يؤملون مستقبل مليء بالنجاح والأفراح ولكن:

ما كل ما يتمناه المرء يدركه تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن

فإن قلت ما هو سبب تلك الفواجع وما هو سبب تلك الحوادث؟

الجواب في كلمة واحدة

إنه: الإهمال الذي أصبح سجية عند كثير من أبناء ذلك المجتمع

إهمال في الأسرة

إهمال في المدرسة

إهمال في الطرق والمواصلات

إهمال الراعي لرعيته

تُرى ما هو ذلك العدو اللدود الذي يسمى بالإهمال؟

وما هي صورته ؟

وما هي عقوبة الماهمل في الشرع ؟

هذا ما سنحاول بيانه بحول الله تعالى وطوله
أمة الإسلام:

١-تعريف: الإهمال: التَّركُ عَنْ عَمْدٍ أَوْ نِسْيَانٍ، وَيُقَالُ: أَهْمَلَهُ إِهْمَالًا إِذَا خَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ، وَيَأْتِي عِنْدَ الْفُقَهَاءِ بِمَعْنَى التَّركِ

الإهمال هو نوع من الضرر أو الجرم، جنائياً كان أم مدنياً، يستحق عقوبة جزائية. والإهمال يستشري في الدول المتخلفة لغياب الوازع أو الرادع.

و هو أيضا سلوك سلبى ناشئ عن إخلال الجاني بواجبات الحيطة والحذر التي تفرضها قواعد الدين والقانون او الخبرة الإنسانية

٢- صور الإهمال وخطورتها:

١- الإهمال الأسري: فكم وكم نرى من أباء وأمّهات يهملون أبناءهم ويتركونهم للأفلام والمسلسلات وللمواقع الهابطة التي تربي في نفسة الأبناء الأخلاق المدمومة وتحبب اليهم الجرائم والفواحش وربما تجره إلى الإلحاد والمخدرات فكم من أبناء حادوا عن الصراط المستقيم ولتأمل أضرار الإهمال الأسري:

١-انتشار الفواحش والأمراض الأخلاقية في المجتمع

فكل آفة يراها الناس في طريق المسلمين، وكل خلق سيئ انتشر في بلادهم، وكل مرض أخلاقي أصاب شبابهم، سببه الأول هم الآباء الذين أهملوا تربية أبنائهم وبناتهم، وقصروا في صيانتهم وحفظهم عن الشرور والأخلاق الذميمة

٢-ظهور العقوق والتفكك الأسري

ومن الأمراض المنتشرة ظهور عقوق الوالدين وتفكك الأسر، وهذا من أثار إهمال تربية الأولاد، وقد قال بعض أهل العلم إن الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده فإنه كما أن للأب على أبنه حقاً فللابن على أبيه حق، فكما قال تعالى: **(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا) (العنكبوت: ٨)** قال تعالى: **(قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) (التحريم: ٦)**.

قال ابن القيم معلقاً على قوله: « فوصية الله للآباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بآبائهم ... فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم



ينفعوا آباءهم كبارا كما عاتب بعضهم ولده على العقوق فقال يا أبت إنك عقتني صغيرا فعقتك كبيرا وأضعنتي وليدا فأضعنتك شيخا»

٣- انحطاط الأمة الإسلامية وذلها لأعداء الدين

وما أصاب المسلمين في العصور المتأخرة من ذل وصغار أما المشركين والكفار، إلا لأنهم ابتعدوا عن تعاليم دينهم عن عقائده الصحيحة وأخلاقه القويمة، ولأن التمكين في الأرض منحة ربانية يهبها الله تعالى لمن يشاء وينتزعها ممن يشاء، حسب الأسباب المقتضية لها، فأعز الله تعالى المسلمين لما كانوا قائمين على الإسلام، فلما تخلوا عنه تخلى الله عنهم وعاقبهم، قال تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)** (الرعد: ١١)، وإذا أردنا أن نرجع إلى هذا الدين عزته وكرامته فما علينا إلى أن نرجع إلى ديننا وأن نربي الأجيال الناشئة عليه، وقد قال مالك بن أنس: " لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها". (٨٩٥)

٤- ظهور أخطاء تربوية شنيعة

ومما يجعل المسلم يدرك أهمية التربية أن يعلم أن المسلمين -وقد يكون هو واحدا منهم- واقعون في أخطاء تربوية كثيرة، لا تعلم ولا تدرك إلا بتعلم المنهج التربوي النبوي، ومن هذه الأخطاء: الإفراط في استعمال التخويف الذي يربي الأولاد على الجبن والضعف، وإهمال التعليم واللجوء إلى أساليب العقاب التي فهي عنها شرعا، والتربية على الميوعة والليونة، وعدم مجالسة الأولاد، وعدم العدل بين الأولاد في العطية، وإظهار التسخط بالبنات، وتسمية الأولاد بالأسماء السيئة وتلقيبهم بالألقاب الشنيعة أو الرخوة، والتدخين والتلفظ بالكلام غير اللائق أمامهم، وعدم مراقبة ما يشاهدونه من برامج تلفزيونية، والتساهل في سماع الغناء، والتساهل في أمر اللباس المخالف للشرع، والدعاء على الأولاد بالشر وغيرها كثير مما سيأتي بيانه في هذه السلسلة.

كيد أعداء الأمة في هذا الميدان: ومما يبين لنا أهمية التربية أن أعداء الإسلام والمسلمين من يهود ونصارى وغيرهم، قد اعتمدوا منذ القديم أسلحة كثيرة في حربهم ضد المسلمين، والسلاح الذي لم يتخلوا عنه ولم يتركوه حتى في أيام السلم هو سلاح إفساد العقائد ومسخ الأخلاق، لذلك فهم يسعون جاهدين لنشر الأفكار الهدامة من العقائد الضالة والردائل وإبعاد المسلمين عن دينهم، وذلك عبر أربع نقاط أساسية ضمن خطة متكاملة:

١- نشر الفساد عبر وسائل الإعلام المختلفة المكتوبة والمسموعة والمرئية.

٢- إفساد الأنظمة التعليمية وعرقلتها، ونشر البرامج التعليمية المعمّقة للجهل والمبعدة للنشء عن حقائق الدين وعن الأخلاق الفاضلة.

٣- إفساد الروابط الأسرية وضرب استقرار البيوت بطرق أهمها إخراج المرأة من بيتها وإغرائها بمظاهر المدنية والحضارة الزائفة باسم حقوق المرأة والحرية والمساواة مع الرجل.

٤- وأخيرا الاجتهاد في إبعاد المسلمين عن التربية الدينية، والسعي إلى تحجيم دور المؤسسات الدينية وتطويقها حتى لا تؤدي دورها في هذا المجال.

٣- الإهمال والطرق والمواصلات من أخطر صور الإهمال التي توجهنها في كل ساعة من الساعات الإهمال في الطرق والمواصلات وإذا أردت أن تقف على خطورة ذلك فاسمع عدد الحوادث والضحايا التي تحدث في المواصلات

* تحتل مصر المرتبة الأولى عالمياً حوادث الطرق، بحسب إحصائيات منظمة الصحة العالمية، ويبلغ عدد الوفيات الناجمة عنها ١٢ ألفاً، فيما بلغ عدد المصابين ٤٠ ألفاً في نهاية عام ٢٠١٢.

ويتراوح المعدل العالمي لقتلى حوادث الطرق لكل ١٠ آلاف مركبة، ما بين ١٠ و١٢، لكنه يصل في مصر إلى ٢٥، أي ضعف المعدل العالمي، وأيضا يبلغ عدد قتلى حوادث الطرق لكل ١٠٠ كم في مصر ١٣١ قتيلاً، في حين أن المعدل العالمي يتراوح ما بين ٤ و٢٠ قتيلاً، أي أن المعدل في مصر يزيد على ٣٠ ضعف المعدل العالمي، وأيضا فإن مؤشر قسوة الحادث يوضح أن مصر يحدث بها ٢٢ قتيلاً لكل ١٠٠ مصاب، في حين أن المعدل العالمي ٣ قتلى لكل ١٠٠ مصاب.

١- صور الإهمال في المواصلات

١- كسر إشارة المرور من الإهمال تعدي إشارة المرور كسرهما وهذا قد يسبب في إرباك حرك المرور ويؤدي إلى مالا يحمد عقباه وهو عبارة عن استهتار بالأرواح وتعدي للقوانين التي وضعها ولي الأمر فهو فعل محرم شرعا

« إن المتخطي والمستخف بإشارة المرور آثم، والمتجاوز لها عاص ويتحمل وزراً»، ودعا المفتي الناس لترويض أنفسهم على الأدب واحترام إشارات المرور وعدم العبث بها، حتى لو كانت الشوارع خالية.

٢- السير عكس الاتجاه: ومن الأخطاء والمخالفات التي يرتكبها بعض السائقين السير عكس الاتجاه وهذا من الأمور التي يعاقب عليها القانون بالغرامة والحبس ففي القانون المصري: تنص المادة ٧٦ من قانون المرور الجديد بالحبس والغرامة من ١٢٠٠ إلى ٣٠٠٠ جنية

٣- عدم الالتزام بالسرعة المحددة: من الإهمال التي تجلب المصائب وتزهق النفوس عدم التزام السائق بالسرعة المحددة له وإنك ترى طيش كثير من السائقين حيث إنهم يسرون بسرعة جنونية ويخالفون



بذلك القوانين المرورية التي تحدد السرعة للسائقين وليس تحديد السرعة أمر اعتباريا وإنما هو أمر جد خطير فالسائق الذي يقود السيارة يحمل معه أرواحا واجب عليه أن يحافظ عليها وهي أمانة بين يديه وهو مسؤول عنها أمام الله تعالى - كذلك هناك أرواح تسير على الأرض، و تعال لنرى إحصائيات حوادث المرور لنعلم أن كل ذلك بسبب الخروج عن القوانين التي سنها ولي

❏ ومن صور الإهمال العفو عن أخطاء المستهترين بالأرواح مما يجعله يستهين ويهمل لانه يعلم انه لا عقاب فمن امن العقاب أساء الأدب

❏ ومن صور الإهمال عدم الحزم مع كثير من السائقين الذين يتعاطون المخدرات والمنشطات فحسب الدراسات التي أجراها مركز بحثي، علي عينه عشوائية على عدد ٢٠٠٠ سائق يحملون رخص قيادة، وجاءت النتيجة أن ٩٠ ٪ منهم يتعاطون المخدرات أثناء قيادة السيارات.

فماذا تكون النتيجة؟

حوادث مفزعة وإزهاق لأرواح الأبرياء وإضاعة للأموال

٤- إهمال ولي الأمر ومن دونه للرعية وعدم الإحساس بالمسؤولية أمام الله تعالى

عباد الله، إن من كمال هذه الشريعة اهتمامها بجميع شؤون الحياة التي تتعلق بالإنسان، ولهذا أمرت كل فرد القيام بمسئوليته على قدر موقعه ومكانته، في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال: "كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ". (٨٩٦)

أيها المسلم، في هذا الحديث يبين صلى الله عليه وسلم كثيرا من أصناف المسئولين عن رعاية المجتمع المسلم:

فبدأ بالإمام، والإمام كل من يقتدى به، وكل مسئول قل مسئوليته أو كثرة، ولاشك أن الإمام العام هو أولى بتلك المسؤولية لكمال مكانته وعلو شأنه.

فالإمام العام وهو المسئول عن الأمة، ومسئول عن رعيته عن شؤون رعيته، فيسوسهم سياسة حكيمة في شؤونهم وأمورهم سياسة تفرض من الصلاح قدر الاستطاعة.

ومن حق الرعية عليه: حل مشاكلهم، وما يواجهونه وما يعانونه من مشكل حل هذه المشكل بقدر الاستطاعة والإمكان.

(٨٩٦) - أخرجه مالك في "الموطأ" (٩٩٢) (رواية محمد بن الحسن)، ومن طريق مالك أخرجه البخاري في "صحيحه"

(٧١٣٨)، وفي "الأدب المفرد" (٢٠٦)، وأبو داود (٢٩٢٨)

ومن حقهم عليه: تأمين حاجاتهم كلها، حاجة حياتهم والسعي في تحقيقها وتسهيل المهمة قدر ما استطاع.

ومن حقهم عليه: أن يسوسهم بالعدل في المعاملة والرعاية، ولا يفرق بينهم بغير سبب شرعي، فإن العدل سبب لصالح المجتمع، والعدل سبب لصالح الأمة وانتظام الدولة وشؤونها، وبالعدل تآلف القلوب وتجتمع الكلمة ويقل الشر والفساد.

و الذي يتأمل حال كثير من مؤسسات الدولة يجد أن الإهمال ضارب بجذوره متغلغل فيها فاين ولاة الأمر من تقصير الموظفين

أيها المسئول في جميع دوائر الدولة، كل مسئول، الوزير مسئول في وزارته، والمدير في إدارته، وكل مسئول عن مهمته

عن الحسن، أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ عَادَ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحْطُهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ. (٨٩٧)

قصص عن تحمل المسؤولية وعدم إهمال الراعي لها:

الرقابة الذاتية على نفسه ومحاسبتها: وعن داود بن علي قال: قال عمر رضي الله عنه "لو ماتت شاة على شط الفرات ضائعة، لطننت أن الله عز وجل سائلي عنها يوم القيامة. وعن عبد الله بن عمر قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لو مات جدي بطف الفرات لخشيت أن يحاسب الله به عمر.

وعن علي رضي الله عنه قال: "رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قتب يعدو، فقلت: "يا أمير المؤمنين أين تذهب؟ قال: "بغير نَدٍّ من إبل الصدقة أطلبه" فقلت: "لقد أذلت الخلفاء بعدك، فقال: "يا أبا الحسن لا تلمني فوالذي بعث محمداً بالنبوة لو أن عناقاً أخذت بشاطئ الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة" (٨٩٨)

وقد كان الخليفة العباسي المأمون يُخَصِّصُ يوم الأحد من كل أسبوع للنظر في المظالم، وفي يوم من أيام جلوسه جاءته امرأة في ثياب رثة "ف قالت:

يَا خَيْرَ مُنْتَصِفٍ يُهْدَى لَهُ الرِّشْدُ وَيَا إِمَامًا بِهِ قَدْ أَشْرَقَ الْبَلَدُ
تَشْكُو إِلَيْكَ عَمِيدَ الْمُلْكِ أَرْمَلَةً عَدَا عَلَيْهَا فَمَا تَقْوَى بِهِ أَسَدُ

(٨٩٧) - أخرجه البخاري (٩/ ٦٤) رقم ٧١٥٠؛ ٧١٥١ ومسلم ٢٢٩؛ ٢٢٧٢٢٨ (١٤٢)

(٨٩٨) - ابن الجوزي: مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ص ١٦١.



فَابْتَزَ مِنْهَا ضِيَاعًا بَعْدَ مَنْعِهَا لَمَّا تَفَرَّقَ عَنْهَا الْأَهْلُ وَالْوَلَدُ

فأطرق المأمون يسيراً ثم رفع رأسه وقال:

مِنْ دُونِ مَا قُلْتَ عَيْلَ الصَّبْرِ وَالْجَلْدَ وَأَقْرَحَ الْقَلْبَ هَذَا الْحُزْنَ وَالْكَمْدُ

هَذَا أَوْ أَنْ صَلَاةَ الظُّهْرِ فَأَنْصِرْ فِي وَأَحْضِرِي الْخَصْمَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَعِدُّ

الْمَجْلِسُ السَّبْتُ إِنْ يُقْضَى الْجُلُوسُ لَنَا أَنْصِفْكَ مِنْهُ وَإِلَّا الْمَجْلِسُ الْأَحَدُ

فانصرفت وحضرت يوم الأحد في أوّل النَّاسِ، فقال لها المأمون: من خصمك؟ فقالت: القائم على رأسك العباس بن أمير المؤمنين (ابنه)، فقال المأمون لقاضيه يحيى بن أكتم: أجلسها معه وانظر بينهما. فأجلسها معه، ونظر بينهما بحضرة المأمون، وجعل كلامها يعلو، فزجرها بعض حجّابه، فقال له المأمون: دعها فإنّ الحقّ أنطقها والباطل أخرسه، وأمر بردّ ضياعها عليها، ففعل المأمون في النّظر بينهما حيث كان بمشهدده، ولم يباشره بنفسه لما اقتضته السّياسة؛ من وجهين: أحدهما: أنّ حكمه ربّما توجّه لولده، وربّما كان عليه، وهو لا يجوز أن يحكم لولده، وإن جاز أن يحكم عليه. والثّاني: أنّ الخصم امرأة يجلّ المأمون عن محاورتها... وباشر المأمون تنفيذ الحكم وإلزام الحقّ. (٨٩٩)

٥- الإهمال في أخذ العدة: حيث ان اخذ العدة فرض على اللامة: والإهمال في أخذ العدة، سواء أكانت عدة معنوية بقوة القلوب وشدتها، أم كانت عدة مادية بالاستعداد لمقاومة الأعداء، وهذه لا يمكن أن يتقنها و يجيدها إلا الناس الذين اشتغلوا بمعالى الأمور، وأعرضوا عن السّفاسف، أما صرعى الشهوات فليسوا أهلاً لذلك، بل إن مجرد الكلام عن الحرب يخيفهم، مجرد إخراج إعلان أو تحذير عن الحرب تجده يخيفهم ويرعبهم، فضلاً عن الخوض في المعركة، هذا مع أننا حين نقول العذاب لا نعني العذاب عن طريق حرب من عدونا لا، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١].

٦- الإهمال في المستشفيات وإهمال الأطباء فكم وكم سمعنا عن صور مبكية من الإهمال في كثير من المستشفيات فكم من مريض مات ولم يلتفت اليه صبيب الرحمة وكم امن مصاب يظل الليل البهيم يان ويتألم من المرض ولا مسعف له، وما قصة المرأة التي ولدت خارج المستشفى منا ببعيد فبعض الأطباء لا يخافون الله، وفي الحالات الخطرة تجد إهمالاً وتسيياً من بعضهم، وقد يموت المريض نتيجة إهمال الطبيب فيكون الطبيب عليه كفارة قتل الخطأ، وبعضهم قد يصرف دواء لا يتقي الله فلا

يتدبر ولا يفكر ولا يتأكد فيصرف هكذا وقد يكون هذا الدواء أو هذه الإبرة سبباً في موت المريض وعند ذلك يجب عليه التوبة إلى الله توبة عظيمة لأنه تسبب في قتل وعليه كفارة القتل.

التحذير من الكسل والحث على البناء والتعمير^(٩٠٠)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي نور بحمائل هدايته قلوب أهل السعادة، وطهر بكرم ولايته أفئدة الصادقين فأسكن فيها وداذه، ودعاها إلى ما سبق لها من عنايته فأقبلت منقاداً، الحميد المجيد الموصوف بالحياة والعلم والقدرة والإرادة، نحمده على ما أولى من فضل وأفاده، ونشكره معترفين بان الشكر منه نعمة مستفاده.

وأشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلى يوم لقاءه

تعطف بفضل منك يا مالك الورى فأنت ملاذي سيدي ومعيني

لئن أبعدتني عن حماك خطيئتي فأنت رجائي شافعي و يقيني

ولست أرى لي حجة أبتغي بها رضاك إن العفو منك يقيني

وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحببيه

الذي أقام به منابر الإيمان ورفع عماده، وأزال به سنان البهتان ودفع عناده

وشفع في خير الخلائق طراً نبيا لم يزل أبداً حبيبا

هو الهادي المشفع في البرايا وكان له رحيماً مستجيباً

عليه من المهيمن كل وقت صلاة تملأ الأكوان طيباً

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

ثم أما بعد: أمة الإسلام: حديثنا في هذا اليوم الطيب الأغر الميمون عن قضية من أخطر القضايا التي تحتاج المجتمع وتسود في كثير من مناحي الحياة إنها العقبة الكؤود التي ينبغي على أبناء الأمة أن يجتازوها إنها عقبة الخمود والكسل فيا أبناء الأمة:

إن المكارم لا تحصل بالمنى لكن لها بالتضحيات سيلا



فلکم سما للمجد من أجدادنا بطل أقام على السمو ذليلاً
فسل المعالي عن شجاعة خالد وسل المارك هل رأته ذليلاً
وسل الحضارة إن رأيت بهائها عمن أنار لهديها القنديلاً
وسل المكارم والمعالي هل رأيت من بعدهم في ذا الزمان مثيلاً
هذى المكارم عندهم كبداية لسلوك درب ما يزال طويلاً
في الأرض مجدهم ولكن قلبهم لجنة الفردوس رام رحياً
وخذ المكارم لا تخف أعبائها عبء المكارم لا يكون ثقيلاً
فهيها هيا لتعرف على [التحذير عن الكسل والحث على البناء والتعمير].
فما هو الكسل وما هي آثاره وأضراره وما هي أسبابه وما هو علاجه.
أعيروني القلوب والأسماع.

العنصر الأول: تعريف الكسل: الكسل في الشرع: هو التغافل عن كل واجب فرضه الله تبارك وتعالى على الإنسان. كالكسل عن أداء الفرائض، كالصلوات الخمس أو الصوم أو الجهاد، وكالكسل عن كل عمل نافع يضمن للإنسان حياة كريمة ويعفه ويصونه عن المسألة.

العنصر الثاني: التحذير من الكسل والفتور: أحباب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن الكسل ذمه الله تعالى في كتابه وهو من أوضح العلامات الدالة على النفاق فما ذكر التقاعس والتكاسل إلا وقرن بهؤلاء المنافقين فالمنافقون لا يدفعون ولا ينفعون لا يعمرون الديار ولا يحمون الزمار قال العزيز الجبار: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا * وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ * وَإِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَأْلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧١ - ٧٣] وما هم يتكاسلون عن الفرائض والواجبات حتى وإن قاموا بما تراه لا يقومون إلا وهم كسالى وقال الله تعالى في سورة النساء: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا * مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢، ١٤٣].

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، أي: متثاقلين لا رغبة تبعثهم ولا نشاط؛ لأنهم لعدم إيمانهم لا يرجون فيها ثواباً في الآخرة، ولا يبتغون بها تربية ملكة مراقبة الله تعالى وحبه والأنس بذكره ومناجاته

لتنتهي نفوسهم بذلك عن الفحشاء والمنكر، وتكون أهلاً لرضوان الله الأكبر، كما هو شأن المؤمنين الصادقين، وإنما هي عندهم كلفة مستقلة، فإذا كانوا بمعزل عن المؤمنين تركوها، وإذا كانوا معهم سايروهم بالقيام إليها يراءون الناس بها، أي: يبتغون بذلك أن يراهم المؤمنون فيعدوهم منهم، فالكسل: التثاقل عما ينبغي النشاط فيه. (٩٠١)

المتكاسلون عباد الله يضيئون بالأموال ولا ينفقون على الفقراء ولا المحتاجين إلا وهم كارهون كذا وصفهم رب العالمين في سورة الفاضحة الله تعالى في سورة ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ * وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٣، ٥٤]

والكسل: هو التراخي في أداء المهمة. إذن فهم يصلون رياءً، فإن كانوا مع المؤمنين وتؤدي للصلاة قاموا متثاقلين. وإن كانوا حيث لا يراهم المؤمنون فهم لا يؤدون الصلاة. إذن فسلكوهم مليء بالازدواج والتناقض.

والسبب الثالث: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤] والنفقة هي بذل ما عندك من فضل ما أعطاه الله لك؛ سواء أكان ذلك مالاً أم علماً أم جاهاً.

أثر استحواذ الشيطان على نشاط الإنسان: أحباب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن الكسل دليل واضح على استحواذ الشيطان على الإنسان فتراهم يتكاسلون عن كل خير قد بال الشيطان في آذانهم وعقد على قافيتهم.

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد. فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة. فإن توضأ انحلت عقدة. فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان". (٩٠٢)

وقوله «وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» معناه لما عليه من عقد الشيطان وآثار تثبيطه واستيلائه مع أنه لم يزل ذلك عنه وقال أبو العباس القرطبي نشيطاً لما يرد عليه من العبادات لكونه ألفها طيب النفس لرجاء ثواب ما فعل وقوله خبيث النفس أي بشؤم تفريطه وتماخؤهم الشيطان له كسلان أي متثاقل

(٩٠١) - تفسير المنار (٥ / ٣٨٢)

(٩٠٢) - أخرجه البخاري: كتاب التهجد بالليل، باب: عقد الشيطان في قافية الرأس، مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: ما روى فيمن نام أجمع حتى أصبح (٧٧٤)،



عن الخيرات وربما يحمله ذلك على تضييع الواجبات انتهى وهو قريب من المعنى الذي ذكره النووي لكنه أحسن بياناً وإيضاحاً.

كونه يصبح خبيث النفس كسلان، هل يترتب على ترك كل واحدة من هذه الخصال التي هي الذكر والوضوء والصلاة فلا ينتفي عنه ذلك إلا بفعل الجميع أو يترتب على ترك المجموع حتى لو أتى ببعضه لا ينفي عنه خبث النفس والكسل قال النووي في شرح مسلم: ظاهر الحديث أن من لم يجمع بين الأمور الثلاثة وهي الذكر والوضوء والصلاة فهو داخل فيمن يصبح خبيث النفس كسلان انتهى.

وقد يقال إذا جمع بين الأمور الثلاثة انتفى عنه خبث النفس والكسل انتفاء كاملاً وإذا أتى ببعضها انتفى عنه بعض خبث النفس والكسل بقدر ما أتى به منها فليس عند من استيقظ فذكر الله من خبث النفس والكسل ما عند من لم يذكر الله أصلاً. (٩٠٣)

فقد روى البخاري ومسلم عن بن مسعود قال: ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل، فقيل له: ما زال نائماً حتى أصبح، ما قام إلى الصلاة قال: "ذلك رجل بال الشيطان في أذنه" أو قال: "في أذنيه". (٩٠٤)

العنصر الثالث: صور من التكاسل المذموم. التواكل: مفهوم التواكل: هو اعتماد الإنسان على الغير دون عمل أو سبب للحصول على الكسب والمال.

من مظاهره: العجز - الكسل - الخمول: فهؤلاء ركنوا إلى الدعة والكسل ونسوا هذه القاعدة: [من أراد السيادة فعليه بترك الوسادة].

قصة المتواكل: يحكى أن رجلاً متعبداً في قرية كان قدوة للجميع لمستوى تدينه، وكان كل أهل القرية يسألونه في أمور دينهم ويتخذونه نموذجاً يحتذى في الإيمان بالله، وذات يوم حل طوفان بالقرية أغرقها بالماء، ولم يستطع أحد النجاة إلا من كان معه قارب، فمر بعض أهل القرية على بيت المتعبد لينقذوه فقال لهم: "لا داعي، الله سينقذني... اذهبوا". ثم مر أناس آخرون وقال لهم نفس الكلام، ومرت آخر أسرة تحاول النجاة بنفس المتعبد وقالوا له: "اركب معنا نحن آخر من في القرية، فإن لم ترحل معنا ستغرق"، فأجابهم: "لا داعي، الله سينقذني... اذهبوا". وعندما انتهى الطوفان وتجمع أهل القرية وجدوا جثة المتعبد. فثار الجدل بين الناس، أين الله؟ لماذا لم ينقذ عبده؟.. وقرر البعض الارتداد عن الدين! حتى جاء شاب متعلم واعٍ وقال: "من قال لكم إن الله لم ينقذه؟... إن الله أنقذه ثلاث مرات عندما أرسل

(٩٠٣) - طرح الشريب في شرح التقریب (٣/ ٨٨)

(٩٠٤) - أخرجه أحمد (١/ ٤٢٧، رقم ٤٠٥٩)، والبخاري (٣/ ١١٩٣، رقم ٣٠٩٧)، ومسلم (١/ ٥٣٧، رقم ٧٧٤)،

له ثلاث عائلات لمساعدته لكنه لم يرد أن ينجو! ". إن الله لا يساعدنا بطرق إعجازية، إنما هو يجعل لكل شيء سبباً وعلى الإنسان الاجتهاد والأخذ بالأسباب كي ينال مساعدة الله! ".

❖ ثانياً: التكاسل عن الفرائض والواجبات وإهمال الجمع والجماعات.

و من صور التكاسل التي تقدر العبد عن العمل الديني والأخروي أن يتكاسل عن أداء الصلاة التي هي أعظم أركان الإسلام بعد شهادة التوحيد وقال الباري سبحانه: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ [التوبة: ٥٤].

❖ ثالثاً: عدم الشعور بالمسؤولية:

ومن مظاهر الفتور والكسل (عدم استشعار المسؤولية الملقاة على عاتقه، والتساهل والتهاون بالأمانة التي حمله الله إياها، فلا تجد لديه الإحساس بعظم هذه الأمانة، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢] [الأحزاب: ٧٢] وقد تحدّثه ساعة ويحدّثك أخرى، فلا تجد أن هم الدعوة يجري في عروقه، أو يؤرق جفونه ويقض مضجعه. ومما يلحق بهذا الباب أنك تجد هذا الفاتر أصبح يعيش بلا هدف، أو غاية سامية، فهبطت اهتماماته، وسفلت غاياته، وذلت مطامحه ومآربه. وتبعاً لذلك فلا قضايا المسلمين تشغله، ولا مصائبهم تحزنه، ولا شئونهم تعنيه، وإن حدث شيء من ذلك فعاطفة سرعان ما تبرد وتحمد ثم تزول).

❖ العنصر الرابع: آثار الخمول والكسل على الفرد والمجتمع.

❖ أول الآثار التخلف عن ركب الأمم والحضارات:

يقول ابن القيم - رحمه الله - قالت العقلاء قاطبة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم وأن الراحة لا تنال بالراحة وأن من آثر اللذات فاتته اللذات" (٩٠٥)

فأمة يكسل أبنائها أمة لا تبني ولا تعمر بل تتراجع عن موكب التقدم والحضارة فأول ضريبة يدفعها المجتمع أن يصبحوا مسخاً إمعه لا يدفعوا ولا يدفعوا.

لذا حثنا الله تعالى على العمل والجد والسعي فقال - سبحانه - وقد سوى الله تعالى بين العمل والسعي على التقدم والازدهار بالجهاد في سبيله فقال سبحانه - ﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [المزمل: ٢٠]



قال الإمام القرطبي - رحمه الله - في تفسيره لهذه الآية: "سوى الله تعالى في هذه الآية بين درجة المجاهدين والمكتسبين المال الحلال للنفقة على نفسه وعياله، والإحسان والإفضال، فكان هذا دليلاً على أن كسب المال بمثالة الجهاد، لأنه جمعه مع الجهاد في سبيل الله" (٩٠٦) وفي ذلك قال هلال بن العلاء الرفاء:

**كأن التواني أنكح العجز بنته وساق إليها حين زوجها مهراً
فراشاً وطيناً ثم قال لها اتكي فإنكما لا بد أن تلدا الفقرا** (٩٠٧)

ففقر الأمة وتأخرها: إذا اتصف أبناء أمة من الأمم بالكسل، فذلك سيكون سبب في تأخرها بين الأمم، لأن العمل والإنتاج هما عصب الحياة، فالأمة المنتجة القوية تسعى إلى السيطرة على غيرها من الأمم الضعيفة الفقيرة، لذلك لا سبيل إلى رفعة الأمة وقوتها إلا بالعمل والتخلي عن الكسل.

ثانياً: احتقار الناس للمتكاسلين: فالناس لا يعجبها أن ترى أناساً يتكاسلون عن الواجبات ويعتمدون على غيرهم في معاشهم لذا فإن المتكاسل يسقط من أعين الناس. الكسول لا ينال شرف السيادة بين الناس، ولا في قومه، لأنه اكتفى بالكسل، ورضي أن يعيش حالة على غيره، ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إني لأرى الرجل فيعجبني فأقول هل له حرفة فإن قالوا لا سقط من عيني (٩٠٨)

ثالثاً: حرمان السيادة والريادة فما علم لكسلان ولا وسان أنه ساد قومه أو نال درجة عالية بين أقرانه يقول ابن القيم - رحمه الله -: أن العقلاء قاطبة متفقون على استحسان أتعاب النفوس في تحصيل كمالها من العلم والعمل الصالح والأخلاق الفاضلة وطلب محمداً من ينفعهم حمده وكل من كان اتعب في تحصيل ذلك كان أحسن حالاً وأرفع قدراً وكذلك يستحسنون أتعاب النفوس في تحصيل الغنى والعز والشرف ويذمون القاعد عن ذلك وينسبونهم إلى دناءة المهمة وخسة النفس وضعة القدر.

دع المكارم لا تنهض لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وهذا التعب والكد يستلزم آلاماً وحصول مكاره ومشاق هي الطريق إلى تلك الكمالات ولم يقدحوا بتحمل تلك في حكمة من يحملها ولا يعدونه عائباً بل هو العقل الوافر ومن أمر غيره به فهو حكيم في أمره ومن نهاه عن ذلك فهو سفيه عدو له هذا في مصالح المعاش فكيف بمصالح الحياة الأبدية الدائمة والنعيم المقيم كيف لا يكون الأمر بالتعب القليل في الزمن اليسير الموصل إلى الخير الدائم حكيماً رحيماً

(٩٠٦) - تفسير القرطبي (١٩/ ٥٥)

(٩٠٧) - المستطرف (٢/ ١٢٧)

(٩٠٨) - المحالسة وجواهر العلم (ص: ٦٤١)

محسنا ناصحا لمن يأمره وينهاه عن ضده من الراحة واللذة التي تقطعه عن كماله ولذته ومسرته الدائمة هذا إلى ما في أمره ونهيهِ من المصالح العاجلة التي بها سعادته وفلاحه وصلاحه ونهيهِ عما فيه) (٩٠٩)

الجد في الجد والحرمان في الكسل فانصب تصب عن قريب غاية الأمل

رابعا عذاب النار في الآخرة: فالذين يركنون إلى الدعة والكسل إنما يعيشون كالطفيليات على المجتمع الذي يعيشون فيه يسودون وجههم بالمسألة لذا يكون جزاؤهم من جنس عملهم عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال: ((لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقي الله تعالى وليس في وجهه مزعة لحم)) (٩١٠)

((المزعة)) بضم الميم وإسكان الزاي وبالعين المهملة: القطعة.

العنصر الخامس: علاج الكسل.

التعوذ بالله من الكسل: عن أبي سعيد الجدي رضي الله عنه قال: «دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة جالسا فيه»، فقال «يا أبا أمامة مالي أراك جالسا في غير وقت صلاة»، قال: هموم لزممتني وديون يا رسول الله. فقال: «ألا أعلمك كلاما إذا قلته أذهب الله عز وجل همك وقضى دينك». فقال: بلى يا رسول الله. قال: «قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن. وأعوذ بك من العجز والكسل. وأعوذ بك من البخل والجبن. وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال». قال: فقلت ذلك فأذهب الله همي وقضى عني ديني». (٩١١)

التبكير للعمل: من أسباب النشاط والإنجاز والبركة ان يبكر المسلم إلى أداء ما عليه من واجبات عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بورك لأمتي في بكورها" (٩١٢)

الاستعانة بالله: الله سبحانه هو خير معين وخير من يلوذ به المسلم: لذا عباد الله لا بد أن نتوكل ونستعين به فالمسلم يكرر في كل ركعة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني

(٩٠٩) - ١ شفاء العليل (ص: ٢٢٥)

(٩١٠) - متفق عليه

(٩١١) - إسناده حسن: أخرجه أبو داود (١٥٥٥)

(٩١٢) - (أخرجه أبو يعلى) ٥٤٠٩، (و الطيالسي) ٧٥٤، انظر صحيح الجامع: ٢٨٤١



فعلت كذا كان وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان (٩١٣)

لبست ثوب الدجى والناس قد رقدوا وبتُ أشكو إلى مولاي ما أجد

فقلتُ يا أُملي في كل نائبةٍ ومن عليه لكشف الضر أعتمد

أشكو إليك أمورًا أنت تعلمها مالي على حملها صبرٌ ولا جلد

وقد مددت يدي بالذل مبتهلاً يا خير من مُدت إليه يد

فلا تردّها يا رب خائبةً فبحر جودك يروي كل من يرد

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

العنصر السادس: صور مشرقة من الجد والنشاط: أصحاب المهمة العالية هم الذين يقوون على البذل في سبيل المقصد الأعلى، ويبدلون أفكار العالم، ويغيرون مجرى الحياة بجهادهم وتضحياتهم، ومن ثمّ فهم القلة التي تنقذ الموقف، وهم الصفوة التي تبشر مهمة " الانتشال السريع " من وحل الوهن، ووهدة الإحباط.

زاحم بكتفيك وساعديك قوافل العظماء المحددين من السلف والخلف، ولا تؤجل فإن مرور الزمن ليس من صالحك، وإن الطغيان كلما طال أمده، كلما تأصّلت في نفوس المتميعين معاني الاستخذاء، ولا بد من مبادرة تنتشل، ما دام في الذين جرفهم التيار بقية عرق ينبض، وبذرة فطرة كامنة.

هذا زمان لا توسّط عنده يبغي المغامر عاليًا وجليلا

كن سابقًا فيه أو ابق بمعزلٍ ليس التوسط للنبوغ سبيلا (٩١٤)

إن أمتك المسلمة تتربّع منك جذبة " عُمرية " توقد في قلبها مصباح المهمة في ديجور هذه الغفلة المدلّهمة، وتنتظر منك صيحة " أيوبية " تغرس بذرة الأمل، في بيداء اليأس، وعلى قدر المثونة؛ تأتي من الله المعونة، فاستعن بالله ولا تعجز. المصدر: المفكرة الدعوية.

(٩١٣) - أخرجه: مسلم ٥٦ / ٨ (٢٦٦٤) (٣٤)

(٩١٤) - ديوان أحمد شوقي (ص: ٦٦٥)

وها هي نماذج في البناء والعمير والبذل والعطاء بتلك النماذج تتفوق الأمم وتسموا الشعوب وتتوقد العزائم.

- ١- داود عليه السلام: لما أعطى الله داود عليه السلام إلانة الحديد، فيم استخدمها ذلك النبي الكريم؟ لقد استخدمها في صناعة الدروع، وملابس الحرب، والعتاد العسكري؛ ليجاهد في سبيل الله عز وجل.
- ٢- سليمان عليه السلام: وقد أعطى الله سليمان عليه السلام نعمًا كثيرة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ١٦]

ولذلك فهي هو يستخدم الهدد في طاعة الله، وفي إرسال كتب الإنذار والإعذار إلى الكفار؛ لدعوتهم إلى دين الله، وتهديدهم إذا هم مالوا وحادوا عن شرع الله.. وها هو يستخدم جنوده من الجن، والإنس، والطير في تهديد الكفار، وإرغامهم وحملهم على إتباع الدين، وها هو يستخدم العفاريت في جلب ما إذا رآه الكفار أسلموا، واستخدم الجن في بناء الصرح الممرد من قوارير، الذي بهر عين ملكة الكفار؛ فأسلمت لما علمت أن ملكها لا يساوي شيئاً بجانب ملك سليمان المؤيد من عند الله عز وجل. وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن. وقال سبحانه ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [ص: ٣٦ - ٣٨] من الجن الذين عصوا سليمان.

﴿وَلَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢]. أنعم الله عليه بها، ففي أي شيء استخدمها؟ في السفر عليها لطاعة الله، في سبيل الله سبحانه.

﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ [سبأ: ١٢]. النحاس المذاب يصنع فيها ما يشاء مما فيه فائدة للدين والبلاد والعباد.

﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ [سبأ: ١٢]. سخرهم الله لسليمان.. ماذا يعملون له؟ المحاريب: المساجد، والأبنية. والجفان التي كالجواب، وهي: الأحواض العظيمة التي يجي إليها الناس. والقصور الراسيات لعظمها ترسو من ثقلها لينتفع مما فيها المسلمون.

وكذلك كان عند الأفراد المسلمين طاقات فردية قدموها لنصرة الدين، وإعلاء كلمة الله:

- ١- زيد بن ثابت رضي الله عنه: عن خاتمة بن زيد، أن أباه زيدا، أخبره: أنه لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، قال زيد: ذهب بي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأعجب بي، فقالوا: يا رسول الله، هذا غلام من بني النجار، معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة، فأعجب ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: يا زيد، تعلم لي كتاب يهود، فإني والله ما آمن يهود على كتابي قال زيد: فتعلمت له



كتابهم، ما مرت بي خمس عشرة ليلة حتى حذقته وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه، وأجيب عنه إذا كتب. (٩١٥)

فإذن كان لدى هذا الغلام من الذكاء والفهم الذريع ما تعلم به لغة قوم من الكفار غير لغته؛ ليعخدم الدين، وليكون كاتبًا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ كتب اليهود المرسله إليه، ويجيب له عليها.

٢- عيسى العوام رحمه الله: وقد تستغربون المواهب التي قد يبدع فيها البعض، ويبرع فيها فيسخرها لخدمة الدين كيف تكون! قال ابن شداد رحمه الله في إحدى الوقائع التي كانت بين صلاح الدين والنصارى: ومن نوادر هذه الواقعة ومحاسنها أن عوامًا مسلمًا كان يجيد العوم، يقال له: عيسى العوام وكان يدخل إلى البلد بالكتب والنفقات على ظهره ليلاً على غرة من العدو - البلد المسلمة كانت محاصرة بسفن العدو كانوا ينتظرون المدد ورسائل صلاح الدين التي يخبرهم فيها ماذا سيعملون ويمدهم بالنفقات لدعم الجهاد - فكان هذا الغواص المسلم يدخل من تحت سفن الأعداء ثم يخرج بعدها، ويدخل البلدة المسلمة وكان يغوص ويخرج من الجانب الآخر لمراكب العدو، وكان ذات ليلة شد على وسطه ثلاثة أكياس فيها ألف دينار، وكتب للعسكر، وعام في البحر فجرى عليه من أهلكه، ولكن الله قدر أن يموت هذا الرجل وهو جندي في وسط المعركة يخدم الدين، وأبطأ خبره عنا فاستشعر الناس هلاكهم ولما كان بعد أيام بينما الناس على طرف البحر في البلد وإذا البحر قد قذف إليهم ميتًا غريقًا فافتقدوه فوجدوه عيسى العوام. ووجدوا على وسطه الذهب وشمع الكتب وكان الذهب نفقة للمجاهدين. فما رؤي من أدى الأمانة في حال حياته وقد أداها بعد وفاته إلا هذا الرجل (٩١٦)

فإذن: حتى الغواصين والغطاسين كانوا يستغلون هذه الموهبة لنصرة الدين.

٣- ولما دخل رسول الله المدينة توزعت الطاقات، واستغلت المواهب: فهذا بلال يؤذن، وسعد وغيره لحراسة الرسول صلى الله عليه وسلم في مبدأ الأمر. وزيد وغيره لكتابة الوحي والرسائل، وخالد وغيره للقيادة. خالد الذي كان مبدعًا في القيادة استغل طاقته في أي شيء؟ استلم مباشرة الجيوش يقودها في سبيل الله، وحسان، وكعب، وابن رواحة للقيام بالدور الإعلامي المطلوب لخدمة الإسلام.

وابن مسعود صاحب النعلين والمطهرة؛ لأنه كان فقيها شديد التعلم كان يسأل رسول الله.. حتى في الأشياء الدقيقة ليتعلم.. وسلمان يدل على فكرة الخندق لما احتاج المسلمون.. ونعيم بن مسعود الثقفي

(٩١٥) - مسند أحمد (٣٥/ ٤٩٠) أخرجه ابن سعد ٢/ ٣٥٨ - ٣٥٩، والبخاري في "تاريخه" ٣/ ٣٨٠ - ٣٨١،

(٩١٦) - (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية)

يعرض خدماته لما أسلم.. وأبو طلحة يأتي رسول الله بتبرع سخي بستان كبير، يقول: يا رسول الله ضعها حيث أراك الله.

ووضع التجار إمكاناتهم لنصرة الدين: فهذا عثمان رضي الله عنه يحفر بئراً على نفقته، ويجهز جيش العسرة على نفقته، ويفك أزمة المسلمين في وقت شدة بأن تبرع بالدواب التي حملت التجارة له بما عليها للمسلمين.. والملاحظ في السيرة النبوية أن هذا الاستغلال والتوزيع لم يظهر بشكل واضح إلا في المجتمع المدني بعد إرساء القاعدة الصلبة والمهجرة إلى المدينة.

الحرص على توفير الكفاءات التي يحتاج إليها المجتمع المسلم، وقبل ذلك توفير الكفاءات الشرعية التي يترتب الناس عليها: وإلا فما الفائدة من الأطباء والمهندسين إذا كانت قلوبهم خاوية على عروشها من الإيمان والعقيدة الصحيحة. وانظر إلى الغناء المتدفق من أجيال البعثات على بلاد المسلمين - كثير منهم ممن جاءوا من الغرب، أو الشرق قد أصبحوا حرباً على الإسلام وأهله - فليست القضية مجرد كفاءات علمية، وليست القضية مهارة في الأمور الدنيوية.. قبل ذلك لا بد أن تعمر القلوب بالإيمان، وأن تترتب النفوس، وإلا فإن هذه الطاقات ستستخدم في حرب الإسلام ولو كان أصحابها عبد الله ومحمد وأحمد. ثم إنه - تعالى - أوصانا بالعمل جميعاً، فقال: ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]؛ فالعمل لهذا الدين مسؤولية الجميع.

أيا صاح هذا الركب قد سار مسرعاً ونحن قعود ما الذي أنت صانع؟
أترضى بأن تبقى المخلفَ بعدهم صريع الأمان والغرام ينزع^(٩١٧)

(٩١٧) - المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى



تحذير الصفوة من أدران الغفلة

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خِلْفَةً، ورفع عَنَّا الكلفة، وأمرنا بالمودة والألفة، وحذّرنا من الغفلة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمرنا بالاتباع، ونهانا عن الابتداع، وحذّرنا من الضياع، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أَرْضَى ربه وجاهد نفسه وحفظ وقته، صلى الله وسلم عليه كلما دامت الألفة، وحوربت الغفلة.

و بعد:

الغفلة سلطان إبليس على القلوب.. وفرحته التي يجدها من الخلق..
أخي المسلم: لقد عمّت نار الغفلة.. حتى أصبح أكثرهم يعيش عيش البهائم! وقليل أولئك الذين عرفوا الغاية التي خلّقوا من أجلها.. فسعوا إلى تحقيقها؛ فسلموا من شرور الغفلة..
أخي المسلم: لقد استفحل داء الغفلة.. وكثر أصحابه في كل مجمع وفي كل مكان!

الغفلة هي: الانغماس في الدنيا والشهوات ونسيان الآخرة فيجتهد الغافل في تعمير الدنيا الفانية وتخریب الآخرة الباقية يقول الله تعالى: ﴿افْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾... (الأنبياء: ١ - ٣).

فالغافل يريد أن يعيش عاملاً علي إشباع شهواته، حريصاً ألا يتعب جسمه إلا في شهوته.. حريصاً علي ألا يفقد شيئاً من ماله إلا في ملذاته، حريصاً علي ألا يفقد لحظة من عمره إلا وهو مستريح هادئ حتى ولو علي حساب دينه، فهو يريد أن يعيش متمتعاً بحياته علي أقصى درجة.. هذا نوم القلب... لأن القلب اليقظ يعلم أنه لم يخلق في هذه الدنيا لينغمس فيها وينسى آخرته.. وأن هذه الدنيا قنطرة إلى الآخرة، وأن لذاتها مكدره.. نعمها منغصة، فليست هناك لذة خالصة بدون تنغيص.. أما اللذات بدون تنغيص ففي الآخرة، ولذلك لما سئل الإمام أحمد متى الراحة ؟ قال عند وضع أول قدم في الجنة.

العنصر الأول عقوبات الغافلين: أخي المسلم إن للغفلة آثاراً مدمرة علي سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة وإليك طرفاً منها حتى تحذرها وتحذر منها كل مسلم ومسلمة

١- **أنها سبب الهلاك:** اعلم زائدك الله علماً: أنه ما هلك القرون الخوالي إلا بغفلتهم عن الله تعالى وعن مصيرهم الأخروي اسمع إلى كلام الرب العلي جل جلاله قال الله تعالى ميبنا هلاك الغافلين ﴿فَلَمَّا

كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْعُودِ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (١٣٥) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ
بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿

لماذا أهلكتهم يا رب العالمين؟

الجواب: لأنهم من الغافلين

٢- عدم الانتفاع بالآيات وعدم الاتعاظ بالهالكين:

من أصيب بالغفلة الكاملة خُتِمَ على قلبه، وسمعته، وبصره، وكان أضل من الحيوان، والأنعام، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (سورة الأعراف، الآية: ١٧٩). فهم لا ينتفعون بشيء من هذه الجوارح التي جعلها الله سبباً للهداية، فقلوبهم لا يصل إليها فقه ولا علم، وأعينهم لا ينتفعون بها فلا يبصرون آيات الله، وآذانهم لا يسمعون بها ما ينفعهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (سورة الأحقاف، الآية: ٢٦). وقال تعالى: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ (سورة البقرة، الآية: ١٨). وقال تعالى: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (سورة البقرة، الآية: ١٧١). ولم يكونوا صمًا، ولا بكما، ولا عميًا إلا عن الهدى، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ (سورة الأنفال، الآية: ٢٣). وقال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (وقال تعالى: ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ فالغافل عبد الله لا ينفع فيه وعد ولا وعيد ولا تخويف ولا ترهيب لان الله تعالى ختم على قلبه وسمعته وجعل على بصره غشاوة

٣- الغفلة بواب الدخول إلى التكذيب بالآيات وبالوعد والوعيد

و اعلم بارك الله فيك:- أن الدافع إلى تكذيب الرسل وعدم الإيمان بالمعجزات إنما هو الغفلة قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ (سورة الأعراف، الآية: ١٤٦)، فالسبب التكذيب والغفلة، فالغفلة قرينة التكذيب بآيات الله تعالى.



قال العلامة السعدي رحمه الله: ((فردهم لآيات الله وغفلتهم عما يُراد بها، واحتقارهم لها، هو الذي أوجب لهم من سلوك طريق الغي، وترك طريق الرشاد ما أوجب)) (٩١٨)

٤-: الغفلة صفة من صفات أهل النار:

الرضا الدنيا والركون إلى زخرفها صفة من صفات الأشرار الذين أعد الله تعالى لهم النار قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (سورة يونس، الآيتان: ٧، ٨). فهذه حال الأشقياء الذين كفروا بقاء الله يوم القيامة، ولا يرجون في لقائه شيئاً، ورضوا بهذه الحياة الدنيا واطمأننت إليها نفوسهم، وهم غافلون عن آيات الله الكونية، فلا يتفكرون فيها، وعن آياته الشرعية فلا يأترون بها

سادساً: الحذر من الغفلة؛ لأن أكثر الناس وقعوا في الغفلة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (سورة يونس، الآية: ٩٢).

٥-: الغفلة تغلق على العبد أبواب الخير، وتفتح له أبواب الشر:

فكل شيء مفتاح ومفتاح الشر والمعاصي الغفلة عن الله وعن قدرته وسلطانه - جل جلاله - قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْنَاهُمْ عَذَابٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبَبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٨) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (سورة النحل، الآيات: ١٠٦ - ١٠٩).

٦- أهل الغفلة لهم الحسرة يوم الحسرة:

و آخر المطاف حسرات وزفرات يوم لا ينفع الندم قال الله تعالى: ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٩) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (سورة مريم، الآيتان: ٣٩، ٤٠)، وفي الصحيحين عن ابن عمر قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، يَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، فَيَزِدُّ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزِدُّ أَهْلَ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ " (٩١٩)

(٩١٨) - (تيسير الكريم الرحمن (ص ٣٠٣)).

(٩١٩) - البخاري (٦٥٤٤)، ومسلم (٢٨٥٠) (٤٢)، والبيهقي في "الشعب" (٣٨٦)

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ ذَكَرَ بِمَعْنَى حَدِيثِ أَبِي مُعَاوِيَةَ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ» وَلَمْ يَقُلْ: ثُمَّ قرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَذْكُرْ أَيْضًا: وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا (٩٢٠)

العنصر الثاني: علامات الغفلة: اعلم علمني الله وإياك أن للغفلة علامات وإشارات من خلالها يتعرف المرء على حقيقة نفسه

أولاً: التكاسل عن الطاعات: نفسه: وهذه العلامة من أهم العلامات، قال الله تعالى في شأن المنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾... (النساء: ١٤٢).

ثانياً: استصغار المحرمات والتهاون بها: عَنْ الْأَسْوَدِ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: " إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ فِي أَصْلِ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ وَقَعَ عَلَى أَنْفِهِ، فَقَالَ: بِهِ هَكَذَا، فَطَارَ " (٩٢١)

عن سهل بن سعد: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إياكم ومحقرات الذنوب فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى حملوا ما أنضحوا به خبزهم لان محقرات الذنوب متى يأخذ بها صاحبها تملكه) (٩٢٢)

ثالثاً: إلف المعصية ومحبتها والجهر بها:

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ الْمُجَاهِرُونَ؟ قَالَ: "الَّذِي يَعْمَلُ الْعَمَلَ بِاللَّيْلِ فَيَسْتُرُهُ رَبُّهُ، ثُمَّ يُصْبِحُ، فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، فَيَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ " (٩٢٣)

((كل أمتي معافي)) من العافية وأن الله سبحانه وتعالى يغفر الذنبَ ويقبل التوبة، ((كل أمتي معافي إلا المجاهرين))، هؤلاء لا يعافون، المجاهرون بالمعاصي لا يعافون، الأمة يعفو العفو عن ذنوبها، لكن الفاسق المعلن لا يعافيه الله عز وجل، وقال بعض العلماء: إنَّ المقصودَ بالحديث كلُّ أمتي يتركون في الغيبة إلا

(٩٢٠) - أخرجه أحمد (٢/ ٤٢٣ / ٩٣) وعبد بن حميد (٩١٤). والبخاري (٦/ ١١٧) ومسلم (٨/ ١٥٢)

(٩٢١) - صحيح البخاري: ج ٥/ص ٢٣٢٤ ح ٥٩٤٩

(٩٢٢) - أخرجه أحمد (٥/ ٣٣١، رقم ٢٢٨٦٠)،

(٩٢٣) - وأخرجه البخاري ٦٠٦٩ ومسلم ٥٢ (٢٩٩٠)



المجاهرين، والعفو بمعنى الترك، والمجاهر هو الذي أظهر معصيته، وكشف ما ستر الله عليه، فيحدث به، قال الإمام النووي رحمه الله: "من جاهر بفسقه أو بدعته جاز ذكره بما جاهر به".

هذه المجاهرة التي هي التحدث بالمعاصي، يجلس الرجل في المجلس كما أخبر النبي ويقول: عملت البارحة كذا وكذا، يتحدث بما فعل، ويكشف ما ستر، وقد قال النبي: ((اجتنبوا هذه القاذورات التي هي الله عنها، فمن ألم بشيء منها فليستتر بستر الله)) (٩٢٤)

رابعاً: تضييع الوقت من غير فائدة: فإن الوقت نعمة، ولا يضيعه إلا غافل، لأنه لا يعرف أن الوقت هو أغلى ما عن ابن عباس، رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ" (٩٢٥)

قال الحسن: "من علامة إعراض الله عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه، خذلاً من الله - عز وجل -". تمر الساعات والأيام ولا يحسب لها حساب؛ للجهل بقيمة الوقت وأهميته، هناك من يدعو: تعال نفوت الوقت! يفرح عندما تغيب الشمس، وهو يدرك تماماً أن يوماً فات من عمره لا يعود! ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وما أحسن قول القائل:

تزوّد من الثّقَى فإنّك لا تدري إذا جنّ ليلٌ هل تعيش إلى الفجر
فكم من صحيحٍ مات من غير علةٍ وكم من عليلٍ عاش حيناً من الدهر

العنصر الثالث: أسباب الغفلة:

١- حب الدنيا: فحب الدنيا راس كل خطيئة كما في الحكمة المشهورة والغفلة هي ثمرة حب الدنيا قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ ... (الروم: ٦-٧).

يقول ابن كثير في تفسيره: فإن أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وإكسابها وشؤونها فهم فيها حذاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها وهم غافلون عن أمور الدين وما ينفعهم في الدار الآخرة كأن أحدهم مغفل لا ذهن له ولا فكرة، قال الحسن البصري: واللّه لبلغ من أحدهم بدنياء أن يقلب الدرهم على ظفّره، فيخبرك بوزنه وما يحسن أن يصلي.

قال نصر بن محمد السمرقندي: (ويقال: الناس يصبحون على ثلاثة أصناف: صنف في طلب المال، وصنف في طلب الإثم، وصنف في طلب الطريق. فأما من أصبح في طلب المال؛ فإنه لا يأكل فوق ما

رزقه الله تعالى، وإن أكثر المال. ومن أصبح في طلب الإثم؛ لحقه الهوان والإثم. ومن أصبح في طلب الطريق؛ آتاه الله تعالى الرزق والطريق!).

كلامه رحمه الله فبعض الناس يجلسون مع بعضهم البعض كل حديثهم عن الدنيا، عن المال، عن النساء، عن الشهوات، عن الربح عن الخسارة وهم عن الآخرة هم غافلون، فالاغترار بالدنيا والانغماس في شهواتها سبب كبير للغفلة، قال الله عز وجل: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ... (الحجر: ٣).

إن حال هؤلاء لئيب عن سُكر حب الدنيا وكأنهم مخلدون فيها، وكأنهم لن يخرجوا منها بغير شيء من متاعها مع أن القرآن يهتف بنا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (فاطر: ٥).

إن سكران الدنيا لا يفيق منها إلا في عسكر الموتى نادما مع الغافلين، وهؤلاء الصنف يقول عنهم صلى الله عليه وسلم: "إن الله يبغض كل جعظري جواظ سخاب في الأسواق جيفة بالليل حمار بالنهار عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة" صحيح الجامع الجعظري هو "الفظُّ الغليظ المتكبر" والجواظ "(٩٢٦) والسخاب كالصخاب أي: (كثير الضجيج والخصام).

فهذا الرجل كأنه لم يخلق للعبادة وإنما خلق للدنيا وشهواتها فإنه إن فكر فكر للدنيا وإن أحب أحب للدنيا وإن عمل عمل للدنيا فمن أجلها يخاصم ويزاحم ويقاقل، وبسببها يتهاون ويترك كثيراً من أوامر الله عز وجل وينتهك المحرمات من أجلها.

وإن من الخسارة العظيمة أن تضيع حياة العبد ما بين أمل طويل وعمل سيء، فتراه في نهاره عاملاً ناصباً صاحباً جامعاً مانعاً، وللفرائض والآداب مضيعاً، فإذا جاء الليل ارتقى على فراشه كالخشب الملقاة أو الجيفة القذرة، لا يقوم لصلاة فريضة فضلاً عن قيام ليل وعبادة رب كريم !

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إنما أهلك من قبلكم الدينار والدرهم، وهما مُهْلِكَاكُمْ» (٩٢٧) مُهْلِكَاكُمْ» (٩٢٧)

إن حال هؤلاء يصدق فيه قول القائل:

فهاك يا مغرور سهو وغفلةً وليلك نومٌ والردى لك لازم
وشغلك فيما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم

(٩٢٦) - أخرجه ابن حبان (٧٢)

(٩٢٧) - [رواه البزار/ صحيح الترغيب للألباني: ٣٢٥٨].



٢- **الجهل بالله عز وجل:** من أعظم أسباب الغفلة الجهل بالله عز وجل وأسمائه وصفاته، والحق أن كثيراً من الناس لم يعرفوا ربهم حق المعرفة، ولو عرفوه حق المعرفة ما غفلوا عن ذكره، وما غفلوا عن أوامره ونواهيه؛ لأن المعرفة الحقيقية تورث القلب تعظيم الرب ومحبة وخوفه ورجاءه، فيستحي المؤمن أن يراه ربه على معصية، أو أن يراه غافلاً، فأنس الجاهلين بالمعاصي والشهوات، وأنس العارفين بالذكر والطاعات.

* قال سلمان الفارسي -رضي الله عنه -: (ثلاث أعجبتني حتى أضحكنتي: مؤمل الدنيا والموت يطلبه! وغافل ليس يُغفل عنه! وضاحك ملء فيه ولا يدري أساخط رب العالمين عليه أم راض؟!)

٣- **المعاصي:** وهي من أعظم أسباب الغفلة، قال الله عز وجل: "كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ" المطففين وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "إن للحسنة ضياء في الوجه، ونوراً في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القلب، وهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق".

٤- **صحبة السوء:** والعرب تقول صاحب صاحب، والطبع يسرق من الطبع، فمن جالس أهل الغفلة والجرأة على المعاصي سرى إلى نفسه هذا الداء: ﴿وَبَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ ... (الفرقان: ٢٧-٢٩).

عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْدِثَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً". (٩٢٨)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» (٩٢٩)

عن أبي سعيد، عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال: "لا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا" (٩٣٠)

(٩٢٨) - أخرجه البخاري في: ٧٢ كتاب الذبائح والصيد: ٣١ باب المسك، و صحيح مسلم: ج ٤/ص ٢٠٢٦ ح ٢٦٢٨

(٩٢٩) - أخرجه عبد بن حميد (١٤٣١)، وأبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، والحاكم ١٧١/٤ انظر صحيح الجامع:

٣٥٤٥، الصحيحة: ٩٢٧

(٩٣٠) - أخرجه أحمد ٣/٣٨، وأبو داود "٤٨٣٢" في الأدب: باب مَنْ يُؤْمَرُ أَنْ يَجَالِسَ، والترمذي "٢٣٩٥" صحيح

الجامع: ٧٣٤١، صحيح الترغيب والترهيب: ٣٠٣٦

وما أحسن ما قال القائل:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينة فكل قرين بالمقارن يقتدي

٥- طول الأمل: فيعيش في الدنيا وهو يظن أنه لن يفارقها فهو مقبل عليها غافلاً عن آخرته، قال الله تعالى: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾... (الحجر: ٣).

عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَتَشِبُّ مِنْهُ اثْنَتَانِ: الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ (٩٣١)

قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ - رضي الله عنه -: "ارْتَحَلَتِ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً وَارْتَحَلَتِ الْآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ" ... (٩٣٢)

٦- كثرة الكلام في غير ذكر الله تعالى:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يرفعه: "لا تكثرُوا الكلامَ بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله تعالى القلب القاسي"...

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: إن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين، فليتخير العبد أعجبهما إليه وأولاهما به، فهو مع أهله في الدنيا والآخرة.

قال أيضاً: (على قدر غفلة العبد عن الذكر يكون بُعده عن الله).

وقال أيضاً: (إن الغافل بينه وبين الله عز وجل وحشة، لا تزول إلا بالذكر).

فهل حاسبت نفسك أخي المسلم: هل أنت من الذاكرين لله تعالى؟! هل أنت من المنشغلين بالطاعات؟

٧- الغفلة عن الموت والدار الآخرة: وقد أخبر الله عن هذا الصنف بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾... (يونس: ٧-٨).

وقد نقل ابن كثير رحمه الله أن أشعر الناس أبو العتاهية حيث قال: الناس في غفلاتهم ورحا المنية تطحن.

❦ ثامناً: ترك صلاة الجمعة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ تَرْكِهِمُ الْجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَخْتَمَنَّ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ. (٩٣٣).

❦ العنصر الرابع: علاج الغفلة:

(٩٣١) - أخرجه البخاري (٦٤٢١)، ومسلم (١٠٤٧)، وابن ماجه (٤٢٣٤)، والترمذي (٢٣٣٩).

(٩٣٢) - البخاري معلقاً قبل حديث (٦٤١٧).

(٩٣٣) - صحيح مسلم، رقم ٨٦٥، كتاب الجمعة، باب ١٢ (ص ٥٩١)



﴿أَوَّلًا: العلم بالله: معرفة الله عز وجل، ومعرفة نبيه صلى الله عليه وسلم، ومعرفة دينه وشرعه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾... (الزمر: ٩).﴾

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا، يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ.... (٩٣٤)

﴿ثانيًا: ذكر الله تعالى على كل حال: عَنْ أَبِي مُوسَى - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»... (٩٣٥)﴾

﴿ثالثًا مجالس الذكر: فهي العلاج الناجع لعلاج غفلة القلوب، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله قال: "إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا". قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر" (٩٣٦)﴾

﴿رابعًا: قراءة القرآن: قال خبَّاب بن الأرت رضي الله عنه: "تقرب إلى الله ما استطعت، واعلم أنك لن تتقرب بشيء أحب إليه من كلامه".

وقال عثمان رضي الله عنه: "لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم".

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "من أحب القرآن فهو يحب الله ورسوله".

وجعل الله عقوبة أهل النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧، ٨].

﴿خامسًا: الدعاء والتضرع إلى الله تعالى: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ، لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدْخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، قَالُوا: إِذَا نُكْثِرُ؟ قَالَ: اللَّهُ أَكْثَرُ. " (٩٣٧)﴾

(٩٣٤) - أخرجه: أحمد ٩٢ / ٤، والبخاري ٢٧ / ١ (٧١)، ومسلم ٩٥ / ٣ (١٠٣٧)، وابن ماجه (٢٢١)، وأبو عوانة (٧٥٠٤)،

(٩٣٥) - أخرجه البخاري في: ٨٠ كتاب الدعوات: ٦٦ باب فضل ذكر الله عز وجل

(٩٣٦) - أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه في السنن ٥ / ٥٣٢، كتاب الدعوات (٤٩)، باب (٨٣)، الحديث (٣٥٠٩) وقال: هذا حديث حسن غريب..

(٩٣٧) - أخرجه عبد بن حميد في مسنده ج ١ / ص ٢٩٢ حديث رقم: ٩٣٧

سادساً: التوبة: التوبة النصوح، عن أبي هريرة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِّتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكَّةٌ سَوْدَاءٌ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبُهُ، وَهُوَ الرَّأْنُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤) ﴿٩٣٨﴾

ولكن المقصود بالتوبة هي التي تكون نصوحا، وتوصف بأنها نصوح إذا اجتمعت فيها شروطها المعتبرة، وقد وردت آية في كتاب الله عز وجل جامعة لكل شروط التوبة، ومبشرة لمن اجتمعت تلك الشروط في توبته أنه مغفور له، وهي قول الله تعالى: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى).

سابعاً: المحافظة على الصلوات الخمس مع الجماعة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ حَافِظٌ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوباتِ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَرَأَ فِي لَيْلَةٍ مِائَةَ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ " .. (٩٣٩)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا، فَقَالَ: "مَنْ حَافِظٌ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ تَكُنْ لَهُ نُورًا وَلَا بُرْهَانًا وَلَا نَجَاةً، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلْفٍ " .. (٩٤٠)

ثامناً: الحرص على قيام الليل: ولو بعشر آيات في قيامه، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ قَامَ بَعْشَرَ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقْنَطِرِينَ " .. (٩٤١)

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحِبِّ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مَفَارِقُهُ، وَأَعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ شَرَفُ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِعْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ " .. (٩٤٢)

(٩٣٨) - أخرجه أحمد (٢/٢٩٧، رقم ٧٩٣٩)، والترمذي (٤٣٤/٥، رقم ٣٣٣٤) وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى (١١٠/٦، رقم ١٠٢٥١)

(٩٣٩) - الحاكم في مستدركه ج ١/ ص ٤٥٢ حديث رقم: ١١٦٠ الصَّحِيحَة: ٦٥٧، صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّوْهِيبِ: ١٤٣٧

(٩٤٠) - أخرجه أحمد ١٦٩/٢، والدارمي ٣٠١/٢، والطحاوي في "مشكل الآثار" ٢٢٩/٤

(٩٤١) - أخرجه ابن خزيمة (١١٤٤)، وابن حبان في "صحيحه" (٢٥٧٢)، وابن السني (٧٠٣)، والبيهقي في "الشعب" (٢٠٠٥)، صحيح الجامع: ٦٤٣٩، الصَّحِيحَة: ٦٤٢

(٩٤٢) - إتخاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٢/ ٤١١) (١٧٩٠) والإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء (٤/ ٧٠) (٣١١٣) والجامع لشعب الإيمان للبيهقي (مقابل) (١٢٥/ ١٣) (١٠٠٥٧) والمستدرک على الصحيحين للحاكم (٤/ ٣٦٠) (٧٩٢١) صَحِيح الجامع: ٧٣، الصَّحِيحَة: ٨٣١



﴿تاسعا: الإكثار من ذكر الموت: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ» " (٩٤٣)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ فَمَا ذَكَرَهُ عَبْدٌ قَطُّ وَهُوَ فِي ضَيْقٍ إِلَّا وَسَّعَهُ عَلَيْهِ وَلَا ذَكَرَهُ وَهُوَ فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهُ عَلَيْهِ" (٩٤٤)

عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟، قَالَ: " أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا " قَالَ: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ ؟، قَالَ: أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا، وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا، أُولَئِكَ الْأَكْيَاسُ " (٩٤٥)

صرخات منبرية للتحذير من مشاهدة الأفلام والمسلسلات الهندية

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي نور بحمिल هدايته قلوب أهل السعادة، وطهر بكرم ولايته أفئدة الصادقين فأسكن فيها وداذه، ودعاها إلى ما سبق لها من عنايته فأقبلت منقاداً، الحميد المجيد الموصوف بالحياة والعلم والقدرة والإرادة، نحمده على ما أولى من فضل وأفاده، ونشكره معترفين بان الشكر منه نعمة مستفاده.

وأشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلى يوم لقاءه

تعطف بفضل منك يا مالك الورى فأنت ملاذي سيدي ومعيني

لئن أبعدتني عن حماك خطيئتي فأنت رجائي شافعي ويقيني

ولست أرى لي حجة أبتغي بها رضاك إن العفو منك يقيني

وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحببيه

الذي أقام به منابر الإيمان ورفع عماده، وأزال به سنان البهتان ودفع عناده

وشفع في خير الخلائق طرا نبيا لم يزل أبدا حبيا

هو الهادي المشفع في البرايا وكان له رحيم مستجيبا

عليه من المهيمن كل وقت صلاة تملأ الأكوان طيبا

(٩٤٣) - أخرجه أحمد ٢٩٢/٢-٢٩٣، والنسائي ٤/٤

(٩٤٤) - صحيح ابن حبان - محققا (٢٦١ / ٧) "مسند الشهاب" ٦٦٨

(٩٤٥) - أخرجه ابن ماجه (٤٢٥٩) وصحيح الترغيب والترهيب: ٣٣٣٥

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين
ونحن معهم يا أرحم الراحمين
ثم أما بعد:

أمة الإسلام: إن من الطامات التي يعقبها الويلات ما ييئ وتبته القنوات الفضائية من برامج ومسلسلات
لا تبذر في الأمة إلا بذور الحنظل لتجني الأمة بعد ذلك ثمار العلقم، ألا وإن من أخطرها على الأمن
العقدي والاجتماعي والسياسي تلك المسلسلات الهندية والتركية وغيرها المدبلجة التي يتعلق بها الشباب
والفتيات فيعكفون أمامها الساعة فتنتف في عقوله وقلوبهم سموما فاتكة وأخلاقا مهلكة وتقاليده مفسدة
يشب عليها الصغير ويشيب عليها الكبير

لذا كان لزاما واجل مسمى إن نقف مع تلك القضية لنعري للأمة حقيقة الشر، و نكشف لهم عن ستار
الضر، لعي كل فراد ما يراد وما يحاك به وبأهله وبأمتة
فأعيروني القلوب والأسماع

يا أيها الفجر كم فيك من أمل أرى برؤيته ماضٍ أضعناه
بالله يا شيخنا ما بال أمتنا ؟ قد ضيَّعت مَجْدنا حتى نسيناهُ
بالله يا أبت ما بال مسجدنا ؟ قفر وما هكذا يوماً عَهدناهُ
أين المصلون ماذا حلَّ في بلدي وأين قدوتنا حقاً فقدناهُ
ما بالننا يا أبي نمشي على مهلٍ والغربُ يا أبت يحدو مطايهُ
صغيرنا يا أبي يلهو بدميته وشيخنا يا أبي غرَّته دنياهُ
نشكو إلى الله جهلاً من أحببنا نشكوا إلى الله منهم ما لقيناهُ
أوما أبرئ نفسي إنا بشرٌ نعشوا إلى الله أحياناً وننساهُ

العنصر الأول: أثر المسلسلات الهندية على العقيدة: أمة الإسلام: إن من أخطر الأمور التي
ترسخها تلك المسلسلات في نفوس الأطفال والفتيات والنساء عامة هي تلك
المعتقدات النصرانية والبوذية التي تبث وتوجد داخل تلك المسلسلات فكم من بطل في تلك المسلسلات
لم يستطع تحقيق الأهداف إلا بالمثل أمام بوذا والتقرب إلى تلك الأوثان، ويظهر المسلسل أن لتلك
الأوثان القدرة الخارقة في نصره البطل من أحداث رعد وبرق وأحداث كونية

أمة الإسلام: كذلك تمجيد تلك الأوثان وغيرها من معتقدات بإقامة الأعياد وتقديم القرابين
أعياد النَّصارى واحتفالاتهم، والنتيجة مجارة الكفار والكافرات في أعيادهم، وبالتالي تضعف عقيدة
الولاء والبراء لدى المسلم، ولنصغي لكلام من لا ينطق عن الهوى، وهو يخاطب أمته عليه صلوات من



ربي وسلام عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لتبتعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم) قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال: (فمن إلا اليهود والنصارى). (٩٤٦)

وكم كثرت المناسبات التي يقلد فيها المسلمون غيرهم؛ سواء التي تعلقت بالدين، أو بالتقاليد، وازدادت العقدة تعقيدا حينما اعترف بهذه المناسبات كأعياد، والكثير يردد دون استحياء: إنه عيد رأس السنة، وإنه عيد الأم، وإنه عيد الحب! متناسين أن الأعياد من خصائص الأديان، والإسلام الذي ارتضاه لنا ربنا دينًا، قد أكمله وأتم نعمته علينا، فكيف نبتغي الهدى ونرجو السلامة في غيره؟

عباد الله هناك أثر سلبي لتلك المسلسلات على عقيدة المسلمين، عن طريق التشكيك في عقيدتهم، والترويج للقيم المادية وتحسين أنماط السلوك السائد في المجتمعات الغير مسلمة، وإظهار المجتمعات غير الإسلامية بأنها بلاد الحرية، وتقبل الرأي البشري المخالف للشرائع السماوية، وفي المقابل وصف العالم الإسلامي بالرجعية والتخلف، وربما روجت بعض قنوات البث المباشر بعض الأفكار الإلحادية وكل هذه المضامين الوافدة تبث عبر القنوات الفضائية، وللأسف قد يستحسن بعض المسلمين تلك الأفكار وأساليب الحياة في المجتمع الغربي ويقلدها عن جهل منه.

إن بعض القنوات الفضائية فتنة تهدد كيان الأمة الإسلامية، فقد اجتمع (٨١٩٤ منصرا) وعقدوا اجتماعا عالميا في هولندا مثله أكثر من خمسين دولة وكلف ٢١ مليون دولار، وكان هدفه دراسة كيفية الإفادة من البث الفضائي للتنصير والتأثير على المسلمين.

و " كذلك الهدف الحقيقي من أمثال هذه المنتجات الدعائية، والمخرجات الثقافية؛ هو الترويج للأفكار العلمانية، والليبرالية، والطعن في الدين بإبراز الشخصيات المشبوهة في التاريخ الإسلامي! والثناء عليها بما ليس فيها، ودس السم في عسل روعة التصوير، وبراعة الإخراج، وحبكة السيناريو، فقد توجب على المتخصصين بالتاريخ الإسلامي كشف حقيقة هؤلاء المشبوهين، الذين تسموا بأسماء المسلمين، وسكنوا أوطانهم، ولكنهم- في الحقيقة- كانوا أكبر أعداء وطاعين في الدين."

العنصر الثاني: أثر المسلسلات على الأسرة: أما أثرها على الجانب الأسري فحدث ولا حرج عن ضمور العلاقة بين الزوج وبين زوجته وعن زهدها فيها، وزهدها فيه فكم وكم دعت تلك المسلسلات إلى الخيانة الزوجية وكم علمت فتيات وأزواج الوقوع في الرذيلة والخنى فكم من حالة شقاق وخلاف

(٩٤٦) - أحمد (٨٤/٣)، رقم (١١٨١٧)، البخاري (١٢٧٤/٣)، رقم (٣٢٦٩)، ومسلم (٢٠٥٤/٤)، رقم (٢٦٦٩)، وابن حبان (٩٥/١٥)، رقم (٦٧٠٣).

وكم من حالة طلاق وفراق

وكم من حالة خيانة ورذيلة

سببها تلك المسلسلات الداعية إلى ذلك والتي تربي من يشاهدها على التمرد والعناد الأسري يقول الأستاذ/ صباح محسن كاظم: أن هناك أكثر من ٢٠ حالة طلاق في قطاع غزة تسبب بها مهند بطل المسلسل وعشيق نور، نتيجة الهوس الجنوني بالمتابعة، إن أحد الأزواج دخل بيته فجأة فوجد زوجته تقبل مهند عبر شاشة التلفاز فألقى عليها يمين الطلاق.

وقصة أخرى أن طفلة سمعت أمها تقول: أتمنى أن تتزوجني يا مهند يوم واحد فقط وتطلقني.... فوصلت هذه الرسالة للزوج فأطلق عليها يمين الطلاق وقال: لها إذهبي لمهند ليتزوجك للأبد هاتان قصتان من الواقع ربما تكون حدثت فعلياً لكن الشارع أيضاً يتناقلها كما يتناقل قصة حب وغرام نور ومهند في المسلسل. (٩٤٧)

حرب الحموات: ومن الأضرار الأسرية التي تخلفها تلك المسلسلات حرب الحموات حيث يظهر المسلسل أن هناك حرباً بين الزوجة وأم زوجها وأن الزوجة تكيد وتنصب المكائد لام زوجها وعلى الجانب الآخر تظهر الحماة هي الأخرى تعمل على تنكيد عيش الزوجة وتكدير صفو الحياة الزوجية تشاهد النساء والفتيات والحموات تلك المسلسلات فتجدهن شغوفات بتمثيل الدور داخل الأسرة مما يسبب الطلاق أو العقوق أو انتحار الزوج في النهاية ليتخلص من ذلك النكد الذي يعيشه

العنصر الثالث: أثرها في الإدمان وترويج المخدرات: ومن أخطر ما تتركه هذه المسلسلات في نفوس الشباب والفتيات محبة التقليد للغير حيث يشاهدوه البطل وهو يتعاطى المخدرات والمسكرات ليقضي على ما ألم به من هم أو كرب

فيقبل الشباب بعد ذلك على السجائر وغيرها يقلدون تقليداً أعمى

وفي بعض المسلسلات يصور تعاطي تلك المسكرات على أنها أمراً عادياً بين أفراد الأسرة والأصدقاء

فكم من شاب أدمن تلك المخدرات حتى يكون مثل ذلك الخنزير الذي يمثل دور البطل و على الجانب الآخر: فهي تدعوا إلى الاتجار بتلك المخدرات حيث يصور الممثل على أنه تاجر مخدرات وأنها تدر عليها دخلاً كبيراً فتراه فجأة يمتلك السيارات والفلل والشركات كل هذا يصور أمام شباب لا يجد وظيفة ولا حرفة يأكل منها لقمة عيش حلال فينظر إلى ذلك الممثل ويرى أن المخدرات سبيل الثراء والغني

(٩٤٧) - التأثير السلبي لعولمة المسلسلات المدبلجة موقع النور



يقول الشيخ سليمان العودة - حفظه الله-التهئية لانتشار المخدرات

وهو خطر ملموس في واقعنا القريب، وهو أن هذه الأفلام فرصة لانتشار المخدرات بين الشباب، وقد كثر الجدل حول علاقة المسلسلات والأفلام المعروضة بانتشار المخدرات في البلاد الإسلامية، ولكن الرأي الذي يكاد أن يتفق عليه معظم الباحثين، هو أن وسائل الإعلام تساعد على انتشار الميول الإجرامية للأشخاص الذين توجد لديهم استعدادات لهذه الميول، وليس كل من شاهد، معناه أن يتحول إلى مدمن مخدرات، وليست وسائل الإعلام بريئة أيضاً، بل هي في موقع وسط، فهي تساعد أصحاب الميول الإجرامية على تعاطي المخدرات وترويجها وتهريبها.

وهناك عدة وسائل لتضليل المشاهدين وإغرائهم بالمخدرات، من هذه الوسائل: أن يعرض الفيلم تعاطي المخدرات على أنه وسيلة للإثارة الغريزية، فكثيراً ما ينخدع الناس بدعوى أن تعاطي المخدرات يقوي وينشط الإنسان ويحرك الغريزة لديه، فيتعاطاها الإنسان لهذا الغرض بسبب التضليل الإعلامي، وقد يكون التضليل عن طريق أن تُعرض هذه المخدرات بصورة توحى للمشاهد بأنها مقبولة اجتماعياً، وليس هناك ما يدعو إلى الحذر منها.

وفي إحصائية في مصر تبين أن أكثر من (٦٠%) من مدمني الحشيش يعتقدون أنه ليس بمحرم ولا مكروه أيضاً!! وهذه نسبة كبيرة جداً، ولا شك أن هؤلاء ضحايا لوسائل كثيرة: إحداها وسائل الإعلام التي قد تُصور لهم الحشاشين على أنهم مقبولون اجتماعياً، وأنهم لم يفعلوا ما يُخالف القيم والأخلاقيات التي يقوم عليها المجتمع.

ومن الوسائل التي تغري مشاهد الأفلام بتعاطي المخدرات: أن التحذير من المخدرات قد يُعرض بصورة مغرية، فقد يُعرض فيلم -مثلاً- لتحذير الشباب من تعاطي المخدرات، لكن هذا الفيلم يعرض من خلاله كيفية صناعة هذه المخدرات! كيفية تهريبها! فمن باب الفضول وحب الاستطلاع وحب المغامرة التي توجد عند بعض الشباب، قد يجرب الشاب نفسه في هذا الميدان، فيقع ضحية المخدرات، وضحية الأفلام قبل ذلك.

إن أفلام المغامرات شجعت الكثيرين على الاستمرار في تهريب الحشيش، وإن (٣٢%) من أفراد أُجريت عليهم دراسة، يؤكدون أنهم يقلدون بعض المشاهد التي يشاهدونها في الأفلام في تعاطيهم المخدرات!! أي: قرابة الثلث من مجرمي المخدرات هم ضحايا الأفلام!! وبذلك نعلم أن الحرب على المخدرات يجب أن يصاحبها حرب على الأفلام المنحطة الفاسدة التي تُغري الشباب بالانحراف.

وفي دراسة لأحدهم في لبنان، وافق واحد وأربعون بالمائة (٤١%) على أن التلفزيون يؤدي إلى انتشار الجريمة!! وفي القاهرة تم ضبط أفراد من إحدى البلاد العربية، وبجوزتهم مخدرات يريدون أن يروجوها،

وبالتحقيق معهم تبين أنهم قد شاهدوا فيلماً مشهوراً وهو فيلم "الباطنية" وأن لقطات هذا الفيلم جذبتهم، ودعتهم إلى تقليدها في تهريب المخدرات وترويجها.^(٩٤٨)

و أنا لا أبرئ الإعلام المحلي أيضا من تلك التهمة ألا وهي ترويج المخدرات (وقد انتشرت في زمن أغنية محمد عبد الوهاب (الدنيا سيجارة وكأس) التي لا ترى في الدنيا سواهما، وكانت الحفلات الغنائية الشهيرة موسماً كبيراً لبيع كميات كبيرة من الحشيش في مصر، لقد كتبت جريدة أخبار اليوم ١٩٨٥/٨/٥، تحت عنوان "مسلسلات يكتبها الفنانون" بأنوفهم نجمة معروفة تشم الهروين قبل أن تأتي في حفل عام ومما جاء في الصحيفة الآتي: "كل إنسان حر يعيش بالطريقة التي تعجبه ويموت بالطريقة التي تعجبه" وهو مفهوم غربي محض مرفوض في الإسلام، فالإنسان في الإسلام ليس حرّاً يعيش كيف يشاء ويموت كيف يشاء بل ينبغي أن يكون عبداً لله تعالى يعيش كما أمره الله ويموت كما أمره الله (قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (٤) (٩٤٩)

يقول الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) ([المائدة: ٩٠ - ٩١])

و لقد حرم النبي - صلى الله عليه وسلم كل مسكر عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام) (٩٥٠)

و نفى النبي الإيمان عمن تعاطى الخمر عن ابن عباس عن النبي ﴿ صلى الله عليه وسلم ﴾ قال لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن زاد إسحاق بن يوسف ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن (٩٥١)

العنصر الرابع أثرها في إشاعة الفاحشة والدعوة إليها

أما عن الأخلاق والقيم فهي حرب شعواء على كل فضيلة ودعوة إلى كل رذيلة

فالاختلاط حرية

والتبرج والسفور مدنية

(٩٤٨) - (أثر الأفلام على الشباب الإسلامي) موقع إسلام ويب

(٩٤٩) - (موقع منارات مقال آثار المخدرات ودورها في هدم مقدرات الأمة / عيد كامل حافظ)

(٩٥٠) - أخرجه الطيالسي (ص ٢٦٠، رقم ١٩١٦)، وأحمد (٢٩/٢، رقم ٤٨٣١)، ومسلم (١٥٨٨/٣، رقم ٢٠٠٣)

(٩٥١) - أخرجه عبد الرزاق (٤١٦/٧، رقم ١٣٦٨٤)، وأحمد (٢٤٣/٢، رقم ٧٣١٦)، والبخاري (٢٤٩٧/٦، رقم ٦٤٢٤)

والنسائي (٦٣/٨، رقم ٤٨٦٩)



والتخلص من الواجبات والحقوق الأسرية أمور شخصية

فظهرت المرأة سافرة حاسرة عارية وتُقدم بأنها المثالية

يقدم الزنا على أنه حرية شخصية فالشباب يلتقي بالفتاة ويعاشرها وذلك تحت مسمع الأسرة ولا حرج

بل تعم الفرحة والبهجة عندما تعلم الأسرة بأن أبتنهم حامل من حبيبها؟

ممارسة الإجهاض الذي تحرمه كل شرائع الدنيا تدعوا إليه تلك المسلسلات وتجعله حلاً لجريمة التحلل الأخلاقي

أليست هذه كلها دعوة إلى الفاحشة التي حرمتها وجرمتها الشريعة الغراء؟

يقول الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النور: ١٩)

ليس هذا هو تبرج أهل الجاهلية الذي نهى عنه رب البرية؟

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣)

ليس مشاهدة تلك المسلسلات فيه دعم لتلك القنوات وذلك من التعاون على الإثم والعدوان؟

والله تعالى أمرنا بالتعاون على البر والتقوى فقال ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة: ٢)

أليس مشاهدة تلك المسلسلات من الديانة التي يُذم صاحبها؟

لقد كان أهل الجاهلية الأولى -رغم جاهليتهم - كانوا يرفضون الزنا، ويرونه عاراً، ولم يزد الإسلام ذلك إلا شدة، إلا أن الإسلام تم مكارم الأخلاق وضبطها بضوابط الشريعة.

فالرجل الجاهلي كانت تحمله الغيرة على دفن ابنته وهي حية، فجاء الإسلام وأقر الغيرة، وحرّم وأد البنات.

وكانت الغيرة خُلُقاً يُمدح به الرجال والنساء.

فيقول الشاعر مُفتخراً بالغيرة:

ألسنا قد عَلِمَتْ معدَّةُ الرُّوعِ أجدرُّ أن نغاراً (٩٥٢)

وكان ضعف الغيرة علامة على سقوط الرجولة بل على ذهاب الديانة.

ولذا كان ضعيف الغيرة يُذم، حتى قيل:

إِذْ لَا تَغَارُ عَلَى النِّسَاءِ قِبَالَ يَوْمِ الْحِفَاظِ وَلَا يَقُونَ لَجَارٍ (٩٥٣)

وكانت العرب تقول: تَجُوعُ الحُرَّةُ وَلَا تَأْكُلُ بِثَدْيَيْهِ (٩٥٤)

وقال هند بنت عتبة - رضي الله عنها - وقد جاءت تُبايع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فكان أن أخذ عليها في البيعة فقال: «ولا تزنين» قالت: وهل تزني الحرة؟ (٩٥٥)
ولقد جاء الإسلام مُتَمِّمًا لمكارم الأخلاق، فجعل الغيرة من ركائز الإيمان، بل جعلها علامة على قوّة الإيمان.

وفاقدها -أجارك الله -هو الديوث. الذي يُقَرُّ الخُبثُ في أهله، فالجنةُ عليه حرام
عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ثلاثةٌ قد حَرَّمَ اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -
- عليهم الجنة: مُدْمِنُ الخمر، والعاق، والديوث الذي يُقَرُّ في أَهْلِهِ الخُبثُ (٩٥٦)
والديوث قد فسّره النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحديث بأنه الذي يُقَرُّ الخُبثُ في أهله،
سواء في زوجته أو أخته أو ابنته ونحوهنّ.

والخُبث المقصود به الزنا، وبواعثه ودواعيه وأسبابه من خلوة ونحوها.
قال علي رضي الله عنه: أما تغارون أن تخرج نساءكم؟ فإنه بلغني أن نساءكم يخرجن في الأسواق
يزاحمن العلوج. رواه الإمام أحمد (٩٥٧)

العنصر الخامس: رسالة إلى الآباء والأمهات: وهذه رسالة أوجهها إلى الآباء والأمهات

اعلموا أيها الآباء والأمهات أنكم مسؤولون أمام الله تعالى عن أبنائكم
فالزوج مسؤول عن زوجته وأبنائه وكذلك الزوجة مسؤولة أمام الله تعالى فعن ابن عمر رضي الله
عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ رَاعٍ،
وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ
رَعِيَّتِهِ» (٩٥٨)

(٩٥٣) - منتهى الطلب من أشعار العرب (ص: ١٦٠، بترقيم الشاملة آليا)

(٩٥٤) - اعتلال القلوب للخراطي (١/ ١٥٧)

(٩٥٥) - الإصابة ٢٩٥ / ٨

(٩٥٦) - أخرجه أحمد (٦٩/٢، رقم ٥٣٧٢)، قال الهيثمي (٣٢٧/٤): فيه راو لم يسم وبقيّة رجاله ثقات.

(٩٥٧) - مسند أحمد (١/ ١٣٣)

(٩٥٨) - أخرجه البخاري: كتاب الجمعة - باب الجمعة في القرى والمدن، حديث (٨٩٣)، ومسلم: كتاب الإمارة - باب فضيلة الإمام العادل... حديث (١٨٢٩).



والشَّاهد أن الرجل راعٍ على أهل بيته، بتعهده لهم بكل ما يُصلح حالهم ويُقيمه، وصيانتهم لهم من التعرُّض لكل ما يَحِيدهم عن الطريق القويم، وفي ذلك وقاية لهم من سوء العاقبة، يقول عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحریم: ٦)

اعلم أيها الوالد يا من تسمح بمشاهدة تلك القنوات أنك خائن للأمانة أنك مسؤول عن ذلك اسمع إلى قول نبيك صلى الله عليه وسلم- عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: عَادَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ الْمُزَنِيَّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَقَالَ مَعْقِلٌ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِي حَيَاةً مَا حَدَّثْتُكَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ حِينَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ "» (٩٥٩)

لابد أن تبين لهم خطورة تلك المسلسلات وأن مشاهدتها معصية لرب الأرض والسموات وأنت أيتها الأم العاكفة على تلك المسلسلات احذري سخط الله تعالى عليك احذري أن تفتني أو أن يفتن أبنائك بما يشاهدون فتكونين بذلك قد خنتي الأمانة وضيعتي رسالتك في الحياة فرقي الأبناء واجتمع معقود على صلاحك وإصلاحك كما قالوا

لَيْسَ يَرْقَى الْأَبْنَاءُ فِي أُمَّةٍ مَا لَمْ تَكُنْ قَدْ تَرَقَّتْ الْأُمَمَاتُ

فكيف نريد لأبنائنا صلاحاً وهم يشاهدوننا نشاهد تلك المسلسلات الهابطة اعلموا عباد الله أن عيون الأبناء معقودة على الإباء فهم القدوة وهم المثل الأعلى الذي يقتدون به فكيف إذا كان هذا هو حال الأم والأب مع تلك المسلسلات؟

إِذَا كَانَ رَبُّ الْبَيْتِ بِالْدَفِّ ضَارِبًا فَشِيْمَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ كُلُّهُمْ الرَّقْصُ!

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.
أما بعد:

(٩٥٩) -أخرجه مسلم ١٤٢ ٢٢٧ في الإيمان: باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، و٣/١٤٦٠ ٢١ في الإمارة: باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية.

العنصر السادس: رسالة إلى أصحاب تلك القنوات: تلك القنوات التي تبث تلك المسلسلات يملكها أناس من أمتنا سحروا أموالهم وأوقاتهم لبث تلك الرذيلة وإشاعة الفاحشة في المجتمع والهدف من وراء ذلك هو تحقيق الثراء والغني

أقول لهم: أن ما تبثونه يكتب في صحائف أعمالكم إن خيرا فخير وإن شرا فشر
اعلموا أن كل هذه الأشياء تدون عليكم في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها يقول الله تعالى ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا [الكهف: ٤٩].﴾

يقول الطبري - رحمه الله: يقول عزّ ذكره: ووضع الله يومئذ كتاب أعمال عباده في أيديهم، فأخذ واحد بيمينه وأخذ واحد بشماله (فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ) يقول عزّ ذكره: فتري المجرمين المشركين بالله مشفقين، يقول: خائفين وجلين مما فيه مكتوب من أعمالهم السيئة التي عملوها في الدنيا أن يؤاخذوا بها (وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا) يعني أنهم يقولون إذا قرعوا كتابهم، ورأوا ما قد كتب عليهم فيه من صغائر ذنوبهم وكبائرها، نادوا بالويل حين أيقنوا بعذاب الله، وضجوا مما قد عرفوا من أفعالهم الخبيثة التي قد أحصاها كتابهم، ولم يقدروا أن ينكروا صحتها. (٩٦٠)

و إن مُتَم فإن هذه الأشياء تكتب في موازين سيئاتكم فهي من السيئات الجارية يقول سبحانه وتعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (٩٦١) (يس: ١٢)

يقول ابن كثير - رحمه الله- نكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم، وآثارهم التي أثروها من بعدهم، فنجزبهم على ذلك أيضاً، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، كقوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً حَسَنَةً، كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مَنْ غَيَّرَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوَزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مَنْ غَيَّرَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئاً". (٩٦٢)

واعلموا أن كل شاب أو فتاة ضل الطريق فعليكم وزره وإثمه كما في الحديث السابق
يا أصحاب القنوات أما فيكم من يسخر جهده وماله لنشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة

(٩٦٠) - تفسير الطبري - (٣٨ / ١٨)

(٩٦١) - تفسير الطبري - (٣٨ / ١٨)

(٩٦٢) - تفسير ابن كثير - ط دار طيبة (٥٦٥ / ٦)



أما فيكم من يغار من أجل دينه

أما فيكم طالب للجنة هارب من النار

أما فيكم أمثال أبي بكر الصديق الذي سخر نفسه وأهله من أجل نصرته الإسلام

أما فيكم من يبيع ماله لله عثمان بن عفان رضي الله عنه وصهيب الرومي

أما فيكم أحد يريد أن يتاجر مع الله جل في علاه

يا أصحاب القنوات الدنيا زائلة فما هي إلا ظل زائل وعارية مسترجعة

يا أصحاب القنوات كم ستعمون في هذه الدنيا؟

ما الدنيا إلا حلم وما الآخرة إلا يقظه

يا أصحاب القنوات تذكروا قول رب الأرض والسموات ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ

جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (الشعراء: ٢٠٥، ٢٠٦)

﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ من اللذات والشهوات، أي: أي شيء يغني عنهم، ويفيدهم،

وقد مضت وبطلت واضمحلت، وأعقت تبعاتها، وضعف لهم العذاب عند طول المدة. القصد أن

الحذر، من وقوع العذاب، واستحقاقهم له. وأما تعجيله وتأخير، فلا أهمية تحته، ولا جدوى عنده.

يا أصحاب القنوات ضمة في القبر تنسيكم كل نعيم

الله لو عاش الفتى في عمره ألفا من الأعوام مالك أمره

متنعا فيها بكل لذيذة متلذذا فيها بسكن قصره

لا يعتريه الهم طول حياته كلا ولا ترد الهموم بصدرة

ما كان ذلك كله أن يفي فيها بأول ليلة في قبره

يا أصحاب القنوات غمسه في جنهم تنسيكم كل نعيم رأيتموه في الدنيا عن أنس قال: قال رسول الله

﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغةً ثم

يقال يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط هل مر بك نعيمٌ قط فيقول لا والله يا رب ويؤتى بأشد الناس بؤساً

في الدنيا من أهل الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط هل مر بك شدةٌ قط فيقول لا والله ما

مر بي بؤسٌ قط ولا رأيت شدةً قط^(٩٦٣)

العنصر السابع: رسالة إلى ولاية الأمر من الحكام والرؤساء والملوك

اعلموا أن الرعية أيها الرعاة أمانة في أعناقكم وسوف تسألون عنها يوم القيامة

(٩٦٣) - أخرجه أحمد (٢٠٣/٣)، رقم (١٣١٣٤)، وعبد بن حميد (ص ٣٩١، رقم ١٣١٣)، ومسلم (٢١٦٢/٤) رقم (٢٨٠٧)

وابن ماجه (١٤٤٥/٢)، رقم (٤٣٢١)،

فأنتم مسؤولون عن كل صغيرة وكبيرة عن كل حدث يحدث كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -
 فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من راع يسترعى رعية إلا سئل يوم
 القيامة: أقام فيها أمر الله، أم أضاعه؟» (٩٦٤)

يا أيها الرعاة اسمعوا إلى عمر رضي الله عنه -عن علي رضي الله عنه قال: "رأيت عمر بن الخطاب رضي
 الله عنه على قتب يعدو، فقلت: "يا أمير المؤمنين أين تذهب؟
 قال: "بغير نَدٍّ من إبل الصدقة أطلبه"

فقلت: "لقد أذلت الخلفاء بعدك، فقال: "يا أبا الحسن لا تلمني فوالدي بعث محمداً بالنبوة لو أن عناقاً
 أخذت بشاطئ الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة" (٩٦٥)

أيها الرعاة: يا من تركتم رعاياكم فريسة للتغريب والتميع أما فيكم من يبكي من خوفه من الله تعالى
 كما بكى عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -

فقد دخلت عليه زوجته فاطمة عند توليه الخلافة فرأته يبكي، فسألته عن سبب بكائه، فقال لها: ويحك
 يا فاطمة، إني وليت أمر هذه الأمة ففكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعاري المجهود، واليتيم
 المكسور، والمظلوم المقهور، والغريب، والأسير، والشيخ الكبير، والأرملة الوحيدة، وذي العيال الكثير
 والرزق القليل وأشباههم في أقطار الأرض، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم يوم القيامة وأن خصمي
 دونهم محمد -صلى الله عليه وسلم- فخشيت ألا تثبت لي حجة فلذلك بكيت. (٩٦٦)

اللهم قد بلغت الله فاشهد، اللهم قد بلغت الله فاشهد، اللهم قد بلغت الله فاشهد
 الدعاء.....

(٩٦٤) - المعجم الأوسط (٥ / ١٤٩)

(٩٦٥) - ابن الجوزي: مناقب ص ١٦١.

(٩٦٦) - سير أعلام النبلاء: ٥ / ٢١٣



إعلام الأنام بأخلاق الحرب في الإسلام^(٩٦٧)

الخطبة الأولى

أما بعد: - حياكم الله تعالى وبياكم وجعل الله تعالى الجنة مأوانا ومأواكم - حديثنا في هذا اليوم الطيب الميمون عن (إعلام الأنام بأخلاق الحرب في الإسلام) لتعرف على الأخلاق الإسلامية الرفيعة التي تحلى بها المجاهدون في سبيل الله مع أعدائهم في ميدان المعركة حالهم كما قال الشاعر:

مَلَكُنَا فَكَانَ الْعَفْوُ مِنَّا سَجِيَّةً فَلَمَّا مَلَكَتُمْ سَالَ بِالْدَمِ أَبْطَحُ
وَحَلَلْتُمْ قَتْلَ الْأَسَارَى وَطَالَمَا غَدَوْنَا عَنِ الْأَسْرَى نَعْفُ وَنَصْفَحُ
فَحَسْبُكُمْ هَذَا التَّفَاوْتُ بَيْنَنَا وَكُلِّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْصَحُ

أيها الأحاب "مشهد الحروب القذرة في عالمنا اليوم، وما تلحقه من أضرار على البشرية، مقابل عدم قدرة القوانين الدولية على محاسبة مجرمي الحرب -وما أكثرهم -تجعلنا مدعويين لتقديم نموذجنا الإسلامية ورؤيتنا للحروب: أهدافها وضوابطها وأخلاقياتها وهي رؤية لم تصل إليها البشرية - رغم ما شهدته من تقدم وحضارة"..... وفي هذه الخطبة نضع بعض تلك الأخلاق والقوانين فأعيروني القلوب والأسماع

أنه لا يقتل إلا المقاتلة: إخوة الإسلام إن من الأخلاق والآداب والقوانين التي وضعها الإسلام للحرب أنه لا يتعرض للمدنيين الذين لم يشاكوا في الحرب قال الله تعالى: **(وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)** [البقرة: ١٩٠]، قال الشوكاني: "وقال جماعة من السلف: إن المراد بقوله: (الذين يقاتلونكم) من عدا النساء والصبيان والرهبان ونحوهم".^(٩٦٨) وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً ولا صغيراً ولا امرأة، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين".^(٩٦٩) وعن نافع أن عبد الله رضي الله عنه أخبره "أن امرأة وجدت في بعض مغازي النبي صلى الله عليه وسلم مقتولة فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان".^(٩٧٠)

^(٩٦٧) - موقع الألوكة وصيد الفوائد و زاد الداعية و الخطيب

^{٩٦٨} - فتح القدير، ٢٩٣/١.

^{٩٦٩} - رواه أبو داود ٤٤/٢، (٢٦١٤).

^{٩٧٠} - رواه البخاري، ١٠٩٨/٣، (٢٨٥١)، ومسلم، ١٣٦٣/٣، (١٧٤٤).

ولقد كان من رحمته صلى الله عليه وسلم بهم أنه لا يفرق بين ابن وأمه لأن ذلك التفريق ليس من الإنسانية فكيف يرضى به الإسلام فقد نهي أصحابه عن ذلك فعن جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ أَبَا أُسَيْدٍ الْأَنْصَارِيَّ، قَدِمَ بِسَبْيٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَإِذَا امْرَأَةٌ تَبْكِي وَقَالَتْ: بَيْعَ ابْنِي فِي عَبَسٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي أُسَيْدٍ: «لَتَرْكَبَنَّ فَلَتَجِئَنَّ بِهِ كَمَا بَعْتَ بِالثَّمَنِ» فَرَكِبَ أَبُو أُسَيْدٍ فَجَاءَ بِهِ (٩٧١)

❖ثانيا: النهي عن قتل المدبر والإجهاز على الجريح:

معاشر الموحدين: ومن أخلاقيات الحرب في الإسلام أنه نهي أتباعه عن قتل المدبر ونهاهم عن الإجهاز على الجريح فأَيُّ أخلاق تلك إنها الأخلاق الإسلامية الرفيعة عباد الله فعن حصين عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: "ألا لا يقتل مدبر ولا يجهاز على جريح ومن أغلق بابه فهو آمن". (٩٧٢)

❖ثالثا: النهي عن الغدر والمثلة -تشويه الجثث- ومن الأخلاق الرفيعة مع الأعداء أن النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن الغدر والمثلة بجثث القتلى فقد كان من وصايا النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اغزوا باسم الله وفي سبيل الله وقاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا". (٩٧٣)

وقد ترسخت قيمة الوفاء في نفوس الصحابة حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغه في ولايته أن أحد المجاهدين قال لمحارب من الفرس: لا تَخَفْ. ثم قتله، فكتب رضي الله عنه إلى قائد الجيش: "إنه بلغني أن رجلاً منكم يَطْلُبُونَ الْعِلَجَ (الكافر)، حتى إذا اشتدَّ في الجبل وامتنع، يقول له: "لا تَخَفْ". فإذا أدركه قتله، وإني والذي نفسي بيده! لا يبلغني أن أحداً فعل ذلك إلاَّ قطعْتُ عنقه" (٩٧٤) ورغم ما حدث في غزوة أُحُد من تمثيل المشركين بحمزة عم الرسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه صلى الله عليه وسلم لم يُغَيِّرْ مبدأه، بل إنه صلى الله عليه وسلم هدّد المسلمين تهديداً خطيراً إن قاموا بالتمثيل

٩٧١ - السنن الكبرى للبيهقي (٢١٢ / ٩)

٩٧٢ - ابن أبي شيبة، ٤٩٨/٦، (٣٣٢٧٦).

٩٧٣ - رواه ابو داود، ٤٤/٢، والترمذي، ٢٢/٤، (١٤٠٨).

٩٧٤ - الموطأ: رواية يحيى الليثي (٩٦٧)، والبيهقي: معرفة السنن والآثار (٥٦٥٢).



بأجساد قتلى الأعداء، فقال: "أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا، وَإِمَامٌ ضَلَّالَةً، وَمُمَثِّلٌ مِنَ الْمُمَثِّلِينَ" (٩٧٥)

ولم ترد في تاريخ رسول الله صلى الله عليه وسلم حادثة واحدة تقول بأن المسلمين مثلوا بأحد من أعدائهم.

رابعاً: النهي عن التدمير والتخريب من غير حاجة، عن صالح بن كيسان قال: لما بعث أبو بكر رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان إلى الشام على ربع من الأرباع خرج أبو بكر رضي الله عنه معه يوصيه ويزيد راكب وأبو بكر يمشي فقال يزيد: "يا خليفة رسول الله إما أن تركب وإما أن أنزل"، فقال: "ما أنت بنازل وما أنا براكب، إني أحسب خطاي هذه في سبيل الله، يا يزيد إنكم ستقدمون بلاداً تؤتون فيها بأصناف من الطعام، فسموا الله على أولها واحمدوه على آخرها، وإنكم ستجدون أقواماً قد حبسوا أنفسهم في هذه الصوامع، فاتركوهم وما حبسوا له أنفسهم، وستجدون أقواماً قد اتخذ الشيطان على رؤوسهم مقاعد يعني الشاماسة فاضربوا تلك الأعناق، ولا تقتلوا كبيراً هرماً، ولا امرأة، ولا وليداً، ولا تخربوا عمراناً، ولا تقطعوا شجرة إلا لنفع، ولا تعقرن بهيمة إلا لنفع، ولا تحرقن نخلاً ولا تغرقنه، ولا تغدر، ولا تمثل، ولا تجبن، ولا تغلل، **(وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) [الحديد: من الآية ٢٥]** أستودعك الله وأقرئك السلام". (٩٧٦)

خامساً: إكرام الأسير: قال الله تعالى: **(وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) [الإنسان: ٨]**، قال البيضاوي: "مسكيناً ويتيماً وأسيراً يعني أسراء الكفار فإنه صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول: أحسن إليه". (٩٧٧)

إطعام الأسرى:

مما حث عليه الإسلام إطعام الأسير وجعل ذلك سبباً من أسباب دخول الجنة إطعام الأسرى قال الله تعالى: **(وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) [الإنسان: ٨]**. في هذه الآية الكريمة من الدستور الإسلامي القرآن الكريم يحث الله تعالى عباده المؤمنين على الإحسان إلى أسراهم وإطعامهم، ويعدهم بذلك النعيم في الآخرة. قال ابن عباس: أمر رسول الله أصحابه يوم بدر أن يكرموا

٩٧٥ - أحمد (٣٨٦٨)، واللفظ له، وحسنه شعيب الأرناؤوط، والطبراني في الكبير (١٠٤٩٧)، والبخاري (١٧٢٨)، وقال

الألباني: صحيح. انظر: السلسلة الصحيحة (٢٨١).

٩٧٦ - البيهقي السنن الكبرى، ٩/٩٠، (١٧٩٢٩).

٩٧٧ - تفسير البيضاوي، ٤٢٧/١.

الأُسارى، فكانوا يُقدِّمُونهم على أنفسهم عند الغداء، وهكذا قال سعيد بن جبير، وعطاء، والحسن، وقتادة (٩٧٨)

ويعلق ابن جريج [على نفس الآية فيقول: لم يكن الأسير على عهد رسول الله إلا من المشركين، قال أبو عبيد: فأرى أن الله قد أثنى على من أحسن إلى أسير المشركين (٩٧٩)]
وها هو أبو عزيز شقيق مصعب بن عمير يحكي ما حدث يقول: "كنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصَّوني بالخبز، وأكلوا التمر لوصية رسول الله إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها؛ فأستحي فأردّها فيردّها عليّ ما يمسخها!
قال ابن هشام: وكان أبو عزيز هذا صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث (٩٨٠)

سادسا: النهي عن الإغارة على العدو ليلا حتى يصبح:

إخوة الإسلام: ومن الآداب الإسلامية التي شرعها لنا نبينا صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يغير على عدوه ليلا وهم نائمون ولا يأخذهم وهم نائمون انظروا عباد الله إلى قمة العدل وقمة الأخلاق التي تحلى بها المسلمون مع أعدائهم فعن حميد قال: سمعت أنس رضي الله عنه يقول: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا غَزَا قَوْمًا لَمْ يُغَرِّ حَتَّى يُصْبِحَ فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ بَعْدَ مَا يُصْبِحُ فَنَزَلْنَا خَيْبَرَ لَيْلًا.» (٩٨١)

عن أنس رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَى خَيْبَرَ فَجَاءَهَا لَيْلًا وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَوْمًا بَلِيلٌ لَا يُغَيِّرُ عَلَيْهِمْ حَتَّى يُصْبِحَ فَلَمَّا أَصْبَحَ خَرَجَتْ يَهُودُ بِمَسَاحِيهِمْ وَمَكَاتِلِهِمْ فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُ أَكْبَرُ خَرَبَتْ خَيْبَرُ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ.» (٩٨٢)

سابعا: النهي عن التحريق والتعذيب بالنار

أمة الإسلام ومن آداب وأخلاقيات الحرب في الإسلام أنه نهى اتباعه عن تحريق أعدائهم بالنار وتعذيبهم بها على الرغم من عباد الله أن التحريق بالنار كان سائدا في الحروب قبل الإسلام فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْثٍ فَقَالَ: إِنْ وَجَدْتُمْ فَلَانًا وَفُلَانًا فَأَحْرِقُوهُمَا

٩٧٨ - [ابن كثير (تفسير القرآن العظيم [٤/٥٨٤].)].

٩٧٩ - البيهقي (شعب الإيمان [٦/٥٢٦].)].

٩٨٠ - [ابن كثير (السيرة النبوية [٢/٤٧٥].)].

٩٨١ - «صحيح البخاري - ط السلطانية» (٤/٤٧)

٩٨٢ - «صحيح البخاري - ط السلطانية» (٤/٤٨)



بِالنَّارِ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَرَدْنَا الْخُرُوجَ: إِنِّي أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحْرِقُوا فُلَانًا وَفُلَانًا وَإِنَّ النَّارَ لَا يُعَذِّبُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا.» (٩٨٣)

❦ثامنا: النهي عن النهب في الحرب:

أمة الإسلام: ومن أخلاقيات الحرب في الإسلام أنه نهى المجاهدين عن النهب مهما أصابهم من جوعة وخصاصة لأن النهب من الخيانة التي لا يرضاها الإسلام

«عَنْ أَبِي لَيْدٍ، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ كَابِلَ، قَالَ: فَأَصَابَ النَّاسُ غَنِيمَةً، فَانْتَهَبُوهَا، فَأَمَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَمُرَةَ، مُنَادِيًا يُنَادِي، فَنَادَى، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: " مَنْ انْتَهَبَ فَلَيْسَ مِنَّا "، رُدُّوْهَا، (١) فَرُدُّوْهَا، فَقَسَمَهَا بَيْنَهُمْ بِالسَّوِيَّةِ» (٩٨٤)

عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ النَّاسَ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ وَجَهْدٌ، وَأَصَابُوا غَنَمًا فَانْتَهَبُوهَا، فَإِنَّ قُدُورَنَا لَتَعْلِي إِذْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي عَلَى قَوْسِهِ، فَأَكْفَأَ قُدُورَنَا بِقَوْسِهِ، ثُمَّ جَعَلَ يُرْمِلُ اللَّحْمَ بِالثَّرَابِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ التُّهْبَةَ لَيْسَتْ بِأَحَلَّ مِنَ الْمَيْتَةِ» أَوْ «إِنَّ الْمَيْتَةَ لَيْسَتْ بِأَحَلَّ مِنَ التُّهْبَةِ» (٩٨٥)

❦تاسعا: النهي عن تضيق المنازل وقطع الطرق في الحرب:

ومن روائع الآداب الإسلامية أنه نهى أتباعه عن تضيق المنازل وقطع الطرق عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ الْجُهَنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: نَزَلْنَا عَلَى حِصْنِ سِنَانٍ بِأَرْضِ الرُّومِ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَضَيَّقَ النَّاسُ الْمَنَازِلَ، وَقَطَعُوا الطَّرِيقَ، فَقَالَ مُعَاذٌ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةً كَذًا وَكَذًا، فَضَيَّقَ النَّاسُ الطَّرِيقَ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنَادِيًا فَنَادَى: " مَنْ ضَيَّقَ مَنْزِلًا أَوْ قَطَعَ طَرِيقًا فَلَا جِهَادَ لَهُ " (٩٨٦)

قوله: ((فضيق الناس)) قيل: التضيق هنا بسبب أخذ منزل لا حاجة له إليه أو فوق حاجته قوله: "فلا جهاد له"؛ أي: فلا كمال ثواب الجهاد له بإضراره الناس؛ لأنه إذا نزل في الطريق يمنع الناس من المرور، أو يضيق الطريق فيتضررون بالمرور، وإضرار الناس إثم.

❦عاشرا: النهي عن قتل الرسل:

٩٨٣ - «صحيح البخاري - ط السلطانية» (٤ / ٦١):

٩٨٤ - «مسند أحمد» (٣٤ / ٢٣٣ ط الرسالة)

٩٨٥ - وأخرج البخاري (٢٤٨٨)، ومسلم (١٩٦٨)، وابن ماجه (٣١٣٧)، والترمذي (١٦٩١)

٩٨٦ - «مسند أحمد» (٢٤ / ٤٠٥ ط الرسالة) «وأخرجه سعيد بن منصور في "سننه" (٢٤٦٨)، وأبو داود (٢٦٢٩)»

ومن الآداب التي شرعها الإسلام في الحرب أن الرسل لا تقتل ولا تأسر وذلك من كرم الإسلام ومن عدله مع أعدائه فعن سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعي، عن أبيه نعيم، قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: حينَ قرأَ كتابَ مُسَيِّمَةِ الكَذَابِ، قالَ لِلرَّسُولَيْنِ: فَمَا تَقُولَانِ أَنتُمَا؟ قالَا: نَقُولُ: كَمَا قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وَاللَّهِ لَوْ لَأَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَكُمْ " (٩٨٧)

الحادي عشر النهي عن قتل المعاهد:

معاشر الموحدين إن من أخلاقيات الحرب في الإسلام أنه هُي عن قتل المعاهد وحذر من ذلك تحذيرا شديدا

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا.» (٩٨٨)

الخطبة الثانية

أهداف الحرب في الإسلام:

إخوة الإسلام: بعدما تعرفنا على الأخلاق والآداب التي شرعها الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم -نقف في عجالة سريعة لتتعرف على أهداف الحرب في الإسلام ليعلم الجميع أن الإسلام ليس متعطشا للدماء ولا داعيا للحرب والتخريب والتدمير لقد انتضى الإسلام السيف لا ليكره الناس على الإسلام ولكن ليكفل عدة أهداف

أولاً: شرع الجهاد عباد الله لصد عدوان يعده العدو لاجتياح بلاد المسلمين ويهدد أمنهم مثلما حدث ذلك في غزو حنين وحصار الطائف حين اجتمعت هوازن وثقيف بعد فتح مكة بقيادة مالك بن عوف النمري

ثانياً يشرع الجهاد للدفع عن الدين والأرض وصد هجمات الغزاة كما حدث في غزوة أحد والخندق حين اجتمعت الأحزاب لضرب الإسلام.

ثالثاً: يشرع الجهاد ضد من نقض العهود والمواثيق مثل ما حدث مع بني قينقاع وبني النضير وفتح مكة

رابعا يشرع الجهاد لتأمين المسلمين إذا تعرض لهم من يفتنهم عن دينهم أو يمنع الداعي من تبليغ دعوته قال الله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ

٩٨٧ - «مسند أحمد» (٢٥ / ٣٦٧ ط الرسالة) «وأخرجه أبو داود (٢٧٦١)، والحاكم ١٤٢/٢ - ١٤٣»

٩٨٨ - «صحيح البخاري - ط السلطانية» (٩٩ / ٤):



﴿البقرة: ١٩٠﴾ وقال تعالى ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]

يقول أحد المفكرين: لو لم يكن من مظاهر العدل في الإسلام إلا قوانينه الحربية لكان في ذلك ما يقنع المنصفين على اعتناقه

الدعاء.....

المحتويات

إهداء	٢
المقدمة	٣
القواعد العشر للأخلاق في القرآن الكريم والسنة المطهرة	٥
الدرر السنية من أخلاق الرسالة المحمدية	١٣
عالمية الأخلاق الإسلامية	٢٣
العفو الكريم (جل جلاله)	٣١
أخلاق النبي الأمين في رحلة الشوق والحنين	٤٠
نثر الياسمين من أخلاق النبي مع العصاة والمخالفين	٤٧
تقوى الله تعالى وعلاقتها بالطلاق	٥٣
التقوى هي غاية الغايات	٥٩
نبي الله لوط عليه السلام ومواجهته للفساد الأخلاقي	٦٥
تحفة الأنعام بخلق الاحترام	٧٣
القول الجميل في الاعتراف بالفضل والجميل	٨١
الآلئ الغراء من فضائل وفوائد الحياء	٨٩
غيرة السلف على أعراضهم وتفريط الخلف	٩٥
غيرة معاذ بن جبل (رضي الله عنه):	٩٧
شذا الريحان من مزاح سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم	١٠٠
حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا	١١٤
النظام في هدي خير الأنعام	١٢٢
الصدق مجالات وثمرات	١٣٠
وفاء النبي صلى الله عليه وسلم بالعهود	١٣٩
تحذير المؤمنين من خطر النفاق والمنافقين	١٤٧
صفحات سوداء من تاريخ المنافقين	١٥٥
السماحة في البيع والشراء في الشريعة الغراء	١٦٣
السماحة في الحياة الزوجية سر السعادة الأبدية	١٦٩
تبصرة الأنعام بسماحة الإسلام	١٧٦



أمانة الصانع والتاجر وأثرها على الفرد والمجتمع.....	١٨٦
الخوف من الله وأثره في استقامة الفرد والمجتمع.....	١٩٥
الشهامة ومجالاتها وأثرها على الفرد والمجتمع.....	٢٠٣
الكرم ومجالاته في الإسلام.....	٢١٤
الإيجابية من منظور إسلامي.....	٢٢٤
الإيثار: الفضيلة الغائبة.....	٢٣٤
التضحية والابتلاء طريق الاجتهاد.....	٢٤٣
مقاصد الحج الأخلاقية والتربوية.....	٢٤٨
النظافة من الإيمان.....	٢٥٥
العفة ثمراتها ومجالاتها.....	٢٦٦
الوفاء بالعهود ومجالاته.....	٢٧٦
البناء الأخلاقي للاقتصاد الإسلامي.....	٣٠٤
تحذير الشباب والفتيات من بحار الشهوات.....	٣١٣
إرشاد الكرام إلى آداب الخصام.....	٣٢٥
كيف نستعيد قيمنا وأخلاقنا الجميلة.....	٣٣٤
نزهة الخاطر بعبادة جبر الخواطر.....	٣٣٩
القول الجميل في الاعتراف بالفضل والجميل.....	٣٤٦
كفّ الأذى عن الناس صدقة.....	٣٥٤
الآداب العشر للأسواق في الإسلام.....	٣٦١
النبي القدوة في الرد على من أساء إليه.....	٣٦٧
شمولية القدوة في حياة نبي الأسوة-صلى الله عليه وسلم-.....	٣٧٢
الصيام ودورة المراقبة.....	٣٨٢
الفتح المبين في بيان أخلاق الصائمين.....	٣٩٢
العزة ثمرة من ثمرات الإيمان بالله.....	٤٠٣
أخلاقيات التعليق على الفيس بوك.....	٤١٧
تطهير البلاد من أدران وبؤر الفساد.....	٤٢٤
تحذير الأجيال من خطورة الإهمال.....	٤٣٣

- ٤٤١ التحذير من الكسل والحث على البناء والتعمير
- ٤٥٢ تحذير الصفوة من أدران الغفلة
- ٤٦٢ صرخات منبرية للتحذير من مشاهدة الأفلام والمسلسلات الهندية
- ٤٧٤ إعلام الأنام بأخلاق الحرب في الإسلام

